مع الركب الحسيني من المدينة إلى المدينة

الجزء الأول

الإمام الحسين عليه السلام في المدينة المنورة

ورحلته منها إلى مكة المكرمة

تأليف

علي الشاوي

دراسات عاشوراء

بسم الله الرحمن الرحیم

مع الركب الحسيني

من المدينــة الى المدينــة

الجزء الأوّل

الإمام الحسين عليه السلام في المدينة المنوّرة

ورحلته منها الى مكّة المكرّمة



تاليف:

علي الشـاوي

الشاوي، علي

الامام الحسين عليه‌السلام فى المدينة المنوّرة و رحلته منها إلى مكّة المكرّمة / المؤلف علي الشاوي. ـ قم: مركز الدراسات الاسلامية لممثلية الوليّ الفقيه فـي حـرس الثـورة الاسلامية ـ مديرية دراسات عاشوراء، ١٤٢١ هـ. ق ١٣٧٩ هـ. ش ٤٩٩ ص الفهرسة على أساس الجزء الأوّل

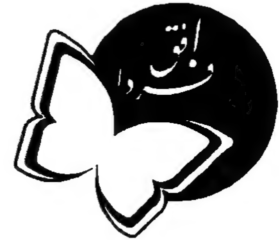
السعر: ٢٠٠٠٠ ريال

المصادر: (٤٨٧ ـ ٤٩٩)

١. الإمام الثالث: الحسين بن علي(ع)، ٤ ـ ٦١ ق ـ ـ السيرة

الف العنوان: مع الركب الحسيني من المدينة الى المدينة

٨الف / ٢ ش / ٤ / ٤١ BP　　　　٢٩٧ / ٩٥٣



مع الركب الحسينى من المدينة الى المدينة (الجزءالاول)

الموضوع : الإمام الحسين عليه‌السلام في المدينة المنوّرة، و رحلته منها إلى مكة المكرمة / دراسة تاريخية تحليلية

إعداد و نشر : مركز الدراسات الاسلامية لممثلية الوليّ الفقيه فى حرس الثورة الاسلامية ـ مديرية دراسات عاشوراء

المؤلف : علي الشاوي

تنضيد الحروف : مركز الدراسات الاسلامية لممثلية الوليّ الفقيه في حرس الثورة الاسلامية

الطبعة :الاولى ـ ١٤٢١ هـ. ق ـ ١٣٧٩ هـ. ش

الناشر :افق فردا

عددالصفحات : ٥٠٠

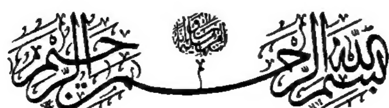
العدد : ٢٠٠٠ نسخة

السعر: ٢٠٠٠٠ ريال

مراكز التوزيع: قم: ١ ـ مركز الدراسات الاسلاميه، تليفون ٥ ـ ٢٢٢٢١٣ ـ ٠٢٥١

٢ ـ بوستان كتاب، تليفون ٧٤٣٤٢٦ ـ ٠٢٥١

مقدمة مركز الدراسات الإسلاميّة
التابع لممثليّة الولي الفقيه في حرس الثورة الإسلامية



الحمد لله الذي جعل الحمد مفتاحاً لذكره ودليلاً على نعمه وآلائه، والصلاة والسلام على أشرف الخلائق محمد وآله الطيبين الطاهرين.

وبعدُ: فلم يشهد العالم الإسلامي في القرن الرابع عشر من الهجرة النبوية الشريفة ـ وهو آنذاك على مشارف نهاية ذلك القرن ـ حدثاً في جلال وجمال وروعة وهيبة وأهميّة حدث انتصار الثورة الإسلامية في إقليم إيران بقيادة المرجع الديني الكبير والقائد الفذّ آية الله العظمى السيّد روح الله الموسوي الخميني قدّس الله نفسه الزكية.

وقد انبهر العالم الإسلاميّ خاصة والعالم عامة آنذاك بعظمة ذلك الحدث الكبير، وتأثر الجميع به (كلٌّ بحسبه)، فقد انبعثت في روح الأمّة الإسلامية آمال عودة حاكمية الإسلام من جديد وبقوّة بعد يأس وخمود، وارتعدت فرائص الحكومات العميلة في بلاد المسلمين خوفاً من قيام الأمّة ضدها في

أقطارها، ووجد مستضعفو العالم في هذه الثورة خير مثال يُتأسى به في التحرك نحو الخلاص من هيمنة الإستكبار والطواغيت، وفزع المستكبرون من آثار هذه الثورة المباركة، وهرعوا يخطّطون لمحاصرتها في أضيق دائرة ممكنة فضلاً عن مخططات القضاء عليها، ولقد شهدت خريطة العالم الإسلامي خاصة والعالم عامة تغيّرات سياسية كبيرة كان انتصار الثورة الإسلامية في إيران السبب المهمّ في وقوعها أو أحد أسبابها على الأقلّ.

ومنذ انتصار هذه الثورة الإسلامية كان من الطبيعي على جميع الأصعدة وعلى الصعيد الفكري خاصة أن تتحدث هذه الثورة عن نفسها وعن هويتها، وعن نهجها في الفداء والتضحية المستمدّ من نهج الإمام الحسين عليه السلام، وعن انتسابها التام إلى نهضة عاشوراء، فهي ـ وهو الحقّ ـ إحدى بركات تلك النهضة المقدّسة، وثمرة من ثمراتها، ومصداق مهم من مصاديق الفتح الحسيني فيما بين عاشوراء وعصر الظهور، فلو لم تكن عاشوراء الحسين عليه السلام لما كانت هذه الثورة المباركة، وقد جسّد الإمام الخميني قدس سره هذه الحقيقة بقوله «كلُّ ماعندنا فمن عاشوراء».

وكان من المتوقّع أن تتألّب دوائر الإستكبار العالمي وعملاؤها الفكريون والسياسيون لشنّ هجوم فكري على الإسلام عامة وعلى مذهب أهل البيت عليهم السلام وهوية هذه الثورة الإسلامية خاصة، هجوم أعدّ له التخطيط الإستكباري بدقّة وإتقان، هجوم على كل الأصعدة وفي جميع نواحي حياة الأمة المسلمة في أقطارها عامة وفي إيران خاصة.

وإدراكاً منها لأهميّة هذه المسألة وخطورتها فقد أكّدت القيادة الإسلامية

الحكيمة باستمرار على مواصلة النهج الثوري على جميع الأصعدة وفي كلّ الأبعاد، خصوصاً في البعد الثقافي الذي يجسّد الهوية الفكرية لهذه الثورة، هذه الهوية التي لاتقيّدها حدود جغرافية أو موانع سياسية، وفي مواجهة الغزو الثقافي الكافر الذي كانت ولم تزل عواصفه تهبّ بقوّة وشراسة على عالمنا الإسلامي.

والمتابع المتأمّل في خطب وبيانات الإمام الخمينيّ وآية الله السيد علي الخامنئي يلاحظ هذا التأكيد على هذه المسألة واضحاً جليّاً، خصوصاً حيث اشتدّت قوّة الغزو الفكري الكافر في أيامنا الأخيرة الحاضرة، إذ أحكمت وسائل الإعلام الكافر قبضتها على جميع العالم بطريقة حديثة ومتفوقة ومنوّعة وشاملة، الأمر الذي يحتّم أن تكون مواجهة هذا الغزو الثقافي عملاً على مستوى رفيع من المعرفة والتخطيط والفنّ، من أجل إيصال الكلمة الإسلامية الهادية ـ كلمة الفطرة الإنسانية ـ إلى كلّ القلوب بأساليب متعددة ومحبّبة ومؤثّرة، حتى تتوجّه هذه القلوب الى دين الله بإقبال واعتقاد، وتنجو من حبائل مكر الشياطين وضلالهم عن معرفة وتدبّر.

وكان لابدّ لوليد الثورة الإسلامية الأغرّ «حرس الثورة الإسلامية» الذي نهض بأعباء حفظ هذه الثورة من أعداء الداخل والخارج، مستهدياً بنهج الإمام أبي عبدالله الحسين في الفداء والتضحية وحبّ الشهادة، وملبياً لكلّ نداءات عاشوراء كربلاء، أن يكون أوّل المسارعين وأسبق المبادرين إلى إطاعة وتنفيذ توصيات القيادة الإسلامية بصدد مواصلة الثورة الثقافية، على بصيرة بما للكلمة والفكر والمعرفة من دور كبير في تثبيت وتوضيح أصول

ومنطلقات الثورة الإسلامية ونشرها، وفي الدعوة الى الحق والخير والدفاع عنها، جنباً الى جنب مع إعداد القوّة التي يرهب بها المؤمنون عدوَّ الله وعدوّهم.

وكان ولم يزل للمؤسسات الثقافية والعلمية التابعة لحرس الثورة الإسلامية دور محسوس في نشر الثقافة والتربية الإسلامية بين قوّات الحرس خاصة وفى أوساط الأمّة عامة، في إطار النهضة الفكرية الإسلامية الحاضرة التي هي إحدى ثمرات انتصار هذه الثورة المباركة.

وإيماناً من «حرس الثورة الإسلامية» بانتمائهم التام الى النهج الحسينيّ الذي اعتمدته قيادة الثورة الإسلامية وجماهيرها في الجهاد ومقارعة الفساد والظلم والكفر، ذلك النهج الذي كان السبب الأهمّ في انتصار الثورة المباركة، وشعوراً من «حرس الثورة الإسلامية» بوجوب التعريف بهذا النهج، وضرورة نشر «ثقافة عاشوراء» في صفوف قوّات الحرس وفي أوساط الأمة الإسلامية، ووفاءً ببعض ما للإمام الحسين عليه السلام خاصة من فضل ودين في أعناق أبناء هذه الثورة فقد أقدمت قيادة الحرس على تأسيس مديرية ثقافية خاصة، تتولى الاهتمام والعناية بنشر التراث الحسيني، وترويج ثقافة عاشوراء، وتقديم التحقيقات الجديدة المتعلّقة بتأريخ الثورة الحسينية على جميع الأصعدة وفي مختلف الجوانب والأبعاد، وإحياء الآثار العلمية والتأريخية والأدبية المرتبطة بتأريخ الإمام الحسين عليه السلام، وقد أُطلق عليها: «مديرية دراسات عاشوراء المستقلّة» في مركز الدراسات الإسلامية العائد لحرس الثورة الإسلامية.

فقد شُرع في هذه المؤسسة ـ على سبيل المثال ـ بتدوين (كتاب شناسى تأريخى إمام حسين‌ﷺ): فهرس وصفي لأهم مصادر تأريخ حياة الإمام الحسين‌ﷺ ونهضة عاشوراء، ويتألف هذا الكتاب من قسمين، يتناول القسم الأوّل تعريف ووصف مائة من الكتب المهمّة المتعلّقة بحياة الإمام الحسين‌ﷺ ونهضة عاشوراء، مرتّبة على حسب ترتيب تأريخ التأليف، وتحتلُّ المساحة الوصفية لكلّ واحد منها من صفحتين إلى أربع صفحات من هذا الكتاب. أمّا القسم الثاني فهو فهرس لتسعمائة كتاب مختص بحياة الإمام الحسين‌ﷺ ونهضة عاشوراء، منتزعة من كتاب (الذريعة الى تصانيف الشيعة)، يُغني المحقق المتتبع عن عناء مراجعة جميع مجلدات كتاب الذريعة في هذا الصدد.

وشرعت أيضاً هذه المؤسسة بإعداد كتب جديدة ذات مناهج متنوّعة للتعريف بنهضة عاشوراء، منها مثلاً:

كتاب: (پيام‌هاى عاشورا): بلاغات عاشوراء...، وقد تمَّ نشره بالفعل.

كتاب: (زمينه‌هاى قيام إمام حسين‌ﷺ): ممهدات الثورة الحسينية.

كتاب: (پيامدهاى عاشورا): آثار وقعة عاشوراء.

و في إطار إحياء آثار المكتبة الحسينية تبنّت هذه المؤسسة نشر الأعمال التحقيقية الجديدة المتعلّقة بجميع أبعاد نهضة عاشوراء، وقد نشرت بالفعل كتاب (إبصار العين في أنصار الحسين‌ﷺ) محقّقاً.

ومن الأعمال التحقيقية والآثار التأريخيّة التي تعتزّ وتفخر هذه المؤسسة بإصدارها وتقديمها الى المكتبة الإسلامية عامة والمكتبة الحسينية خاصة هذه

الدراسة التأريخية التحليلية النقدية المفصّلة الجديدة، وعنوانها: (مع الركب الحسيني من المدينة الى المدينة).

و هي دراسة تشمل تأريخ فترة إمامة الإمام الحسين عليه السلام مضافاً إليها تأريخ ماجرى على بقية آل الرسول صلى الله عليه وآله بعد استشهاد الإمام عليه السلام حتى عودة الركب الحسيني الى المدينة مرّة أخرى، وذلك لارتباط تأريخ هذه الفترة ارتباطاً تاماً بصميم تأريخ نهضة عاشوراء.

وحيث لابدّ في دراسة تأريخ النهضة الحسينية من معرفة تأريخ مناشيء وممهدات هذه النهضة ولو بصورة إجمالية، فقد شملت هذه الدراسة أيضاً مروراً مركّزاً ومختصراً على تأريخ ما جرى على الإسلام والمسلمين في الخمسين سنة ـ منذ وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله إلى سنة ستين للهجرة النبوية ـ في مقالة بعنوان «حركة النفاق.. قراءة في الهويّة والنتائج» تعرّضت إلى تعريف النفاق، والى المشهور الخاطيء عن بداية حركة النفاق وعن نهايتها، وإلى فصائلها، والى المنعطفات الأساسية التي حصلت بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله ونتائجها، ويجد القاريء الكريم هذه المقالة في مدخل الجزء الأول (المقطع الأوّل) من هذه الدراسة.

ومن الجدير بالذكر أننا قسّمنا دراسة (مع الركب الحسيني من المدينة الى المدينة) إلى ستة مقاطع هي:

١ـ تأريخ فترة وجود الإمام الحسين عليه السلام في المدينة، إلى رحلته عنها الى مكّة المكرّمة.

٢ـ تأريخ فترة وجود الإمام الحسين عليه السلام في مكّة المكرّمة.

٣ـ تأريخ فترة حركة الإمام عليه السلام من مكّة الى كربلاء.

٤ـ تأريخ فترة وجود الإمام عليه السلام في كربلاء حتى استشهاده.

٥ـ تأريخ فترة ماجرى على الركب الحسيني بعد استشهاد الإمام عليه السلام حتى وصولهم إلى الشام.

٦ـ تأريخ فترة ماجرى على الركب الحسيني في الشام وماجرى عليهم في طريق العودة من الشام حتى دخولهم المدينة.

وإيماناً منّا بأنّ هذه الدراسة التحليلية المفصّلة لن تنال حقّها في جميع جوانبها وأبعادها كما ينبغي إذا نهض بأعبائها وتأليفها في فترة زمنية محدودة محقق واحد مهما أوتي من خبرة في البحث والمتابعة، ومستوىً رفيع في الدراية التأريخية، وقدرة تحليلية، وحسّ مرهف في قراءة ماوراء السطور وتشخيص خفايا القضايا وشوارد الأمور.

ذلك لأنّ الباحث وإن كان متمتعاً بكلّ تلك المواصفات العالية يندر أن ينجو ـ على مساحة بحث تحقيقي مترامي الأطراف كثير التفاصيل متشعّب الزوايا ـ من مطبّات الغفلة، أو مزالق العجلة، أو اختصار في موقع التفصيل، أو إطناب في موقع الإقتضاب، أو غير ذلك من العوامل السلبية المانعة من بلوغ البحث كماله المنشود، خصوصاً إذا كانت هناك مساحة زمنية محدودة لإنجاز العمل كما قلنا.

هذا ماتؤكّده التجارب المشهودة في الدراسات التأريخية المفصّلة التي

قامت على أساس جهد فردي، وفي المكتبة التأريخيّة أمثلة كثيرة على هذه الحقيقة.

لذا فقد توجّهنا إلى مجموعة مباركة من ستة كتّاب باحثين محققين من ذوي الخبرة والكفاءة للقيام بعبء إنجاز هذه الدراسة التأريخية المفصّلة **(مع *الركب الحسيني من المدينة الى المدينة*)**، هم حسب ترتيب ما اختصوا به....

١ـ ***فضيلة الأستاذ علي الشاوي***: واختصّ بالمقطع الأول أي تأريخ فترة وجود الإمام الحسين عليه السلام في المدينة، ورحلته منها الى مكّة المكرمة.

٢ـ ***سماحة الشيخ نجم الدين الطبسي***: واختصّ بالمقطع الثاني أي تأريخ فترة وجود الإمام الحسين عليه السلام في مكّة المكرمة.

٣ـ ***سماحة الشيخ محمد جواد الطبسي***: واختص بالمقطع الثالث أي تأريخ فترة حركة الإمام الحسين عليه السلام من مكة الى كربلاء.

٤ـ ***سماحة الشيخ عزّت الله المولائي***: واختص بجزء من المقطع الرابع وهو تأريخ فترة وجود الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء إلى ما قبل صبيحة يوم عاشوراء.

٥ـ ***سماحة الشيخ محمد جعفر الطبسي***: واختصّ بالجزء الآخر من المقطع الرابع وهو تأريخ وقائع يوم عاشوراء حتىٰ استشهاد الإمام الحسين عليه السلام وانتهاء المعركة، كما اختصّ بالمقطع الخامس أي تأريخ فترة ماجرىٰ على الركب الحسيني بعد استشهاد الإمام عليه السلام حتىٰ وصولهم

إلى الشام.

٦ـ ***سماحة الشيخ محمد أمين الأميني:*** واختصّ بالمقطع السادس أي تأريخ فترة ما جرىٰ على الركب الحسيني فى الشام، ووقائع طريق العودة من الشام حتىٰ دخولهم المدينة المنوّرة.

وحرصاً منّا على الجمع بين مزايا العمل الجماعي ومزايا العمل الفردي فقد طلبنا الىٰ فضيلة الأستاذ علي الشاوي أن يتولّىٰ مراجعة جميع بحوث زملائه فى هذه الدراسة مناقشة ونقداً وتنظيماً.

ندعوا اللّه تبارك وتعالىٰ أن يتقبّل من الجميع هذه الجهود المضنية لتحقيق المستوىٰ المنشود لهذه الدراسة القيّمة، وأن يوفّق هؤلاء الأخوة المحققين الىٰ مزيد من الأعمال المباركة في مجـالات خدمة التأريخ الإسلامي عامة وتأريخ النهضة الحسينية خاصة.

مركز الدراسات الإسلاميّة

لممثليّة الولي الفقيه في حرس الثورة الإسلامية

مقدمة المؤلف

☑ هل ثمّ جديد حول قيام الإمام الحسين عليه السلام ؟

مقدمة المؤلف

هل ثمّ جديد
حول قيام الإمام الحسين عليه السلام؟

وبعباره أخرىٰ: هل ثمّ حاجة إلىٰ هٰذا الكتاب!؟

إنّ الكتب والدراسات التي أُلّفت في سيرة الإمام الحسين عليه السلام وفي نهضته وفي مقتله، وفي أنصاره، وفي آثار ثورته السياسيّة والإجتماعيّة والأدبيّة، وفي الأبعاد الأخرىٰ الكثيرة المتعلّقة بهٰذه السيرة المقدّسة وهٰذه الثورة الفذّة الفريدة، بلغت في مجموعها أكثر من ثلاثة آلاف كتاب حسب إحدىٰ الإحصائيّات المعجميّة.[1]

هٰذا عدا المخطوطات التي لم تزل مجهولة المكان خافية عن أعين أهل التتبّع والتحقيق، وعدا كثير من الكتب والمقالات التي هي تحت الطبع أو قيد التأليف.

فهل غادر السابقون غرضاً لم يطرقوه في ميدان هٰذه القضيّة!؟

وهل بإمكان هٰذا الكتاب أن يأتي بجديد لم تأت به الكتب والدراسات التي تملأ المكتبة الحسينيّة!؟

هناك حقيقتان لابدّ من التذكير بهما في بدء الإجابة عن سؤال عنوان هٰذه المقدّمة، وعن جميع الأسئلة الأخرىٰ التي تقع في إطاره، وهما:

١ـ كما أنّ للقرآن وهو الثقل الأكبر منازله الحسنىٰ، كذلك للعترة وهي الثقل الآخر

---

(١) معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت عليهم السلام، الجزء السابع والثامن.

نفس تلك المنازل القرآنيّة، وقد دعانا أمير المؤمنين عليّ عليه السلام إلىٰ معرفة هٰذه الحقيقة والتأدّب بها حيث يقول:

«**وبينكم عترة نبيّكم، وهم أزمّة الحقّ وأعلام الدين، وألسنة الصدق، فأنزلوهم بأحسن منازل القرآن، وردوهم ورود الهيم العطاش**».[1]

فللعترة الطاهرة عليهم السلام نفس منازل القرآن الكريم.

وهٰذه الحقيقة يمكن استفادتها من نفس حديث الثقلين المتواتر، فقوله صلى الله عليه وآله في هٰذا الحديث الشريف: «...**ولن يفترقا حتّىٰ يردا عليّ الحوض**...» يعطي فيما يعطيه من معاني عدم الإفتراق أنّهما لايفترقان في صفة ولا منزلة، وإلاّ لصحّ في حقّهما الإفتراق!!

علىٰ هٰذا، فكما أنّ القرآن في منزلة من منازله مثلاً: «**يهدي للّتي هي أقوم**...»[2] فإنّ كلّ فرد من أفراد العترة الطاهرة عليهم السلام يهدي للّتي هي أقوم، وكما أنّ القرآن في منزلة عليا من منازله: «**وإنّه في أمّ الكتاب لدينا لعليّ حكيم**»،[3] كذلك الإمام عليه السلام في أمّ الكتاب لعليّ حكيم.

وهٰكذا الأمر في سائر الصفات والمنازل القرآنيّة...

ومن تلك المنازل: أنّ جميع التفاسير[4] هي أخذ عن القرآن الكريم، إلاّ أنّ كلاً

---

(١) نهج البلاغة، ضبط صبحي الصالح: ١٢٠، خطبه ٨٧.

(٢) سورة الإسراء: الآية ٩.

(٣) سورة الزخرف: الآية ٤.

(٤) ونعني بها جميع تفاسير العلماء المسلمين (من غير العترة الطاهرة عليهم السلام). ثمّ إنّه حتّىٰ التفسير برواية أهل البيت عليهم السلام، كتفسير نور الثقلين وتفسير البرهان وتفسير الصافي مثلاً لايمثّل ـ علىٰ أحسن الفروض ـ إلاّ بعض ما أدلىٰ به أهل البيت عليهم السلام في مجال تفسير القرآن الكريم لا كلّ ما عند

منها لايمثّل في الحقيقة إلاّ سعة وعاء المفسّر الذي أدلىٰ به، ودرجة فهمه واستيعابه في أخذه عن القرآن الكريم.

والقرآن هو القرآن، فلا يقال عن تفسير مهما بلغ في عمقه وسعته ونوع منهجه إنّه يمثّل القرآن كلّ التمثيل وإنّه قد أحاط به كلّ الإحاطة.

فالقرآن الكريم عطاء شامل وغناء تامّ، ومحيط لايحاط به[١]، وإنّما أهل الحاجة إليه في أخذهم عنه علىٰ قدر أوعيتهم وأدواتهم.

وكذلك الإمام عليه السلام في هٰذه الصفة والمنزلة.

٢ـ الزمن عامل من عوامل إيضاح الحقائق بما أنّه ظرف لإزالة الموانع من معرفتها والإيمان بها، ولقد أشار القرآن الحكيم إلىٰ دور مرور الزمان في إيضاح الحقائق، علىٰ لسان مؤمن آل فرعون حينما خاطب قومه ونصح لهم في بلاط فرعون، حيث قال لهم في ختام مواعظه بعد أن وجدهم أسرىٰ التضليل الفكري والنفسي الفرعوني:

﴿فستذكرون ما أقول لكم وأفوّض أمري إلى الله إنّ الله بصير بالعباد﴾.[٢]

فقوله: «...فستذكرون...» إشارة إلىٰ حصول هٰذا التذكّر في المستقبل من الأيّام عند توفّر أسبابه، وهو دليل أيضاً علىٰ تأثير عامل الزمن في كشف الغموض عن وجه الحقيقة، وإزالة العوائق المانعة عن الإيمان بها.

كما أشار أمير المؤمنين عليّ عليه السلام أيضاً إلىٰ تأثير عامل الزمن في كشف

⇦ أهل البيت عليهم السلام من علم ذٰلك.

(١) ولا يحيط به إلاّ النبيّ صلى الله عليه وآله وعترته عليهم السلام: فعن الباقر عليه السلام: «إنّما يعرف القرآن من خوطب به» (الكافي: ٨: ٣١١ رقم ٤٨٥).

(٢) سورة غافر: الآية ٤٤.

الأستار عن الحقائق وإزاحة حجب التضليل الفكري والسياسي والنفسي عنها في قوله عليه السلام: «غداً ترون أيّامي، ويكشف لكم عن سرائري، وتعرفونني بعد خلوّ مكاني، وقيام غيري مقامي».[1]

فمرور الزمان سبب مهمّ من أسباب رفع الموانع عن معرفة الحقيقة، وفلاسفة التأريخ يعتقدون أنّه ليس هناك أيّة حادثة تأريخيّة يمكن تقييمها بكلّ دقّة، ومعرفتها تمام المعرفة في نفس زمانها.[2]

والأمر نفسه ينطبق أيضاً ويصدق على الشخصيّات التأريخيّة، إذ نادراً ما نراها تحوز على التقدير المناسب لها وهي على قيد الحياة، بل إنّ قدرها غالباً مايتمّ اكتشافه شيئاً فشيئاً بعد مماتها، وتظهر القيمة الحقيقيّة لعظمتها تدريجيّاً وبعد مرور عشرات السنين على رحيلها.

هذا فضلاً عن دور عامل الزمن في إنضاج العقل البشري وتأهيله لإدراك الحقائق بصورة أفضل نتيجة ازدياد حصيلة التجارب والخبرة على الصعيد العلمي والعملي، وامتداد مجالات التحقيق والنقد سعةً وعمقاً...

وممّا يؤيّد هذا، ما ورد عن سيّد الساجدين وزين العابدين عليه السلام في إشارة إلى هذا التعمّق في الإدراك البشري، حيث قال حينما سئل عن التوحيد، «إنّ الله عزّ وجلّ علم أنّه يكون في آخر الزمان أقوام متعمّقون فأنزل الله تعالى: ﴿قل هو الله أحد﴾، والآيات من سورة الحديد إلى قوله: ﴿هو عليم بذات الصدور﴾ فمن رام وراء ذلك فقد هلك».[3]

---

(١) نهج البلاغة، ضبط صبحي الصالح: ٢٠٨، خطبة ١٠٩.

(٢) راجع: الملحمة الحسينيّة، ٢: ٢٠٣.

(٣) الكافي، ١: ٩١ الحديث رقم ٣.

وهٰذا التعمق لاينحصر في إدراك الحقيقة الإعتقاديّة، بل هو في إدراك كلّ حقيقة يمكن أن ينالها عقل الإنسان، ومنها الحقيقة التأريخية.



خلاصة هاتين الحقيقتين: هي أنّنا كما نجد في دراستنا للقرآن الكريم جديداً على الدوام، كذلك نجد في دراستنا لسيرة النبيّ الأكرم محمّد صلى الله عليه وآله وعترته الطاهرة عليهم السلام جديداً على الدوام أيضاً. ويبقى الباب مفتوحاً للتعرّف على الحقيقة بصورة أفضل، لأنّ الزمن عامل من عوامل إيضاح الحقيقة، ووعاء في طوائه ينضج العقل البشري ويتعمّق... فعلى امتداد الزمان ثمّ اكتشاف وثمّ ظهور وثمّ جديد!!



ومع هاتين الحقيقتين هناك حقائق أخرىٰ ترتبط بميدان البحث والتحقيق ومنطلقات النظر والتفكير في تأريخ قيام الإمام الحسين عليه السلام، من هٰذه الحقائق المرتبطة في هٰذا المجال علىٰ سبيل المثال لاالحصر:

١ـ هناك عوامل متعدّدة كان لها دورها المؤثّر في مجرىٰ تحقّق نهضة الإمام الحسين عليه السلام، كمثل عامل رفض البيعة ليزيد، وعامل رسائل أهل الكوفة، وعامل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وطلب الإصلاح في أمّة محمّد صلى الله عليه وآله، وهٰذا الأمر بحدّ ذاته أدّىٰ إلىٰ تعدّد النظرات إلىٰ هٰذا القيام، لأنّ بعض من فكّر وتأمّل وكتب في تأريخ هٰذه النهضة اقتصر نظره علىٰ بعض هٰذه العوامل فقط. كما أنّ تداخل هٰذه العوامل المتعدّدة أدّىٰ إلىٰ تداخل وتشابك التفسيرات والتحليلات المتنوعة لهٰذه النهضة، والتي أريد منها الوصول إلىٰ كنه حقيقتها العميقة بالرغم من عدم اتّساع رقعة أحداثها تأريخياً.

كما أنّ هٰذه النظرات والتفسيرات المتعدّدة لقيام الإمام الحسين عليه السلام لم تكن

غالباً في طول بعضها البعض في متّجه واحد، بل تعارض بعضها مع بعض آخر إلىٰ حدّ التضاد.

٢ـ إنّ كثيراً من القصور الذي لحق ببعض الدراسات التي تناولت هٰذه النهضة المقدّسة بالبحث والتحقيق كان من أسبابه الإقتصار في النظر إلىٰ عامل واحد من عواملها والتأكيد عليه ومنحه من الأهمّية ما لم يكن له في حقيقة الأمر، وتفسير مجرىٰ وقايع تلك النهضة علىٰ أساسه، كما حصل في تأكيد بعض الأقدمين وبعض المعاصرين علىٰ عامل رسائل أهل الكوفة إلىٰ الإمام عليه السلام، وقولهم بأنّ قيام الإمام الحسين عليه السلام إنّما كان بسبب هٰذا العامل.

ومن أسباب هٰذا القصور أيضاً تحليل وتعليل قضايا ووقائع حركة الإمام عليه السلام بعيداً عن حضور الإعتقاد الصحيح بأصل «الإمامة» ولوازمها، وشرائط شخصيّة الإمام المعصوم عليه السلام خصوصاً فيما يتعلّق بموضوع علم الإمام عليه السلام، وبالأخصّ فيما يتعلّق بعلمه بمصيره.

فممّا يستفاد من نصوص بعض علمائنا الأقدمين قدس سرهم أنّهم في تحليلهم لواقعة عاشوراء كانوا يرون أنّ الإمام عليه السلام لم يكن علىٰ علم بمصيره، وأنّه إنّما خرج استجابة لرسائل أهل الكوفة إليه، وأنّه كأيّ انسان آخر عمل بالظنّ والإجتهاد، ولم يكن في حسابه أن يغدر القوم، ويضعف أهل الحقّ عن نصرته، ويتّفق ما اتّفق من الأمور الغريبة، فما وقع لم يقصد، وما قصد لم يقع..!!

لنقرأ هٰذا النصّ التحليلي في هٰذا المجال:

يقول السيّد الشريف المرتضىٰ أعلى الله مقامه:

«قد علمنا أنّ الإمام عليه السلام متىٰ غلب في ظنّه أنّه يصل إلىٰ حقّه والقيام بما فوّض إليه بضرب من الفعل وجب عليه ذٰلك، وإن كان فيه ضرب من المشقّة

يتحمّل مثلها تحمّلها. وسيّدنا ابوعبدالله عليه السلام لم يسر طالباً للكوفة إلاّ بعد توثّق من القوم وعهود وعقود، وبعد أن كاتبوه عليه السلام طايعين غير مكرهين ومبتدئين غير مجيبين، وقد كانت المكاتبة من وجوه أهل الكوفة وأشرافها وقرّائها تقدّمت إليه عليه السلام في أيّام معاوية وبعد الصلح الواقع بينه وبين الحسن عليه السلام فدفعهم وقال في الجواب ما وجب، ثمّ كاتبوه بعد وفاة الحسن عليه السلام ومعاوية باق، فوعدهم ومنّاهم، وكانت أيّاماً صعبة لا يطمع في مثلها، فلمّا مضىٰ معاوية عادوا للمكاتبة وبذلوا الطاعة وكرّروا الطلب والرغبة، ورأىٰ عليه السلام من قوّتهم علىٰ من كان يليهم في الحال من قبل يزيد اللعين وتشحّنهم عليه وضعفه عنهم ما قوّىٰ في ظنّه أنّ المسير هوالواجب، تعيّن عليه ما فعله من الإجتهاد والتسبب، ولم يكن في حسابه أنّ القوم يغدر بعضهم، ويضعف أهل الحقّ عن نصرته، ويتّفق ما اتّفق من الأمور الغريبة...»[١]

ومن قبله كان أستاذه الشيخ المفيد رحمه الله في إجابته عن سؤال: «...وما بال الحسين عليه السلام صار إلى الكوفة وقد علم أنّهم يخذلونه ولاينصرونه، وأنّه مقتول في سفرته تلك؟» قد قال:

«فأمّا علم الحسين عليه السلام بأنّ أهل الكوفة خاذلوه فلسنا نقطع علىٰ ذلك، إذ لا حجّة عليه من عقل ولاسمع».[٢]

(١) تنزيه الأنبياء: ١٧٥ ـ ١٧٦.

(٢) المسائل العكبريّة: ٦٩ ـ ٧١، المسألة العشرون. هٰذا مع أنّ الشيخ المفيد رحمه الله في كتابه أوائل المقالات) في «القول في علم الائمة عليهم السلام بالضمائر والكائنات وإطلاق القول عليهم بعلم الغيب وكون ذٰلك لهم في الصفات» يقول: «وأقول: إنّ الأئمّة من آل محمّد عليهم السلام قد كانوا يعرفون ضمائر بعض العباد، ويعرفون ما يكون قبل كونه...» مصنّفات الشيخ المفيد، ٤: ٦٧.

واتّبع هذه النظرة كتّاب معاصرون في مؤلّفات صدرت لهم عن النهضة الحسينيّة! ومنهم الشيخ نعمة الله النجف آبادي صاحب كتاب «الشهيد الخالد»!

ومردّ هٰذه النظرة إلىٰ تصوّر أنّ القيام مع العلم بأنّ المصير هوالقتل إلقاء في التهلكة، أو أنّ العلم بالقتل يعني العلم بعدم تحقّق أهداف القيام، فالقيام ـ علىٰ هٰذا ـ عبثيّة وانتحار! الأمر الذي اضطرّ أصحاب هٰذه النظرة إلىٰ القول بعدم علم الإمام عليه السلام بمصيره!

وقد ردّ هٰذه النظرة علماء كثيرون ونوقشت في معرض الرد عليها مناقشات عديدة على الصعيد الإعتقادي والتأريخي.

قال السيّد بن طاووس رحمه الله:

«والذي تحقّقناه أنّ الحسين عليه السلام كان عالماً بما انتهت حاله إليه، وكان تكليفه ما اعتمد عليه».[1]

ويقول أيضاً في معرض الرد علىٰ هٰذه النظرة:

«ولعلّ بعض من لايعرف حقائق شرف السعادة بالشهادة يعتقد أنّ الله لايتعبّد بمثل هٰذه الحالة، أما سمع في القرآن الصادق المقال أنّه تعبّد قوماً بقتل أنفسهم فقال تعالىٰ: ﴿فتوبوا إلىٰ بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم﴾، ولعلّه يعتقد أنّ معنىٰ قوله تعالىٰ ﴿ولاتلقوا بأيديكم إلىٰ التهلكة﴾ أنّه هو القتل، وليس الأمر كذلك، وإنّما التعبد به من أبلغ درجات السعادة...».[2]

كما عارض الإمام الخميني رحمه الله هٰذه النظرة في تصريحات عديدة منها قوله:

---

(١) اللهوف: ١١.

(٢) نفس المصدر: ١٢.

«إنّ سيّد الشهداءعليه السلام حسب رواياتنا واعتقادنا كان يعلم ماذا يريد أن يفعل، ويعلم أنّه سيستشهد منذ كان يتحرّك خارجاً من المدينة».[1]

٣ـ أنّ الإختلاف لم‌ينحصر في الإطار التأريخي بل امتدّ الى الصعيد الفقهي أيضاً، فمن قائل: إنّ الإمام الحسينعليه السلام كان له تكليف خاصّ بادر إلى العمل به، ولايمكن التأسّي به فيما قام به، كما يرىٰ ذٰلك صاحب الجواهررحمه الله حيث يقول:

«ماوقع من الحسينعليه السلام مع أنّه من الأسرار الربّانيّة والعلم المخزون يمكن أن يكون لانحصار الطريق في ذٰلك، علماً منهعليه السلام أنّهم عازمون علىٰ قتله علىٰ كلّ حال كما هو الظاهر من أفعالهم وأحوالهم وكفرهم وعنادهم، ولعلّ النفر العشرة كذلك أيضاً،[2] مضافاً إلىٰ ما ترتّب عليه من حفظ دين جدّهصلى الله عليه وآله وشريعته، وبيان كفرهم لدىٰ المخالف والمؤالف.

علىٰ أنّه له تكليف خاصّ قد قدم عليه وبادر إلىٰ إجابته.

ومعصوم من الخطأ لايعترض علىٰ فعله ولا قوله، فلايقاس عليه من كان تكليفه ظاهر الأدلّة والأخذ بعمومها وإطلاقها مرجّحاً بينها بالمرجّحات الظنّية...».[3]

---

(١) صحيفة النور، ١٨: ١٤٠؛ وهناك تصريحات أخرىٰ له بهٰذا المضمون في نفس المصدر ١٨: ١٤٠؛ و١٧: ٥٨؛ و١ :١٧٤.

(٢) هٰؤلاء النفر العشرة من أصحاب الرسولصلى الله عليه وآله أرسلهم مع رهط من طائفتي (عضل) و(قارة)، فغدروا بهم عند ماء الرجيع بمعونة قبيلة (هذيل)، فقاتلوهم هؤلاء الصحابة حتّىٰ استشهد جلّهم، في قصّة مفصّلة في كتب التأريخ في أحداث السنة الرابعة للهجرة.

راجع: الكامل في التاريخ، ٢: ١٦٧؛ وتاريخ الطبري، ٢: ٢١٣.

(٣) جواهر الكلام، ٢١: ٢٩٥ ـ ٢٩٦.

كما قال بهذا الرأي علماء آخرون، مثل الرجاليّ المعروف المرحوم المامقاني في ترجمة عمرو بن جنادة أحد أنصار الإمام الحسين عليه السلام وهو ابن إحدىٰ عشرة سنة.[١]

وقال به أيضاً العلاّمة المجاهد الشيخ محمّد حسين كاشف الغطاء رحمه الله في كتابه جنّة المأوىٰ في معرض إجاباته علىٰ بعض الأسئلة المطروحة عليه.[٢]

غير أنّ آخرين من علمائنا قدس سرهم كانت لهم آراء أخرىٰ غير القول بالتكليف الخاصّ، إذ فسّروا قيام الإمام الحسين عليه السلام علىٰ أساس انطباقه علىٰ الموازين الشرعيّة العامّة.

ومن هٰؤلاء العلماء الأعلام مثلاً: المحقّق الثاني رحمه الله حيث يقول:

«وأمّا فعل الإمام الحسين عليه السلام فأنّه لانعلم منه أنّ المصلحة كانت في المهادنة وتركها، ولعلّه عليه السلام علم أنّه لو هادن يزيد عليه اللعنة لميف له، أو أنّ أمر الحقّ يضعف كثيراً بحيث يلتبس على الناس، مع أنّ يزيد لعنه الله كان متهتّكاً في فعله، معلناً بمخالفة الدين، غير مداهن كأبيه لعنةالله عليهما، ومن هذا شأنه لايمتنع أن يرىٰ إمام الحقّ وجوب جهاده وإن علم أنّه يستشهد...».[٣]

ومن هٰؤلاء العلماء الأعلام الذين عارضوا القول بالتكليف الخاصّ أيضاً الإمام الخميني رحمه الله، الذي تبنّىٰ في نظرته الفقهيّة أساس أولويّة المصالح الإسلاميّة العليا، أي أنّ بعض المصالح الإسلاميّة الكبرىٰ علىٰ درجة من الأهمّية بحيث لايمكن أن تعارضها أو تزاحمها عناوين أخرىٰ مثل العسر والحرج والضرر.

---

(١) تنقيح المقال، ٢: ٣٢٧.

(٢) جنّة المأوىٰ: ٢٢٤ ـ ٢٢٥ و٢٢٧.

(٣) جامع المقاصد في شرح القواعد، ٣: ٤٦٧.

وبعض مصاديق المعروف أو المنكر من هٰذا القبيل، فدفع منكر كبير مثل حكومة يزيد، وإقامة معروف كبير مثل تشييد الحكومة الإسلاميّة من أبرز هٰذه المصاديق.

ومن اقواله رحمه الله في هٰذا النطاق:

«لوكان المعروف والمنكر من الأمور التي يهتمّ بها الشارع الأقدس، كحفظ نفوس قبيلة من المسلمين، أو هتك نواميسهم، أو محو آثار الإسلام ومحو حجّته بما يوجب ضلالة المسلمين، أو إمحاء بعض شعائر الإسلام كبيت الله الحرام بحيث يمحىٰ آثاره ومحلّه، وأمثال ذٰلك، لابدّ من ملاحظة الأهمّية.

ولايكون مطلق الضرر ولو النفسي أو الحرج موجباً لرفع التكليف. فلو توقّفت إقامة حجج الإسلام بما يرفع الضلالة علىٰ بذل النفس أو النفوس فالظاهر وجوبه فضلاً عن الوقوع في ضررٍ أو حرجٍ دونها».[1]

وفي إشارة منه رحمه الله إلى خطبة الإمام الحسين عليه السلام في الطريق إلى العراق بعد لقائه بجيش الحرّ بن يزيد الرياحي رحمه الله ـ حيث ذكّر الناس بقول رسول الله صلى الله عليه وآله: **«من رأىٰ سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله، ناكثاً لعهد الله، مخالفاً لسنّة رسول الله صلى الله عليه وآله، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، فلم يغيّر ما عليه بفعلٍ ولا قولٍ كان حقّاً على الله أن يدخله مدخله»** ـ قال رحمه الله:

«لقد بيّن الإمام عليه السلام هٰذا المطلب في وقت كان هو قد ثار ضدّ يزيد بعدد قليل، ليبطل عذرنا حين نقول مثلاً: إنّ عددنا كان قليلاً، وإنّ قوّتنا كانت قليلة... هٰذا المطلب الذي بيّنه سيّد الشهداء عليه السلام يعمّ الجميع، إنّه مطلب (عمومي)، «من

(١) تحرير الوسيلة، ١، ٤٧٢، مسألة ٦؛ وتلاحظ المسائل التي بعدها.

رأى»: كلّ من رأىٰ سلطاناً جائراً يتّصف بهٰذه الأمور، ويقعد إزاءه ساكتاً لا يردّ عليه بقولٍ ولا يقوم ضدّه بعملٍ، فإنّ مدخل هٰذا الإنسان نفس مدخل السلطان الجائر.».[1]

ويقول رحمه الله في موضع آخر: «عمل الإمام الحسين عليه السلام منهج للجميع».[2]

ويرىٰ الشهيد الشيخ مرتضىٰ مطهّري أن القول بأنّ قيام الإمام الحسين عليه السلام كان علىٰ أساس تكليف خاصّ هو من التحريفات المعنويّة التي تعرّضت لها النهضة الحسينيّة!.[3]

٤ـ ومن الملاحظات الملفتة للإنتباه في ميدان البحث والدراسة في موضوع النهضة الحسينيّة، أنّنا لم نجد في ما كتب من قبل في دراسة هٰذه النهضة المقدّسة ـ حسب حدود تتبّعنا ـ عناية منهجيّة بالعامل الإعلامي والتبليغي في حركة الإمام عليه السلام، وهو من العوامل المؤثّرة في هٰذه النهضة المباركة.

نعم، هناك التفاتات متفرّقة نحو هٰذا العامل في بعض الكتب والدراسات، هي بمثابة الشذرات التي لا تمثّل خطّاً ومنهجاً في البحث.

إنّ العامل الإعلامي والتبليغي المقارن لجميع وقائع حركة الإمام عليه السلام، والمفسّر لهذه الوقائع، يرشد المتأمّل إلىٰ معرفة الأهداف الرئيسة والفرعيّة التي سعىٰ الإمام عليه السلام إلىٰ تحقيقها.

مثلاً: ما هو الهدف المنشود من وراء العامل الإعلامي والتبليغي في مناورة

---

(١) صحيفة النور، ٢: ٤٢.

(٢) نفس المصدر، ١٠: ٣١.

(٣) الملحمة الحسينيّة (ترجمة عربية لكتاب حماسهٔ حسينى)، ٣: ٢٤٠.

الإمام عليه السلام في طلبه من الوليد بن عتبة والي المدينة آنذاك أن يدعوه إلىٰ البيعة علناً مع جماهير أهل المدينة؟

و: ما هوالهدف اعلاميّاً وتبليغياً من وراء رفض الإمام عليه السلام سلوك الطريق الفرعي من المدينة إلىٰ مكّة؟

و: ما هوالهدف إعلاميّاً وتبليغيّاً من وراء بيانات الإمام عليه السلام الكثيرة وتصريحاته المتتابعة في أنّه سوف يقتل؟

و: ما هوالهدف إعلاميّاً وتبليغيّاً من وراء اصطحاب الإمام عليه السلام النساء والأطفال معه في رحلة الشهادة؟

و: ما هوالهدف إعلاميّاً وتبليغيّاً من وراء طلب الإمام عليه السلام عصر تاسوعاء أن يمهل إلىٰ صبيحة عاشوراء؟

وأسئلة أخرىٰ كثيرة جدّاً تفرض نفسها أمام المتأمّل في الأهداف المقصودة من وراء العامل الإعلامي والتبليغي في جميع تفاصيل حركة أحداث الثورة الحسينيّة!

إنّ المتابعة الواعية بمنظار العامل الإعلامي والتبليغي للأهداف المنشودة في تفاصيل حركة أحداث هٰذه الثورة المقدّسة تساعد كثيراً في إعداد مادّة قيّمة لدراسة تأريخيّة تفسيريّة لوقائع هٰذه الثورة الفذّة الفريدة.

الأمر الذي لم يزل مكانه فارغاً في المكتبة الحسينيّة علىٰ ما يبدو!!



هٰذه بعض الأمثلة عن مشكلات البحث والنظر في موضوع قيام الإمام الحسين عليه السلام، نكتفي بها تجنّبا للإطالة، وهناك أمثلة أخرىٰ تناولناها في بحوث

هٰذا الكتاب.

ومن خلال تلك الأمثلة التي قدّمناها تتجلّىٰ لنا حقيقة أنّ ساحة البحث في موضوع قيام الإمام الحسينعليه السلام لم تزل تتطلّب المزيد من البحوث والدراسات العامّة والتفصيليّة في جميع جوانب هٰذا الموضوع، الفكريّة والسياسيّة والأخلاقيّة والحركية والعسكرية والإعلاميّة وما سوىٰ ذٰلك.

إنّ الحاجة لم تزل قائمة بعد لدراسة في تأريخ الثورة الحسينيّة تأتي شموليّة تأخذ جميع العوامل المؤثّرة في هٰذه الثورة بعين الإعتبار، وتمنح كلّ عامل من هٰذه العوامل حقّه من الأهمّية بلا تفريط أو إفراط.

وما قدّمه الشهيد الشيخ مرتضىٰ مطهري في كتابه (حماسة حسيني) من محاولة لدراسة العوامل المؤثّرة في النهضة الحسينيّة جهدٌ قيّمٌ مشكورٌ، يمكن أن يشكّل نواة منهج لدارسة تأريخيّة تحقيقيّة مفصّلة في هٰذه المسألة.

وإذا كانت الدراية العقائديّة والتأريخيّة كمّاً وكيفاً مؤثّرة في منحىٰ التفكير والإستنباط الفقهي في القضيّة ذات الأرضيّة العقائديّة والتأريخيّة، فإنّ الحاجة لم‌تزل قائمة وتتأكّد لدراسة (عاشوراء في الفقه) دراسة تفصيليّة معمّقة يقوم بها مجموعة من الفقهاء كلّ على انفراد، أو في إطار جهدٍ جماعيٍ، لتشير في نتائجها إلى الرأي الصائب فيما هو مطروح من قبل فقهائنا الأعلام الماضين والأحياء، أو لعلّها تكتشف جديداً في البين.

والحاجة لم تزل قائمة لدراسة تكتشف منهج أخلاقية الربّاني الثائر وموازينها على صفحة تأريخ حركة أحداث الثورة الحسينية، وتقرأ في قاموس هذه الأخلاقية الربّانية: معنى الموت ومعنى الحياة، معنى الهزيمة ومعنى النصر، معنى الذلّة ومعنى العزّة، معنى الضعف ومعنى القوّة، معنى الشقاء ومعنى السعادة.

والحاجة لم تزل قائمة لدراسة عسكرية متخصّصة تكتشف على ساحة تأريخ هذه الثورة الحسينية المقدّسة الشيء الكثير والجديد في فنّ التعبئة التضحوية في سبيل الهدف المقدّس، وفنّ التخطيط الحربيّ الفدائي، وفنّ نقل القوّة المحاصرة الى الأرض المختارة، وما إلى سوى ذلك...

والحاجة لم تزل قائمة لدراسات تحلّق في آفاق عرفان عاشوراء.

والحاجة لم تزل قائمة لدراسات في أدبيّات هذه الثورة المقدّسة.

والحاجة لم تزل تدعو إلى دراسات عديدة متنوّعة أخرى في كلّ الجوانب العديدة المتنوّعة الأخرى لهذا القيام الخالد.

وتبقى الحاجة دائمة إلى كلّ ذلك، مادمنا لانقدر على الأخذ عنهم عليهم السلام إلاّ بقدر أوعيتنا وأدواتنا، ومادام التعمّق في التفكير والتتبّع والتحقيق يشتدّ ويقوى في سريان الزمان، ومادامت هناك فراغات وثغرات في تأريخ هذه الثورة المقدّسة لم تُملأبعدُ...



وهذا الكتاب...

هو الجزء الأوّل من هذه الدراسة (مع الركب الحسينيّ من المدينة الى المدينة)، ويختصُّ بالمقطع الأوّل من مقاطعها الستّة وهو (تأريخ فترة وجود الإمام الحسين عليه السلام - بعد أخيه الإمام الحسن عليه السلام - في المدينة، وتأريخ رحلته عنها إلى مكّة المكرّمة بعد موت معاوية وتسلّط يزيد.).

وقد حاولتُ في المقالة الأولى من مدخل هذا الكتاب وهي بعنوان «حركة النفاق.. قراءة في الهويّة والنتائج» أن أتلمّس في ثنايا التحوّلات الكبرى التي جرت على الأمّة الإسلامية منذ وفاة النبي صلى الله عليه وآله إلى سنة ستين للهجرة: مناشيء

«الشلل النفسي» و«الإزدواجية» في شخصية الانسان المسلم، وأسباب تعاظم هذه الحالة المرضية التي بلغت أشدّها في كيان الأمّة الى الدرجة التى صارت فيها قلوب الناس مع الحسين عليه السلام وسيوفهم عليه.

هذا فضلاً عن الحقائق الجديدة المهمّة الأخرى التي كشف الأستار عنها مسار البحث فى نفس هذه المقالة.

كما حاولتُ في المقالة الثانية من المدخل وهي بعنوان «بين يدي الشهيد الفاتح» أن أُثبت أنّ «الشهيد الفاتح» من الخصائص الحسينية، كما بلورت صورة واضحة عن منطق العمق في حركة الإمام عليه السلام وهو «منطق الشهيد الفاتح».

هذا المنطق الذي يمكن في إطاره أن تفسّر كلّ تصريحات الإمام عليه السلام ومواقفه التي قد تبدو في الظاهر متعارضة: تفسيراً موحّداً منسجماً يكشف في العمق عن المتّجه الواحد لجميع هذه التصريحات والمواقف.

المنطق الذي تنتفي في ضوئه المنافاة التي تبدو في الظاهر بين سعي الإمام عليه السلام لتسلّم الحكم وبين علمه بمصرعه.

بين استجابته عليه السلام لرسائل أهل الكوفة وقوله «لابدّ من العراق» وبين علمه عليه السلام بأنّهم سوف يخذلونه ويقتلونه.

بين إقراره عليه السلام بأنّ مشورة عمرو بن لوذان هي الرأي أو من الرأي الذي لايخفىٰ عليه، وأنّ مشورة عمر بن عبدالرحمن كانت عن نصح وعقل، وأنّ ما أشار به أخوه محمّد صواب، وبين عدم أخذه عليه السلام بكلّ هذه النصائح والآراء والمشورات!

بين أن يرفض النصر الذي رفرف على رأسه الشريف لمّا التقىٰ الجمعان، ورفضه قبل ذلك نصرة الملائكة والجنّ، وبين واعيته: أما من مغيث يغيثنا! أما من

ذابٌ يذبُّ عن حرم رسول الله صلى الله عليه وآله!

كما حاولت في هذه المقالة أيضاً أن أشير إلى أهم ملامح آفاق الفتح الحسيني في عصر نهضة عاشوراء نفسها، وفي ما بعد ذلك الى عصر الظهور، ثمّ في عصر الظهور، حيث أكّدت فيه على أنّ قيام الإمام المهدي عليه السلام يمثّل الفصل الأخير من فصول النهضة الحسينية.

وفي المتن التأريخي لمبحث (الجزء الأول) من هذه الدراسة حاولت أن أقرأ تأريخ فترة المقطع الأوّل قراءة نقدية تحليلية تؤكّد الصحيح، وتصحّح الخطأ، وتكتشف الجديد، وقد قسّمت هذه القراءة الى فصول أربعة هي:

- ***الفصل الأوّل***: الإمام الحسين عليه السلام بعد أخيه الإمام الحسن عليه السلام.
- ***الفصل الثاني***: المعالم العامة لنهج الإمام الحسين عليه السلام في عهد معاوية.
- ***الفصل الثالث***: قصة بداية الثورة.
- ***الفصل الرابع***: بداية رحلة الفتح بالشهادة.

وأنا في هذه المتابعة التأريخية لا أدّعي أنني لملمت أطراف شوارد كلّ جديد، فذلك ليس بمقدوري، ولا أنني أحطتُ بجميع حاجات وجوانب البحث والدراسة في هذا المجال، فذلك مالم أحط به علماً وخبراً، ولا أقول إنني لم يفتني شيءٌ ممّا ينبغي أن ألتفت إليه وأن أُدلي دلوي فيه، فذلك ليس من واقعيات عمل غير المعصوم.

كلّ ما يمكن أن أدّعيه هو أنّ هذه قراءة تأريخية أخرىٰ حاولت فيها أن أكتشف جديداً لم يُعرف، أو خفيّاً لم يظهر، أو ذا قيمة لم ينل ما يستحقّه من القيمة والأهمية، أو صدقاً غيّبته عن الظهور شوائب المكذوبات، أو مكذوباً اندسّ بين الحقائق والمسلّمات، أو معنىً سامياً، أو درساً مستفاداً، أو عظة منشودة.

تُرىٰ.. هل وفّقتُ تماماً في كلّ ما حاولتُ..!؟

إنّ ما يمكن أن أطمئنّ إليه هو أنّ هذا الكتاب جاء بشيء جديد، وأنه ليس محاولة مكررّة في المكتبة الحسينية.. وأنّ ثَمَّ حاجة إليه.

وفي الختام: أجدُ من الحقّ اللازم عليَّ أن أتقدّم بالشكر والإمتنان إلىٰ جميع إخواني المؤمنين عامّة وأهل التحقيق منهم خاصة، الذين افادوني بملاحظاتهم النافعة ومساعداتهم المعنوية الكبيرة خصوصاً في مجال إمدادي بالمصادر التي كنت بحاجة إليها، وأخصّ منهم بالذكر أخي الطيّب المرحوم المحقّق الشيخ علي رئيس أشكناني الذي فتح بين يدي حاجتي مكتبته المتخصّصة النفيسة، فاختصر لي كثيراً من الأوقات، وخفّف عنّي كثيراً من معاناة التتبّع الطويل المرهق، ولكنّ الموت (مفرّق الأحبّة) فجعني أيّام البحث بفقده في حادث مؤسف، فتغمّده الله برحمته الواسعة، وحشره مع النبيّ الأكرم محمّد وآله الطيبين الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين.

أللّهم اقبلنا وتقبّل منّا، وترحّم على عجزنا وقصورنا، وتجاوز عن تقصيرنا، ولاتخيّب سعينا، وأدخلنا برحمتك في خدّام الحسين عليه السلام.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

علي الشاوي

١ / المحرم الحرام / ١٤٢١ هـ ق

المدخل

المقالة الأولى

☑ حركة النفاق... قراءة في الهويّة والنتائج

«ما لم نعرف ولو علىٰ سبيل الإجمال ما صنعته حركة النفاق في حياة الإسلام و الأمّة الإسلاميّة طوال نصف قرن ـ أي منذ رحلة النبيّ الأكرم محمّد صلى الله عليه وآله حتّىٰ أواخر سنة ستّين للهجرة ـ لايكون بإمكاننا أن نعرف أدنىٰ ما يمكن معرفته من عظمة عاشوراء، ولا أن نفقه معنىٰ الفتح في قيام الإمام الحسين عليه السلام. ولذا كان لابدّ من هٰذه القراءة...».

المقالة الأولى

حركة النّفاق... قراءة في الهويّة والنتائج

□التعريف

النفاق: هو استظهار الإيمان واستبطان الكفر والتستّر عليه. فالمنافق: هو الإنسان الذي يستبطن الكفر ويستره ويستظهر الإيمان، وهو مصطلح إسلامي لم تعرفه العرب قبل الإسلام بالمعنىٰ المخصوص به، وإن كان أصله في اللغة معروفاً.[1]

---

(١) وقيل في أصل انتزاع هٰذا المصطلح:

«سمّي المنافق منافقاً للنفق: وهوالسرب في الأرض».

أو: «إنّما سمّي منافقاً لأنّه نافق كاليربوع (حيوان) وهودخوله نافقاءه (جحر رقيق الحاجز يضربه هٰذا الحيوان برأسه فيهدمه إذا أراد الهروب). يقال: قد نفق به ونافق، وله جحر آخر يقال له القاصعاء، فإذا طلب قصع فخرج من القاصعاء، فهو يدخل من النافقاء ويخرج من القاصعاء، أو يدخل في القاصعاء ويخرج من النافقاء، فيقال هٰكذا يفعل المنافق: يدخل في الإسلام ثمّ يخرج منه من غير الوجه الذي دخل فيه». (لسان العرب: نفق).

وفي المفردات: ٥٠٢، «النفاق: وهوالدخول في الشرع من باب والخروج عنه من باب، وعلىٰ ذٰلك نبّه بقوله (إنّ المنافقين هم الفاسقون) أي الخارجون من الشرع».

المشهور الخاطئ عن البداية والنهاية

أمّا متى بدأت حركة النفاق الدخول في «الوسط الإسلامي»؟ وهل كانت ثمّة نهاية لهٰذه الحركة في تأريخ حياة المسلمين!؟

هناك نظرة مشهورة تقول: إنّ حركة النفاق بدأت بدخول الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله المدينة المنوّرة حين هاجر إليها، حيث أسّس الدولة الإسلاميّة، كما تقول هٰذه النظرة: إنّ هٰذا الحركة استمرّت إلىٰ قرب وفاة النبيّ صلى الله عليه وآله!

لقد اعتمدت هٰذه النظرة عامل (الخوف) من شوكة الإسلام والمسلمين وسطوتهم فقط كدافع يدفع (الكافر حقيقة) إلىٰ أن ينافق، فيستظهر الإيمان بدخوله الإسلام ويستبطن الكفر، وهٰذا الحصر يؤدّي بالضرورة إلىٰ القول بأنّ النفاق لايكون في الوسط الإسلامي إلاّ حيث تكون للإسلام شوكة وحاكميّة وغلبة وقهر.

غير أنّ التأمّل يسيراً يكشف عن أنّ هناك دافعاً قويّاً آخر للنفاق هو (الطمع)، فالطمع بـ(مستقبل الإسلام) مثلاً لم يكن وليد المدينة المنوّرة، بل كان مع الإسلام منذ أوّل أيّامه في مكّة المكرّمة، إذ كان في العرب رجال أهل خبرة ومعرفة بحقائق السنن الإجتماعيّة، وسنن الصراع، وقراءة المستقبل، فكانوا يعرفون أنّ دعوة هٰذا النبيّ صلى الله عليه وآله المستضعف في مكّة آنئذٍ هي التي ستنتصر، وأنّ كلمة هٰذا النبيّ صلى الله عليه وآله ستكون هي الكلمة العليا.

ولا يجد المتتبع في وقائع تأريخ الدعوة الإسلاميّة والسيرة النبويّة صعوبة في العثور علىٰ مصاديق لهٰذه الحقيقة...لقد عبّر عن ذٰلك رجل من بني عامر بن صعصعة بقوله:

«والله لو أنّني أخذت هٰذا الفتىٰ من قريش لأكلت به العرب».[١]

ثمّ قال للنبيّ ﷺ: «أرأيت إن نحن بايعناك علىٰ أمرك ثمّ أظهرك الله علىٰ من خالفك أيكون لنا الأمر من بعدك؟»

قال: «الأمر للّه يضعه حيث يشاء.»

قال: فقال له: «أفتهدف نحورنا للعرب دونك فإذا أظهرك الله كان الأمر لغيرنا!؟ لا حاجة لنا بأمرك. فأبوا عليه».[٢]

وكما كان في العرب أذكياء توسّموا منذ البدء أنّ هٰذا الدين سيكون له شأن عظيم في المستقبل، كذلك كان هناك في العرب رجال لهم علاقات وطيدة باليهود والنصارىٰ الذين كانوا يتوارثون أخبار الملاحم والفتن وأنباء المستقبل، ويخبرون الناس أنّ عصرهم آنئذٍ عصر ظهور النبيّ الخاتم ﷺ، بل كانوا يعرفون النبيّ ﷺ بصفاته البدنيّة والمعنويّة معرفة يقينيّة «الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم»[٣]، وكانوا يحدّثون الناس بأنّه هو الرسول الخاتم الفاتح ﷺ.

فلمّا آن أوان ظهوره أخبروا بعض العرب بذٰلك، وأكّدوا لهم أنّ المستقبل لهٰذا النبيّ ﷺ ولدعوته الجديدة!

لقد كان النظر إلى مستقبل هٰذا الدين دافعاً قويّاً إلىٰ الإنضواء تحت رايته والإنتماء إليه، وكان أكثر العرب في قضايا العقائد ومستقبل الأحداث يعتمدون رأي أهل الكتاب.

---

(١) السيرة النبويّة لابن هشام، ٢ :٦٦.

(٢) نفس المصدر.

(٣) سورة البقرة: الآية ١٤٦؛ سورة الأنعام: الآية ٢٠.

لقد استدلّ بعض أفراد قبيلة كندة مثلاً علىٰ صدق دعوة الرسول صلى الله عليه وآله بأنّ أهل الكتاب قد قالوا: إنّه سوف يظهر نبيّ من الحرم قد أظلّ زمانه.[١]

ويذهب وفد قبيلة بني عبس إلىٰ يهود فدك يسألونهم عن رسول الله صلى الله عليه وآله بعد أن عرض دعوته عليهم.[٢]

وفي رواية أن أبابكر كان في تجارة له بالشام، فأخبره راهب بوقت خروج النبيّ صلى الله عليه وآله من مكّة، وأمره باتّباعه، فلمّا رجع سمع رسول الله صلى الله عليه وآله يدعو إلىٰ الله فجاء فأسلم.[٣]

وأمّا عثمان بن عفّان فيقول: إنّه سمع عند مداخل الشام من كاهنة أنّ أحمد صلى الله عليه وآله قد خرج، ثمّ انصرف فرجع إلى مكّة فوجد رسول الله صلى الله عليه وآله قد خرج بمكّة يدعو إلىٰ الله عزّ وجلّ.[٤]

وعن إسلام طلحة بن عبيدالله يقولون: إنّه كان في بصرىٰ، فسمع خبر خروج نبيّ إسمه أحمد صلى الله عليه وآله في ذٰلك الشهر من راهب، فلمّا قدّم مكّة سمع الناس يقولون: تنبّأ محمّد بن عبدالله صلى الله عليه وآله، فأتىٰ إلىٰ أبيبكر فسأله فأخبره، ثمّ أدخله علىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله فأسلم...[٥]

ولقد ظلّ بعض الصحابة حريصين علىٰ هٰذه الصلة الوطيدة باليهود والنصارىٰ والإستمداد من فكرهم إلىٰ درجة الجرأة والجسارة علىٰ عرض

(١) دلائل النبوة لأبي نعيم الإصبهاني: ٢٥٢.

(٢) البداية والنهاية، ٣ :١٤٥ ـ ١٤٦؛ ودلائل النبوّة للاصبهاني: ٢٤٨ ـ ٢٤٩.

(٣) البدء والتأريخ، ٥ :٧٧.

(٤) دلائل النبوّة للإصبهاني: ٧٠.

(٥) البدء والتأريخ، ٥ :٨٢؛ مستدرك الحاكم، ٣ :٣٦٩؛ البداية والنهاية، ٣ :٢٩.

صحائف من التوراة وقراءتها علىٰ رسول الله ﷺ وإيذائه بذٰلك ايذاءً شديداً.

ففي الأثر: «جاء عمر بن الخطّاب فقال: يا رسول الله، إنّي مررت بأخٍ لي من يهود (من قريضة) فكتب لي (وكتب لي) جوامع من التوراة، قال: أفلا أعرضها عليك!؟ (قال): فتغيّر وجه رسول الله ﷺ، فقال عبدالله: مسخ الله عقلك، ألا ترىٰ ما بوجه رسول الله ﷺ!؟ فقال عمر: رضيت بالله ربّاً، وبالإسلام ديناً، وبمحمّدٍ رسولاً. قال فسرّي عن النبيّ ﷺ، ثمّ قال:

«والذي نفسي بيده لو أصبح فيكم موسىٰ فاتّبعتموه وتركتموني لظللتم، إنّكم حظّي من الأمم وأنا حظّكم من النبيّين».[1]

كما ظلّت هٰذه العلاقة وهٰذا التأثّر بأهل الكتاب يؤذيان الرسول ﷺ حتّىٰ في بيته، فقد روي «أنّ حفصة زوج النبيّ ﷺ جاءت إلى النبيّ ﷺ بكتاب من قصص يوسف في كتف، فجعلت تقرأ عليه والنبيّ ﷺ يتلوّن وجهه، فقال:

«والذي نفسي بيده لو أتاكم يوسف وأنا فيكم فاتّبعتموه وتركتموني لظللتم».[2]

كما ظلّ بعض الصحابة حريصاً علىٰ هٰذه العلاقة الوطيدة باليهود والنصارىٰ، يدّخرها للإستفادة منها عندما تحلّ بالمسلمين هزيمة قاصمة أو حينما تبدو في الأفق ملامح ضعفهم وأفول القوّة عنهم وإنكسار شوكتهم:

قال السدّي:

---

(١) المصنّف (عبدالرزاق الصنعاني)، ١٠: ٣١٣ ـ ٣١٤، رقم ١٩٢١٣ وما بين القوسين ورد في حديث رقم ١٠١٦٤ من المصنّف، ٦: ١١٣ وأخرجه ابن أبي‌شيبة في مصنّفه، ٩: ٤٧، رقم ٦٤٧٢/ط. بومباي الهند؛ وفي مسند أحمد بن حنبل، ٣: ٣٨٧.

(٢) المصنف (عبدالرزاق الصنعاني)، ٦: ١١٣ ـ ١١٤، رقم ١٠١٦٥.

لمّا أصيب النبيّ صلى الله عليه وآله بأحد قال عثمان: لألحقنّ بالشام، فإنّ لي به صديقاً من اليهود، فلآخذنّ منه أماناً، فإنّي أخاف أن يدال علينا اليهود. وقال طلحة بن عبيدالله: لأخرجنّ إلى الشام، فإنّ لي به صديقاً من النصارىٰ، فلآخذنّ منه أماناً، فإني أخاف أن يدال علينا النصارىٰ. قال السدّي: فأراد أحدهما أن يتهوّد، والآخر أن يتنصّر...».[1]

ويمكننا أن نتصوّر مراتب الطمع في دخول المنافقين الإسلام إلىٰ:

١ـ الطمع في الوصول إلىٰ الزعامة والحكم والسيطرة إشباعاً للنزعة السلطويّة في النفس، يقول العلاّمة الطباطبائي رحمه الله:

«فكثيراً ما نجد في المجتمعات رجالاً يتّبعون كلّ داع ويتجمعّون إلىٰ كلّ ناعق ولايعبأون بمخالفة القويّ المخالفة القاهرة الطاحنة، ويعيشون علىٰ خطر مصرّين علىٰ ذلك رجاء أن يوفّقوا يوماً لإجراء مرامهم ويتحكّموا علىٰ الناس باستقلالهم بإدارة رحىٰ المجتمع والعلوّ في الأرض...».[2]

---

(١) نهج الحقّ وكشف الصدق: ٣٠٥ ـ ٣٠٦؛ وأورده ابن كثير في تفسيره، ٢:٦٨ بقوله «فذكر السدّي أنّها نزلت في رجلين قال أحدهما لصاحبه بعد وقعة أحد: أمّا أنا فإنّي ذاهب إلىٰ ذلك اليهودي فآوي إليه وأتهوّد معه لعلّه ينفعني إذا وقع أمر أو حدث حادث، وقال الآخر: أما أنا فإنّي ذاهب إلىٰ فلان النصراني بالشام فآوي إليه وأتنصّر معه...». وأورده الخازن في تفسيره المسمّىٰ لباب التأويل في معاني التنزيل بقوله: «قال السدّي: لمّا كانت وقعة أحد... فقال رجل من المسلمين: أنا ألحق بفلان اليهودي... وقال رجل آخر: اما أنا فألحق بفلان النصراني من أهل الشام...». وكذلك أورده البغوي في تفسيره المسمّىٰ معالم التنزيل، المطبوع هامشاً لتفسير الخازن.

(٢) تفسير الميزان، ١٩:٢٨٩.

وهٰذا النوع من المنافقين يحرص في العادة علىٰ مصالح الإسلام ما وافقت مصالحه الخاصّة المنشودة، يقول العلاّمة الطباطبائي رحمه الله:

«...والاثر المترتّب علىٰ هٰذا النوع من النفاق ليس هو تقليب الأمور وتربّص الدوائر على الإسلام والمسلمين وإفساد المجتمع الديني، بل تقويته بما أمكن وتفديته بالمال والجاه لتنتظم بذٰلك الأمور وتتهيّأ لاستفادته منها واستدرارها لنفع شخصه.

نعم، يمكر مثل هٰذا المنافق بالمخالفة والمضادّة فيما إذا لاح من الدين مثلاً ما يخالف أمنيّة تقدّمه وتسلّطه، إرجاعاً للأمر إلىٰ سبيل ينتهي إلى غرضه الفاسد».[1]

إنّ التدبّر الكافي في تأريخ السيرة النبويّة الشريفة خاصّة وتأريخ صدر الإسلام عامّة يضع عدداً مهمّاً من مشاهير الصحابة في قفص الإتّهام بجرم الدخول في الإسلام طمعاً لا إيماناً، ذٰلك لأنّ تحليل إشارات ودلالات وقائع وأحداث تلك الفترة يكشف بوضوح عن انطباق مواصفات (المنافق) على أولٰئكم الصحابة!!

٢ـ الطمع في الوصول إلىٰ موقع معنوي في قلوب الحكّام أو في قلوب المسلمين من أجل «التخريب من الداخل»، ومصداق ذٰلك: الذين دسّهم أهل الكتاب في الصفّ الإسلامي كمثل (كعب الاحبار) اليهودي، وكمثل (تميم الداري) النصراني.

٣ـ الطمع في الوصول إلىٰ أهداف وغايات أخرىٰ أقلّ أهمّية كالحصول علىٰ

---

(١) تفسير الميزان، ١٩:٢٨٩.

مغانم أو تنمية مصالح وتوسعتها في ظلّ نماء مصالح الإسلام، أو انتصاراً لعصبيّة أو حميّة، أو غير ذٰلك.

ومن مصاديق أهل هٰذا النوع من الطمع جميع (النفعيّين) وهم كثير.

يضاف إلىٰ ذٰلك أنّ بعض من دخل الإسلام مؤمناً في البدء قد يرتاب في دينه خلال طريق المعاناة نتيجة هزّات عظمىٰ وصدمات كبرىٰ أو شبهات مضلّة مثلاً، كأن يرتاب في نبوّة النبيّ صلى الله عليه وآله، فيرتدّ عن دينه لكنّه يكتم ارتداده طمعاً أو خوفاً فيكون منافقاً مادام يستبطن ريبته وكفره.

وهٰذه الحالة ممكنة الوقوع في مكّة المكرّمة قبل الهجرة إلى المدينة، كما هي ممكنة الوقوع بعد الهجرة وقيام الدولة الإسلاميّة في المدينة المنوّرة وما حولها.

ممّا مر يتّضح بجلاء أنّ حركة النفاق لم تبدأ بدخول الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله المدينة المنوّرة، بل بدأت بدخول الصفّ الإسلامي منذ أوائل حياته في مكّة المكرّمة.

نعم، لم تتّخذ حركة النفاق شكل الظاهرة الإجتماعيّة الخطيرة إلاّ في المدينة المنوّرة بعد قيام الدولة الإسلاميّة.

هٰذا من حيث البداية، أمّا من حيث النهاية فإنّ هٰذه النظرة المشهورة الخاطئة تدّعي أنّ حركة النفاق استمرّت إلىٰ قرب وفاة النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله !!

وهٰذه الدعوىٰ أيضاً لا يصدّقها التأريخ الحقّ، ذٰلك لأنّنا ينبغي أن نفرّق أوّلاً بين أمرين:

أحدهما: انقطاع الأخبار عن نشاط حركة المنافقين الظاهر في مواجهة الإسلام والمسلمين وعدم ظهور ما كان يظهر منهم من أعمال مضادّة وآثار معاكسة ومكائد ودسائس مشؤومة.

والآخر: هو انتهاء هٰذه الحركة بالفعل وانحلالها وزوالها من خريطة العمل السياسيّ والإجتماعي.

نعم، انقطع الخبر عن المنافقين وعن أعمالهم المضادّة بعد موت النبيّ صلى الله عليه وآله مباشرة وانعقاد السقيفة وانتشار الخبر عن نتائجها، فلم يعد يظهر منهم ما كان يظهر قبل رحلة النبيّ صلى الله عليه وآله، واختفت هٰذه الحركة الهائلة عن ظاهر الحياة السياسية والإجتماعيّة فجأةً!!

هٰذه الحركة التي بلغت من القوّة والفعل يوماً أن سحبت ثلث الجيش الإسلامي عن ساحة معركة أحد قبل نشوب الحرب، أي ثلاثمأئة رجل من جيش مؤلّف من تسعمائة أو ألف[1]، ولها مواقف مشينة مخزية كثيرة في مواقع أخرىٰ، ومابرحت دسائسها ومكائدها ومواقفها المضادّة ظاهرة بيّنة إلىٰ أخريات أيّام الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله.

فما علّة اختفائها وانقطاع خبرها!!؟

هناك احتمالات ثلاثة:

□ **الأوّل:** أنّ جميع أفرادها أو رموزها الفعّالة أو أعضائها النشطين قد أبيدوا وقتّلوا تقتيلاً قبل رحلة النبيّ صلى الله عليه وآله، الأمر الذي يعني أنّه قد تمّ القضاء علىٰ هٰذه الحركة قضاءً مبرماً،أو أنّها قد شلّت نتيجة ذٰلك شللاً تامّاً.

وتأريخ السيرة النبويّة لايصدّق هٰذا الإحتمال بل يرفضه رفضاً تامّاً!

---

(١) وحتّىٰ علىٰ فرض القول بأنّ رسول‌الله صلى الله عليه وآله قد أمر بارجاعهم ومنعهم من الدخول في الجيش الإسلامي كما ورد في بعض الروايات، فإنّ الدلالة هي هي، بل أنّ هٰذه الروايات تقول بأنّ عددهم كان ستّمائة رجل.

□ **الثاني:** أنّ المنافقين بعد رحلة النبيّ صلى الله عليه وآله مباشرة قد أخذتهم هزّة مصيبة فقده ورحلته صلى الله عليه وآله مأخذاً عظيماً، وتأثّروا لذلك تأثّراً بالغاً، فتابوا إلى الله جميعاً وأخلصوا الإيمان عن آخرهم وحسن بذلك اسلامهم!

وهذا الإحتمال أيضاً يرفضه تأريخ ما بعد موت النبيّ صلى الله عليه وآله رفضاً باتاً.

□ **الثالث:** أن حركة النفاق نفسها تسلّمت زمام الأمور بعد رحلة النبيّ صلى الله عليه وآله، أو أنّها على الأقلّ كانت قد صالحت أولياء الحكومة بعد رحلة النبيّ صلى الله عليه وآله على ترك المضادّة والمشاغبة مصالحة سرّيّة قبل الرحلة أوبعدها بشرط أن يسمح لها تحقيق ما فيه أمنيّتها، أو أنّ حركة المسلمين وحركة النفاق بعد رحلة النبيّ صلى الله عليه وآله وبعد السقيفة كانتا قد وقعتا في مجرىً واحد واتّجاه واحد وتصالحتا مصالحة عفويّة بلا تكلّف عقد وعهد، فارتفع التصاك والتزاحم والمضادّة والمعارضة بينهما!!

ولا شك أنّ التدبّر الكافي والتأمّل العميق في حوادث آخر عهد النبيّ صلى الله عليه وآله والفتن الواقعة بعد رحلته مباشرة يرشد حتماً إلى أنّ ما وقع لايخرج عن إطار محتويات الإحتمال الثالث، هذا إذا كان المتدبّر والمتأمّل في تلك الحوادث خارجاً من سلطان القداسة الكاذبة التي إبتدعها التضليل الإعلاميّ السياسيّ الأمويّ لمشاهير الصحابة بعد رحيلهم عن دار الدنيا.

□ فصائل حركة النفاق

حزب السلطة:

يكفي هنا لإثبات انتماء مجموعة من الصحابة إلى دائرة النفاق أن نثبت أنّهم صدّوا عن رسول الله صلى الله عليه وآله صدوداً في أمر قضى به، وذلك لقوله تعالى: ﴿ وإذا قيل

لهم تعالوا إلىٰ ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدّون عنك صدوداً﴾[1]

ويستمرّ انتماؤهم إلىٰ دائرة النفاق ما أصرّوا علىٰ ذٰلك الصدود ولم ينتهوا عنه.

والصدُّ: الإعراض والامتناع والمنع[2].

ذٰلك لأنّ الإيمان لايكون إلاّ بالطاعة المطلقة لرسول الله صلى الله عليه وآله في كلّ ما جاء به وعدم التحرّج ممّا قضىٰ به والتسليم لأمره، وهٰذا من الحقائق القرآنيّة الكبيرة التي لاتحتاج في وضوحها إلىٰ نافلة بيان.

فما بالك بمجموعة من الصحابة لم تعرض ممتنعة عن قبول الأمر الإلهي النازل علىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله فحسب، بل سعت في صدّها عن رسول الله صلى الله عليه وآله لتمنع من تحقّقه وتحول دون تنفيذه!!؟

وما بالك إذا كان هٰذا الأمر الإلهي في أخطر وأهمّ قضيّة من قضايا الإسلام وهي قضيّة الولاية والخلافة!؟

كان قياديو هٰذا الحزب قبل الإسلام رجالاً مغمورين في قريش، لايشار إليهم بالبنان عند شدّة أو خطر أو شأن ذي بال، وكانت تشكيلة المواقع القيادية في تركيبة قريش قبل الإسلام متسالماً عليها حيث يتسنّم تلك المناصب رجال مرموقون من بطون محدّدة من قريش، وليس لرجال قيادة هٰذا الحزب أيّ حظّ في ذٰلك لا كما اختلق لهم الإعلام الأمويّ المضلّ بعد ذٰلك من أهمّية موهومة وشأنيّة كاذبة حيث ادّعىٰ بأنّ الله تعالىٰ قد أعزّ دينه بإسلامهم!! ـ بل كان أهمّ رجلين في قيادة هٰذا الحزب من «أقلّ حيين» من قريش علىٰ حدّ تعبير أبي سفيان

---

(١) سورة النساء: الآية ٦١.

(٢) راجع المفردات للراغب الإصبهاني.

بن حرب رأس الحزب الأُمويّ الذي دخل في تحالف معهم بعد ذٰلك.

فقيادة هٰذا الحزب تعلم علماً يقيناً أن لا أمل لها في زعامة ورئاسة خارج إطار الحالة الإسلاميّة... وهي التي دخلت الإسلام ناظرة إلىٰ مستقبله الذي سمعت عنه كثيراً من أهل الكتاب الذين توارثوا اخبار الملاحم والفتن أملاً في أن تمتطي صهوة الحكم بعد رحلة رسول الله صلى الله عليه وآله.

إذن فمن مصلحة قيادة هٰذا الحزب في ظرفها الراهن آنذاك بقاء الإسلام بكلّ تشريعاته إلاّ ما يتعلّق منها بموضوع الخلافة وشخص الخليفة بعد النبيّ صلى الله عليه وآله.

ومع أنّ قيادة هٰذا الحزب كانت تعيش مشكلة كبيرة فيما يواجهها من البيّنات والهدىٰ ممّا بيّنه الله تعالىٰ في كتابه المجيد فيما يتعلّق بالولاية والخلافة وشخص الخليفة من بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، وأنّ الخلافة كالنبوّة إختيار إلهي ليس للناس إختيار فيه، لكن قيادة هٰذا الحزب كانت ترىٰ مشكلتها الكبرىٰ في مواجهة البيان النبويّ في هٰذا الصدد ذٰلك لأنّ البيان النبويّ هو الكاشف عن دلالة البيان القرآني، هٰذا أوّلاً.

وثانياً لأنّ البيان النبويّ كان قد ركز منذ البدء علىٰ تعيين أشخاص الخلفاء من بعد رسول الله صلى الله عليه وآله حتّىٰ قيام الساعة في مواصفات عامّة وأخرىٰ خاصّة وحدّدهم بأسمائهم، كما ركز علىٰ شخص الخليفة الأوّل أمير المؤمنين عليّ عليه السلام بما لا يقبل التأويل أو الإنكار.

لقد أعلن البيان النبويّ عن الولاية والخلافة في نفس الساعة التي أعلن فيها عن النبوة، وحدّد في نفس تلك الساعة شخص الوليّ والخليفة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، وذٰلك في حديث الدار يوم الإنذار، ذٰلك الحديث المتواتر الذي رواه الفريقان، والذي قال فيه صلى الله عليه وآله بعد أن أنذر عشيرته الأقربين مشيراً إلى

أميرالمؤمنين عليّ عليه السلام:

«إنّ هٰذا أخي ووصيّي وخليفتي فيكم، فاسمعوا له وأطيعوا.»[١]

ومنذ ذٰلك اليوم لم يرد عنه صلى الله عليه وآله ما يلغي هٰذا التنصيب الإلهي، بل توالت البيانات النبويّة في التأكيد على أنّ أئمّة أهل البيت عليهم السلام وأوّلهم عليّ عليه السلام هم خلفاء النبيّ صلى الله عليه وآله، ومن أهمّ تلك البيانات المقدّسة حديث الثقلين، وحديث السفينة، وباب حطّة، وحديث النجوم[٢] وحديث المنزلة، وبيان يوم الغدير، وآخرها الكتاب المانع من الضلال الذي أراد الرسول صلى الله عليه وآله ان يكتبه للأمّة قبيل رحلته.[٣]

هاهنا كانت المشكلة الكبرىٰ التي عانت منها قيادة حزب السلطة.

ومن هنا كان لابدّ من المواجهة مع رسول الله صلى الله عليه وآله!!

ولكن علىٰ أيّ صعيد تكون هٰذه المواجهة وهٰذا الصدود!؟

لا شك أنّه لم يكن أمامهم في حياة الرسول صلى الله عليه وآله إلاّ التشكيك بعصمة الرسول صلى الله عليه وآله سرّاً وعلانية ما وسعت الفرصة والمجال، ومحاصرة البيانات النبويّة عامّة والمتعلّقة منها بالولاية والخلافة خاصّة.

لقد بثّ هٰذا الحزب في صفوف المسلمين مقولة:

---

(١) يراجع كتاب «المراجعات»: ١١٠ ـ ١١٢ لمعرفة من أخرج هٰذا الحديث من حفّاظ علماء أهل السنّة.

(٢) «النجوم أمان لأهل السماء وأهل بيتي أمان لأحل الأرض...».

(٣) لمعرفة هٰذه الأحاديث الشريفة، ومعرفة من أخرجها من حفّاظ أهل السنّة، يراجع كتاب (المراجعات) وكتاب (عبقات الأنوار في أمامة الأئمّة الأطهار)، وكتاب (نفحات الأزهار في خلاصة عبقات الأنوار).

«رسول‌الله بشر يتكلّم في الرضا والغضب!!»

ولايخفىٰ على الواعي اللبيب أنّ مؤدّىٰ هٰذه المقولة هوأنّ رسول‌الله ﷺ قد يثني علىٰ إنسانٍ ما في الرضا فوق ما هو أهل له ويمنحه منزلة أكبر ممّا يستحقّ!! كما قد يذمّ انساناً ما في الغضب فوق ما هو أهل له!! فهو ينطق عن الهوىٰ في الرضا والغضب لا عن وحي يوحىٰ!! ـ والعياذ بالله ـ ومن الوثائق الكاشفة عن هٰذا البثّ التشكيكي ما رواه عبدالله بن عمرو بن العاص قال:

«كنت أكتب كلّ شيءٍ أسمعه من رسول‌الله ﷺ أريد حفظه، فنهتني قريش (!!) وقالوا أتكتب كلّ شيءٍ تسمعه !؟ ورسول‌الله ﷺ بشر يتكلّم في الغضب والرضا!، فأمسكت عن الكتاب، فذكرت ذٰلك لرسول‌الله ﷺ، فأومأ بأصبعه إلىٰ فيه فقال: أكتب، فو الذي نفسي بيده مايخرج منه إلاّ حقٌّ».[1]

---

(١) سنن أبي‌داود، ٢: ٢٨٦ (باب في كتاب العلم)؛ ومسند أحمد، ٢: ١٦٢؛ ورواه الحاكم في المستدرك، ١ :١٠٤ ـ ١٠٦ بأسانيد عديدة وقال في أحدها: هٰذا حديث صحيح الإسناد، أصل في نسخ الحديث عن رسول‌الله ﷺ، ولم‌يخرجاه.

وامتداداً لهٰذه الحملة التشكيكيّة بعصمة الرسول ﷺ وشخصيّته هناك افتراءات أخرىٰ كثيرة تغصّ بها كتب الصحاح والمسانـد، كان ولم‌يزل أعداء الإسلام يستفيدون منها في الإساءة إلىٰ رسول‌الله ﷺ، كما فعل مؤخّراً المرتد سلمان رشدي في كتابه الآيات الشيطانيّة!!، ونلفت هنا إلىٰ بعض الروايات التي تصبّ في مصبّ رواية المتن أعلاه:

الأولى: «أنّ رسول‌الله كان يغضب فيلعن ويسبّ ويؤذي من لايستحقّها، ودعا الله أن تكون لمن بدرت منه زكاة وطهوراً»؛ (البخاري، ٨: ٧٧ كتاب الدعوات، باب قول النبيّ من آذيته، مسلم، ٤: ٢٠٠٧ كتاب البرّ والصلة، باب من لعنه النبيّ).

أين هٰذا البهتان علىٰ الرسول ﷺ ـ الذي لايليق بالمؤمن العادي ـ من قوله تعالىٰ في ثنائه علىٰ الرسول ﷺ: ﴿وإنّك لعلىٰ خلق عظيم﴾ !!؟ إنّ غاية هٰذا البهتان هي دعوىٰ مظلوميّة الذين لعنهم

كـانت قـيادة هٰـذا الحــزب وراء هٰـذا البثّ التشكـيكي فـي الصد عـن رسول‌الله‌ﷺ، تلك القيادة التي ابتدعت شعار: (لاتكون النـبوّة والخـلافة فـي بني‌هاشم)[1] وتحالفت تحت هٰذا الشعار مع العديد من خصوم الإسلام من بطون قريش الذين دخلوا في الإسلام كارهين وأنوفهم راغمة.

والدليل علىٰ صدور هٰذا النهي وهٰذا البثّ التشكيكي عن قيادة هٰذا الحزب، وأنّ هٰذا الفعل من متبنياتها، هو أنّ هٰذه القيادة بعد رحـلة رسـول‌الله‌ﷺ عـلى

⇦ الرسول‌ﷺ وهم كثيرون، ليكون هٰذا الإفتراء وثيقة مظلوميّة لهم وتزكية وتطهيراً!!

والثانية: «سُحِرَ النبيّ‌ﷺ حتّىٰ كان يُخيّل إليه أنّه يفعل الشيّ ومايفعله»؛ (البخاري، ٤: ١٢٢ كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده؛ مسلم، ٤: ١٧١٩، حديث ٤٣).

وهٰذه قمّة التشكيك بكلّ ما يصدر عن رسول‌الله‌ﷺ، والغاية الغاء قيمة الأحاديث المتعلّقة بالخلافة وبالمكانة الخاصّة التي بيّنها رسول‌الله‌ﷺ لأهل بيته الكرام، والإسقاط التامّ لحجيّة قوله وفعله‌ﷺ.

والثالثة: «أنّ النبيّ سمع رجلاً يقرأ في المسجد، فقال الرسول: رحمه الله أذكرني كذاوكذا آية أسقطتهنّ من سورة كذا وكذا»؛ (البخاري، ٣: ١٧٢؛ مسلم، ١: ٥٤٣، حديث ٢٤٤).

وهٰذه لاترفع الوثوق بالبيان النبويّ أوتطعن به وتقدح بعصمة النبيّ‌ﷺ في مجال التبليغ عن‌الله تبارك وتعالىٰ فحسب، بل تقدح حتّىٰ بنزاهة ساحة القرآن الكريم عن النقص، ذلك لأنّ لقائل أن يقول: إذا كان النبيّ‌ﷺ ـ والعياذ بالله يعترف أنّه بسبب النسيان كان قد أسقط آيات عديدة من سورة كذا!! فكيف لنا أن نقطع بأنّ السور القرآنيّة الأُخرىٰ مصونة عن النقص الذي يسبّبه مثل هٰذا النسيان!؟

أنظر كيف يؤدّي الصد عن رسول‌الله‌ﷺ والإفتراء عليه من أجل الدفاع عمّن سخط عليهم رسول‌الله‌ﷺ إلى الطعن بعصمة النبيّ‌ﷺ وبقداسته، الأمر الذي يؤدّي بالضرورة إلى الطعن بعصمة القرآن وقداسته!!؟

(١) راجع في هٰذا المعنىٰ الكامل في التأريخ، ٣:٦٣ ـ ٦٤؛ وشرح النهج، ١٢: ١١٤ ـ ١١٧.

امتداد عهودها الثلاثة كانت قد واصلت ضرب حصار حديديّ لاتراخي فيه على البيانات النبويّة، إذ كان أوّل ما فعله الخليفة الأوّل هو أنّه جمع الأحاديث التي كتبها هو شخصيّاً فأحرقها، وقد روت ذلك ابنته عائشة[١]،

ثمّ جمع الناس وقال لهم: «إنّكم تحدّثون عن رسول‌الله صلى الله عليه وآله أحاديث تختلفون فيها، والناس بعدكم أشدّ اختلافاً، فلاتحدّثوا عن رسول‌الله شيئاً(!!)، فمن سألكم فقولوا: بيننا وبينكم كتاب‌الله».[٢]

وكان من مشاريع الخليفة الثاني أن طلب من الناس أن يأتوه بما عندهم من أحاديث النبيّ صلى الله عليه وآله، فأتوه بها، فأمر بإحراقها كلّها[٣]، كما فرض الإقامة الجبريّة على رواة الأحاديث النبويّة في المدينة مادام حيّاً[٤]، ونهى جيوشه عن التحديث عن رسول‌الله صلى الله عليه وآله.[٥]

وأمّا الثالث فقد بادر إلى إصدار مرسوم منع فيه رواية أيّ حديث لم يسمع به في عهدي أبي‌بكر وعمر.[٦]

لقد كانت الغاية الحقيقيّة من كلّ ذلك النهي والمنع والصد هي إبطال فاعلية

---

(١) تذكرة الحفّاظ للذّهبي، ١: ٥؛ وكنزالعمّال، ١٠: ٢٨٥ رقم ٢٩٤٦٠.

(٢) تذكرة الحفّاظ، ١: ٢ ـ ٣.

(٣) طبقات ابن سعد، ٥ :١٨٨.

(٤) مستدرك الحاكم، ١ :١١٠.

(٥) تذكرة الحفاظ، ١ :٧.

(٦) مسند احمد بن حنبل، ١ :٦٥؛ ويروي الذهبي في تذكرة الحفّاظ، ٧:١ أنّ معاوية أيضاً كان يقول: «عليكم من الحديث بما كان في عهد عمر، فإنّه كان قد أخاف الناس في الحديث عن رسول‌الله صلى الله عليه وآله».

البيانات النبويّة المتعلّقة بالولاية والخلافة وشخص الخليفة بعد النبيّ صلى الله عليه وآله، وبالموقع المميّز لأهل بيت النبوّة في حياته صلى الله عليه وآله وبعد وفاته، وكان لابدّ لقيادة هٰذا الحزب أن تتستّر علىٰ هٰذه الغاية الحقيقيّة بذرائع واهية كذريعة مخافة «الإختلاف بين الناس!!» وغيرها التي هي أوهن من بيت العنكبوت عند محك الدليل والبرهان.

حتّىٰ إذا مرّت الأيّام بالدواهي العظام، وثنيت الوسادة لمعاوية بن أبي‌سفيان ـ وارث قيادة هٰذا الحزب وامتدادها الطبيعي ـ كشف بجرأة تامّة عن الغاية الحقيقيّة لكلّ ذٰلك المنع والنهي والصد المتطاول حيث أصدر في السنة العجفاء التي أسموها بعام الجماعة مرسوماً صريحاً أعلن فيه أن:

«برئت الذمة ممّن روىٰ شيئاً من فضل أبي‌تراب وأهل بيته».[1]

ولقد بلغت قيادة هٰذا الحزب ذروة الجرأة في الصد عن رسول‌الله صلى الله عليه وآله حينما منعت البيان النبويّ الأخير (المانع من الضلال والإختلاف)[2] عن الصدور في جسارة علىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله ما بعدها جسارة، حيث اتّهمته بـ (**الهجر**) أي الهذيان ورفعت بوجهه علناً شعار (**حسبنا كتاب الله**)، وفوجيء الحاضرون من غير هٰذا الحزب وذهلوا لهول ما سمعوا!! وتنازعوا مع تيّار الصد عن رسول‌الله صلى الله عليه وآله، لكنّ زبانية هٰذا الحزب كانوا هم الأكثر في الظاهر، فتنادوا بقوّة وتصميم وضجيج وقالوا ما قال عمر!! حتّىٰ حالوا بين رسول‌الله صلى الله عليه وآله وبين أن يكتب ذٰلك البيان الأخير فكانت الرزيّة!! وما أعظمها من رزيّة!؟ علىٰ حدّ تعبير ابن عبّاس. ويعترف الخليفة

---

(١) شرح نهج البلاغة لإبن أبي‌الحديد، ١١: ١٥.

(٢) هٰكذا وصفه الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله، كما ورد في الروايات التي تحدّثت عن رزيّة يوم الخميس، ممّا أخرجه الحفّاظ من علماء أهل السنّة.

الثاني عمر بن الخطّاب في محاورة مع عبدالله بن عبّاس بأنّ قول رسول الله صلى الله عليه وآله عنده لايثبت حجّة ولايقطع عذراً، وأنّه صلى الله عليه وآله في مرضه أراد أن يصرّح في بيانه الأخير باسم أمير المؤمنين عليّ عليه السلام، كما يقرّر الخليفة الثاني أنّه الناطق الرسمي باسم قريش!! الحاكي عن مشاعرها!! الممثّل لها في الصد عن رسول الله صلى الله عليه وآله صدوداً. ورد كلّ هٰذا في أوّل خلافته وهو يحاور عبدالله بن عبّاس ويسائله عن عليّ عليه السلام... قائلاً:

«يا عبدالله، عليك دماء البدن إن كتمتنيها، هل بقي في نفسه شيء من أمر الخلافة؟

قلت: نعم.

قال: أيزعم أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله نصّ عليه؟

قلت: نعم، وأزيدك، سألت أبي عمّا يدّعيه فقال صدق.

فقال عمر: لقد كان من رسول الله صلى الله عليه وآله في أمره ذرو من قول لايثبت حجّة ولايقطع عذراً، ولقد يربع في أمره وقتاً ما، ولقد أراد في مرضه أن يصرّح باسمه، فمنعت من ذٰلك إشفاقاً وحيطة على الإسلام، لا وربّ هٰذه البنية لاتجتمع عليه قريش ابداً، ولو وليّها لانتقضت عليه العرب من أقطارها، فعلم رسول الله صلى الله عليه وآله أنّي علمت ما في نفسه فأمسك، وأبى الله إلاّ إمضاء ما حتم»[١].

ولقد يعزّ ويشقّ كثيراً علىٰ بعض المؤرّخين والمفكّرين الإسلاميّين ممّن قد تحرّر من وهم القداسة الكاذبة التي اختلقها التضليل الأمويّ لبعض مشاهير

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي‌الحديد، ١٢ :٩٧.

الصحابة أن يذعن لحقيقة أنّ قيادة هٰذا الحزب كانت قد دخلت الإسلام طمعاً في مستقبل الإسلام ورغبة في أن يكون لها نصيب في مواقع الحكم في حياة رسول الله ﷺ وبعد وفاته، لا إيماناً بهٰذا الدين وحقائقه، فيميل إلى القول بأنّ قيادة هٰذا الحزب قد دخلت في الإسلام مؤمنة به لكنّها لم تستطع الإنعتاق والتحرر من «**حبّ الشهرة والسيطرة والحكم**» التي تحكّمت في كثير من تصرّفاتها، وهٰذا من «**مرض القلب**» الذي قد يعتري كثيراً من المؤمنين ولا يخرجهم عن دائرة الإيمان.

ويدعم هٰذا المفكّر رأيه بأنّ القرآن الكريم قد جعل «**المنافقين**» و«**الذين في قلوبهم مرض**» في صفّ واحد في أكثر من خطاب قرآنيّ،[1] لكنّه ميّز بينهما في التعريف كما لا يخفىٰ، إذ كلّ منافق في قلبه مرض، وليس كلّ من في قلبه مرض منافقاً.[2]

وهٰذا الرأي صحيح لو أنّ صحابياً كان قد دخل الإسلام مؤمناً لكنّ مرضه القلبيّ مرتبط بشهوة أو أكثر من شهوات الدنيا كشهوة الحكم أو شهوة النساء أو الشهرة أو المال مثلاً، فإذا تهيّأت الفرصة السانحة لإشباع شهوته واغتنمها واستوفىٰ لذّته منها، حرص بعد ذٰلك بسبب إيمانه أن يجري أمر الإسلام على ما فرض الله ورسوله ﷺ، أو أنّه علىٰ الأقلّ لا يأبىٰ بعد ذٰلك أن يجري أمر الإسلام على المحجّة البيضاء التي أرادها الله ورسوله ﷺ.

أمّا أن يكون هٰذا الصحابي مع كلّ اعترافاته بأخطائه وجهله وقلّة فقهه مصرّاً

---

(١) كما في قوله تعالىٰ: ﴿وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلاّ غروراً﴾، «الأحزاب: ١٢» وكقوله تعالىٰ: ﴿إذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض غرّ هٰؤلاء دينهم...﴾، «الأنفال: ٤٩».

(٢) كما قد يفهم من كتاب معالم الفتن (سعيد أيّوب)، ١ :٥٧ ـ ٦٦؛ مجمع إحياء الثقافة الإسلاميّة.

إلىٰ آخر لحظات حياته علىٰ أن يجري أمر الإسلام ـ في قضيّة الإستخلاف ـ علىٰ ما تعاهدت عليه قيادة حزبه لا علىٰ ما أراد الله ورسوله، فهذا ممّن ليس «في قلبه مرض» فحسب، والعلّة الأقوىٰ إذن علّة أخرىٰ ليست هي من شهوات مرض القلب التي قضىٰ منها وطره، بل هي اعتقاد آخر مضمر وخطّة مسبّقة مدروسة قامت علىٰ معصية الله ورسولهﷺ عمداً، وحرص هٰذا الصحابي علىٰ تنفيذها حتّىٰ الممات!!

يحدّثنا ابن الأثير قائلاً:

«إنّ أبابكر أحضر عثمان بن عفّان خالياً ليكتب عهد عمر.

فقال له أكتب، «بسم الله الرحمٰن الرحيم، هٰذا ما عهد أبوبكر بن أبي‌قحافة إلى المسلمين. أمّا بعد:» ثمّ أغمي عليه.

فكتب عثمان: «أمّا بعد فإنّي قد استخلفت عليكم عمر بن الخطّاب ولم آلكم خيراً».

ثمّ أفاق أبوبكر فقال: إقرأ عليَّ.

فقرأ عليه، فكبّر أبوبكر وقال: أراك خفت أن يختلف الناس إن متّ في غشيتي؟

قال: نعم.

قال: جزاك الله خيراً عن الإسلام وأهله!!».[١]

سبحان الله!! أين كان هٰذا الحفّاظ وهٰذه الخشية من الإختلاف يوم حالت قيادة هٰذا الحزب دون أن يكتب الرسولﷺ للأمّة كتابه الأخير المانع من

(١) الكامل في التأريخ، ٢: ٤٢٥؛ ورواه الطبري في تأريخه أيضاً بتفاوت يسير، ٢: ٦١٨ ـ ٦١٩.

الضلال والإختلاف!؟ وهل يصدّق العقل أنّ رجال قيادة هٰذا الحزب أشدّ حرصاً وغيرةً علىٰ حال الأمّة من رسول الله صلى الله عليه وآله!؟

وقد تمنّىٰ عمر بن الخطّاب أن لو كان أبوعبيدة بن الجرّاح حيّاً لاستخلفه،[1] وأبوعبيدة هٰذا ثالث ثلاثة في قيادة هٰذا الحزب، كما تمنّىٰ أن لو كان خالد بن الوليد الذي آزرهم بقوّة في أيّامهم الصعبة حيّاً لاستخلفه،[2] وكذٰلك أن لو كان سالم مولىٰ أبي حذيفة حيّاً لاستخلفه،[3] وكأنّ سالماً هٰذا كان رابع أربعة في تلك القيادة، ولايخفىٰ أنّ استخلاف سالم معارض لمبدأ هٰذا الحزب في أنّ الخلافة لاتكون إلاّ في قريش، وهو المبدأ الذي رفعته قيادة هٰذا الحزب في وجه الأنصار في السقيفة!!، كما أنّ عمر تمنّىٰ أيضاً أن لو كان معاذ بن جبل حيّاً لاستخلفه،[4] ومعاذ هٰذا من الأنصار!!

ثمّ إنّ التامّل في حقائق الشورىٰ التي خطّط لها عمر بن الخطّاب يهدي ـ كما سوف يأتي بيانه ـ إلىٰ أن الخليفة الثاني قد عيّن عثمان تعييناً ضمن إخراج فنّيّ خاصّ، هٰذا فضلاً عن تمهيده للحكم الملكيّ الأمويّ بإطلاقه يد معاوية في الشام يفعل ما يحلو له وكما يشاء، فالخليفة الصارم في المدينة قد أغمض عينيه عمداً عن الشام لفتىٰ قريش وكسرىٰ العرب!!

ممّا مضىٰ يتأكّد بما لايقبل الشك أنّ هٰؤلاء الصحابة كانوا قد أصرّوا علىٰ الصدّ عن رسول الله صلى الله عليه وآله الصدود الكبير فيما جاء به من الأمر الإلهيّ المتعلّق

---

(١) تأريخ الطّبري، ٣: ٢٩٢.

(٢) الإمامة والسياسة، ١: ٢٧.

(٣) تاريخ الطبري، ٣: ٢٩٢.

(٤) الإمامة والسياسة، ١: ٢٧.

بالخلافة من بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وبشخص الخليفة المعيّن من قبل الله تبارك وتعالىٰ، وواصلوا هٰذا الصدود حتّىٰ الممات.

وحزب السلطة أشد فصائل حركة النفاق أثراً في حياة الإسلام والمسلمين، لأنّه هوالذي شقّ مجرىٰ الإنحراف الرئيس الذي تفرّعت عنه جميع فروع الإنحرافات الأخرىٰ التي كانت ولم تزل حياة الإسلام والمسلمين تعاني منها أمرّ الويلات والنكبات، وقيادة هٰذا الحزب تتحمّل علىٰ ظهرها أوزارها وأوزار ما نتج ولايزال ينتج عن يوم السقيفة إلىٰ قيام الساعة.

منافقو أهل الكتاب:

إنّ لأهل الكتاب مع الإسلام والنبيّ الأكرم محمّد صلى الله عليه وآله قصّة مؤسفة ينبغي لكلّ مؤمن ألّايغفل عن الإتّعاظ بها في انتظاره الإمام المهديّ المنتظر عجّل الله تعالىٰ فرجه.

كان أهل الكتاب بعد عهد المسيح عيسىٰ بن مريم عليهما السلام ينتظرون خروج خاتم الانبياء صلى الله عليه وآله ويترقّبون حلول أوانه، ذٰلك لأنّهم توارثوا البشارات بظهوره عن أنبيائهم وأوصياء أنبيائهم عليهم السلام، وتوارثوا معرفة صفاته البدنيّة والمعنويّة، فكانوا يعرفون أسماءه وألقابه وكناه ويعرفون شخصه معرفة تفصيليّة يقينيّة كما يعرفون أبناءهم.

وقد أكّد القرآن الحكيم هٰذه الحقيقة في قوله تعالىٰ: ﴿الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم﴾.[١]

كما كانوا يعرفون شخصيّته في سيرته المعلومة عندهم ممّا توارثوه من الأنباء

(١) سورة البقرة: الآية ١٤٦.

عنه في كتبهم ورواياتهم، فكانوا يعرفون ما ينبغي عنده من الفعل وما لاينبغي، ويعرفون حتّىٰ سننه، في القعود والقيام، واليقظة والمنام، والصمت والكلام، وسوىٰ ذٰلك «**الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل...**»[1] وكانوا يعرفون صفات من معه والأمثال المضروبة في أحوالهم: «**ذٰلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل...**»[2]، بل كانوا يعرفون خصائص أوصيائه عليهم السلام كما ورد ذٰلك في روايات كثيرة.

وكانت جماهير من اليهود ينتظرون النبيّ الخاتم صلى الله عليه وآله إنتظاراً جادّاً مقروناً بكلّ مستلزماته العمليّة، حتّىٰ لقد حملهم هٰذا الإنتظار الجاد علىٰ ترك ديارهم والهجرة إلى المنطقة التي سيهاجر إليها النبيّ المنتظر صلى الله عليه وآله كما هو عندهم في الأخبار التي توارثوها جيلاً بعد جيلٍ، وعانوا من أجل ذٰلك الكثير، تقول الرواية: «كانت اليهود تجد في كتبها أنّ مهاجر محمّد صلى الله عليه وآله ما بين عيرٍ وأُحدٍ،[3] فخرجوا يطلبون الموضع فمرّوا بجبل يسمّىٰ حداداً فقالوا: حدادٌ وأُحد سواء، فتفرّقوا عنده فنزل بعضهم بتيماء وبعضهم بفدك وبعضهم بخيبر، فاشتاق الذين بتيماء إلىٰ بعض إخوانهم، فمرّ أعرابيّ من قيس فتكاروا منه، وقال لهم: أمرّ بكم ما بين عيرٍ وأُحد. فقالوا: إذا مررت بهما فآذنّا بهما، فلمّا توسّط بهم أرض المدينة قال لهم: ذاك عيرٌ وهٰذا أحد. فنزلوا عن ظهر إبله، وقالوا قد أصبنا بغيتنا فلا حاجة لنا في إبلك فاذهب حيث شئت. وكتبوا إلىٰ إخوانهم الذين بفدك وخيبر: أنّا قد أصبنا الموضع فهلمّوا إلينا. فكتبوا إليهم: أنّا قد استقرّت بنا الدار واتّخذنا الأموال، وما

---

(١) سورة الفتح: الآية ٢٩.

(٢) سورة الاعراف: الآية ١٥٧.

(٣) جبلان من جبال المدينة المنوّرة.

أقربنا منكم، فإذا كان ذٰلك فما أسرعنا إليكم. فاتّخذوا بأرض المدينة الأموال، فلمّا كثرت أموالهم بلغ تُبَّعاً فغزاهم، فتحصّنوا منه فحاصرهم، وكانوا يرقّون لضعفاء أصحاب تبّعٍ فيلقون إليهم بالليل التمر والشعير، فبلغ ذٰلك تبّعاً فرقّ لهم وآمنهم، فنزلوا إليه فقال لهم: إنّي قد استطبت بلادكم ولاأراني إلاّ مقيماً فيكم. فقالوا له: إنّه ليس ذاك لك، إنّها مهاجر نبيّ وليس ذٰلك لأحد حتّىٰ يكون ذٰلك. فقال لهم: إنّي مخلّف فيكم مِن أسرتي مَن إذا كان ذٰلك ساعده ونصره، فخلّف حيّين الأوس والخزرج، فلمّا كثروا بها كانوا يتناولون أموال اليهود، وكانت اليهود تقول لهم: أما لو قد بعث محمّد ليخرجنّكم من ديارنا وأموالنا، فلمّا بعث الله عزّ وجلّ محمّداً صلى الله عليه وآله آمنت به الأنصار وكفرت به اليهود، وهو قول الله عزّ وجلّ:

«وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلمّا جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين[١]».[٢]

تُرىٰ لماذا كانت نتيجة هٰذا الإنتظار الجادّ نتيجة خاسرة!!؟

كانت نتيجة انتظار اليهود خاسرة لإنّهم كانوا ينتظرون النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله بشرط ألاّ يساويهم مع غيرهم من الناس، وألاّ يكون غيرهم الأفضل عنده، وألاّ يأخذ منهم ما كانوا يتمتّعون به من مواقع اجتماعيّة ماديّة ومعنويّة، وألاّ وألاّ... فهم كانوا ينتظرونه «بشرط لا». فلمّا وجدوا الناس عند رسول الله صلى الله عليه وآله سواسية كأسنان المشط في الحقوق والواجبات، وأنّ أكرمكم عندالله أتقاكم... نكسوا علىٰ رؤوسهم وانقلبوا علىٰ أعقابهم وآثروا إتّباع أهوائهم وكفروا بما عرفوه من الحقّ... فكانت الخسارة وما أعظمها من خسارة!

---

(١) سورة البقرة: الآية ٨٩.

(٢) الكافي، ٨: ٣٠٨ ـ ٣١٠ رقم ٤٨١.

ولو أنّهم انتظروه «لا بشرط» يشترطونه عليه، بل بتسليم تامّ لأمره وطاعة مطلقة وامتثال لكلّ ما يشترطه هو عليهم لكانت نتيجة انتظارهم هي الفوز المبين، وقد فاز المسلّمون.[١]

ولمّا رفض اليهود ـ بعد انتظارهم الجادّ الطويل ـ ان يسلّمو للّه ولرسوله صلّى الله عليه وآله، ويدخلوا في الإسلام بلا شرط كما دخل الناس، صاروا أشدّ الناس عداوة للّذين آمنوا حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبيّن لهم الحقّ، وانضمّوا في مناوئتهم الدعوة الجديدة إلىٰ صفوف أعدائها، ولقد واثقوا النبيّ صلّى الله عليه وآله ثمّ نقضوا ميثاقهم غير مرّة، حتّىٰ هزمهم الله وأخرجهم من ديارهم أذلاّء خاسئين.

ولمّا قويت الدعوة المحمّديّة واشتدّ ساعدها، وتحطّمت أمامها كلّ قوّة تنازعها، لم‌ير من كانوا يقفون أمامها ويصدّون عن سبيلها إلاّ أن يكيدوا لها من طريق الحيلة والخداع بعد أن عجزوا عن النيل منها بالقوّة والنزاع.

---

(١) وفي انتظارنا لإمامنا المهدي عليه السلام ينبغي أن نلتفت إلىٰ هٰذه الملاحظة المهمّة وهي أنّه لايكفي أن يكون انتظارنا جادّاً ـ وإن قلّ الجدّ في الناس ـ بل ينبغي أن يكون انتظارنا صحيحاً أيضاً وبالأساس، ولايكون صحيحاً إلاّ أن يكون علىٰ أساس التسليم التامّ لأمره عليه السلام.

والتسليم التامّ إنّما يتحقّق في أن لانحمل شرطاً نشترطه عليه لتحقيق إطاعتنا له عليه السلام. هٰذا من جهة، ومن جهة أخرىٰ أن نمتثل لكلّ شروطه وأوامره امتثالاً كاملاً قائماً علىٰ أساس ذٰلك التسليم التامّ.

والمسألة سهلة يسيرة في الكلام، ولكنّها صعبة مستصعبة في الواقع، وتحتاج إلىٰ مجاهدة كبيرة وتوفيق من الله تبارك وتعالىٰ.

إذ ليس بمقدور الكثيرين ولا باليسير عليهم أن يتخلّوا بسهولة عن مواقع علميّة مثلاً أو اجتماعيّة أو سياسيّة أومادّيّة تمتّعوا في ظلالها طيلة أعمارهم...

إنّ هٰذا المسألة من أمّهات المسائل التي ينبغى الإنتباه إليها في انتظار الإمام عليه السلام!

والمكر اليهوديّ أظهر من كلّ مكر آخر في أسلوب «التخريب من الداخل»، ولليهود تأريخهم الطويل الممتدّ إلىٰ يومنا الحاضر في هٰذا المجال، ولعلّنا لانجانب الصواب إذا قلنا إنّ اليهود لا تأريخ لهم يذكر في مجال التبليغ المباشر بديانتهم، بعكس ما لهم من تأريخ أسود معروف في مجال التخريب علىٰ الآخرين من الداخل، وشواهد هٰذه الحقيقة كثيرة مبثوثة في الحياة الإنسانيّة منذ أيّامهم الأولىٰ وإلىٰ يومنا هٰذا.

وقد حاكىٰ النصارىٰ في التخريب من الداخل منهج اليهود في ذٰلك، ونجحوا نجاحاً كبيراً، وكان لهم تأريخهم الخاصّ في هٰذا المجال أيضاً، وكان ولم‌يزل تأثيرهم بالغاً وخطيراً في حياة المسلمين إلىٰ اليوم.

ظلّ أهل الكتاب يرصدون تطوّر حركة الإسلام في عهد النبيّ صلّى الله عليه وآله وقلوبهم يأكلها الحسد الشديد، ولم‌تكن هٰذه المراقبة مراقبة من كفّ يده عن التدخل والتأثير في مجرىٰ الأحداث، بل مراقبة من يتمنّى الفرصة السانحة للتدخّل من أجل حرف المسيرة الإسلاميّة عن المحجّة البيضاء.

ومع أنّهم كانوا يعتمدون كثيراً ويعوّلون بشكل كبير في تسريب تأثيرهم علىٰ علاقاتهم القديمة الوطيدة بعناصر كثيرة دخلت الإسلام وصارت من الصحابة، إلاّ أنّهم لم‌يكتفوا بذٰلك، بل أدخلوا في الإسلام عناصر (معلومة أسماؤهم)[1] من علمائهم المتمرسين في التخريب الفكريّ والعلميّ، ليشكّلوا فصيلاً من فصائل حركة النفاق داخل المسيرة الإسلاميّة، وليقوم هٰذا الفصيل بتقديم إسناد قويّ مؤثّر لخطّ الإنحراف، والصد عن رسول‌الله صلّى الله عليه وآله، لكنّ أبرز هٰذه العناصر المخرّبة من اليهود كان «كعب الاحبار»، ومن النصارىٰ «تميم الداري»، وجاء بعدهم من

(١) راجع السيرة النبويّة لابن هشام، ٢: ١٧٤ ـ ١٧٧.

تلاميذهم آخرون شكّلوا شبكة خطيرة من مستشاري الخلفاء وكتّابهم وخدمهم وحواشيهم.

ومثيرٌ للعجب أن يدخل كعب الاحبار الإسلام في زمن الخليفة الثاني عمر بن الخطّاب خاصّة دون زمن النبيّ صلى الله عليه وآله وزمن خلافة أبي‌بكر!!، مع أن أستاذه الذي كان يُدعىٰ (أبا السموءل) قد أظهر إسلامه في زمن الخليفة الأوّل أبي‌بكر!![1]

ولمّا سأل العبّاس بن عبدالمطّلب كعب الأحبار عن علّة تأخّر إسلامه إلىٰ وقت عمر! اعتذر بأنّ أباه أخفىٰ عنه حقيقة صفة محمّد صلى الله عليه وآله وأمّته في كتاب ختمه الأب وأمره ألّا يفضّ الختم عنه، حتّىٰ فتحه كعب في زمن الدولة العمريّة فجاء مسلماً!![2] هٰذا مع أنّ التأريخ يقول إنّ كعباً هٰذا كان من أكبر علماء اليهود!!

بدأ كعب الاحبار حياته تحت عنوان الإسلام مقرّباً من الخليفة الثاني، يأنس به ويستشيره ويتأثّر بفكره، ويعود إليه في القضايا التي لاتروقه أجوبة العلماء من الصحابة فيها فيسأله عنها!!

فقد قيل إنّ الخليفة الثاني سأل سلمان رضي الله عنه ذات مرّةٍ قائلاً: «أ ملك أنا أم خليفة!؟» فقال سلمان رضي الله عنه «إن أنت جبيت من أرض المسلمين درهماً أو أقلّ أو أكثر، ثمّ وضعته في غير حقّه فأنت ملك غير خليفة».[3]

وكأنّ الخليفة الثاني لم‌يجد ما يحبّ في إجابة سلمان رضي الله عنه فسأل كعباً الذي يحسن صناعة الإجابات المحبّبة قائلاً: «أنشدك بالله، أتجدني خليفة أم ملكاً؟ قال: «بل خليفة». فاستحلفه عمر، فقال: «خليفة والله من خير الخلفاء، وزمانك خير

---

(١) الجرح والتعديل للرازي، ٩ :٤٣٦، رقم ٢١٨١.

(٢) أضواء علىٰ السنّة محمّديّة: ١٤٨ ـ ١٤٩.

(٣) كنز العمّال، ١٢: ٥٦٧، رقم ٣٥٧٧٧، عن ابن سعد وتاريخ الطبري.

الازمان»!![١]

وقد رافق كعب عمر بن الخطّاب في زيارة القدس بعد فتحها، وفي بيت المقدّس لما أراد الخليفة الثاني أن يصلّي سأل كعباً: «أين ترىٰ أن أصلّي؟»!![٢]

وحينما أراد بناء المسجد سأله أيضاً: «أين ترىٰ أن نجعل المسجد؟»!![٣]

وسأله ذات مرّة: «أخبرنا عن فضائل رسول الله صلى الله عليه وآله قبل مولده!!»[٤]

وسأله في مرّة أخرىٰ: «حدّثني يا كعب عن جنّات عدن؟»!![٥]

وظلّ كعب بعد الخليفة الثاني مستشاراً مقرّبا عند الخليفة الثالث عثمان، يتأذّىٰ لأذاه ويهيج لنصرته...

فقد «روي أنّ عثمان قال يوماً: أيجوز للإمام أن يأخذ من المال فإذا أيسر قضىٰ؟

فقال كعب الأحبار: لا بأس بذلك!

فقال أبو ذر رضي الله عنه: يا ابن اليهوديّين، أتعلّمنا ديننا!؟

فقال عثمان: قد كثر أذاك لي وتولّعك بأصحابي، إلحق بالشام.

فأخرجه إليها».[٦]

---

(١) كنز العمّال، ١٢: ٥٧٤، رقم: ٣٥٧٩٤ عن نعيم بن حمّاد في الفتن.

(٢) كنز العمّال، ١٤: ١٤٣.

(٣) نفس المصدر، ١٤: ١٤٨.

(٤) نفس المصدر، ١٢: ٣٦٤.

(٥) نفس المصدر، ١٢: ٥٦١.

(٦) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ١: ٢٤٠.

وفي الوقت الذي واصل الخليفة الثاني ضرب الحصار الحديديّ علىٰ الأحاديث النبويّة ومنع انتشارها كان قد فتح الباب واسعاً أمام منافقي أهل الكتاب ليدسّوا في أذهان المسلمين ما ليس من عقائد الإسلام المحمّدي الخالص، وذٰلك من خلال القصّ، فراجت بين المسلمين بعض دفائن كتب اليهود والنصارىٰ وكثير من مخترعات ومفتريات القصّاصين أنفسهم ممّا يحرف الأمّة المسلمة عن دينها الحقّ.

ولقد «كان أوّل من قصّ تميم الداري، إستأذن عمر بن الخطّاب أن يقصّ علىٰ الناس قائماً فأذن له عمر!!»[1]

ثمّ عظمت المأساة بدخول كعب ساحة القصّ، وحتّىٰ بعد أن التحق كعب بمعاوية في الشام أمره معاوية بالقصّ في الشام أيضاً، ولكعب تلاميذ من سنخه ولهم تلاميذ كذلك في سلسلة تخريبيّة متواصلة.

لقد تعاظم تأثير القصّ في حياة المسلمين في الوقت الذي حيل بينهم وبين الأحاديث النبويّة حتّىٰ أصبح القصّ الصحيفة اليوميّة الوحيدة التي تؤثر في حياة المسلمين وتصبغ أذهانهم بالصبغة التي تريدها.

ولقد اعتنىٰ الأمويّون عناية فائقة بالقصّ كوسيلة إعلاميّة سياسيّة يرفعهم بها القصّاصون في أعين الناس باختلاق فضائل مكذوبة لهم ولبعض مشاهير الصحابة ممّن مهّد لهم السبيل بعد أن لم يكن لهم فضل يرفعهم علىٰ عهد النبيّ صلّى الله عليه وآله.

وعلىٰ هٰذا الدرب اخترعت الأحاديث الكثيرة، واختلطت الحقيقة بالخيال،

---

(١) الفتح الرباني، ٢٠: ١٤٥.

وتراكم كمٌّ هائل من الموهومات ممّا ابتدعه الوضّاعون واخترعه القصّاصون حتّىٰ صار علىٰ مَرِّ السنين جزءً من التراث الديني الذي يتعبّد به كثير من المسلمين، وصار من الصعب المستصعب علىٰ كثير من المحقّقين أن يمتلكوا الجرأة علىٰ نقد ورفض الغثّ الكثير الذي دخل علىٰ هٰذا التراث رغم ما يقفون عليه من وثائق دامغة تثير الشك في الأذهان أوتسلّط الضوء علىٰ الحقائق المعاكسة.

ولا عجب إذا كان القصّاصون في عهد بني أميّة يذكرون عليّاً وولده عليهم السلام بما يشينهم لإطفاء نورهم وكتم فضائلهم، ذٰلك لأنّ فصيل منافقي أهل الكتاب يرىٰ أنّ غاية وجوده وعلّة تأسيسه هي دعم خطّ الإنحراف عن أهل البيت عليهم السلام، وتكفي نظرة عابرة علىٰ سيرة أمثال كعب الاحبار، وتميم الداري، ووهب بني منبّه، ونافع بن سرجس مولىٰ عبدالله بن عمر، وسرجون مستشار معاوية ويزيد، وأبى زبيد مستشار الوليد بن عقبة، وغيرهم دليلاً علىٰ منهج هٰذا الفصيل.

ومن طريف ما يذكر التأريخ عن ابن عبّاس:

أنّ الخليفة الثاني عمر بن الخطّاب كان قد تبرّم بالخلافة في آخر أيّامه وخاف العجز وضجر من سياسة الرعية فكان لايزال يدعو الله بأن يتوفّاه!.

فقال لكعب الأحبار «!» يوماً وأنا عنده: إنّي قد أحببت أن أعهد إلىٰ من يقوم بهٰذا الأمر، وأظنّ وفاتي قد دنت، فما تقول في عليٍّ؟ أشر عليّ في رأيك، واذكر لي ما تجدونه عندكم فإنّكم تزعمون أنّ أمرنا هٰذا مسطور في كتبكم.

فقال: أمّا من طريق الرأي فإنّه لايصلح، إنّه رجل متين الدين، لايُغضي علىٰ عورة، ولايحلم عن زلّة، ولايعمل باجتهاد رأيه، وليس هٰذا من سياسة الرعية في شئ، وأمّا ما نجده في كتبنا فنجده لايلي الأمر ولا ولده، وإن وليه كان هرج شديد.

قال: وكيف ذاك؟

قال: لأنّه أراق الدماء، ومن أراق الدماء لايلي الملك، إنّ داود لمّا أراد أن يبني حيطان بيت المقدس أوحىٰ الله إليه: إنّك لاتبنيه لأنّك أرقت الدماء، وإنّما يبنيه سليمان.

فقال عمر: أليس بحقٍّ أراقها!؟

قال كعب: وداود بحقٍّ أراقها يا أمير المؤمنين...».[1]

يـا للـمضحك المبكي!!... لقد أراد هٰذا المنافق الكبير أن يشين سيّد الأوصياء عليه السلام فمدحه وهو لايشعر، وكذب علىٰ داود عليه السلام غافلاً عن أنّ الله تبارك وتعالىٰ صرّح بخلافته في قوله:

«يا داود إنّا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحقّ...».[2]

بقي أن نقول: إنّ فصيل منافقي أهل الكتاب كان يقوم بدوره في ظلّ الفصائل الأخرىٰ من حركة النفاق، فقد عمل في ظلّ دور فصيل منافقي أهل المدينة من الأوس والخزرج في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله، وعمل في ظلّ حزب السلطة طيلة عهوده الثلاثة، وعمل في ظلّ الحزب الأمويّ، علىٰ امتداد أيّامه الطويلة، كما عمل في ظلّ الحزب العباسي.

وشواهد هٰذه الحقيقة ظاهرة ومتعدّدة، فإنّ المتأمّل في المؤامرة المعقّدة المتعدّدة الأطراف لقتل الإمام عليّ عليه السلام يجد أثر اليد اليهوديّة قويّاً فيها، وفي رواية أنّ أمير المؤمنين عليّاً عليه السلام قال لولده الحسن عليه السلام بعد أن أصيب في محرابه:

---

(١) شرح نهج البلاغة، ١٢: ١١٥.

(٢) سورة ص: الآية ٢٦.

«قتلني ابن اليهوديّة عبدالرحمٰن بن ملجم المرادي!»[١].

كما لايخفىٰ علىٰ مطّلع دور «سرجون النصراني» مستشار معاوية ويزيد في السياسة الأمويّة وتدبير أمورها، ودوره في التخطيط للقضاء علىٰ ثورة الإمام الحسين عليه السلام أظهر من أن يخفىٰ. وهٰذا المتوكّل العبّاسي يكرب قبر الإمام الحسين عليه السلام علىٰ يد «إبراهيم الديزج» اليهودي بمعونة جمع من اليهود...[٢]

وتخفّىٰ هٰذا الفصيل من فصائل حركة النفاق في ثياب كثير من الطواغيت والحكومات الظالمة التي تعاقبت على الأمّة الإسلاميّة المنكوبة في أكثر أقطارها حتّىٰ يومنا الحاضر، وكان ومايزال لليهود والنصارىٰ أثرهم البالغ في المصائب التي حلّت بأمّتنا الإسلاميّة، فقد كان هٰؤلاء أوّل من بادر إلىٰ إشاعة المظاهر اللاإسلاميّة والمنكرات في مجتمعات المسلمين، وعلىٰ أيديهم أولاً تأسّست وانتشرت الأفكار والأحزاب اللاإسلاميّة الكافرة في عالمنا الإسلامي كالأحزاب الشيوعيّة والإشتراكيّة والقوميّة، كما كان هٰؤلاء أصل ومنشأ الحركات المتطرّفة المحسوبة علىٰ العنوان الإسلامي، والتي كفّرت المسلمين عامّة والشيعة منهم خاصّة.

منافقو أهل المدينة:

ويتشكّل هٰذا الفصيل من منافقي الأوس والخزرج الذين أبت قلوبهم قبول الإسلام لكنّهم أظهروا إسلامهم خوفاً من قوّة الشوكة الإسلاميّة بعد أن أقبل جلّ أهل المدينة من الأوس والخزرج علىٰ الإسلام ودخلوا فيه وأعلنوا عن استعدادهم التامّ للتضحية في سبيله، ورئيس هٰذا الفصيل هو عبدالله بن أُبَيّ بن

(١) بحار الأنوار، ٤٢: ٢٨٥، باب ١٢٧.

(٢) مقاتل الطالبيّين: ٣٩٥ ـ ٣٩٦.

سلول العَوفي

«كان قومه قد نظموا له الخرز ليتوّجوه ثمّ يملّكوه عليهم، فجاءهم الله تعالىٰ برسوله صلى الله عليه وآله وهم علىٰ ذٰلك، فلمّا انصرف قومه عنه إلىٰ الإسلام ضغن، ورأىٰ أن رسول الله صلى الله عليه وآله قد استلبه ملكاً، فلمّا رأىٰ قومه قد أبوا إلاّ الإسلام دخل فيه كارهاً مصرّاً علىٰ نفاق وضغن».[1]

وقد تميّز هٰذا الرجل وفصيله بعلانية القول والعمل ضدّ الإسلام وضدّ الرسول صلى الله عليه وآله، وكان اليهود عامّة ومنافقوا اليهود خاصّة يدعمون هٰذا الفصيل دعماً قويّاً ويسندونه إسناداً مؤثّراً والعكس صحيح أيضاً، فقد ألحّ عبدالله بن أُبيّ علىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله في أن يحسن إلىٰ يهود بني قينقاع بعد انكسارهم أثر محاصرة الرسول صلى الله عليه وآله لهم، إلىٰ درجة أنّه كان قد أدخل يده في درع رسول الله صلى الله عليه وآله (ذات الفضول) ولم يرسله إلىٰ أن أجابه الرسول صلى الله عليه وآله إلىٰ ذٰلك.[2]

كما أنّ اليهود ومنافقيهم كانوا قد انضمّوا في تعبئة الرسول صلى الله عليه وآله لموقعة أُحد إلى القوّة العسكريّة التي شكلها فصيل منافقي أهل المدينة بقيادة عبدالله بن أُبيّ، وقيل إنّ هٰذه القوّة كانت ثلث الجيش الإسلاميّ وتعدادها ثلاثمائة رجل، وكان عبدالله بن أُبيّ قد رجع بهٰذه الكتيبة إلى المدينة قبل القتال تخذيلاً للمسلمين بدعوىٰ **«لو نعلم قتالاً لاتّبعناكم»**[3] وقيل إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله أمرهم بالإنصراف لكفرهم وإنّ عددهم كان ستّمائة رجل.

تقول الرواية:

---

(١) السيرة النبويّة لابن هشام، ٢: ٢٣٤.

(٢) راجع: السيرة النبويّة لابن هشام، ٣: ٥٢.

(٣) سورة آل عمران: الآية ١٦٧.

إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله خرج يوم أُحد، حتّىٰ إذا جاوز ثنيّة الوداع فإذا هو بكتيبة حسناء.

فقال: من هٰؤلاء؟

قالوا: عبدالله بن أُبيّ في ستّمائة من مواليه من اليهود من بني قينقاع.

فقال: وقد أسلموا؟

قالوا: لا، يا رسول‌الله.

قال: مروهم فليرجعوا، فإنّا لانستعين بالمشركين على المشركين».[1]

لقد دأب هٰذا الفصيل من حركة النفاق علىٰ تعويق تقدّم مسيرة الإسلام وتخذيل المسلمين وإيذاء الرسول صلى الله عليه وآله والمكر به لقتله، وكانت غزوات الرسول صلى الله عليه وآله وحروبه شاهدة علىٰ كلّ ذلك، والمتتبّع لأحداث السيرة النبويّة لايجد صعوبة في رؤية هٰذه الحقيقة الظاهرة، لكنّ أعمال ومكائد هٰذا الفصيل لم‌تثمر شيئاً للمنافقين سوىٰ الخيبة والخزي طيلة السنوات العشر التي عاشها الرسول صلى الله عليه وآله في المدينة.

ولقد عامل الرسول صلى الله عليه وآله قائد هٰذا الفصيل وأتباعه وواجه أعمالهم ومكائدهم بما تقتضيه مصلحة الإسلام وحركة تقدّمه إلى الأمام، فكان صلى الله عليه وآله يصبر ويتحمّل ويصفح أو يغلظ ويعاقب حسب ظرف الإسلام ومقتضيات الحكمة الربانية التي لاتخطئ.

وكانت لهٰذا الفصيل ولقائده عبدالله بن أُبيّ علاقات حسنة خفيّة بفصائل النفاق الأخرىٰ، وقد يكتشف المتتبّع هٰذه العلاقات في الربط بين دلالات بعض

---

(١) وفاء الوفاء، ١: ٢٠٢؛ ومغازي الواقدي، ١: ٢١٥.

الروايات وقراءة ما وراء السطور فيها، ففي موقعة أحد مثلاً لمّا شاع بين الناس أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قد قُتل قال بعض الذين استزلّهم الشيطان ففرّوا يُصعدون ولايلوون علىٰ أحد: «ليت لنا رسولاً إلىٰ عبدالله بن أُبيّ ليأخذ لنا أماناً من أبي‌سفيان، يا قوم إنّ محمّداً قد قتل فارجعوا إلىٰ قومكم قبل أن يأتوكم فيقتلوكم».[١]

وقال بعضهم: «لو كان نبيّاً ما قتل فارجعوا إلىٰ دينكم الأوّل»،[٢]

وقال آخرون: «نلقي إليهم بأيدينا فإنّهم قومنا وبنو عمّنا».[٣]

قال صاحب كتاب السيرة الحلبيّة: «وهٰذا يدلّ علىٰ أنّ هٰذه الفرقة ليست من الأنصار بل من المهاجرين».[٤]

ولا شك أنّ هٰذه المتون تشير إلىٰ أنّ هناك علاقة غير ظاهرة بين منافقي قريش هٰؤلاء وبين عبدالله بن أُبيّ بن سلول وبين أبي‌سفيان رأس الكفر في مواجهة الإسلام والذي تحوّل بعد ذٰلك إلىٰ رأس النفاق الأمويّ «وكان كهفاً للمنافقين»[٥] ولا شك أنّ قيادة حزب السلطة كانت ممّن رقىٰ صخرة الجبل فراراً، تثبت هٰذا أدلّة تأريخيّة خاصّة،[٦] ويؤكّد ذٰلك أيضاً أنّ من الثابت تأريخيّاً أنّ جميع المهاجرين سوىٰ أمير المؤمنين عليّ عليه السلام كانوا قد فرّوا عن رسول‌الله صلى الله عليه وآله في أُحد، وفي الأثر أنّ أنس بن النضر قبل استشهاده في تلك المعركة استنهض

---

(١) السيرة الحلبيّة، ٢: ٢٤٠.

(٢) نفس المصدر.

(٣) نفس المصدر.

(٤) نفس المصدر.

(٥) النّزاع والتّخاصم للمقريزي: ٤٣.

(٦) راجع: الصحيح من سيرة النبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله، ٤: ٢٤١ - ٢٥٠.

الخليفة عمر بن الخطّاب مع آخرين من الفارّين الذين ألقوا بأيديهم، ودعاهم إلى الجهاد والشهادة فلم ينهضوا.

تقول الرواية:

«إنتهىٰ أنس بن النضر، عمّ أنس بن مالك، إلىٰ عمر بن الخطّاب وطلحة بن عبيدالله في رجال من المهاجرين والأنصار وقد ألقوا بأيديهم.

فقال: ما يجلسكم!؟

قالوا: قتل رسول الله صلى الله عليه وآله.

قال: فماذا تصنعون بالحياة بعده!؟ قوموا فموتوا علىٰ ما مات عليه رسول الله صلى الله عليه وآله.

ثمّ استقبل القوم فقاتل حتّىٰ قتل...»[1].

والرواية مشعرة بأنّهم لم ينهضوا معه!

إنّ الإنقلاب على الأعقاب الناشئ عن الإرتياب بنبوّة النبيّ صلى الله عليه وآله لم ينحصر وقوعه من بعض الصحابة في موقعة أُحد فقط، بل كان يتكرّر عند كلّ شدّة أو انكسار وعند جريان الرياح بما لا تشتهي الأمنيّة، هٰذا الخليفة الثاني عمر بن الخطّاب أيضاً يحدّثنا عن تكرّر حالة الإرتياب هٰذه عنده يوم الحديبيّة ولكن بصورة أشدّ إذ دعته إلىٰ التفكير بالتمرّد علىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله والخروج عليه، فيقول: «ارتبت ارتياباً لم أرتبه منذ أسلمت إلّا يومئذٍ، ولو وجدت ذٰلك اليوم شيعة تخرج عنهم رغبة عن القضيّة لخرجت!!»[2].

---

(١) السيرة النبويّة لابن هشام، ٣: ٨٨.

(٢) مغازي الواقدي، ٢: ٦٠٧.

ومن المضحك المبكي أنّ هٰذه المزايدات من هؤلاء الصحابة كانت لاتظهر إلاّ إذا ذهب الخوف وأمن الروع حيث تنشط الألسنة الحداد، وكان رسول الله ﷺ إذا ضاق ذرعاً بمزايداتهم الكاذبة وأراد أن يسكتهم ذكّرهم بجبنهم كما فعل يوم الحديبيّة إذ قال لهم:

«أنسيتم يوم أُحدٍ إذ تصعدون ولاتلوون علىٰ أَحَد، وأنا أدعوكم في أُخراكم!؟ أنسيتم يوم الأحزاب إذ جاؤكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر!؟ أنسيتم يوم كذا!؟...».[1]

الحزب الأمويّ:

كان فتح مكّة المكرّمة منعطفاً من منعطفات تأريخ الإسلام الرئيسة، فقد تحوّل المسلمون بعده من عصابة ثائرة إلىٰ قوّة مركزيّة قاهرة ودولة ظافرة ظاهرة، وتحوّل المشركون بعده من تجمّع مركزيّ مؤثّر في الأحداث إلىٰ شتات ضعيف فاشل.

وكان قد أدرك دهاة النفعيّين من قريش هٰذه النتيجة قبل حصولها بأشهر، أمثال عمرو بن العاص وخالد بن الوليد فدخلوا في الإسلام حين أيقنوا أنّه لابدّ من الدخول فيه.

أما الأمويّون فقد أصرّت غالبيتهم على المكابرة والعناد حتّىٰ حلّت بساحتهم رايات الفتح الإسلامي، فكانوا من الطلقاء.

دخل الأمويّون الإسلام مقهورين بالفتح، وقلوبهم تتجرّع الإسلام ولاتكاد تسيغه،وحقيقة نفاقهم وإصرارهم على الكفر من حقائق التأريخ التي لايشك

(١) مغازي الواقدي، ٢: ٦٠٩.

منصف في ثبوتها، وشواهد هٰذه الحقيقة أمنع في ظهورها من أن تخضع لتأويلات يتكلّفها مجانبو الحقيقة وأعداء الحقّ.

هاهو أبوسفيان يدخل علىٰ عثمان حين صارت الخلافة إليه فيقول له:

«صارت إليك بعد تيم وعدي فأدرها كالكرة، وأجعل أوتادها بني أميّة، فإنّما هو الملك ولاأدري ما جنّة ولا نار».[١]

وهاهو معاوية يخلو به المغيرة بن شعبة فيقول له بعد أن استقامت الأمور لمعاوية:

«إنّك قد بلغت مناك يا أميرالمؤمنين، فلو أظهرت عدلاً وبسطت خيراً، فإنّك قد كبرت، ولو نظرت إلىٰ إخوتك من بني هاشم فوصلت أرحامهم، فوالله ما عندهم اليوم شيً تخافه...».[٢]

فيثور معاوية ويكشف عن كفره وجاهليّته قائلاً:

«هيهات، هيهات، ملك أخو تيم فعدل، وفعل ما فعل، فوالله ما عدا أن هلك فهلك ذكره، إلاّ أن يقول قائل أبوبكر، ثمّ ملك أخو عديّ فاجتهد وشمّر عشر سنين، فوالله ما عدا أن هلك فهلك ذكره، إلاّ أن يقول قائل عمر، ثمّ ملك أخونا عثمان فملك رجل لم يكن أحد في مثل نسبه، فعمل ما عمل (وعمل به)، فوالله ماعدا أن هلك فهلك ذكره، وذكر ما فعل به، وإنّ أخا هاشم يُصرخ به في كلّ يوم خمس مرّات: أشهد أنّ محمّداً رسول الله صلّى الله عليه وآله، فأيّ عمل يبقىٰ بعد هٰذا لا أمّ لك؟ والله إلاّ دفناً دفناً...».[٣]

---

(١) النزاع والتخاصم: ٤٤.

(٢) مروج الذهب، ٤: ٤١؛ وشرح نهج البلاغة، ٥: ٤٦٣ بتفاوت يسير.

(٣) مروج الذهب، ٤: ٤١؛ وشرح نهج البلاغة، ٥: ٤٦٣ بتفاوت يسير.

وهاهو يزيد يصرّح بكفره وكفر آبائه ومعبّراً عن تشفّيه بقتل سيّدالشهداءعليه السلام في تمثّله بأبيات ابن الزبعرى:

ليت أشياخي ببدر شهدوا ... جزع الخزرج من وقع الأسل

لأهلّوا واستهلّوا فرحاً ... ثمّ قالوا يا يزيد لاتشل

قد قتلنا القوم من ساداتهم ... وعدلناه ببدر فاعتدل

لعبت الهاشم بالملك فلا ... خبر جاء ولا وحي نزل[1]

دخل الأمويّون الإسلام مقهورين بالفتح، وأعينهم تراقب مجرىٰ حركة الأحداث لعلّ الأمر بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ينحرف عن مساره المرسوم فيرجع القهقرىٰ، ويتجدّد لهم الأمل والرجاء في أن يعود لهم سابق شأنهم في الجاهليّة. فيمتطون صهوة الزعامة من جديد ولكن بثوبها الإسلامي، وقد عبّر أبوسفيان عن هٰذا الرجاء في محضر عثمان قائلاً: «يا بني أميّة، تلقّفوها تلقّف الكرة، فوالذي يحلف به أبوسفيان مازلت أرجوها لكم ولتصيرنّ إلىٰ صبيانكم وراثة»،[2] وفي نصّ آخر: «يا معشر بني أميّة، إنّ الخلافة صارت في تيم وعدي حتّىٰ طمعت فيها، وقد صارت إليكم، فتلقّفوها بينكم تلقّف الكرة، فوالله ما من جنّة ولا نار».[3]

يقول عبدالله العلايلي في كتابه (الإمام الحسين عليه السلام):

«وفي قوله (ما زلت أرجوها لكم) ما يشعرنا بأنّ الحزب الأمويّ كان موجوداً من قبل، وكان يعمل تحت ستر الخفاء، ويحيك في الظلماء، وإلاّ

---

(١) اللهوف: ٧٩.

(٢) مروج الذهب، ٢: ٣٥١ ـ ٣٥٢.

(٣) الأغاني، ٦: ٣٥٦ (ذكر أبي سفيان وخبره ونسبه).

فبأيّ سبب كان يرجوها لهم؟ وليسوا بأهل سابقة في الإسلام ولا أيادي لهم معروفة سوىٰ المظاهرة ضدّ الله ورسوله».[1]

ولا شك أنّ التفاتة العلايلي في أنّ الحزب الأمويّ كان موجوداً من قبل هي التفاتة في محلّها، لكنّ تساؤله عن سبب رجاء أبي‌سفيان في أن تكون الخلافة لبني أميّة تساؤل في غير محلّه، ذلك لأنّ اغتصاب الخلافة من أهلها المنصوص عليهم ودفعهم عن مقامهم وصيرورتها في (أقلّ حيين) من قريش ـ علىٰ حدّ تعبير أبي‌سفيان نفسه ـ هوالذي أطمع الأمويّين فيها، وقد صرّح أبوسفيان بهذا السبب (إنّ الخلافة صارت في تيم وعدي حتّىٰ طمعت فيها)، وذلك لأنّ الأمويّين يرون أنفسهم أشرف عشيرة وأعزّ نفراً وأكثر علماً وخبرةً ودهاءً من الأوّل والثاني، فلماذا لايطمعون بها وقد تهافت أمرها وتدانىٰ شأنها!؟

دخل الأمويّون الإسلام ظاهراً بعقليّة (الحزب)، وتحسّسوا في البدء من الفصائل الأخرىٰ المماثلة التي تعمل في دائرة الصد عن رسول‌الله صلّى الله عليه وآله ليقيموا معها أواصر التعاون في ظلال الهويّة الإسلاميّة الساترة بعد ما كانوا قد تعاونوا معها وهم تحت راية الكفر السافرة.[2]

وقد يسّرت العلاقات القديمة سبل التعاون الجديدة بين الحزب الأمويّ وفصائل النفاق الأخرىٰ، وقد يصعب على المتتبّع أن يعثر علىٰ دلائل كاشفة عن التعاون الجديد بين الأمويّين بعد الفتح وبين فصائل النفاق الأخرىٰ إلىٰ وقت

(١) كتاب الإمام الحسين عليه السلام: ٣٠.

(٢) لولا مخافة الخروج عن غرض هٰذه المقالة لأوردنا دلائل متعدّدة علىٰ هٰذا التعاون القديم بين الأمويّين وفصائل النفاق الأخرىٰ، لكنّنا ننصح بقراءة الكتاب القيّم (الصحيح من سيرة النبيّ الاعظم صلّى الله عليه وآله) لمعرفة مواقع هٰذا التعاون القديم.

رحلة النبيّ الأكرمﷺ، اللّهم إلاّ بعض الاشارات الكاشفة عن حالة نفسيّة مساعدة في اتّجاه التعاون كمثل هٰذا الرواية التي رواها مسلم:

«أنّ أبا سفيان أتىٰ علىٰ سلمان وصهيب وبلال في نفر

فقالوا: والله ما أخذت سيوف الله من عنق عدوّالله مأخذها!

فقال أبوبكر: أتقولون هٰذا لشيخ قريش وسيّدهم!؟

فأتىٰ النبيّﷺ فأخبره.

فقال: يا أبابكر، لعلّك أغضبتهم؟ لئن كنت أغضبتهم لقد أغضبت ربّك...».[١]

لكنّ المتتبّع لايجد صعوبة تذكر في العثور علىٰ دلائل التعاون الجديد بعد أن استقرّت نتائج السقيفة لصالح حركة النفاق، وهٰذه الدلائل كثيرة جدّاً، ولايقدح فيها الموقف المؤقّت الذي وقفه أبوسفيان في طلبه من أمير المؤمنين عليّعليه السلام في أن يمدّ يده ليبايعه، وفي تنكّره بادئ ذي بدء لنتائج السقيفة. فإنّ هٰذا الموقف أملته علىٰ أبي سفيان أمنيّته المكبوتة في أن يبطش بالإسلام البطشة الكبرىٰ بعد رحلة الرسولﷺ مباشرة من خلال إيقاع الإقتتال بين المسلمين علىٰ الخلافة وإسقاط الدولة الإسلاميّة وإعادة الناس إلىٰ الجاهليّة وإلىٰ قريش بزعاماتها السابقة، ولم تخف نيّة أبي سفيان في موقفه هٰذا علىٰ أمير المؤمنين عليّعليه السلام فنهره وأغلظ له قائلاً: «والله إنّك ما أردت بهٰذا إلاّ الفتنة، وإنّك والله طالما بغيت للإسلام شراً...».[٢]

لقد كان الصحابة كلّهم أو جلّهم يعلمون أنّ بني أميّة هم الشجرة الملعونة في

(١) صحيح مسلم (بشرح النووي)، المجلّد الثامن، الجزء ١٦: ٦٦ (فضائل سلمان وبلال وصهيب).

(٢) الكامل في التأريخ، ٢: ٣٢٦.

القرآن، ذلك ممّا علّمهم رسول الله صلى الله عليه وآله وصرّح به،[١] وهذه المعلومة جزء من معلومات ملفّ الملاحم والفتن المقبلة التي كشف عنها الرسول صلى الله عليه وآله كشفاً تامّاً للأمّة إقامة للحجّة عليها في تشخيص المحجّة البيضاء ومعرفة خلفائه من بعده، يقول حذيفة بن اليمان رضي الله عنه «والله ما أدري أنسي أصحابي أم تناسوا!؟ والله ما ترك رسول الله صلى الله عليه وآله من قائد فتنة إلى أن تنقضي الدنيا يبلغ من معه ثلثمائة فصاعداً إلاّ قد سمّاه لنا باسمه واسم أبيه واسم قبيلته».[٢]

إذن فقيادة حزب السلطة وهي من الصحابة كانت تعلم جيّداً من هم بنو أميّة، ومن الأدلّة على ذلك أيضاً أنّ:

«الخليفة الثاني عمر لمّا سأل كعب الأحبار اليهوديّ عمّا يجدونه في كتبهم في قضيّة (إلى من يفضي الأمر؟) قال كعب الأحبار: نجده ينتقل بعد صاحب الشريعة والإثنين من أصحابه إلى أعدائه الذين حاربهم و حاربوه وحاربهم على الدين. فاسترجع عمر مراراً وقال: أتسمع يا ابن عبّاس؟ أما والله لقد سمعت من رسول الله ما يشابه هذا، سمعته يقول: ليصعدنّ بنو أميّة على منبري، لقد أريتهم في منامي ينزون عليه نزو القردة، وفيهم أُنزل: «**وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلاّ فتنة للناس والشجرة الملعونة في القرآن**».[٣]

«وقد روى الزبير بن بكّار في الموفقيّات ما يناسب هذا عن المغيرة بن شعبة، قال: قال لي عمر يوماً: يا مغيرة هل أبصرت بهذه عينك العوراء منذ

---

(١) وقد رويت هذه الحقيقة بطرق عديدة عن عدّة من الصحابة عن رسول الله صلى الله عليه وآله، راجع الميزان في تفسير القرآن، ١٣: ١٤٨ ـ ١٤٩.

(٢) سنن أبي داود، ٤: ٩٥، حديث ٤٢٤٣.

(٣) شرح نهج البلاغة، ١٢: ١١٥.

أُصيبت؟ قلت: لا. قال: أما والله ليعورنّ بنو أميّة الإسلام كما أعورت عينك هٰذه، ثمّ ليعمينّه حتّىٰ لايدري أين يذهب ولا أين يجئ...».[1]

لكنّ قيادة حزب السلطة مع كلّ هٰذه الدراية كانت قد تعاونت مع الحزب الأمويّ تعاوناً وثيقاً في إطار علاقة صميميّة أساسها الصد عن رسول الله صلى الله عليه وآله.

وملفتٌ للإنتباه «أنّ أكثريّة الأمراء والولاة كانوا من بني أميّة في أزمان أبي بكر وعمر وعثمان»،[2] في الوقت الذي منعت قيادة حزب السلطة الهاشميّين منعاً باتاً من تسلّم أيّ مسؤوليّة من إمارة أو ولاية أو دون ذٰلك، ويعلّل عمر لابن عبّاس هٰذا الموقف المتشدّد في منع الهاشميّين من ذٰلك بأنّ الهاشميّين إذا ما تولّوا منصباً في إدارة شؤون الأمّة دعوا الناس إلىٰ الإلتفاف حول أهل الخلافة الحقيقيّين من بني هاشم وبصّروا الناس بأهل الصدّ عن رسول الله صلى الله عليه وآله، وهٰذا ما لايمكن أن تسمح به قيادة حزب السلطة أبداً.

يقول عمر مخاطباً ابن عبّاس في هٰذه المسألة:

«يابن عبّاس، إنّ عامل حمص هلك، وكان من أهل الخير، وأهل الخير قليل، وقد رجوت أن تكون منهم، وفي نفسي منك شئ لم أره منك، وأعياني ذٰلك، فما رأيك في العمل؟

قال: لن أعمل حتّىٰ تخبرني بالذي في نفسك.

قال: وما تريد إلىٰ ذٰلك؟

قال: أريده فإن كان شئ أخاف منه إلىٰ نفسي خشيتُ منه عليها الذي

---

(١) شرح نهج البلاغة، ١٢: ١١٥.

(٢) الإمام الحسين عليه السلام: ١٩٢.

خشيتَ، وإن كنت بريئاً من مثله علمت أنّي لست من أهله، فقبلت عملك هنالك، فإنّي قلّما رأيتك طلبت شيئاً إلاّ عاجلته.

فقال: يا ابن عبّاس، إنّي خشيتُ أن يأتي عليٌّ الذي هو آت وأنت في عملك فتقول: هلمّ إلينا، ولاهلمّ إليكم دون غيركم...».[١]

فالخليفة الثاني إذن لايأبىٰ فقط أن تعود الخلافة إلىٰ أهلها المنصوص عليهم من قبل الله تبارك وتعالىٰ، بل يأبىٰ حتّىٰ أن يتمكّن الهاشميّون من الدعوة إلىٰ أنفسهم ولو بعد موته. هٰذا في الوقت الذي سعىٰ حزب السلطة منذ أوائل أيّام تسلّمهم الحكم إلىٰ تمهيد الأمور للحزب الأمويّ ليتسلّم زمام الأمور بعد قيادة حزب السلطة، لأنّ هٰذه القيادة رأت في الأمويّين امتدادها الفكري والعملي، والضمانة الأكيدة في استمرار وجود قوّة حاقدة علىٰ أهل البيت عليهم السلام، تواصل مواجهتهم وعزلهم وحرمانهم من حقّهم في التصدي لأمور المسلمين.

فبعد أن استقرّت نتيجة السقيفة لحزب السلطة، كانت ظاهرة استمالة هٰذا الحزب للأمويّين علىٰ صعيد التعاون الجديد معهم في المواجهة السافرة مع أهل البيت عليهم السلام من الظواهر الواضحة في تأريخ المسلمين بعد الرسول صلى الله عليه وآله.

وتكفي دليلاً علىٰ هٰذه الحقيقة العلاقة الخاصّة جدّاً بين الخليفة الثاني عمر بن الخطّاب ومعاوية بن أبيسفيان الطليق الذي لعنه الرسول صلى الله عليه وآله مراراً علىٰ رؤوس الأشهاد، وأمر المسلمين بقتله إذا رأوه علىٰ منبره.[٢]

كانت للخليفة الثاني خلوات بمعاوية منذ أوائل الأيّام...

---

(١) مروج الذهب، ٢: ٣٣٠.

(٢) راجع: كتاب الغدير، ١: ١٤٢ ـ ١٤٥.

يحدّثنا التأريخ بواقعة من وقائع طفولة الإمام الحسين عليه السلام في أوائل أيّام حكم عمر بن الخطّاب عن لسان الإمام الحسين عليه السلام أنّه قال:

«صعدتُ إلىٰ عمر بن الخطّاب، فقلت له: إنزل عن منبر أبي واصعد منبر أبيك! قال: فقال: إنّ أبي لم‌يكن له منبر. قال فأقعدني معه، فلمّا نزل ذهب بي إلىٰ منزله، فقال لي: أي بنيّ، من علّمك هٰذا؟ قال: قلت: ما علّمنيه أحد! قال: أي بنيّ لو جعلت تأتينا وتغشانا؟ قال: فجئت يوماً وهو خال بمعاوية!! وابن عمر بالباب ولم‌يأذن له، فرجعتُ، فلقيني بعدُ فقال لي: يا بنيّ لم‌أرك تأتينا؟ فقلت: قد جئت وأنت خال بمعاوية، فرأيت ابن عمر رجع فرجعتُ. فقال: أنت أحقّ بالإذن من عبدالله بن عمر، إنّما أنبت في رؤوسنا ما نرىٰ الله ثمّ أنتم!!...».[1]

وذُكر معاوية عند عمر فقال:

«دعوا فتىٰ قريش وابن سيّدها!! إنّه لمن يضحك في الغضب ولاينال منه الاّ علىٰ الرضا، ومن لايأخذ من فوق رأسه إلاّ من تحت قدميه».[2]

يقول هٰذا فيمن لعنه رسول‌الله صلى الله عليه وآله ولعن أباه ولعن ابنه!

وكان معاوية يتذلّل لعمر ويتملّقه، وإذا جاوز رضاه في قضيّة من القضايا خاطبه بلسان المتذلّل الخاضع:

«يا أميرالمؤمنين، علّمني أمتثل.»[3]

---

(١) تأريخ ابن عساكر (ترجمة الإمام الحسين عليه السلام): ١٤١، حديث ١٧٩.

(٢) البداية والنهاية، ٨: ١٣٣.

(٣) البداية والنهاية، ٨: ١٣٤.

ومعاوية في ذلك إنّما يمثّل الدور الذي رسمه له أبوه أبوسفيان ـ منظّر الحزب الأمويّ ـ حين أوصاه قائلاً:

«يا بُنيّ إنّ هؤلاء الرهط من المهاجرين سبقونا وتأخّرنا... فصاروا قادة وسادة، وصرنا أتباعاً، وقد ولّوك جسيماً من أمورهم فلاتخالفهم، فإنّك تجري إلىٰ أمد فنافس فإن بلغته أورثته عقبك».[١]

والأمويّون لايتردّدون في الاعتراف بأنّهم امتداد لحزب السلطة، بل هم يحاجّون من يُنكر عليهم قبائحهم ممّن هم من نسل أبي‌بكر أو عمر بأنّ الأوليين إن كانا قد أحسنا فإنّا احتذينا بهما! وإن كانا قد أساءا فهما أولىٰ بالذم والمعابة!

يقول معاوية في رسالة جوابيّة بعث بها إلىٰ محمّد بن أبي‌بكر رضي الله عنه:

«...وقد كنّا وأبوك معنا في حياة نبيّنا صلّى الله عليه، نرىٰ حقّ ابن أبي طالب لازماً لنا، وفضله مبرّزاً علينا، فلمّا اختار الله لنبيّه صلّى الله عليه وسلّم ما عنده، وأتمّ له ما وعده، وأظهر دعوته وأفلج حجّته، قبضه الله إليه، فكان أبوك وفاروقه أوّل من ابتزّه وخالفه، علىٰ ذلك اتّفقا واتّسقا... فخذ حذرك يا ابن أبي بكر، فسترىٰ وبال أمرك، وقِسْ شبرك بفترك، تقصر عن أن تساوي أو توازي من يزن الجبال حلمه، ولاتلين علىٰ قسر قناته، ولايدرك ذومدى أناته، أبوك مهّد مهاده، وبنىٰ ملكه وشاده، فإن‌يكن ما نحن فيه صواباً فأبوك أوّله، وإن يك جوراً فأبوك أسّسه، ونحن شركاؤه، وبهديه أخذنا، وبفعله اقتدينا، ولولا ما سبقنا إليه أبوك ماخالفنا ابن أبي‌طالب وأسلمنا له، ولكنّا رأينا أباك فعل ذلك فاحتذينا بمثاله، واقتدينا بفعاله،

---

(١) البداية والنهاية، ٨: ١٢٦.

فَعِب أباك ما بدا لك أودع...».[١]

ولمّا قتل الحسين عليه السلام كتب عبدالله بن عمر إلىٰ يزيد بن معاوية:

«أمّا بعد، فقد عظمت الرزيّة وجلّت المصيبة، وحدث في الإسلام حدث عظيم، ولا يوم كيوم قتل الحسين!»

فكتب إليه يزيد:

«أمّا بعد يا أحمق، فإنّا جئنا إلىٰ بيوت مجدّدة وفرش ممهّدة ووسادة منضّدة، فقاتلنا عنها، فإن يكن الحقّ لنا فعن حقّنا قاتلنا، وإن كان الحقّ لغيرنا فأبوك أوّل من سنّ هٰذا واستأثر بالحقّ علىٰ أهله!».[٢]

أمّا علاقة الحزب الأمويّ بفصيل منافقي أهل المدينة فيمكن أن نتحسّس جذورها في موقعة أحد لمّا تمنّىٰ الفارّون من أصحاب صخرة الجبل ـ وفيهم قيادة حزب السلطة طبعاً ـ أن يجدوا رسولاً إلىٰ عبدالله بن أُبيّ بن سلول ليتوسّط لهم عند أبي‌سفيان في العفو عنهم، الأمر الذي يكشف عن العلاقة الخاصّة بين ابن سلول وأبي‌سفيان آنذاك.

وأمّا علاقة الحزب الأمويّ بفصيل منافقي أهل الكتاب فأوضح من أن تحتاج إلىٰ بيان، وذٰلك لأنّ بطانة السوء التي اتّخذها الأمويّون من منافقي اليهود والنصارىٰ من ظواهر التأريخ الأمويّ التي لاتخفىٰ علىٰ من له أدنىٰ معرفة بهٰذا التأريخ، ويكفي ذكر هٰذه الاسماء: كعب الأحبار، نافع بن سرجس، سرجون، ابن أثال، أبوزبيد، دليلاً علىٰ ذٰلك.

---

(١) وقعة صفّين: ١٢٠ ـ ١٢١.

(٢) نهج الحق: ٣٥٦.

ويفوق الحزب الأمويّ كلّ فصائل حركة النفاق في مستوىٰ الأضرار الشديدة التي ألحقها بالإسلام والمسلمين، فكريّاً وعمليّاً، كمّاً وكيفاً، تلك الأضرار التي لازال العدد الكبير من المسلمين إلىٰ اليوم تحت تأثير عوالقها التي أُلصقت بالإسلام وهي ليست منه، بل هي ممّا ابتدعه الأمويّون علىٰ صعيد الحديث والفقه والتفسير والتأريخ.

ومع هٰذا فإنّ الحزب الأمويّ يبقىٰ فيما استطاع أن يصل إليه من التحكّم في رقاب هٰذه الأمّة وتشويه نظريّتها وتأريخها وتدمير حياتها ناتجاً من نواتج حزب السلطة وسيّئة من سيّئاته إلىٰ يوم القيامة.

منافقون نفعيّون:

بقي أن نقول: إنّ في دائرة النفاق أفراداً لم‌يشكّل وجودهم فصيلاً ذا خطّ محدّد مُلتزَم، بل كانت مطامعهم الدنيويّة ترسم اتّجاه مواقفهم المتذبذبة في السخط والرضا، أمثال: عمرو بن العاص، وخالد بن الوليد، والمغيرة بن شعبة، وأبي موسىٰ الأشعري، وسمرة بن جندب، وأبي هريرة وغيرهم.

والدنيا التي يريدها هٰؤلاء ويطمعون بها لايجدونها في صفّ عليّ وآل عليّ عليهم السلام، من هنا فإنّ هٰؤلاء عموماً لم‌يخرجوا طيلة حياتهم عن خطّ خدمة حزب السلطة أو الحزب الأمويّ، ولذا لم‌نفصّل القول في قراءة مواقف هٰؤلاء النفعيّين في هٰذه المقالة.

□ المنعطفات الأساسيّة ونتائجها

السقيفة:

يهمّنا من السقيفة هنا نتائجها، غير أنّ من الجدير بالذكر أن ننبّه قبل ذٰلك إلىٰ

أنّ هناك دلائل تأريخيّة تشير إلىٰ أنّ مؤتمر السقيفة لم يكن قد انعقد انعقاداً عفويّاً كما تصوّر ذٰلك أكثر كتب التأريخ، بل تشير هٰذه الدلائل إلىٰ أنّ حزب السلطة نفسه كان قد خطّط لعقد مؤتمر كهٰذا تخطيطاً دقيقاً بطريقة «التحفيز والإثارة»، وقد أعدّت قيادة هٰذا الحزب ما يمكّنها لتكون هي الفائزة فيه. ومن الدلائل علىٰ ذٰلك:

□: «كان عامّة المهاجرين وجلّ الأنصار لا يشكّون أنّ عليّاً هو صاحب الأمر بعد رسول الله صلى الله عليه وآله»،[١] وذٰلك لقرب عهدهم بواقعة الغدير وببيان النبيّ صلى الله عليه وآله فيها، الذي نصب فيه عليّاً وليّاً للأمر من بعده، والبيانات النبويّة الأخرىٰ الكثيرة المماثلة التي كانت لا تزال حيّة في ذاكرة المهاجرين والأنصار خاصّة والأمّة عامّة، لكنّ إنتشار نبأ مواجهة قيادة حزب السلطة لرسول الله صلى الله عليه وآله علناً في مرضه قبيل موته، وصدّه عن كتابة بيانه الأخير المانع من الضلال والإختلاف، واتّهامه بالهجر، كان قد أشعر الناس عمليّاً بأنّ هناك احتمالاً قويّاً لوقوع انقلاب علىٰ الشرعية الإلٰهيّة سوف ينفّذ مباشرة بعد موت رسول الله صلى الله عليه وآله، وأنّ قريشاً سوف تمنع أهل البيت عليهم السلام عن حقّهم في الأمر، فكان هٰذا أوّل الحوافز التي دفعت الأنصار للتفكير بكيفيّة مواجهة الحالة الجديدة.

□: كان حزب السلطة قد اخترق الأنصار فضمّ إليه جماعة منهم، وجعل من بعضهم جواسيس وعيوناً له ترصد اتّجاه تفكير الأنصار ورأيهم وطريقة تحرّكهم ومواقيتها، الأمر الذي ساعد حزب السلطة كثيراً في بثّ المحفّزات المطلوبة لتحريك عقليّة الأنصار بالإتّجاه الذي يريده.

فأُسَيد بن حضير الذي تحدّثت عنه وسائل إعلام حزب السلطة علىٰ أنّه سيّد الأوس، كان من أعوان قيادة هٰذا الحزب المقرّبين، وقد تفانىٰ في خدمتهم، وكان

---

(١) شرح نهج البلاغة، ٦: ٨ عن موفّقيّات الزبير بن بكّار.

ممّن اشترك مع عمر في مهمّة إحراق بيت فاطمةعليها السلام وإخراج عليّعليه السلام كرهاً من بيته للبيعة بالقوّة.

ومعاذ بن جبل الذي كان عضواً كبيراً من اعضاء حزب السلطة وشريكاً لقيادة هٰذا الحزب في التوقيع علىٰ الصحيفة السريّة التي أبرموا أمرها في مكّة، وتعاهدوا فيها علىٰ عزل عليّعليه السلام عن الخلافة إذا مات النبيّصلى الله عليه وآله.

وبشير بن سعد الخزرجي، الذي كان يبغض عليّاًعليه السلام فتعاون مع حزب السلطة، وحسد سعد بن عبادة ونفس عليه منزلته في الأنصار فكان أوّل من بادر من الأنصار فبايع أبابكر في السقيفة.

وعويم بن ساعدة الذي آخىٰ الرسولصلى الله عليه وآله بينه وبين عمر في المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، كان هو ومعن بن عديّ الأنصاري من جواسيس وعيون قيادة حزب السلطة لمراقبة الأنصار ورصد تحرّكاتهم، وهما اللذان أفسدا علىٰ سعد بن عبادة أمره في السقيفة وأشاعا الوهن في نفوس الأنصار حين خاطبهم عويم قائلاً: «يا معشر الخزرج إن كان هٰذا الأمر فيكم دون قريش فعرّفونا ذٰلك وبرهنوا حتّىٰ نبايعكم عليه، وإن كان لهم دونكم فسلّموا إليهم...»،[1] وهما اللذان أسرعا إلىٰ أبيبكر وعمر بخبر انعقاد السقيفة ليحضراها ومن معهما في الوقت المحدّد «وكان معن بن عديّ يشخّصهما إشخاصاً ويسوقهما سوقاً عنيفاً إلىٰ السقيفة مبادرة إلىٰ الأمر قبل فواته».[2]

بأمثال هٰؤلاء من الأنصار استطاعت قيادة حزب السلطة أن تدبّر تنفيذ خطّتها

(١) شرح نهج البلاغة، ٦: ٨.

(٢) شرح نهج البلاغة، ٦: ٨ عن المدائني والواقدي.

جيّداً لتوقع الأنصار في فخّ مصيدتها.[١]

□: «توفّي رسول الله صلى الله عليه وآله وأبوبكر بالسنح وعمر حاضر»،[٢] وقد صدر نبأ موته صلى الله عليه وآله عن بيته، فلوكان ثمّة احتمال أن يصدر عن بيته الشريف مثل هٰذا النبأ كذباً أو خطأً!! فإنّ بإمكان عمر أن يتيقّن من موته صلى الله عليه وآله كما فعل أبوبكر حينما جاء من السنح حيث كشف عن وجه رسول الله صلى الله عليه وآله فتيقّن، وبهٰذا يكون عمر قد قطع الشك باليقين كما يفعل أيّ عاقل في مثل هٰذا الحال، لكنّ عمر وهو ينتظر مجيء أبي‌بكر علىٰ أحرّ من الجمر ظلّ يذهل الناس عن أيّ تفكير أو تحرّك وهو يزبد ويرعد قائلاً:

«إنّ رجالاً من المنافقين!! يزعمون أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله توفّي، وإنّ رسول الله والله ما مات ولكنّه ذهب إلىٰ ربّه كما ذهب موسىٰ بن عمران فغاب عن قومه أربعين ليلة ثمّ رجع بعد أن قيل قد مات، والله ليرجعنّ رسول الله فليقطعنّ أيدي رجال وأرجلهم يزعمون أنّ رسول الله مات».[٣]

فلمّا جاء أبوبكر وأسكته بالآية القرآنيّة: «**وما محمّد إلاّ رسول قد خلت من قبله الرسل أ فإن مات أو قتل انقلبتم علىٰ أعقابكم...**»[٤] توقّف عمر عن أداء ذٰلك الدور

---

(١) وفي ضوء هٰذه الحقيقة ينبغي أن لانغفل عن ذكر احتمال أنّ اجتماع الأنصار في سقيفة بني ساعدة كان بسبب مؤامرة وتدبير خفيّ بين حزب السلطة وبعض رؤوس الأنصار لمنع أهل البيت عليهم السلام عن حقّهم في الخلافة.

(٢) تاريخ الطبري، ٤: ٤٤٢.

(٣) نفس المصدر، ٢: ٤٤٢.

(٤) سورة آل عمران: الآية ١٤٤؛ ولمّا سمعها عمر من أبي بكر تساءل: «هذا في كتاب الله!؟»، ولايعقل أن عمر يمكن أن ينسىٰ هذه الآية وسبب نزولها في يوم من الأيّام لأنّها نزلت في الفارّين يوم أُحد، وكان عمر منهم.

واندفع يؤدّي دوراً آخر فقال:

«أيّها الناس، هٰذا أبوبكر وذو شيبة المسلمين فبايعوه»[١]

مُطلِقاً بذٰلك إشارة البدء بتنفيذ الخطّة عمليّاً في الإنقلاب على الشرعيّة الإلهيّة، وذٰلك قبل السقيفة، فعندها تيقّن الأنصار من وقوع الإنقلاب، وتسارعوا متحفّزين يجمعون شملهم لمواجهة الحالة الطارئة، فحملوا سعد بن عبادة مريضاً إلىٰ السقيفة واجتمعوا فيها.

□: كانت قيادة حزب السلطة قد استقدمت أعداداً كبيرة من مرتزقة الأعراب بعد الإتّفاق معهم علىٰ أن يحضروا المدينة حيث ينعقد المؤتمر وفي وقت محدّد، ليكثر بهم سواد حزب السلطة في مؤتمر الإغتصاب، وليضعف بإزائهم صوت الأنصار، تقول المصادر: «إنّ أسلم أقبلت بجماعتها حتّىٰ تضايق بهم السكك»[٢] و«جاءت أسلم فبايعت، فقوي أبوبكر بهم، وبايع الناس بعدُ»،[٣] وتعليق عمر علىٰ أثر حضور هٰذه القبيلة دليل علىٰ استقدامها من قبل حزب السلطة، كان يقول: «ما هو إلاّ أن رأيت أسلم فأيقنت بالنصر».[٤]

كان هٰذا سبباً كبيراً من أسباب انكسار الأنصار وانتصار حزب السلطة في سقيفة بني ساعدة، حيث ضعف صوت الأنصار إلىٰ درجة أن لم تنفعهم حتّىٰ مناداتهم أواخر الأمر: «لانبايع إلاّ عليّاً!!»[٥]

---

(١) الطبقات الكبرىٰ، ٢: ٢٦٧ ـ ٢٦٨.

(٢) تاريخ الطبري، ٢: ٤٥٨.

(٣) الكامل في التأريخ، ٢: ٣٣١.

(٤) تاريخ الطبري، ٢: ٤٥٩.

(٥) الكامل في التأريخ، ٢: ٣٢٥؛ وتاريخ الطبري، ٢: ٤٤٣.

□: كان الهمّ الأكبر لحزب السلطة في خطّة الإغتصاب هو أن ينحصر النزاع والتخاصم في مؤتمر السقيفة بين الأنصار بما لهم من فضل وبين المهاجرين بما لهم من فضل، بمعزل عن ذكر «الوصيّ الشرعيّ» وذكر فضائله، ذٰلك لأنّ قيادة حزب السلطة إذا ضمنت إخراج عليّ عليه السلام من دائر النزاع والتخاصم على الخلافة، واطمأنّت إلى عدم ذكره في أيّ احتجاج، فإنّها ـ وهي تتحدّث باسم المهاجرين ـ تكون قد أحرزت الفوز حتماً لأنّ حجّة المهاجرين هي الأقوىٰ في حال عزل أهل البيت عليهم السلام عن دائرة الإحتجاج (إذ هم الثمرة إذا احتُجّ بالشجرة!).

لكن ماذا تصنع قيادة هٰذا الحزب والأمّة قريبة عهد بواقعة الغدير التي شهدها جلّ الصحابة وسمع بها القاصي والداني!؟ حيث نصب فيها رسول الله صلى الله عليه وآله عليّاً عليه السلام وليّاً للأمر بعده، في بيان نبويّ رواه من الصحابة في التأريخ المدوّن فقط مائة وعشرة،[1] وكيف ستواجه قيادة حزب السلطة من يعترض عليها بحديث الغدير وبيعته!؟ فضلاً عن البيانات النبويّة الأخرىٰ الكثيرة المتعلّقة بولاية عليّ عليه السلام وخلافته!؟

ليس بإمكان أحد من الصحابة عامّة والمهاجرين والأنصار خاصّة أن ينكر واقعة الغدير آنذاك، ولذا لم يكن أمام قيادة حزب السلطة في مواجهة هٰذه المشكلة إلاّ أن تدّعي أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قد نسخ بيان الغدير والبيانات النبويّة الأخرىٰ المتعلّقة بخلافة عليّ عليه السلام، وتدّعي علىٰ لسان النبيّ صلى الله عليه وآله أنّ الله سبحانه منع اجتماع النبوّة والخلافة لاهل البيت عليهم السلام، والقضيّة لاتحتاج إلاّ إلىٰ مدّعٍ وشهود!!

وهٰكذا كان، فقيادة حزب السلطة إضافة إلىٰ مواصلتها لعمليّة تحفيز الأنصار باتّجاه منازعة المهاجرين علىٰ الإمارة لأنفسهم بعيداً عن التوجّه إلىٰ «الوصيّ

---

(١) الغدير، ١: ١٤ ـ ٦٠.

الشرعيّ» كانت تردّ على كلّ معترض عليها بواقعة الغدير أنّ الأمر قد نُسخ، والأمر يحدث بعده الأمر!! ويبدو أنّ قيادة حزب السلطة لم تكن تردّ بهذا فقط، بل كانت تبادر الى إشاعة دعوى النسخ هذه في صفوف الأنصار بواسطة عملائها منهم، ولايبعد أنّها روّجت هذا الإدّعاء قُبيل وفاة النبيّ صلى الله عليه وآله بقليل أو بعد وفاته مباشرة لخلق حالة ذهنيّة ونفسيّة عامّة تتقبّل إنحصار النزاع بين الأنصار والمهاجرين بعيداً عن عليّ عليه السلام.

وهكذا كان فقد نجحت قيادة حزب السلطة في استغفال كثير من جماهير الأنصار وأوقعتهم في فخّ مصيدتها، فلما انقضت «الفلتة» إنتبهوا من غفلتهم أواخر الأمر «فقالت الأنصار أو بعض الأنصار لانبايع إلاّ عليّاً»،[1] ويقول التأريخ أيضاً إنّه:

«لمّا بويع أبوبكر واستقرّ أمره ندم قوم كثير من الأنصار على بيعته، ولام بعضهم بعضاً، وذكروا عليّ بن أبي‌طالب وهتفوا باسمه...»[2]

ولات حين فائدة!!

ومن الدلائل على أنّ قيادة حزب السلطة لجأت إلى دعوى النسخ في مواجهة من يعترض عليها بواقعة الغدير، ما رواه التأريخ أنّ بريدة الأسلمي قال لعمر: «يا عمر، ألستما الذين قال لكما رسول‌الله صلى الله عليه وآله: انطلقا إلى عليّ فسلّما عليه بإمرة المؤمنين. فقلتما: أعن أمرالله وأمر رسوله!؟

فقال: نعم.؟

فقال أبوبكر: قد كان ذلك يا بريدة، ولكنّك غبت وشهدنا، والأمر يحدث

---

(١) الكامل في التأريخ، ٢: ٣٢٥؛ وتاريخ الطبري، ٢: ٤٤٣.

(٢) شرح نهج البلاغة، ٦: ٩ عن موفّقيّات الزبير بن بكّار.

بعده الأمر!...».[١]

ولمّا حاجّهم أميرالمؤمنين عليٌّ عليه السلام في المسجد حينما أحضروه كرهاً وقهراً للبيعة فخاطبهم قائلاً:

«يا معشر المسلمين والمهاجرين والأنصار، أُنشدكم الله أ سمعتم رسول الله صلى الله عليه وآله يقول يوم غدير خم كذا وكذا، فلم يدع عليه السلام شيئاً قاله فيه رسول الله صلى الله عليه وآله علانية للعامّة إلاّ ذكرهم إيّاه.

قالوا: نعم.

فلمّا تخوّف أبوبكر أن ينصره الناس وأن يمنعوه بادرهم فقال: كلّما قلتَ حقّ، قد سمعناه بآذاننا ووعته قلوبنا، ولكن قد سمعتُ رسول الله يقول بعد هٰذا: إنّا أهل بيت اصطفانا الله وأكرمنا واختار لنا الآخرة على الدنيا، وإنّ الله لم يكن ليجمع لنا أهل البيت النبوة والخلافة.

فقال علي عليه السلام: هل أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله شهد هٰذا معك!؟

فقال عمر: صدق خليفة رسول الله، قد سمعته منه كما قال!

وقال ابوعبيدة وسالم مولىٰ أبي حذيفة ومعاذ بن جبل: قد سمعنا ذٰلك من رسول الله.

فقال علي عليه السلام: لقد وفيتم بصحيفتكم التي تعاقدتم عليها في الكعبة: إن قتل محمّد أو مات لتزونّ هٰذا الأمر عنّا أهل البيت.

فقال أبوبكر: فما علمك بذٰلك!؟ ما أطلعناك عليها.

---

(١) كتاب السقيفة (سليم بن قيس): ٢٥١ ـ ٢٥٢.

فقال‌عليه‌السلام: أنت يا زبير، وأنت يا سلمان، وأنت يا أباذر، وأنت يا مقداد! أسألكم بالله وبالإسلام، أما سمعتم رسول‌الله‌صلى‌الله‌عليه‌وآله يقول ذٰلك، وأنتم تسمعون، إنّ فلاناً وفلاناً حتّىٰ عدّهم هٰؤلاء الخمسة، قد كتبوا بينهم كتاباً وتعاهدوا فيه وتعاقدوا علىٰ ما صنعوا؟

فقالوا: أللّهمّ نعم، قد سمعنا رسول‌الله‌صلى‌الله‌عليه‌وآله يقول ذٰلك لك إنّهم قد تعاهدوا وتعاقدوا علىٰ ما صنعوا، وكتبوا بينهم كتاباً إن قُتِلْتُ أو متُّ أن يزووا عنك هٰذا يا عليّ...».[١]

نتائج السقيفة:

أفرز مؤتمر السقيفة نتائج كثيرة جدّاً في جميع مجالات حياة الأمّة المسلمة، هي ذات النتائج الناشئة عن انقلاب أمّة علىٰ أعقابها[٢] ورجوعها القهقرىٰ عن المسار المعصوم الذي أراده الله تعالىٰ لها تحت ظلّ قيادة حججه على العباد وخلفائه في البلاد بعد رحلة النبيّ الأكرم‌صلى‌الله‌عليه‌وآله.

وهٰذه النتائج علىٰ كثرتها منها ما ظهر فوراً وأثّر تأثيراً مباشراً في حياة الأمّة، ومنها ما شرع بالنشوء والتكون، ويهمّنا هنا ملاحظة النتائج التي كان لها تأثير في التمهيد للتطوّرات الكبرىٰ التي أدّت إلىٰ سيطرة الحزب الأمويّ على زمام الأمور، وأهمّ هٰذه النتائج:

---

(١) كتاب السقيفة (سليم بن قيس): ٨٦ ـ ٨٧.

(٢) يجد المتأمّل في قوله تعالىٰ: ﴿...أ فإن مات أو قتل انقلبتم علىٰ أعقابكم...﴾ أنّ القرآن كما وبّخ الفارّين يوم أحد وأكّد ارتداد أكثرهم بعد أن أُشيع أنّه‌صلى‌الله‌عليه‌وآله قد قتل، أكّد أيضاً أنّ هٰذا الإرتداد سوف يقع من قبل جلّ الأمّة بعد موته‌صلى‌الله‌عليه‌وآله، وهٰذا من ملاحم القرآن. ففي الآية إشارة إلىٰ انقلابين، وفي صيغة الماضي (انقلبتم) توكيد علىٰ وقوعهما.

١) ـ **إقصاء «الوصيّ الشرعيّ عليه السلام» عن مقامه:** إقصاء «الوصيّ الشرعيّ» عن مقامه الذي فرضه الله تعالىٰ له، وقهره علىٰ البيعة بعد تهديده بالقتل إن لم يبايع، وبعد أن هجموا علىٰ داره[١] التي كان جبرئيل الأمين عليه السلام يستأذن كلّما أراد الدخول إليها، وأضرموا النار علىٰ بابها[٢] وعصروا فاطمة الزهراء عليها السلام وديعة الرسول صلى الله عليه وآله بين الحائط والباب حتّىٰ أُسقط جنينها وكُسر ضلعها...[٣] لقد كانت تلك الجسارة علىٰ أهل البيت عليهم السلام فاتحة كلّ الجسارات التي توالت عليهم بعد ذٰلك.

٢) ـ **التضييق علىٰ أهل البيت عليهم السلام:** التضييق علىٰ أهل البيت عليهم السلام اجتماعيّاً وسياسيّاً واقتصاديّاً، فلقد أظهر القوم التذمّر من كثرة بكاء فاطمة عليها السلام علىٰ أبيها صلى الله عليه وآله حتّىٰ بنىٰ أمير المؤمنين علي عليه السلام لها بيت الأحزان بعيداً عن مسامعهم التي كانت تستشعر لغة الإحتجاج السياسيّ في بكائها، كما مارس القوم رقابة أمنيّة مشدّدة علىٰ أبي الحسن عليه السلام خشية من قيامه بأيّ تحرّك ضدّهم، ومنعوا فاطمة عليها السلام إرثها، وأخذوا فدكاً منها وهي نحلتها من أبيها صلى الله عليه وآله[٤] كما منعوهم وبني هاشم حقّهم في الخمس، كلّ ذٰلك من أجل ألّا يجد أهل البيت عليهم السلام في سعة الحال قدرة علىٰ التبليغ بحقّهم في الأمر والقيام والنهضة.

---

(١) راجع: تاريخ اليعقوبي، ٢: ١٢٦ ـ ١٢٧، دار صادر ـ بيروت؛ وشرح نهج البلاغة: ٢: ٥٩ و١٧: ١٦٨، دار احياء التراث العربي ـ بيروت.

(٢) راجع: كتاب سليم بن قيس: ٢٥٠، دارالفنون؛ والهداية الكبرىٰ: ١٧٩و٤٠٢و٤٠٧ مؤسّسة البلاغ ـ لبنان؛ وتلخيص الشافي، ٣: ٧٦ مكتبة العزيزي ـ قم.

(٣) راجع امالي الصدوق: ٩٩، مجلس ٢٤، حديث ٢، مؤسّسة الأعلمي ـ بيروت؛ وكتاب سليم بن قيس: ٨٣.

(٤) راجع: نهج الحقّ وكشف الصدق: ٢٦٥ ـ ٢٧٠، مؤسّسة دارالهجرة.

٣) ـ منع بني هاشم من تولّي المناصب الحكوميّة: منع بني هاشم من تولّي أيّة مناصب حكوميّة، خصوصاً المناصب الإداريّة والعسكريّة والماليّة، خشية من أن يدعوا بنوهاشم إلىٰ حقّ أهل البيت عليهم‌السلام بالأمر كما صرّح بذٰلك عمر لعبدالله بن عبّاس (كما مرّ في رواية سابقة).

٤) ـ بسط يد الأمويّين في تولّي المناصب الحكومية: بسط يد الأمويّين في تولّي الإمارات والولايات والمناصب الحكوميّة الأخرىٰ بمقتضىٰ التعاون الجديد بين الحزب الحاكم والحزب الأمويّ بعد أن استقرّ الأمر لأبىبكر، فقد شكلت نسبة عدد الأمويّين من مجموع عمّال أبيبكر وولاته وأمراء جنده حوالي الثلث،[1] الأمر الذي أحيا أمل الحزب الأمويّ في الإستحواذ علىٰ السلطة.

لقد كان حزب السلطة يرىٰ امتداده الفكريّ والعمليّ في الحزب الأمويّ، وكان الحزب الأمويّ بعد استتباب الأمر لأبىبكر يرىٰ نفسه هوالفائز بفوز حزب السلطة الرافع لشعار الخلافة لقريش دون بني هاشم.

يقول عبدالله العلايلي في هذه النقطة:

«...فلم يفز بنو تيم بفوز أبيبكر بل فاز الامويّون وحدهم، ولذٰلك صبغوا الدولة بصبغتهم، وأثّروا في سياستها وهم بعيدون عن الحكم، كما يحدّثنا المقريزي في رسالته (النزاع والتخاصم).

ومن تأريخ هٰذا الفوز الإنتخابي بدأت سعاية بني أميّة لتهيئة الاسباب إلىٰ الإنقلاب الذي سيفضي في نهايته إلىٰ استحواذهم علىٰ السلطة، وأيّ ناظر في حركات أبيسفيان لايشك بأنّه بدأ يعمل بهمّة لاتعرف الكلل لتعبيد

---

(١) راجع: تاريخ الطبري، ٢: ٦١٦ باب ذكر أسماء قضاته وكتّابه وعمّاله علىٰ الصدقات؛ وحياة الإمام الحسين بن علي عليهما‌السلام، ١: ٢٧٧.

الأمور على ما يريد...».[١]

٥) ـ **انتعاش الروح القبلية وانبعاثها من جديد:** انتعاش الروح القبليّة وانبعاثها فعّالة من جديد بعد أن أخمدها الإسلام بتعاليمه الساميّة وتربيته الرفيعة، ذلك لأنّ منطق السقيفة قام على أساس التنابز بالألقاب والمفاضلة القبليّة بعيداً عن المقياس الإسلامي: «**إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم**».لقد كانت الروح القبليّة ظاهرة بيّنة في المنطق الذي ساد النزاع بين المهاجرين والأنصار في السقيفة، فقد ذكّر أبوبكر كُلاً من الأوس والخزرج بالأحقاد والإحن التي كانت بينهم قبل الإسلام، وأغراهم بها حين تحدّث عمّا كان بينهما من القتلى والمآسي.

وكان خطيب الأنصار الحباب بن المنذر يهيج الأنصار ويؤجج عزائمهم بنَفَس جاهلي بحت.

وكان عمر بن الخطّاب يفصح عن لسان قريش بهذه الروح القبليّة قائلاً: «من ينازعنا سلطان محمّد ونحن أولياؤه وعشيرته!!».

هذه الروح القبليّة التي اندلعت كالنار من تحت الرماد يوم السقيفة، فتحت على المسلمين باباً كبيراً من أبواب التمزّق والفتنة، إذ سرعان ما تجرّأ بعض القرشيّين من الطلقاء والمنافقين النفعيّين أمثال سهيل بن عمرو وعكرمة بن أبي جهل وعمرو بن العاص والوليد بن عقبة وغيرهم بالتعرض للأنصار وهجائهم والدعوة إلى قتالهم بعد أن أغاضهم اعتزال الأنصار على أثر السقيفة، فردّ عليهم الأنصار دفاعاً عن أنفسهم، وتعاظم الخطب، ولولا تدخّل أمير المؤمنين عليّ عليه السلام وبعض المهاجرين ودفاعهم عن الأنصار لوقعت مصيبة عظمى أخرى في تأريخ

---

(١) الإمام الحسين عليه السلام: ١٩١.

الأمّة الإسلاميّة آنذاك.[١]

ولقد استثمرت حركة النفاق عامّة والحزب الأمويّ منها خاصّة تأجيج روح التناحر القبليّ في تمزيق كيان الأمّة، وتأليب بعضها على بعض، من أجل اقتيادها بعد ذلك بسهولة على طريق تحقيق أهداف حركة النفاق في طمس حقائق ومعالم الإسلام المحمّديّ الخالص.

٦) ـ **محاصرة السنّة النبويّة علناً**: سبق فيما قدّمنا أن قلنا إنّ قيادة حزب السلطة كانت أيّام حياة النبيّ صلى الله عليه وآله تنهى سرّاً عن كتابة البيان النبويّ بدعوى أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله بشرٌ يتكلّم في الغضب والرضا!!، كما كشف عن ذلك عبدالله بن عمرو بن العاص، وقلنا إنّ غاية تلك المحاولة هي محاصرة البيانات النبويّة عامّة والمتعلّقة بالخلافة وشخص الخليفة من بعد النبيّ صلى الله عليه وآله خاصّة.

أمّا بعد رحلة النبيّ صلى الله عليه وآله، وبعد أن تمخّض مؤتمر السقيفة عن فوز حزب السلطة بالحكم، فإنّ السريّة في مواجهة تلك البيانات النبويّة كانت قد فقدت مسوّغاتها، وصار الصد عن البيان النبويّ علناً ولكن تحت غطاء خشية انتشار الإختلاف في الأمّة!! فقد جمع أبوبكر الناس وقال لهم:

«إنّكم تحدّثون عن رسول‌الله صلى الله عليه وآله أحاديث تختلفون فيها، والناس بعدكم أشدّ اختلافاً، فلاتحدّثوا عن رسول‌الله شيئاً!!، فمن سألكم فقولوا: بيننا وبينكم كتاب الله!».[٢]

وفضلاً عن ملاحظة التحول من التكتّم في المواجهة إلى الإعلان عنها، نلاحظ أيضاً أنّ قوله «فلا تحدّثوا عن رسول‌الله شيئاً» يعني المنع المطلق عن

---

(١) شرح نهج البلاغة، ٦: ٩ ـ ١٦ عن موفقّيات الزبير بن بكّار.

(٢) تذكرة الحفّاظ، ١: ٢ ـ ٣.

البيان النبويّ مطلقاً!! وضرب حصار تامّ شامل علىٰ كلّ ما ورد عنه صلى الله عليه وآله!.

لقد أدركت قيادة هٰذا الحزب أنّ ما يقلقها وتخشىٰ من انتشاره ليست البيانات النبويّة المتعلّقة بمقام عليّ عليه السلام ومنزلته وأحقّيّته بالخلافة فحسب، بل هناك البيانات المتعلّقة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأخرىٰ في أوصاف «الائمّة المضلّين» وضرورة القيام ضدّهم، وأخرىٰ تشخّص الشجرة الملعونة في القرآن، وأخرىٰ تتحدّث في الفتن وقادتها، وأخرىٰ في فضائل بعض الصحابة الذين يضيق الحزب الحاكم ذرعاً بهم، ولايسرّه بل يسوءه انتشار عبير فضائلهم، وأخرىٰ وأخرىٰ... فكان لابدّ من تعميم المنع وإطلاقه!!.

وكما ذكرنا في مامضىٰ، فقد طُبِّق هٰذا المنع بصرامة وشدّة في عهد عمر، ومنع عثمان رواية أي حديث لم يُروَ في عهدي أبيبكر وعمر. ونتيجة لكثرة الفتوحات ودخول كثير من الشعوب في الإسلام وتباعد الأيّام عن عهد النبيّ صلى الله عليه وآله، ولتوهّم الناس أنّ الخلفاء الثلاثة الذين حكموا بعد النبيّ صلى الله عليه وآله امتداد له، فقد اختلط الأمر علىٰ أكثر الأمّة التي لم تعرف عن سنّة النبيّ صلى الله عليه وآله إلاّ نزراً يسيراً، وصار أكثر الناس يرىٰ السنّة في سنّة عمر (وهي مجموعة البدع التي خالف فيها سنّة النبى صلى الله عليه وآله)، حتّىٰ إذا أَلِفُوها أصرّوا عليها وأبوا أن يتحوّلوا عنها حتّىٰ وإن ذكّروا بأنّ ذٰلك خلاف سنّة النبيّ صلى الله عليه وآله.

فقد سأل أهل الكوفة (وهي عاصمة البلاد الإسلاميّة يومئذٍ) أمير المؤمنين عليّاً عليه السلام أن ينصب لهم إماماً يصلّي بهم نافلة شهر رمضان، فزجرهم، وعرّفهم أنّ ذٰلك خلاف السنّة، فتركوه واجتمعوا لأنفسهم، وقدّموا بعضهم، فبعث إليهم ابنه الحسن عليه السلام، فدخل المسجد ومعه الدرّة، فلمّا رأوه تبادروا

الأبواب وصاحوا: واعمراه![1] وفي بعض المصادر أنّهم قالوا: يا أهل الإسلام غيّرت سنّة عمر.[2]

وهنا يتّضح أمام المتتبّع وجه من أوجه الصعوبات الكبيرة التي واجهها الإمام عليّ عليه السلام في إرجاع الأمور إلىٰ أصولها الصحيحة، يقول عليه السلام:

«قد عملت الولاة قبلي أعمالاً خالفوا فيها رسول الله صلى الله عليه وآله متعمّدين لخلافه، ناقضين لعهده، مغيّرين لسنّته، ولو حملت الناس علىٰ تركها، وحوّلتها إلىٰ مواضعها وإلىٰ ما كانت في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله لتفرّق عنّي جندي حتّىٰ أبقىٰ وحدي أو قليل من شيعتي الذين عرفوا فضلي وفرض إمامتي من كتاب الله عزّ وجلّ وسنّة رسول الله صلى الله عليه وآله ...».[3]

٧) ـ **نشوء حالة الشلل النفسي في الأمّة:** ويلاحظ المتتبّع لنتائج السقيفة أيضاً نشوء حالة روحيّة ونفسيّة جديدة في الأمّة بعد السقيفة، هي حالة «شلل نفسيّ» لم تكن في الأمّة أيّام النبيّ صلى الله عليه وآله، ويمكن تعريفها بأنّها حالة سكوت المسلم عن أمرٍ يعتقد أنّه باطل ومخالف لأمر الله ورسوله صلى الله عليه وآله، وهٰذه الحالة واحدةٌ من النتائج السيئة التي تنشأ عن ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهي إذا تعاظمت في المجتمع أدّت في النهاية إلىٰ نتائج سيّئةٍ مريرةٍ كثيرةٍ، أسوأها «انقلاب الرؤية» حيث ينتكس المسلم فيرىٰ الباطل حقّاً والحقّ باطلاً.

وهٰذه الحالة الخطيرة كان رسول الله صلى الله عليه وآله قد حذّر الأمّة منها إذا ما تركت الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولك أن تتأمّل في ترابط محتوىٰ هٰذا الحديث

(١) نهج الحقّ وكشف الصدق: ٢٨٩ ـ ٢٩٠.

(٢) الكافي، ٨: ٦٣، حديث ٢١.

(٣) الكافي، ٨: ٥٩، حديث ٢١.

النبويّ الشريف لتعرف كيف تصل حالة الأمّة في التداعي من سيّءٍ إلىٰ أسوأ حتّىٰ تصل في انتكاسها إلىٰ درجة «انقلاب الرؤية»، فعن أبي‌عبدالله الصادق‌عليه السلام، عن رسول‌الله صلى الله عليه وآله أنّه قال:

«كيف بكم إذا فسدت نساؤكم وفسق شبابكم ولم‌تأمروا بالمعروف ولم‌تنهوا عن المنكر!؟

فقيل له: ويكون ذٰلك يا رسول‌الله!؟

فقال: نعم، وشرٌّ من ذٰلك، كيف بكم إذا أمرتم بالمنكر ونهيتم عن المعروف!؟

فقيل له: يا رسول‌الله، ويكون ذٰلك!؟

قال: نعم، وشرٌّ من ذٰلك، كيف بكم إذا رأيتم المعروف منكراً والمنكر معروفاً!؟»[١]

ويمكن رصد بداية نشوء ظاهرة الشلل النفسي في الأمّة بعد السقيفة مباشرة حيث اعتزل جلّ الأنصار في المدينة وبعض المهاجرين اعتراضاً علىٰ نتيجة السقيفة وندماً وتأسّفاً علىٰ التفريط بحقّ «الوصيّ الشرعيّ»عليه السلام،[٢] لكنّهم مع ذٰلك لم‌ينهضوا مع الوصيّ الشرعي‌عليه السلام حين استنهضهم للقيام معه لتغيير الوضع الخاطئ المخالف لأمر الله ورسوله صلى الله عليه وآله، إستناداً إلىٰ أصل أنّ البيعة في الأعناق أوّلاً كانت لعليّ‌عليه السلام يوم الغدير.[٣]

(١) الكافي، ٥: ٥٩، حديث ١٤.

(٢) راجع: شرح نهج البلاغة، ٢: ٩.

(٣) راجع: الغدير: ١.

والروايات في تثاقلهم عن نصرته عديدة، تقول واحدة منها:

«فلم يدع أحداً من أهل بدرٍ من المهاجرين ولا من الأنصار إلاّ أتاه في منزله، فذكّرهم حقّه ودعاهم إلىٰ نصرته، فما استجاب له منهم إلاّ أربعة وأربعون رجلاً، فأمرهم أن يُصبحوا بُكرةً محلّقين رؤوسهم معهم سلاحهم ليبايعوا علىٰ الموت، فأصبحوا فلم يوافِ منهم أحدٌ إلاّ أربعة. فقلت لسلمان: من الأربعة؟ فقال: أنا وأبوذر ومقداد والزبير بن العوّام. ثمّ أتاهم عليّ عليه السلام من الليلة المقبلة فناشدهم فقالوا: نُصبحك بكرةً. فما منهم أحدٌ أتاه غيرنا، ثمّ أتاهم الليلة الثالثة، فما أتاه غيرنا، فلمّا رأىٰ غدرهم وقلّة وفائهم له لزم بيته...».[1]

وقد اشارت الصديقة الكبرىٰ مولاتنا فاطمة الزهراء عليها السلام في ثنايا خطبتها في المسجد إلىٰ تعجّبها من هٰذا الشلل النفسي في مخاطبتها الأنصار حيث قالت:

«... يا معشر الفتية وأعضاد الملّة وحضنة الإسلام، ما هٰذه الغميزة في حقّي والسِّنة عن ظلامتي!؟ أما كان رسول الله صلى الله عليه وآله أبي يقول: «المرء يحفظ في ولده؟» سرعان ما أحدثتم وعجلان ذا اهالة، ولكم طاقة بما أحاول، وقوّة علىٰ ما أطلب وأزاول... إيهاً بني قيلة،[2] أ أهضم تراث أبي وأنتم بمرأىٰ

(١) كتاب سليم بن قيس: ٨١؛ وروىٰ الكليني نحوها بتفاوت في الكافي وفيها أنّ الأربعة هم أُبوذر والمقداد وحذيفة بن اليمان وعمّار بن ياسر، وجاء سلمان في آخر القوم (الكافي، ٨: ٣٣ في ذكر الخطبة الطالوتية)؛ كما روىٰ الكشّي رواية موثّقة نحوها أيضاً وفيها أنّ الذين استجابوا له عليه السلام ثلاثة فقط هم سلمان والمقداد وأبوذر (اختيار معرفة الرجال، ١: ٣٨، رقم ١٨٩)؛ كماروىٰ اليعقوبي في تأريخه، ٢: ٨٤ ـ ٨٠ نحوها بتفاوت، وفيها فلم يغد عليه إلاّ ثلاثة نفر.

(٢) بنو قيلة: هم الأوس والخزرج من الأنصار.

ومسمع، ومنتدىٰ ومجمع، تلبسكم الدعوة، وتشملكم الخبرة، وأنتم ذووالعدد والعدّة، والأداة والقوّة، وعندكم السلاح والجُنّة، توافيكم الدعوة فلاتجيبون، وتأتيكم الصرخة فلاتغيثون، وأنتم موصوفون بالكفاح، معروفون بالخير والصلاح، والنخبة التي انتخبت والخيرة التي اختيرت لنا ـ أهل البيت ـ قاتلتم العرب وتحمّلتم الكدّ والتعب، وناطحتم الأمم وكافحتم البُهم، فلانبرح وتبرحون نأمركم فتأتمرون، حتّىٰ إذا دارت بنا رحىٰ الإسلام، ودرَّ حلب الأيّام، وخضعت نعرة الشرك. وسكنت فورة الإفك، وخمدت نيران الكفر، وهدأت دعوة الهرج، واستوسق نظام الدين، فأنّىٰ جرتم بعد البيان، وأسررتم بعد الإعلان، ونكصتم بعد الإقدام. وأشركتم بعد الإيمان، بؤساً لقوم نكثوا أيمانهم وهمّوا بإخراج الرسول وهم بدؤكم أوّل مرّة أتخشونهم!؟ والله أحقّ أن تخشوه إن كنتم مؤمنين...». [1]

ولأكثر من سبب بعد السقيفة ظلّ هٰذا الشلل النفسي يتفشّىٰ أكثر فأكثر في الأمّة ويتعاظم خطره حتّىٰ استحكم التناقض بين ظاهر الإنسان المسلم وباطنه في أكثر أبناء الأمّة، واستحوذ الشيطان علىٰ السواد الأعظم منهم، وبلغ هٰذا الداء العضال أقصىٰ مداه في هٰذه الأمّة يوم خرجت لقتال ابن بنت نبيّها الإمام الحسين عليه السلام بقلوب معه وسيوف عليه!! فقتلته وهي تعلم أنّه ليس علىٰ الأرض أحدٌ أفضل منه!!

وفي متابعتنا هٰذه سنشير إلىٰ العلل الأخرىٰ التي كانت وراء تعاظم هٰذا المرض فى الأمّة والىٰ مظاهره في المواضع المناسبة التي تحسن فيها الإشارة إلىٰ ذلك.

(١) حياة الإمام الحسين بن علي عليه السلام، ١: ٢٦٣ ـ ٢٦٥.

خلافة عمر بن الخطّاب:

وجاء عمر بن الخطّاب خليفة بعد أبي‌بكر بتعيين منه، فجرىٰ علىٰ ما كان قد جرىٰ هو وأبوبكر عليه أيّام خلافة أبي‌بكر من مواصلة التضييق الإجتماعيّ والسياسيّ والإقتصاديّ علىٰ أهل البيت عليهم السلام خاصّة وبني هاشم عامّة، وبسط يد الأمويّين في تولّي الإمارات والولايات، وزاد علىٰ أبي‌بكر في ذٰلك، ويكفي في الدلالة علىٰ هٰذا أنّه أطلق معاوية بن أبي‌سفيان والياً علىٰ الشام علىٰ سيرة الملوك يجمع كيف يشاء ويتصرّف كيف يشاء بلا رقيب ولا حسيب، فإذا ذكره المعترضون عند عمر ردّهم بقوله «دعوا فتىٰ قريش وابن سيّدها!!...»،[1] وكان يقول فيه «تذكرون كسرىٰ وقيصر ودهاءهما وعندكم معاوية!»،[2] حتّىٰ أنّ عمر بن الخطّاب ليعتبر الممهّد للحكم الأمويّ، بل هوالمؤسّس له.

وزاد في شدّة الحصار المضروب علىٰ السنّة النبويّة حتّىٰ لقد فرض الإقامة الجبريّة في المدينة علىٰ رواة الأحاديث النبويّة مادام حيّاً، ونهىٰ جيوشه عن التحديث عن رسول‌الله صلى الله عليه وآله، في الوقت الذي قرّب منافقي اليهود والنصارىٰ ككعب الاحبار وتميم الداري، وفتح لهم الأبواب واسعة ليمارسوا القصّ علىٰ الناس ويبثّوا ماشاؤا من أباطيل كتبهم ومخترعاتهم ممّا يعارض عقائد الإسلام المحمّديّ الخالص.

ويهمّنا هنا أن نركّز علىٰ عملين من أعماله شكّلا في أهميتهما منعطفين أساسيّين في حياة الأمّة الإسلاميّة بما ترتّب عليهما من الآثار البالغة الخطورة، وهٰذان العملان هما:

---

(١) البداية والنهاية، ٨: ١٣٣.

(٢) تاريخ الطبري، ٤: ٢٤٤.

أ) ـ **مبدأ عمر في العطاء**: كان النبيّ صلّى الله عليه وآله قد ساوى بين المسلمين في العطاء فلم يفضّل أحداً منهم على أحد، وجرى أبوبكر على مبدا التسوية هذا مدّة حكمه، «وأمّا عمر فإنّه لمّا ولي الخلافة فضّل بعض الناس على بعض، ففضّل السابقين على غيرهم، وفضّل المهاجرين من قريش على غيرهم من المهاجرين، وفضّل المهاجرين كافّة على الأنصار كافّة، وفضّل العرب على العجم، وفضّل الصريح على المولى».[١] «وفرض لأهل اليمن في أربعمائة، ولمضر في ثلاثمائة ولربيعة في مائتين»[٢] وفضّل الأوس على الخزرج.[٣]

فلئن كان منطق السقيفة قد قام على أساس التنابز بالألقاب والمفاضلة القبليّة فأنعش بذلك روح التعصب القبليّ التي كان قد أخمدها الإسلام، فإنّ مبدأ عمر في العطاء قد أطلق روح التعصّب من عقالها، فولّدت أسوء الآثار في الحياة الإسلاميّة: «حيث إنّه وضع أساس تكوّن الطبقات في المجتمع الإسلاميّ، وجعل المزية الدينيّة من سبل التفوّق المادّيّ، وزوّد الإرستقراطيّة (الطبقة المترفة) القرشيّة التي مكّنت لنفسها من جديد بتمكّن أبيبكر من الحكم بمبرّر جديد للإستعلاء والتحكّم بمقدّرات المسلمين، فجميع اعتبارات التفضيل تجعل القرشيّين أفضل في العطاء من غير القرشيّين، وهذا يعني أنّ قريشاً هي أفضل الناس لأنّها قريش! وكفى بهذا مبرّراً للتحكّم والإستعلاء.

وقد كوّن هذا المبدأ سبباً جديداً من أسباب الصراع القبليّ بين ربيعةٍ ومضر، وبين الأوس والخزرج، بما تضمّن من تفضيل سائر مضر على سائر ربيعة،

---

(١) شرح نهج البلاغة، ٨: ٣٠٦.

(٢) تأريخ اليعقوبي، ٢: ١٠٦.

(٣) راجع فتوح البلدان: ٤٣٧.

وتفضيل الأوس على الخزرج. ونظنّ أنّ هٰذا المبدأ قد أرسىٰ أوّل أساس من أسس الصراع العنصريّ بين المسلمين العرب وغيرهم من المسلمين بما جرىٰ عليه عمر من تفضيل العرب على العجم والصريح على المولىٰ».[١]

ولم يطل الوقت حتّىٰ رأىٰ عمر نفسه خطورة الآثار الضارة التي أوجدها هٰذا المبدأ في حياة الأمّة الإسلاميّة، حيث تسرّبت روح التحزب والإنقسام إلى المجتمع، وتعاظم الشعور بالإمتياز والتفرد لدىٰ قريش، وتفشّىٰ الحنق والحسد والكراهيّة والتفتيش عن المثالب بين القبائل، فكان هٰذا من العوامل المهمّة التي مهّدت للفتنة بين المسلمين.

وهنا تجدر الإشارة إلىٰ أنّ مبدأ عمر في العطاء كان انحرافاً واضحاً عن سيرة الرسول صلّى الله عليه وآله في العطاء والتي جرىٰ عليها أبوبكر أيضاً، فكان الأولىٰ بالأمّة أن تقف بوجهه وتمنعه من هٰذا الإنحراف علىٰ أساس النصيحة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإذا امتنع وأبىٰ قوّمته بالسيوف. غير أنّ التأريخ لم يحدّثنا عن أيّ إنكار علىٰ عمر من قبل الأمّة، وهٰذا مؤشر من مؤشرات تفشّي حالة الشلل الروحي والنفسي الذي أصيبت به الأمّة نتيجة السقيفة.

ب) ـ الشورىٰ: يهمّنا في هٰذه القضيّة الحديث في نتيجة هٰذا المنعطف الأساس وآثاره الكبيرة في حياة هٰذه الأمّة، إلاّ أنّه لابدّ من التأكيد قبل ذٰلك أنّ هٰذه الشورىٰ المدّعاة لم تحمل من الشورىٰ إلاّ اسمها، وأمّا حقيقتها فإنّ عمر كان قد خطّط لها بدقّةٍ بحيث يكون فوز عثمان فيها أمراً محتّماً، فعنوانها إذن شورىٰ وحقيقتها تعيين. وهي بذاتها دليل علىٰ أنّ الخليفة الثاني عمر بن الخطّاب كان يصرّ إصراراً لا يتزعزع علىٰ إبعاد الخلافة عن بني هاشم بأيّ صورة حتّىٰ بعد موته.

---

(١) ثورة الحسين عليه السلام، ظروفها الإجتماعيّة وآثارها الإنسانيّة: ٢٩.

وهٰذا منتهى الصدّ.

كما أنّ الخليفة الثاني بتعيينه لعثمان خليفة من بعده يكون قد أسّس الحكم الأمويّ بالفعل فضلاً عن تمهيده له من قبل.

قال الخليفة الثاني: «ادعوا لي أبا طلحة الأنصاري، فدعوه له، فقال: انظر يا أباطلحة إذا عدتم من حفرتي فكن في خمسين رجلاً من الأنصار، حاملي سيوفكم، فخذ هٰؤلاء النفر بإمضاء الأمر وتعجيله، واجمعهم في بيتٍ، وقِف بأصحابك على باب البيت ليتشاوروا ويختاروا واحداً منهم، فإن اتّفق خمسة وأبىٰ واحد فاضرب عنقه، وإن اتّفق أربعة وأبىٰ اثنان فاضرب أعناقهما، وإن اتّفق ثلاثة وخالف ثلاثة فانظر الثلاثة التي فيها عبدالرحمٰن فارجع إلى ما قد اتّفقت عليه، فإن أصرّت الثلاثة الأخرىٰ على خلافها فاضرب أعناقها...».[1]

كان عمر ذا دراية تامّة بميول الرجال الستة الذين اختارهم لهذه الشورىٰ، فهو يعلم يقيناً أنّ عثمان وسعداً وعبدالرحمٰن ميلٌ واحدٌ في انحرافهم عن عليّ عليه السلام، ويعلم أنّ طلحة لايميل إلى عليّ عليه السلام، والإحتمال الاقوىٰ أنّه سيعطي رأيه إلى عثمان، وتحسّباً من المفاجأة في تحقّق الإحتمال الأضعف وهو ميل طلحة إلى عليّ عليه السلام والزبير، حيث تتساوىٰ الكفّتان ثلاثة وثلاثة، تدخّل عمر ليحسم النزاع لصالح عثمان بترجيح الكفّة التي فيها عبدالرحمٰن بن عوف.

فأيّة شورىٰ هٰذه!؟

هذا فضلاً عن السيوف التي جرّدها أبوطلحة الأنصاري ورجاله الخمسون

---

(١) شرح نهج البلاغة، ١: ٦٢ـ ٦٣.

بأمر عمر لحماية الرأي الحرّ!!

ولقد أدرك أميرالمؤمنين عليّ عليه السلام هٰذه الخدعة المعلومة النتيجة...

فقال لعمّه العبّاس: «عُدِلَت عنّا!

فقال: وما علمك!؟

قال: قرن بي عثمان وقال كونوا مع الاكثر، فان رضي رجلان رجلاً ورجلان رجلاً فكونوا مع الذين فيهم عبدالرحمٰن بن عوف، فسعدٌ لايخالف ابن عمّه عبدالرحمٰن، وعبدالرحمٰن صهر عثمان لايختلفون، فيولّيها عبدالرحمٰن عثمان أو يولّيها عثمان عبدالرحمٰن، فلو كان الآخران معي لمينفعاني، بَلْهَ إنّي لاأرجو إلاّ أحدهما».[1]

ج) ـ **نتائج الشورىٰ**: ومن نتائج الشورىٰ نستطيع أن نذكر الموارد التالية.

(١) ـ ***مواصلة إقصاء «الوصيّ الشرعي»***: مواصلة إقصاء «الوصيّ الشرعي» استمراراً في الصدّ عن رسول الله صلى الله عليه وآله فيما بلّغ عن الله تبارك وتعالىٰ بشأن عليّ عليه السلام.

(٢) ـ ***استيلاء الحزب الأمويّ على الحكم***: استيلاء الحزب الأمويّ ممثلاً في شخص عثمان علىٰ الحكم، الأمر الذي كانت قد خطّطت له ونفّذته قيادة حزب السلطة التي كانت ترىٰ في الحزب الأمويّ امتداداً لها علىٰ خطّ مواجهة أهل البيت عليهم السلام.

(٣) ـ ***أثر الشورىٰ نفسياً على الأنصار***: تركت الشورىٰ أسوأ الأثر في نفسيّات الأنصار، فبعد أن كانوا قد وعدوا في السقيفة بأنّهم سيكونون وزراء وشركاء في

---

(١) تاريخ الطبري، ٣: ٢٩٤.

الحكم، وجدوا أنّ عمر في خطّة الشورىٰ قد حرمهم حتّىٰ من حقّ المشورة، ولم‌يمنحهم إلاّ دور حرّاس الأبواب المسلّحين.

﴿٤﴾ـ *الطمع المفتوح في الخلافة*: فتحت الشورىٰ باب الطمع في الخلافة لمن لم‌يكن يطمع فيها يوماً ما، ذٰلك لأنّ عمر أدخل في الشورىٰ في مواجهة عليّ عليه السلام من لم‌يكن يأمل أن يكون خليفة من قبل، فصار بعدها يرىٰ نفسه أهلاً لذٰلك، الأمر الذي دفع بهٰؤلاء إلىٰ ركوب الفتن بعدها.

كما أنّ الشورىٰ فتقت الفتق الكبير في التنافس والإختلاف بين كلّ القبائل طمعاً في الخلافة، وذٰلك لأنّ رجالاً غير رجال الشورىٰ من قريش رأوا أنّ بعض من رشّحهم عمر لايفضلونهم في شيءٍ، بل ربما امتازوا هم علىٰ أولٰئك في أشياء كثيرة!

إذن فعمر في خطّة الشورىٰ كان قد أطلق للجميع نفسيّاً أن يرغبوا في الإمارة والخلافة وأن يتحرّكوا عمليّاً باتّجاهها علىٰ طريق الأهواء الملغومة بكلّ أنواع الإختلاف!

حتّىٰ أنّ معاوية بن أبي‌سفيان وهو من دهاة العرب كان يصرّح بأنّ الشورىٰ هي أشدّ منعطفات الإنحراف أثراً في تشتيت أمر المسلمين، فقد نقل ابن عبد ربّه في كتابه العقد الفريد:

ـ إنّ معاوية قال لابن حصين: «أخبرني، ما الذي شتّت أمرالمسلمين وفرّق أهواءهم وخالف بينهم؟

قال: نعم، قتل الناس عثمان.

قال: ما صنعت شيئاً.

قال: فمسير عليّ إليك وقتاله إيّاك.

قال: ما صنعت شيئاً.

قال: فمسير طلحة والزبير وعائشة وقتال عليّ ايّاهم.

قال: ما صنعت شيئاً.

قال: ما عندي غير هذا يا أمير المؤمنين.

قال: فأنا أخبرك، إنّه لم يشتّت بين المسلمين ولا فرّق أهواءهم ولا خالف بينهم إلاّ الشورىٰ التي جعلها عمر إلىٰ ستّة نفر...فلم يكن رجل منهم إلاّ رجاها لنفسه، ورجاها له قومه، وتطلّعت إلىٰ ذٰلك نفسه، ولو أنّ عمر استخلف عليهم كما استخلف أبوبكر ما كان في ذٰلك إختلاف.»[١]

﴿٥﴾ـ ***تعاظم منطق السقيفة القَبَلي***: يلاحظ أنّ المفاضلة في السقيفة كانت بين الأنصار وبين المهاجرين (من قريش)، غير أنّ المفاضلة التي دارت في أجواء الشورىٰ أكّدت تعاظم منطق السقيفة القبلي وازدياد التباعد والإنحراف عن منطق الإسلام،إذ صارت المفاضلة بين المسلمين ككل بدلاً من الأنصار، وبين قريش بما هي قريش بدلاً من المهاجرين منها، ففي الجدل الذي دار في مسجد النبي صلى الله عليه وآله في أجواء الشورىٰ بدا واضحاً أنّ قريشاً اعتبرت الخلافة شأناً من شؤونها الخاصّة وامتيازاً من امتيازاتها، وليس لأحد من المسلمين أن يتقدّم برأي في الخلافة يتنافىٰ مع رغباتها.

ولا ينقضي العجب من أن تتدهور الحال إلىٰ درجة أن يتجرّأ عدوّالله وعدوّ رسوله صلى الله عليه وآله، عبدالله بن أبي ربيعة المخزومي فيقول للمقداد رضي الله عنه الحواريّ الجليل

---

(١) العقد الفريد، ٤: ٢٨١، دار الكتاب العربي ـ بيروت.

الذي عزّ نظيره في الصحابة:

«يابن الحليف العسيف، ومتىٰ كان مثلك يجترئ علىٰ الدخول في أمر قريش».[١]

أو يرّد لئيم آخر من بني مخزوم علىٰ عمّار بن ياسر رضي الله عنه قائلاً:

«لقد عدوت طورك يا بن سميّة، وما أنت وتأمير قريشٍ لأنفسها».[٢]

إنّ حلول كلمة (قريش) بدلاً من (المهاجرين) في جدل المفاضلة التي جرت في أجواء الشورىٰ يعني رفع الحظر عن الطلقاء في أن يتسنّموا منصب الخلافة، بعد أن رفعت عنهم الحظر من قبلَ قيادة حزب السلطة وعيّنتهم أمراء وولاة، ومن هنا تكون قد انفتحت حتّىٰ شهية الطلقاء أمثال معاوية في تسنّم منصب الخلافة، ومنذ ذٰلك الوقت كان معاوية قد سعىٰ سعيه نحوها.

خلافة عثمان:

إبتدأ الحكم الأمويّ عهده الأوّل منذ اليوم الأوّل لخلافة عثمان، فسرعان ما تبيّن للمسلمين أنّهم حين بايعوا عثمان قد سلّموا الحكم عمليّاً إلىٰ آل أميّة، وأنّ عثمان ليس إلاّ واجهة يكمن خلفها الحزب الأمويّ، وسرعان ما أكّدت الأيّام هٰذه الحقيقة للأمة، ذٰلك لأنّ عثمان أسند الولايات الكبرىٰ آنذاك وهي البصرة والكوفة ومصر والشام إلىٰ ذويه، وهٰذه الولايات ذات المنزلة العظيمة في الحرب والإقتصاد والإجتماع كانت مركز الثروة الماليّة والزراعيّة لدولة الخلافة، فمنها تحمل الأموال والأقوات، وهي مركز تجمّع الجيوش الإسلاميّة الوافدة من كلّ

---

(١) شرح نهج البلاغة، ٩: ٣٩٠.

(٢) تاريخ الطبري، ٣: ٢٩٧.

أنحاء البلاد، كما أنّها مراكز عمليّات الفتح الكبرىٰ آنذاك.

وقامت إنتفاضة الأمّة علىٰ عثمان نتيجة تفسّخ حكمه عن فساد كبير في الأدارة والمال، والإستخفاف علناً بأحكام الشريعة، وسكوته عن فضائح ولاته ودفاعه عنهم، ونفيه وتعذيبه لصلحاء الأمّة لا لشئ إلاّ لأنّهم أنكروا المنكر وأمروا بالمعروف، وانقياده لغلمان بني أميّة عامّة ولمروان بن الحكم خاصّة، وامتناعه عن الإستجابة لشكاوىٰ الأمّة وتظلّمها من ولاته الذين يصلّون بالناس وهم سكارىٰ، ويرون السواد بستاناً لهم، وأنّ الفيئ لهم أوّلاً ثمّ لمن شاؤوا!!

وركب موجة الإنتفاضة علىٰ عثمان بعد اندلاعها النفعيّون الساخطون عليه مثل عمرو بن العاص، ومترفون يحلمون بالخلافة من بعده مثل طلحة والزبير وكانوا يؤلّبون الجماهير ضدّه ويحرّضون في الخفاء علىٰ قتله، هٰذا فضلاً عن الدور الكبير الذي لعبته عائشة في التأليب عليه والدعوة إلىٰ قتله!![١]

وفي كلّ ذٰلك كان ابوالحسن عليه السلام يسفر ناصحاً للإسلام والأمّة بين عثمان والثوّار، لكنّ عثمان كان ينكل ولايفي بما يعد به من الاستجابة لمطالب الثوّار لاستحواذ مروان عليه.

وما برحت الفتنة تتأجّج وتجد ما يزيدها اشتعالاً، حتّىٰ انفلت زمام الأمور، وبلغت المأساة ذروتها بمقتل عثمان.

وتفاصيل قصّة هٰذه الفتنة معروفة في كتب التأريخ...

نتائج عهد عثمان: أمّا نتائج عهد عثمان التي أثّرت في مسار حياة الأمّة فيما بعد، فأهمّها:

---

(١) راجع: كتاب معالم الفتن، ١: ٤٣٣ ـ ٤٣٨.

﴿١﴾ـ *إتساع الهوّة في الفروق الطبقية*: اتّسعت الهوّة في الفروق الطبقية التي كانت قد نشأت نتيجة مبدأ عمر في العطاء، ذلك لأنّ عثمان أغدق الهبات الضخمة على أعيان قريش من بني أميّة وغيرهم، وعلى بعض أعضاء الشورى خاصّة، وسار عمّال عثمان في أنحاء البلاد على نهجه في المدينة فأنفقوا بيوت المال المحليّة على ذويهم وأنصارهم والمقرّبين إليهم، وقام عثمان باجراء ماليّ فتح به للطّبقة الثريّة أبواباً من النشاط الماليّ حين أباح للناس أن ينقلوا فيئهم من الأرض إلى حيث أقاموا، فسارع الأثرياء إلى الإستفادة من هذا الإجراء فاشتروا بأموالهم المكدّسة أراضي في البلاد المفتوحة واستثمروها فنمت ثرواتهم نموّاً عظيماً، وازدادت هذه الطبقة الطامحة إلى الحكم والتسلّط قوّة إلى قوّتها حتّى صارت غلّة طلحة من العراق كلّ يوم ألف دينار أوأكثر، وبلغ ربع ثمن مال عبدالرحمٰن بن عوف أربعة وثمانين ألفاً أي أنّ ما يملكه مليونان وستمائة وثمانية وثمانون ألفاً، وكان الزبير قد خلّف خمسين ألف دينار وألف فرس وألف عبد وأمة، وخلّف زيد بن ثابت من الذهب ما كان يكسر بالفؤوس عدا ما خلّف من الأموال والضياع بقيمة ألف دينار،[1] وسوى هؤلاء كثيرون...

وقد وجدت إلى جانب هذه الطبقة المترفة المتسلّطة طبقة أخرى كبيرة وفقيرة لاتملك أرضاً ولا مالاً تلك هي طبقة الجنود المقاتلين وأهليهم، وقد تكوّنت هذه الطبقة نتيجة استئثار عثمان وعمّاله بالفيئ والغنائم لأنفسهم والمقرّبين منهم وحرمان المقاتلين وبقيّة الأمّة منها.

إنّ إنتشار أعلام قريش في البلاد الإسلاميّة بسمعتهم الدينيّة (صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله) وازدياد ثرواتهم دفع كثيراً من أهل تلك البلدان إلى التجمّع

---

(١) راجع: مروج الذهب، ٢: ٣٤١ ـ ٣٤٣.

حولهم والتحزّب لمطامعهم السياسيّة تهالكاً على الدنيا، فانتشرت لذلك حالة (الإنتهازيّة) في نفوس كثيرٍ من الناس، حيث صار ولاؤهم لمن عطاؤه أكثر والدنيا معه، وصاروا لا يعبأون بالمانع الشرعي الحائل دون وصولهم إلى غاياتهم الدنيويّة، فزاد هذا من حالة الإستخفاف بالشريعة وبحرمة أحكامها، وهي حالة شاهدتها الأمّة أوّلاً في تصرّفات عثمان وولاته كالوليد بن عقبة وغيره.

ينقل الطبري في هذه النقطة أنّه «كان عمر بن الخطّاب قد حجر على أعلام قريش من المهاجرين الخروج في البلدان إلاّ بأذن وأجل... فلمّا ولي عثمان لم يأخذهم بالذي كان يأخذهم به عمر فانساحوا في البلاد، فلمّا رأوها ورأوا الدنيا ورآهم الناس، انقطع من لم يكن له طَولٌ ولا مزية في الإسلام فكان مغموراً في الناس، وصاروا أوزاعاً إليهم، وأمّلوهم، وتقدّموا في ذلك فقالوا يملكون فنكون قد عرفناهم وتقدّمنا في التقرب والانقطاع إليهم، فكان ذلك اوّل وهن دخل على الإسلام، وأوّل فتنة كانت في العامّة ليس إلاّ ذلك.[1]».

﴿٢﴾ـ ***انفتاح باب القتل والقتال على هذه الأمة إلى يوم القيامة:*** إنّ عمليّة اغتيال عمر بن الخطّاب التي أدّت إلى مقتله كانت محدودة الأثر إذ كان القاتل شخصاً معلوماً وإن كان عبيدالله بن عمر قد تجاوز فقتل عدّة أبرياء لمقتل أبيه، أمّا مقتل عثمان بالكيفيّة التي قتل فيها فقد كان ذا أثر وسيع ممتدّ في حياة الأمّة الإسلاميّة بعده، إذ قد فتح عليها باب القتل والقتال فيما بينها، وقد حذّره أميرالمؤمنين عليّ عليه السلام في نصحه أيّاه من هذا المقتل قائلاً:

«وإنيّ أنشدك الله ألاّ تكون إمام هذه الأمّة المقتول، فإنّه كان يقال: يقتل في هذه الأمّة إمام يفتح عليها القتل والقتال إلى يوم القيامة، ويلبس أمورها

---

(١) تاريخ الطبري، ٣: ٤٢٦.

عليها، ويبثّ الفتن فيها، فلايبصرون الحقّ من الباطل، يموجون فيها موجاً، ويمرجون فيها مرجاً...».[١]

ولقد حصل هٰذا بالفعل، فكانت المطالبة بدم عثمان ذريعة أهل الجمل التي أضلّوا بها شطراً من الأمّة في نكثهم البيعة وخروجهم علىٰ الإمامعليه السلام، وألبسوا علىٰ الناس الأمور، وبثّوا الفتنة في الأمّة، حتّىٰ كانت وقعة الجمل، التي كانت أولى المعارك التي اقتتل فيها المسلمون فيما بينهم، وانتهت بهزيمة جيش عائشة وطلحة والزبير الذين كان لهم دور كبير في التحريض علىٰ قتل عثمان.

وأمّا معاوية الذي تلكّأ عن نصرة عثمان عمداً،[٢] فقد صنع أضعاف ما صنع أهل الجمل فيما ادّعاه بهٰذه الذريعة، حتّىٰ لقد أضلّ الشطر الكبير من هٰذه الأمّة وألبس عليهم الأمور فاستبسلوا في مواجهة عليّعليه السلام استبسالاً مريراً في صفّين، الوقعة التي كاد الطرفان أن يهلكا فيها جميعاً، والتي تركت أسوأ الآثار في حياة الأمّة إلىٰ يومنا هٰذا.

﴿٣﴾ـ ***ارتفاع درجة الشلل النفسي في الأمّة***: ويلاحظ هنا أيضاً استمرار ارتفاع مؤشّر الشلل النفسي في الأمّة، إذ قد رأت من عثمان ـ فضلاً عن انحرافه حتّىٰ عن سيرة أبيبكر وعمر ـ بطشه بجماعة من أعيان الصحابة لا لشيٍ إلاّ لأنّهم أمروه بالمعروف ونهوه عن المنكر، كأبيذر وعمّار بن ياسر وعبدالله بن مسعود، فلمتتحرّك الأمّة أثناء ذٰلك حتّىٰ في المدينة علىٰ كثرة من فيها من الصحابة لمنعه من التعدي عليهم أو لإنكار ذٰلك عليه علىٰ الاقلّ، ومع معرفة الصحابة بمنزلة أبيذررحمه الله فلميخرج منهم لتوديعه إلىٰ منفاه في الربذة إلاّ عليّ والحسنانعليهم السلام

---

(١) نهج البلاغة (ضبط صبحي الصالح): ٢٣٥، رقم ١٦٤.

(٢) راجع: تأريخ الطبري، ٣: ٤٠٢؛ والكامل في التأريخ، ٣: ١٧٠.

وعقيل وعبدالله بن جعفر وعمّار، بل لقد قاطعت الأمّة أباذرّ امتثالاً لأوامر عثمان!!

وقد أشار عمّار بن ياسر إلىٰ هٰذا الوهن الذي أصاب الأمّة حينما خاطب أباذرّ وهو يودّعه إذ قال:

«...وما منع الناس أن يقولوا بقولك إلاّ الرضا بالدنيا والجزع من الموت...».[١]

ويلاحظ هنا أيضاً أنّه حتّىٰ الإنتفاضة الجماهيريّة التي قامت تنكر علىٰ عثمان مجموع انحرافاته لم تقم إلاّ في سنة ٣٥ للهجرة أي بعد حوالي ثلاث سنين من وفاة أبي ذرّ رضي الله عنه في الربذة سنة ٣٢ للهجرة، كما أنّ هٰذه الإنتفاضة لم تقع إلاّ بعد عامين من نفي عثمان أفاضل أخيار الكوفة والبصرة إلىٰ الشام.

عهد معاوية:

تسلّم معاوية بن أبي سفيان ولاية الشام بعد موت أخيه يزيد الذي كان والياً عليها، فاصطنعها معاوية لنفسه لايحاسب في أمرها علىٰ شئ من أعماله، كلّ ذٰلك بتدبير من الخليفة الثاني الذي كان يردّ علىٰ التقارير المرفوعة إليه عن مخالفات معاوية بقوله الشهير: «دعوا فتىٰ قريشٍ وابن سيّدها!!».

وازدادت سيطرة معاوية علىٰ الشام رسوخاً في عهد عثمان، واستقرّ له أهلها نفسيّاً وسياسياً، ولم يجد ما ينغّص عليه هناءة حكمه إلاّ قيام أمير المؤمنين عليّ عليه السلام بالأمر خليفة لرسول الله صلى الله عليه وآله، الذي دانت له كلّ أقطار العالم الإسلامي بالطاعة إلاّ الشام، حيث امتنع معاوية عن الطاعة لعليّ عليه السلام متشبّثاً بذريعة الطلب بقتلة عثمان، الأمر الذي جرّ في النهاية إلىٰ معركة صفّين التي كادت أن تنتهي بالنصر الحاسم لصالح أمير المؤمنين عليه السلام، لكنّ حيلة رفع المصاحف التي ابتدعها

---

(١) شرح نهج البلاغة، ٨: ٣٥٥.

عمروبن العاص وأنجحها غباء الخوارج وتحجّرهم العقليّ أدّت في النتيجة إلىٰ مهزلة التحكيم، لتنتهي المواجهة بذلك نهاية غير حاسمة.

ثمّ قتل أمير المؤمنين عليّ عليه السلام وقام الإمام الحسن عليه السلام بالأمر، لكنّ المواجهة بينه وبين معاوية لم تطل إلاّ أشهراً كشفت الأمّة فيها عن نفورها من مواصلة الحرب وميلها إلىٰ دنيا معاوية وتنكّرها لأهل الحق عليهم السلام، فاضطرّ الإمام عليه السلام إلىٰ الصلح وتسليم الأمر إلىٰ معاوية...

فاتّسقت لمعاوية الأمور وسيطر علىٰ العالم الإسلاميّ كلّه، وبذلك استعادت حركة النفاق هيمنتها علىٰ كلّ بلاد الإسلام من جديد في شخص أكبر قادتها دهاءً وأشدّهم عداوة للإسلام وهو معاوية بن أبي سفيان.

نتائج عهد معاوية: ولعهد معاوية الطويل نتائج كثيرة جدّاً أثّرت تأثيراً بالغاً علىٰ الإسلام والأمّة الإسلاميّة، ومن أهمّ هٰذه النتائج:

﴿١﴾ـ ***تحوّل شكل الحكم من الخلافة إلىٰ الملك:*** كان معاوية منذ تسلّمه ولاية الشام قد تصرّف فيها كملك مطلق اليد، يفعل ما يشاء وينفق كيف يشاء بلا رقيب أو حسيب، معتمداً في ذلك علىٰ غضّ الطرف من قبل الخليفة الثاني الذي استقبله معاوية في الشام في موكب عظيم، فعجب عمر من تلك الأبّهة وسأله عن ذلك، فأجابه معاوية:

«يا أمير المؤمنين، إنّا بأرضٍ جواسيس العدوّ فيها كثيرة، فيجب أن نظهر من عزّ السلطان ما يكون فيه عزٌّ للإسلام وأهله ويرهبهم به! فإن أمرتني فعلت! وإن نهيتني انتهيت!!»[١]

---

(١) البداية والنهاية، ٨: ١٣٣.

فقال له عمر في ختام ردّه عليه: «لاآمرك ولاأنهاك!»،[١] وكان يشبّه معاوية بكسرىٰ وقيصر قائلاً: «تذكرون كسرىٰ وقيصر ودهاءهما وعندكم معاوية!؟»[٢] ولمّا بلغ معاوية إخبار النبيّ صلى الله عليه وآله عن الملك العضوض قال: مستهزئاً «رضينا بها ملكاً».[٣]

وقال يخاطب أهل الكوفة شامتاً بهم:

«يا أهل الكوفة، أترونني قاتلتكم علىٰ الصلاة والزكاة والحجّ؟ وقد علمت أنّكم تصلّون وتزكّون وتحجّون، ولكنّي قاتلتكم لأتأمّرَ عليكم وألِيَ رقابكم...»،[٤]

وكان يقول: «أنا أوّل الملوك!».[٥]

وبذٰلك تحوّل الحكم إلىٰ ملك عضوض يرثه فاجر عن فاجر...

〈٢〉 - ***التعتيم الكامل علىٰ فضائل أهل البيت عليهم السلام واختلاق مثالب لهم***: لم يكتف معاوية بمواصلة الحصار المضروب علىٰ البيانات النبويّة منذ عهد أبي بكر وعمر وعثمان، بل كشف عن غاية هٰذا الحصار بعد الصلح حين خضعت له جميع البلاد، حيث أصدر بياناً عاماً إلىٰ جميع عمّاله جاء فيه:

«أن برئت الذمة ممّن روىٰ شيئاً من فضائل أبي تراب وأهل بيته»،[٦]

---

(١) المصدر السابق.

(٢) تاريخ الطّبري، ٤: ٢٤٤.

(٣) محاسن الوسائل في معرفة الأوائل: ٢٨٥.

(٤) صلح الحسن عليه السلام: ٢٨٥ عن المدائني.

(٥) البداية والنهاية، ٨: ١٣٥.

(٦) شرح نهج البلاغة، ١١: ١٥.

فقامت الخطباء في كلّ كورة وعلىٰ كلّ منبر يلعنون عليّاً ويبرؤن منه ويقعون فيه وفي أهل بيته.[١]

وزاد علىٰ سنّة سبّ الإمام عليه السلام، إذ استخدم جماعة من نفعيّي حركة النفاق من صحابة وتابعين مثل عمرو بن العاص، والمغيرة بن شعبة، وأبى هريرة، وسمرة بن جندب، وعروة بن الزبير، وغيرهم، للكذب علىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله في اختلاق أحاديث تطعن بأهل البيت عليهم السلام، كما سخّر معاوية الوعّاظ في جميع بلاد الإسلام ليحوّلوا القلوب عن أهل البيت عليهم السلام ويذيعوا الأضاليل في انتقاصهم دعماً للحكم الأمويّ، كما ألقىٰ معاوية إلىٰ معاهد التعليم ومعلّمي الكتاتيب أن يغذّوا الشباب والصبيان ببغض أهل البيت عليهم السلام لخلق جيل جديد معادٍ لهم بافتراء أحاديث تنتقصهم، وقد تعلّم الصبيان ذلك كما تعلّموا القرآن وحفظوه!

وكان معاوية ـ علىٰ سبيل المثال لا الحصر ـ قد أعطىٰ سمرة بن جندب أربعمائة ألف درهم علىٰ أن يخطب في أهل الشام ويروي لهم أنّ هذه الآية الشريفة: «**ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله علىٰ ما في قلبه وهو ألدّ الخصام، وإذا تولّىٰ سعىٰ في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل، والله لايحبّ الفساد**» نزلت في عليّ عليه السلام، ففعل سمرة ذلك.[٢]

وافترىٰ عمرو بن العاص علىٰ النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال: «**إنّ آل أبي طالب ليسوا لي بأولياء، إنّما وليّي الله وصالح المؤمنين**».[٣]

و«لمّا قدم أبو هريرة العراق مع معاوية عام الجماعة «!» جاء إلىٰ مسجد الكوفة

---

(١) شرح نهج البلاغة، ١١: ١٥.

(٢) نفس المصدر، ٤: ٣٦١.

(٣) نفس المصدر، ١١: ١٥.

فلمّا رأىٰ كثرة من استقبله من الناس جثا علىٰ ركبتيه، ثمّ ضرب صلعته مراراً، وقال:

يا أهل العراق، أتزعمون أنّي أكذب علىٰ الله وعلىٰ رسوله وأحرق نفسي بالنار، والله لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «**إنّ لكل نبيّ حرماً، وإنّ حرمي بالمدينة ما بين عيرٍ إلىٰ ثور، فمن أحدث فيها حدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين**» وأشهد بأنّ عليّاً أحدث فيها. فلمّا بلغ معاوية قوله أجازه وأكرمه وولّاه إمارة المدينة.»[١]

وفي محاورة جرت بين معاوية وابن عبّاس...

«...قال: فإنّا كتبنا في الآفاق ننهىٰ عن ذكر مناقب عليّ وأهل بيته، فكفّ لسانك يا ابن عبّاس واربع علىٰ نفسك.

قال: فتنهانا عن قراءة القرآن؟

قال: لا.

قال: فتنهانا عن تأويله؟

قال: نعم!

قال: فنقرأه ولانسأل عمّا عنىٰ الله به؟

قال: نعم!

قال: فأيّما أوجب علينا قراءته أوالعمل به؟

قال: العمل به.

قال: فكيف نعمل به حتّىٰ نعلم ما عنىٰ الله بما أنزل علينا؟

---

(١) شرح نهج البلاغة، ٤: ٣٥٩.

قال: سل عن ذٰلك ممّن يتأوّله علىٰ غير ما تتأوّله أنت وأهل بيتك!

قال: إنّما أنزل القرآن علىٰ أهل بيتي، فأسأل عنه آل أبي‌سفيان وآل أبي‌معيط واليهود والنصارىٰ والمجوس!!؟

قال: فقد عدلتنابهم!؟

قال: لعمري ما أعدلك بهم إلاّ إذا نهيت الأمّة أن يعبدوا الله بالقرآن وبما فيه من أمر أو نهيٍ أو حلال أو حرام أو ناسخ أو منسوخ أو عامّ أو خاصّ أو محكم أو متشابه، وإن لم‌تسأل الأمّة عن ذٰلك هلكوا واختلفوا وتاهوا!

قال معاوية: فاقرأوا القرآن ولاترووا شيئاً ممّا أنزل الله فيكم، وممّا قال رسول‌الله صلى الله عليه وآله، وارووا ما سوىٰ ذٰلك!

قال ابن عبّاس: قال الله تعالىٰ في القرآن: ﴿يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبىٰ الله إلاّ أن يتمّ نوره ولو كره الكافرون﴾.

قال معاوية: يا ابن عبّاس اكفني نفسك، وكفّ عنّي لسانك، وإن كنت لابدّ فاعلاً فليكن سرّاً، ولاتسمعه أحداً علانية...»[1].

وروي أنّ قوماً من بني‌أميّة قالوا لمعاوية: يا أمير المؤمنين، إنّك قد بلغت ما أمّلت فلو كففت عن لعن هٰذا الرجل. فقال:

«لا والله حتّىٰ يربو عليها الصغير ويهرم عليها الكبير ولايذكر له ذاكرٌ فضلاً».[2]

وفي موازاة ذٰلك، عمد معاوية أيضاً عن طريق مرتزقة الإفتراء علىٰ رسول‌الله صلى الله عليه وآله إلىٰ نشر فضائل ومناقب مكذوبة لعثمان والخليفتين الأوّلين

---

(١) سليم بن قيس: ٢٠٢ ـ ٢٠٣.

(٢) شرح نهج البلاغة، ٤: ٣٥٦.

وصحابة آخرين في جميع البلاد الإسلاميّة، كلّ ذلك ليدحض حجّة أهل البيت عليهم السلام في أنّه ليس لإحد سهم كسهمهم في الفضائل والمناقب!

لنقرأ هٰذا النصّ التأريخي:

«وكتب معاوية إلىٰ عمّاله في جميع الآفاق ألاّ يجيزوا لأحدٍ من شيعة عليٍّ وأهل بيته شهادة، وكتب إليهم أن انظروا من قبلكم من شيعة عثمان ومحبّيه وأهل ولايته والذين يروون فضائله ومناقبه فأدنوا مجالسهم وقرّبوهم وأكرموهم واكتبوا لي بكلّ ما يروي كلّ رجل منهم واسمه واسم أبيه وعشيرته، ففعلوا ذٰلك حتّىٰ أكثروا في فضائل عثمان ومناقبه لما كان يبعثه إليهم معاوية من الصلات والكساء والحباء والقطائع ويفيضه في العرب منهم والموالي، فكثر ذٰلك في كلّ مصر وتنافسوا في المنازل والدنيا، فليس يجئ أحدٌ مردودٌ من الناس عاملاً من عمّال معاوية فيروي في عثمان فضيلة أو منقبة إلاّ كتب اسمه وقرّبه وشفّعه، فلبثوا بذٰلك حيناً، ثمّ كتب إلىٰ عمّاله أنّ الحديث في عثمان قد كثر وفشا في كلّ مصر وفي كلّ وجه وناحية فإذا جاءكم كتابي هٰذا فادعوا الناس إلى الرواية في فضائل الصحابة والخلفاء الأوّلين، ولاتتركوا خبراً يرويه أحدٌ من المسلمين في أبي تراب إلاّ وأتوني بمناقض له في الصحابة مفتعلة، فإنّ هٰذا أحبّ إليّ وأقرّ لعيني وأدحض لحجّة أبي تراب وشيعته وأشدّ إليهم من مناقب عثمان وفضله، فقرئت كتبه علىٰ الناس، فرويت أخبار كثيرة في مناقب الصحابة مفتعلة لا حقيقة لها، وجدّ الناس في رواية ما يجري هٰذا المجرىٰ حتّىٰ أشادوا بذكر ذٰلك علىٰ المنابر، وألقي إلىٰ معلّمي الكتاتيب فعلّموا صبيانهم وغلمانهم من ذٰلك الكثير الواسع وحتّىٰ رووه وتعلّموه كما يتعلّمون القرآن، وحتّىٰ

علّموه بناتهم ونساءهم وخدمهم وحشمهم فلبثوا بذلك ماشاءالله...».[١]

حتّىٰ لقد قال ابن عرفة المعروف بنفطويه وهو من أكابر المحدّثين وأعلامهم:

«إنّ أكثر الأحاديث الموضوعة في فضائل الصحابة افتعلت في أيّام بني أميّة تقرّباً إليهم بما يظنّون أنّهم يرغمون به أنوف بني‌هاشم».[٢]

إنّ هٰذا التعتيم المطبق علىٰ فضائل أهل البيت عليهم السلام إضافة إلىٰ اختلاق روايات الطعن بهم، وتسخير جميع أجهزة الحكم لهٰذا الغرض، كان قد أثّر مع مرور حوالي عشرين عاماً تأثيراً بالغاً في أن يجهل معظم هٰذه الأمّة موقع أهل البيت عليهم السلام وأن يتنكّروا لهم... حتّىٰ اضطرّ الإمام الحسين عليه السلام قبل موت معاوية بسنةٍ أن يعقد مؤتمراً في منىٰ جمع فيه بني هاشم رجالاً ونساءً ومواليهم وجمعاً غفيراً بلغ سبعمائة رجل، فيهم مائتان من الصحابة وعامّتهم من التابعين، فما ترك شيئاً ممّا أنزل الله في أهل البيت من القرآن إلاّ تلاه وفسّره، ولا شيئاً ممّا قاله رسول‌الله صلّى الله عليه وآله في أبيه وأخيه وأمّه وفي نفسه وأهل بيته إلاّ رواه، وأشهد الحاضرين عليه، وطلب منهم أن يحدّثوا من يثقون بهم من الناس بذٰلك،[٣] في محاولة منه عليه السلام لكسر ذٰلك الحصار ولاختراق ذٰلك التعتيم الذي مارسه معاوية لطمس فضائلهم عليهم السلام.

﴿٣﴾ـ *انخداع جلّ الأمّة بالتضليل الدينيّ الأمويّ*: كان الهمّ الأكبر لمعاوية بعد أن استتبّ الأمر له هو اكتساب الإطار الديني والشرعيّة لحكمه، ومزج الأمويّة

---

(١) شرح نهج البلاغة، ١١: ١٥ ـ ١٦.

(٢) نفس المصدر، ١١: ١٦.

(٣) راجع كتاب سليم بن قيس: ٢٠٦ ـ ٢٠٩.

بالإسلام في عقل الأمّة مزجاً لايمكن بعده الفصل بينهما.

ومعاوية يعلم أنّه لايكفي من أجل ذٰلك التعتيم علىٰ فضائل أهل البيت عليهم السلام وحجب الأمّة عنهم، في وقت لايملك هو أيّة قدسيّة في ضمير الأمّة، وله من تصرّفات الملوك الطغاة وسلوكهم ما يجعله هدفاً لكثير من الأحاديث النبويّة الداعية إلىٰ القيام بوجه الظلم والحاكم الظالم ،لذا فقد عمد من خلال عمل إعلامي واسع ومركّز إلىٰ تضليل الأمّة في هٰذه النقطة علىٰ ثلاثة أصعدة:

أ) ـ إختلاق قداسة دينيّة لشخصه من خلال افتعال أحاديث نبويّة في فضله، واخفاء ما أُثر عن النبيّ صلى الله عليه وآله في ذمّه، ولم يجد معاوية صعوبة في ذٰلك مادام يبذل الكثير، ومادام مرتزقة الأفتراء علىٰ النبيّ صلى الله عليه وآله يحوطونه وينتظرون أمره فيما يشتهي من الرواية المفتراة علىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله!

فشاع في كلّ بلاد الإسلام الكثير من الأحاديث المكذوبة في فضل معاوية، منها: أنّه صلى الله عليه وآله قال:

«ومعاوية بن أبي‌سفيان أحلم أمّتي وأجودها.»[1]

وقال:

«وصاحب سرّي معاوية بن أبي‌سفيان.»[2]

وقال عن لسان جبرئيل عليه السلام:

«يا محمّد أقريء معاوية السلام واستوص به خيراً، فإنّه أمين الله علىٰ كتابه ووحيه

(١) تطهير الجنان: ١٢.

(٢) تطهير الجنان: ١٣.

ونعم الأمين.»[1]

أو:

«الأمناء ثلاثة: جبرئيل وأنا ومعاوية.»[2]

أو:

«أللّهمّ اجعله هادياً مهدياً واهد به.»[3]

وغير هٰذا كثير من الأحاديث الموضوعة التي لم‌تزل حتّىٰ اليوم تضلّ كثيراً من أبناء هٰذه الأمّة.

ب) ـ منع الأمّة باسم الدين عن التذمر من الحاكم الظالم والثورة عليه:

سعىٰ معاوية إلىٰ تخويف الأمّة من الثورة علىٰ الظلم والجور، وزيّن لها الرضوخ للحاكم وإن كان جائراً، وشهر في وجه كلّ من يفكّر بالقيام والثورة تهمة جرم تفريق أمر هٰذه الأمّة، التي جزاؤها القتل، كلّ ذٰلك باسم الدين من خلال أحاديث كثيرة افتعلتها أجهزته الإعلاميّة لتخدير الأمّة وإذلالها، ومنها علىٰ سبيل المثال:

أنّه صلّى الله عليه وآله قال:

«من رأىٰ من أميره شيئاً يكرهه فليصبر عليه، فإنّه من فارق الجماعة فمات مات ميتة جاهليّة...».[4]

(١) البداية والنهاية، ٨: ١٢٠.

(٢) نفس المصدر، ٨: ١٢٠.

(٣) نفس المصدر، ٨: ١٢١.

(٤) البخاري، ٩: ٤٧، باب الفتن.

ويسأل أبوهريرة العجّاجَ قائلاً: ممّن أنت؟

قال: قلت من أهل العراق.

قال: يوشك أن يأتيك بُقعان أهل الشام فيأخذوا صدقتك، فإذا أتوك فتلقّهم بها، فإذا دخلوها فكن في أقاصيها وخلّ عنهم وعنها، وإيّاك أن تسبّهم، فإنّك إن سببتهم ذهب أجرك وأخذوا صدقتك، وإن صبرت جاءتك في ميزانك يوم القيامة».[1]

وغير هٰذه أحاديث كثيرة موجودة في الكتب الحديثيّة لأبناء العامّة لازال بعض هٰذه الأمّة يتأثّر بها مصدّقاً بها إلىٰ اليوم.

ج) ـ واللون الآخر من ألوان التضليل الديني الذي استخدمه معاوية وبرع في استخدامه هو تأسيس فرق دينيّة سياسيّة تقدّم للناس تفسيرات دينيّة تخدم سلطة الأمويّين وتبرّر أعمالهم، كما هو الحال في مذهب الجبر ومذهب الإرجاء...

يقول أبوهلال العسكري في الأوائل: إنّ معاوية أوّل من زعم أنّ الله يريد أفعال العباد كلّها.[2]

ولمّا اعترض عليه عبدالله بن عمر في نصب ولده يزيد خليفة من بعده قال معاوية:

«...وإنّي أحذّرك أن تشقّ عصا المسلمين وتسعىٰ في تفريق ملأهم وأن تسفك دماءهم، وإنّ أمر يزيد قد كان قضاء من القضاء وليس للعباد خيرة

---

(١) عيون الاخبار، ١: ٧.

(٢) الإلهيّات (جعفر سبحاني)، ١: ٥١٠ نقلاً عن كتاب الأوائل، ٢: ١٢٥.

من أمرهم».[١]

وأجاب عائشة أيضاً بمثل هٰذا الجواب عندما نازعته في هٰذا الاستخلاف.[٢]

فطغىٰ مذهب المجبّرة واتّسع انتشاره علىٰ يد معاوية وبني أميّة واضطُهِدَ القول باختيار الإنسان في أفعاله حتّىٰ كان يُقتل من يقول به!

كما انتشرت في العهد الأمويّ فرقة المرجئة التي ترىٰ الأكتفاء في الإيمان بمجرّد الإعتقاد والإقرار باللسان بلا جانب العمل، وسمّوا المرجئة لأنّهم أرجأوا العمل أي أخّروه، وعند هٰذه الفرقة أنّه:

«لاتضرّ مع الإيمان معصية كما لاتنفع مع الكفر طاعة»

وقالوا:

«إنّ الإيمان، الإعتقاد بالقلب وإن أعلن الكفر بلسانه، وعبد الأوثان، ولزم اليهوديّة أو النصرانيّة في دار الإسلام وعبد الصليب وأعلن التثليث، ومات علىٰ ذٰلك فهو مؤمن كامل الإيمان عند الله عزّ وجلّ، وليّ للّه عزّ وجلّ، من أهل الجنّة».[٣]

إنّ النتيجة المنطقيّة لمذهب المجبّرة هنا هي أنّ الأمويّين لايعترض علىٰ حكمهم ولا علىٰ أعمالهم لأنّ الله أرادهم لذٰلك وأراد أعمالهم، وتسلّطهم من قضاء الله الذي لايردّ، وهم ـ علىٰ مذهب المرجئة ـ مؤمنون مهما ارتكبوا من كبائر المعاصي!!

---

(١) الإمامة والسياسة، ١: ١٨٨.

(٢) نفس المصدر، ١: ١٨٤.

(٣) الفصل في الملل والأهواء والنحل، ٤: ٢٠٤.

وينطلق وعّاظ السلاطين ومحدّثوهم في كلّ البلاد الإسلاميّة ينفثون هٰذه السموم في قلوب الناس وعقولهم ليلجموهم عن التذمر والثورة بلجام ينسبونه إلىٰ الدين والدين منه براء، وليقعدوهم بها عن الإحتجاج علىٰ سياسة العسف والظلم، ويحجزوهم عن أيّة محاولة للقيام من أجل تحسين أحوالهم!

وبمرور حوالي عشرين عاماً من حكم معاوية علىٰ كلّ بلاد الإسلام، وبتأثير هٰذا التضليل الدينيّ الذي نجح مع الإغراء والإرهاب أيّما نجاح، صدّق جلّ هٰذه الأمّة بشرعيّة الحكم الأمويّ وانخدعوا به، وامتزجت في عقولهم الأمويّة بالإسلام، وصار في تصوّرهم أنّ القيام ضدّ الحكم الأمويّ قيام ضدّ الإسلام!

لذا كان لابدّ لفصل الأمويّة عن الإسلام في عقول الناس وقلوبهم، من أن يُراق دمٌ مقدّسٌ عند جميع المسلمين غاية القداسة، علىٰ مذبح المواجهة مع الحكم الأمويّ، وهٰذا الدم ليس إلاّ دم ابن رسول الله صلى الله عليه وآله سيّد شباب أهل الجنّة أبي‌عبدالله الحسين عليه السلام. الأمر الذي كان يدرك أثره معاوية تمام الإدراك، فكان يتحاشاه قدر استطاعته.

﴿٤﴾ـ *اضطهاد الشيعة*: عمد معاوية بعد التحكيم إلىٰ الإغارة علىٰ البلاد التي تمثل أطراف الأرض التي تقع تحت سيطرة أمير المؤمنين عليّ عليه السلام، فنكّل بها، وقد صرّح بأهدافه لقادته العسكريّين الذين بعثهم في تلك المهمّات، فقد قال لبسر بن أرطاة:

«لاتنزل علىٰ بلدٍ أهله علىٰ طاعة عليٍّ إلاّ بسطت عليهم لسانك حتّىٰ يروا أنّهم لا نجاء لهم وأنّك محيط بهم، ثمّ اكفف عنهم وادعهم إلىٰ البيعة لي، فمن أبىٰ فاقتله، واقتل شيعة عليٍّ حيث كانوا».[١]

(١) شرح نهج البلاغة، ٢: ١١٧.

فسار بسر وأغار علىٰ المدينة ومكّة، فقتل ثلاثين ألفاً عدا من أحرق بالنار!

ودعا معاوية بالضحاك بن قيس الفهري وأمره بالتوجّه ناحية الكوفة، وقال له: «فمن وجدته من الأعراب في طاعة عليٍّ فأغر عليه»، فأقبل الضحاك فنهب الأموال وقتل من لقي من الأعراب، وأغار بالثعلبيّة علىٰ الحاجّ، وقتل فيمن قتل عمروبن عميس بن مسعود الذهلي ابن أخي عبدالله بن مسعود وناساً من أصحابه.[1]

ووجّه سفيان بن عوف الغامدي إلىٰ جانب الفرات باتّجاه هيت ثمّ الأنبار ثمّ المدائن، وممّا قاله له:

«إنّ هٰذه الغارات يا سفيان علىٰ أهل العراق ترعب قلوبهم، وتفرح كلّ من له هوىً فينا منهم، وتدعو إلينا كلّ من خاف الدوائر، فاقتل كلّ من لقيته ممّن هو ليس علىٰ مثل رأيك، وأخرب كلّ ما مررت به من القرىٰ، وأحرب الأموال فإنّ حرب الأموال شبيه بالقتل وهو أوجع للقلب».[2]

واستمرّ معاوية علىٰ هٰذه السياسة بعد استشهاد الإمام عليٍّ عليه السلام، بصورة أكثر عنفاً وشمولاً وتنظيماً، ثمّ اشتدّ البلاء علىٰ الشيعة في الأمصار كلّها بعد معاهدة الصلح، وكان أشدّ الناس بليّة أهل الكوفة لكثرة من بها من الشيعة، واستعمل عليها زياداً، ضمّها إليه مع البصرة، وجمع له العراقين، وكان يتّبع الشيعة وهو بهم عالم، لأنّه كان منهم وقد عرفهم وسمع كلامهم أوّل شيء، فقتلهم تحت كلّ كوكب وتحت كلّ حجر ومدر، وأجلاهم وأخافهم، وقطّع الأيدي والأرجل منهم، وصلبهم علىٰ جذوع النخل، وسمّل أعينهم، وطردهم وشرّدهم حتّىٰ انتزعوا عن

---

(١) نفس المصدر، ٢: ١٥٤.

(٢) شرح نهج البلاغة، ٢: ١٤٤.

العراق فلم يبق بها أحد منهم إلاّ مقتول أو مصلوب أو طريد أو هارب، وكتب معاوية إلىٰ قضاته وولاته في جميع الأرضين والأمصار أن لاتجيزوا لأحد من شيعة عليّ ولا من أهل بيته ولا من أهل ولايته الذين يرون فضله ويتحدّثون بمناقبه شهادة.[١]

وكان قد كتب بياناً واحداً إلىٰ عمّاله في جميع البلاد:

«انظروا من قامت عليه البيّنة أنّه يحبّ عليّاً وأهل بيته فامحوه من الديوان، وأسقطوا عطاءه ورزقه».[٢]

ثمّ شفع ذٰلك ببيان آخر:

«من اتّهمتوه بموالاة هٰؤلاء القوم فنكّلوا به واهدموا داره».[٣]

فضاقت الأحوال بالشيعة إلىٰ حدّ الإختناق حتّىٰ أنّ الرجل من شيعة عليّ عليه السلام ليأتيه من يثق به فيدخل بيته فيلقي إليه سرّه، ويخاف من خادمه ومملوكه ولايحدّثه حتّىٰ يأخذ عليه الأيمان الغليظة ليكتمنّ عليه.[٤]

ولقد بلغ الإرهاب حدّاً لايطاق حتّىٰ صار الرجل يفضّل أن يقال عنه أنّه زنديق أو كافر ولايقال عنه أنّه من شيعة عليّ عليه السلام.[٥]

ومن أعيان الشيعة الذين قتلهم معاوية: حجر بن عدي وجماعته، ورشيد

---

(١) سليم بن قيس: ٢٠٣ ـ ٢٠٤.

(٢) شرح نهج البلاغة، ١١: ١٦.

(٣) شرح نهج البلاغة، ١١: ١٦.

(٤) شرح نهج البلاغة، ١١: ١٥ ـ ١٦.

(٥) المصدر السابق.

الهجري، وعمرو بن الحمق الخزاعي، وأوفىٰ بن حصن، وعبدالله الحضرمي وجماعته، وجويريّة بن مسهر العبدي، وصيفي بن فسيل، وعبدالرحمٰن العنزي.

ومن أعيان الشيعة الذين اضطهدهم معاوية وضيق عليهم تضييقاً شديداً: عبدالله بن هاشم المرقال، وعدي بن حاتم الطائي، وصعصعة بن صوحان، وعبدالله بن خليفة الطائي.

كما روّع كوكبة من النساء المؤمنات ولم يرع لهنّ حرمة المرأة.

هٰذا فضلاً عن سياسة الإبعاد، حيث أبعد زياد خمسين ألفاً من الشيعة في الكوفة إلىٰ خراسان، من أجل إضعاف المعارضة الشيعيّة فيها.[1]

والظاهر أنّ معاوية كان يسعىٰ من وراء ذٰلك فضلاً عن أهداف أخرىٰ كثيرة ـ إلىٰ إضعاف الوجود الشيعي إلىٰ درجة أنّ أيّ قائد من قادتهم إذا أراد القيام بوجه الحكم الأمويّ فسوف لن يجد في أحسن الحالات إلاّ عصابة قليلة يمكن القضاء عليها بسرعة وسهولة.

﴿٥﴾ـ ***تمزّق الأمّة الإسلاميّة قبلياً وطبقياً***: من الأسس الكبيرة التي أشاد معاوية عليها استقرار حكمه سياسة الإستكبار المعروفة في الأمم المستضعفة وهي (فَرِّقْ تَسُدْ). فالعصبيّة التي أماتها الإسلام كان معاوية قد أطلق لها العنان لتمزّق شمل الأمّة، وفجر التناحر القبلي تفجيراً شديداً، واحتقر الموالي واضطهدهم، وأذلّ الفقراء، وفرّق بين البلدان الإسلاميّة في العطاء والمنزلة، كما فرّق بين أشراف القبيلة الواحدة وبين عامتها، كلّ ذٰلك من أجل أن تجد الأمّة نفسها ـ في حال تمزّقها وتناحرها ـ مضطرّة إلىٰ التقرّب إليه بالطاعة والإنقياد لأوامره، وكان أبرع

(١) راجع حياة الإمام الحسين عليه السلام، ٢: ١٦٧ ـ ١٧٨.

ولاته في تنفيذ خططه التمزيقيّة هٰذه زياد ابن أبيه الذي ادّعاه معاوية لأبيه.

وشواهد هٰذه الحقيقة المرّة كثيرة في المتون التأريخيّة، لكنّنا هنا نكتفي في الدلالة عليها من خلال فقرات منتخبة من كتاب سرّي بعثه معاوية إلىٰ زياد جاء فيه:

«أمّا بعدُ، فإنّك كتبتَ إليّ تسألني عن العرب، من أكرم منهم ومن أهين، ومن أُقرّب ومن أُبعد، ومن آمن منهم ومن أحذر؟ ...وأنا يا أخي أعلم الناس بالعرب، انظر هٰذا الحيّ من اليمن فأكرمهم في العلانية وأهنهم في السرّ، فإنّي كذلك أصنع بهم... وانظر ربيعة بن نزار فأكرم أمراءهم وأهن عامّتهم فإنّ عامّتهم تبع لأشرافهم وساداتهم، وانظر إلىٰ مضر فاضرب بعضها ببعض، فانّ فيهم غلظة وكبراً ونخوةً شديدة، فإنّك إذا فعلت ذٰلك وضربت بعضهم ببعض كفاك بعضهم بعضاً...وانظر إلىٰ الموالي ومن أسلم من الأعاجم فخذهم بسنّة عمر بن الخطّاب، فإنّ في ذٰلك خزيهم وذلّهم: أن تنكح العرب فيهم ولايُنكحهم، وأن تقصر بهم في عطائهم وأرزاقهم، وأن يُقدّموا في المغازي، يصلحون الطريق ويقطعون الشجر، ولايؤمُّ أحدٌ منهم العرب في صلاة، ولايتقدّم أحد منهم في الصفّ الأوّل إذا حضرت العرب إلاّ أن يتمّوا الصفّ، ولاتولّ أحداً منهم ثغراً من ثغور المسلمين ولا مصراً من أمصارهم، ولايلي أحد منهم قضاء المسلمين ولا أحكامهم فإنّ هٰذه سنّة عمر فيهم وسيرته، وجزاه عن أمّة محمّد وعن بني أميّة خاصّة أفضل الجزاء! فلعمري لولا ما صنع هو وصاحبه وقوّتهما وصلابتهما في دين الله!! لكنّا وجميع هٰذه الأمّة لبني هاشم الموالي، ولتوارثوا الخلافة واحداً بعد واحدٍ... فإذا جاءك كتابي هٰذا فأذلّ العجم وأهنهم وأقصهم ولاتستعن بأحدٍ منهم ولاتقض لهم حاجة... وحدّثني ابن أبي‌معيط أنّك

أخبرته أنّك قرأت كتاب عمر إلىٰ أبي‌موسىٰ الأشعري وبعث إليه بحبل طوله خمسة أشبار وقال له: أعرض من قبلك من أهل البصرة فمن وجدت من الموالي ومن أسلم من الأعاجم قد بلغ خمسة أشبار فقدّمه فاضرب عنقه، فشاورك ابوموسىٰ في ذٰلك فنهيته وأمرته أن يراجع فراجعه، وذهبت أنت بالكتاب إلىٰ عمر، وإنما صنعت ما صنعت تعصّباً للموالي وأنت يومئذٍ تحسب أنّك عبد ثقيف، فلم‌تزل بعمر حتّىٰ رددته عن رأيه، خوّفته فرقة الناس فرجع، وقلت له: ما يؤمنك وقد عاديت أهل هٰذا البيت أن يثوروا إلىٰ عليٍّ فينهض بهم فيزيل ملكك، فكفّ عن ذٰلك، وما أعلم يا أخي وُلِدَ مولود من أبي‌سفيان أعظم شؤماً عليهم مثلك حين رددت عمر عن رأيه ونهيته عنه... فلوكنت يا أخي لم‌تردّ عمر عن ذٰلك لجرت سنّةً، ولاستأصلهم الله وقطع أصلهم، وإذن لاستنّت به الخلفاء بعده... فماأكثر ما قد سنّ عمر في هٰذه الأمّة بخلاف سنّة رسول‌الله صلى الله عليه وآله فتابعه الناس عليها وأخذوا بها، فتكون هٰذه مثل واحدة منهنّ...»[١].

وكان من نتائج إثارة التناحر القبلي أن شُغل زعماء القبائل بالسعي عند الأمراء الأمويّين للوقيعة بخصومهم من زعماء القبائل الأخرىٰ، وتودّدوا إلىٰ هٰؤلاء الأمراء وتملّقوهم، الأمر الذي وحّدهم في طاعة حكم معاوية الذي أشعل الفتنة بينهم وهم لايشعرون، وقد دفعهم هٰذا الوضع أيضاً إلىٰ أن يقفوا دائماً مع الحاكمين ضدّ الثائرين حفاظاً علىٰ الإمتيازات والعطايا الممنوحة لهم، وكانوا يقفون في وجه كلّ محاولة للثّورة ويخذّلون الناس عنها، ويتسابقون في استخدام أقصىٰ ما يملكونه من نفوذ ودهاء في هٰذا السبيل للتأكيد علىٰ ولائهم التامّ للسلطة، وفي قصّة اقتسام

---

(١) سليم بن قيس: ١٧٤ ـ ١٧٩.

القبائل رؤوس شهداء كربلاء دليل واضح على هٰذه الحالة المزرية التي وصلت إليها قبائل العرب نتيجة المنافسة بينها والتناحر والمفاخرة الجاهليّة التي ما برحت تتعاظم فيهم منذ يوم السقيفة بعد ما أماتها الإسلام.

﴿٦﴾ـ *الإنتكاس الروحي والنفسي في الأمّة*: نتيجة لمجموع سياسات معاوية التضليليّة على كلّ المستويات الفكريّة والأجتماعيّة والسياسيّة والنفسية كانت الأمّة قد هوت إلى الحضيض في الجانب النفسي والروحي، وتفشى في كيانها الوهن المتمثّل بحبّ الدنيا وكراهية الموت، وطغى هٰذا الشلل الذي كان قد بدأ التسرّب إلى حياتها منذ يوم السقيفة حتّى أقعدها عن نصرة كلّ قضيّة من قضايا الحق، وساءت أخلاقيّتها إلى درجة أنّ الرجل الوجيه في قومه لايتورّع في انقياده إلى الدنيا من أن يبيع دينه لمعاوية صراحة، فقد روي أنّه:

«وفد على معاوية جماعة من أشراف العرب، فأعطى كلّ واحد منهم مائة ألف، وأعطى الحتّات عمّ الفرزدق سبعين ألفاً، فلمّا علم الحتّات بذٰلك رجع مغضباً إلى معاوية.

فقال له: فضحتني في بني تميم، أمّا حسبي فصحيح، أَولستُ ذا سن؟ ألستُ مطاعاً في عشيرتي؟

قال: بلى.

قال: فما بالك خسست بي دون القوم، وأعطيتَ من كان عليك أكثر ممّن كان لك؟

قال: إنّي اشتريت من القوم دينهم، ووكلتك إلى دينك! ورأيك في عثمان (وكان عثمانيّاً).

قال: وأنا فاشتر منيّ ديني.

فأمر له بإتمام جائزته.[١]

وشاعت الإنتهازيّة والوصوليّة بين الناس، فصار جلّ سعيهم في التزلّف إلىٰ السلطان والتقرّب منه والتملّق إليه طمعاً في دنياه، حتّىٰ صاروا أطوع له من يده، وبذٰلك ضمن معاوية انقياد جلّ هٰذه الأمّة له، ممّن لا بصيرة لهم في أحنائهم ولا همّ لهم إلاّ دنياهم!

وامّا أولٰئك الذين لم تنطل عليهم أضاليل الأمويّين وأكاذيبهم، فقد آل الأمر بأكثرهم أيضاً إلىٰ أخطر ظاهرة في حياة الإنسان المسلم وهي الإزدواجيّة في الشخصيّة حيث يتعارض ظاهر الإنسان مع باطنه، ذٰلك لأنّ سياسة معاوية في الترغيب بالمال والجاه والدنيا، وأسلوبه الوحشي في التنكيل بأعدائه علّما الناس علىٰ الدجل والنفاق والسكوت عن الحق، والتظاهر بخلاف ما يعتقدون، وهٰذا الوضع الشاذّ الذي فرض عليهم أن يخفوا دوماً ما يعتقدونه حقّاً، وأن يتظاهروا بما تريده السلطة منهم مع علمهم بأنّه الباطل، ولّد عندهم حالة ازدواج الشخصيّة، هٰذا الإزدواج الذي كان يعمل عمله في فضّ أعوان الثورة عنها، أو إفشاء أسرارها، أوالقضاء عليها، بتأثير ظاهر الشخصيّة الخاضع لأوامر السلطة الحاكمة والمنسجم معها، خلافاً لباطن هٰذه الشخصيّة المؤيّد للثّورة والمقدّس لقيادتها والراغب في نصرتها والإنتماء إليها.

هٰذا الإزدواج الذي صوّره الفرزدق للإمام الحسين عليه السلام حيث عبّر عن حال أهل الكوفة قائلاً: «قلوبهم معك وسيوفهم عليك».

ولم تختلف عمليّاً حال المزدوجين عن حال المضلَّلين بالباطل الأمويّ، ذٰلك لأنّ الحكم الأمويّ استطاع أن يجنّد الصنفين معاً تحت رايته فأسرجوا وألجموا

(١) الكامل في التأريخ، ٣: ٤٦٨.

وتنقّبوا للقضاء علىٰ كلّ الثورات التي قامت تدعو إلىٰ الحقّ!

وظلّ كثيراً ممّن عرفوا الحقّ وأهله أسارىٰ الشلل النفسي المتعاظم منذ يوم السقيفة، فخذلوا الحقّ عملياً ولم‌ينصروه مع علمهم بعاقبة من يخذله ولم‌ينصره عند الله!

هٰذا عبدالله بن عمر يقول إنّه سمع رسول‌الله صلى الله عليه وآله يقول:

«حسين مقتول، ولئن قتلوه وخذلوه، ولن ينصروه ليخذلهم الله إلىٰ يوم القيامة».[1]

ومع هٰذا فلم‌ينصره بل قعد عن ذٰلك، بل أمره بمبايعة يزيد!!

وأولئك الذين أشاروا علىٰ أبي‌عبدالله عليه السلام بعدم الخروج ونصحوه بألّا يعرّض نفسه للقتل، وقعدوا عن نصرته، وهم يعلمون عن لسان رسول‌الله صلى الله عليه وآله أنّه مقتول، وأنّه:

«لايُقتل بين ظهراني قوم فلا يمنعونه إلاّ خالف الله بين قلوبهم وألسنتهم.»[2]

وهٰذا شريك بن الأعور وجماعة معه ممّن كانوا شيعة لعليّ، يصحبون عبيدالله بن زياد من البصرة إلىٰ الكوفة، فيتساقطون في الطريق متظاهرين بالعياء لعلّ ابن زياد يتأخّر من أجلهم فيسبقه الحسين عليه السلام إلىٰ الكوفة ويستقرّ له أمرها.[3]

أنظر إلىٰ الشلل النفسي كيف يقيّد حركة المصاب به! فشريك وجماعته يتمنّون لو أنّ الأمور تستتبّ للإمام عليه السلام، لكنّهم بدلاً من تعويق ابن زياد أو قتله في البصرة أو الطريق بألف حيلة وحيلة، يكتفون فقط بالتساقط في الطريق رجاء أن

---

(١) الفتوح، ٥: ٢٤.

(٢) نفس المصدر، ٥: ٢٤.

(٣) راجع تأريخ الطبري، ٤: ٢٦٧.

يتأخّر ابن زياد عن الوصول إلىٰ الكوفة في الوقت المناسب!!؟

وهٰذا عبيدالله بن الحرّ الجعفي يدعوه الإمام عليه السلام إلىٰ نصرته، فيجيب معترفاً بشلله النفسيّ قائلاً:

«والله إنّي لأعلم أنّ من شايعك كان السعيد في الآخرة، ولكن ما عسىٰ أن أُغني عنك ولم أخلّف لك بالكوفة ناصراً؟، فأنشدك الله أن تحملني علىٰ هٰذه الخطّة، فإنّ نفسي لم تسمح بعدُ بالموت! ولكن فرسي هٰذه (الملحقة) والله ما طلبت عليها شيئاً قطّ الاّ لحقته، ولا طلبني وأنا عليها أحد إلاّ سبقته، فخذها فهي لك!»[١]

فيقرّعه الإمام عليه السلام مبيّناً أنّه لا حاجة له بمشلول في نفسه، قائلاً:

«أمّا إذا رغبت بنفسك عنّا فلا حاجة لنا إلىٰ فرسك».[٢]

وروىٰ الطبري عن سعد بن عبيدة أنه رأىٰ في وقعة كربلاء أشياخاً من أهل الكوفة واقفين على التلّ يبكون ويقولون: أللّهم أنزل نصرك (أي علىٰ الحسين عليه السلام!) فقال لهم سعد: يا أعداء الله! ألاتنزلون فتنصرونه!!؟[٣]

إن الشلل النفسيّ يسوّغ للإنسان أن يخادع حتّىٰ نفسه، وكلّ ما قدمناه من الأمثلة يحكي في الواقع عن مخادعة الإنسان نفسه في التعامل مع الحقيقة، ولنختم هٰذه الأمثلة بهٰذه القصّة المؤسفة حقّاً: قال هرثمة بن سليم:

«غزونا مع علي بن أبي طالب غزوة صفّين، فلمّا نزلنا بكربلا صلّىٰ بنا صلاة

---

(١) الأخبار الطوال: ٢٥١.

(٢) الأخبار الطوال: ٢٥١.

(٣) راجع: الطبرى، ٤: ٢٩٥.

فلمّا سلّم رفع إليه من تربتها فشمّها ثمّ قال: واهاً لك أيّتها التربة، ليُحشرنّ منك قوم يدخلون الجنّة بغير حسابٍ.

فلمّا رجع هرثمة من غزوته إلىٰ إمرأته ـ وهي جرداء بنت سمير، وكانت شيعة لعليّ ـ فقال لها زوجها هرثمة: ألاأعجّبك من صديقك أبي‌الحسن؟ لمّا نزلنا كربلاء رفع إليه من تربتها فشمّها فقال: واهاً لك يا تربة، ليحشرنّ منك قوم يدخلون الجنّة بغير حسابٍ، وما علمه بالغيب!؟ فقالت: دعنامنك أيّها الرجل، فإنّ أمير المؤمنين لم‌يقل إلاّ حقّاً.

فلمّا بعث عبيدالله بن زياد البعث الذي بعثه إلىٰ الحسين بن عليّ وأصحابه. قال: كنت فيهم في الخيل التي بُعث إليهم، فلمّا انتهيت إلىٰ القوم وحسينٍ وأصحابه عرفتُ المنزل الذي نزل بنا عليٌّ فيه والبقعة التي رفع إليه من ترابها، والقول الذي قاله، فكرهت مسيري، فأقبلت علىٰ فرسي حتّىٰ وقفت علىٰ الحسين، فسلّمت عليه، وحدّثته بالذي سمعت من أبيه في هٰذا المنزل، فقال الحسين: معنا أنت أو علينا؟ فقلت: يابن رسول الله! لا معك ولا عليك! تركت أهلي وولدي، أخاف عليهم من ابن زياد. فقال الحسين: فولّ هرباً حتّىٰ لاترىٰ لنا مقتلاً، فو الذي نفس محمّدٍ بيده لايرىٰ مقتلنا اليوم رجلٌ ولايُغيثنا إلاّ أدخله الله النار. قال: فأقبلت في الأرض هارباً حتّىٰ خفي عليّ مقتله.[١]

تأمّل! كيف يخادع الإنسان نفسه بسبب الشلل النفسيّ في أعماقه!!؟

وبعدُ: فلم‌يبق في أواخر عهد معاوية من هٰذه الأمّة من لم‌ينخدع بالضلال الأمويّ أولم‌تزدوج شخصيّته أو لم‌يقعد به الشلل النفسي عن نصرة الحقّ إلاّ أقلّ

---

(١) وقعة صفّين: ١٤٠ ـ ١٤١.

القليل، بين طريد وشريد وسجين ومتخفٍّ مترقّب، ومن هٰذا القليل كانت الصفوة التي نصرت سيّد الشهداء عليه السلام.



المدخل

المقالة الثانية

☑ بين يدي الشهيد الفاتح

المقالة الثانية

بين يدي الشهيد الفاتح!

حدثٌ مألوف في تأريخ دين الله على الأرض منذ عهد آدم عليه السلام، ويبقى مألوفاً إلى عصر الوصيّ الخاتم عجل الله فرجه، أن يُقتل المؤمن في سبيل الله فيكون شهيداً.

ومشهدٌ كان ولايزال مألوفاً على مسرح الصراع أن تُحسّ هٰذه الأرض وطأة الإنسان الفاتح وتسمع ركزه، منذ خرجت حياة الجماعة البشريّة عن موازين فطرة الله التي فطر الناس عليها، فكان الإختلاف والصراع، وكان النصر والهزيمة.

والمؤمن المجاهد في سبيل الله لايحقّ له الإنهزام في المواجهة، مادام شارياً الحياة الدنيا بالآخرة، فهو في المواجهة إمّا أن «يُقتل أو يَغلب».

يُقتل ويكون شهيداً، فيؤتيه الله «أجراً عظيماً».

أو يَغلب، فيؤتيه الله ذٰلك الأجر العظيم أيضاً!

إذ قد وعد الله تعالى المؤمن المجاهد في سبيله شهيداً أو غالباً أجراً عظيماً، وما لم «يُقتل» أو «يَغلب» فهو دون حظوة ذٰلك الأجر العظيم وإن كان مأجوراً.

وقدّم الله تعالى الشهيد على الغالب في الحديث عن ذٰلك الأجر العظيم الذي وعدهما إيّاه، لأنّ الشهيد لايُخشى عليه بعد قتله من فقدان الأجر بسبب اجتراح سيّئة أو انحراف عن الصراط يحبط الأجر، إنّه قد ضمن أجره ولا خوفٌ عليه ولا هو يحزن!

لكنّ الغالب وإن كان له أيضاً ذٰلك الأجر العظيم كما للشهيد، غير أنّ نوال هٰذا

الأجر مشروط بدوام الإستقامة على الصراط وعدم اجتراح ما يحبط الأجر.

الغالب إذن على خطر! حتّى يُنهي شوط الدنيا مستقيماً على الصراط السويّ إلى الآخرة!

هذا من بعض عطاءات الآية الكريمة:

«**فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة، ومن يقاتل في سبيل الله فيُقتل أو يَغلب فسوف نؤتيه أجراً عظيماً**».[1]

عادة الأمر إذن أن يكون الشهيد غير الغالب، وإن مهّد الشهداء للنصر بدمائهم الزاكية.

غير أنّ الفتح أخصّ من الغلبة، إذ كم من غلبة لم تثمر فتحاً! هذا إذا عنينا بالفتح نوعاً من الغلبة يثمر تغييراً وتحوّلاً حاسماً ومنعطفاً رئيساً لصالح أهداف الفاتح.

ومن هنا كان صلح الحديبيّة فتحاً مبيناً كما قرّر القرآن الحكيم، لأنّه أنتج تغييراً وتحوّلاً حاسماً لصالح الإسلام والمسلمين لم تنتجه معركة بدر ،على عظمة النصر فيها!، ذلك لأنّ قريشاً في هذا الصلح قد اعترفت بالمسلمين رسميّاً كقوّة عدوّة تكافئها، فوقّعت معها معاهدة تحترمها وترعاها.

وقد أنزل الله تعالى: ﴿**إنّا فتحنا لك فتحاً مبيناً...**﴾ في واقعة صلح الحديبيّة التي كانت قبل فتح مكّة بعامين![2]

إذن فكلّ فاتح غالب، وليس كلّ غالب فاتحاً!

---

(١) سورة النساء: الآية ٧٤.

(٢) راجع: تفسير الميزان، ج١٨، تفسير سورة الفتح.

وعادة الأمر إذن أن يكون الشهيد غير الفاتح، وإن مهّد الشهداء للفتح بدمائهم الزاكية.

لكن، هل خرج هٰذا الأمر عن مجرىٰ عادته مرّة!؟

وهل كان إنسانٌ شهيداً فاتحاً معاً...!؟

وإذا كانت صفة «الشهيد الفاتح» من الخصائص... فمن هو هٰذا الإنسان الوتر في الخالدين، والأوحد في الربّانيّين ...؟

من أجل قراءة إنسانٍ فذٍّ فريد كهٰذا... لابدّ لنا أن ندع مطالعة المألوف والقاعدة... ونقرأ في سفر الخصائص والإستثناءات!

❑«الشهيد الفاتح» من الخصائص الحسينيّة

شهادة هي عين الفتح... ومصرع هو عين الإنتصار والغلبة!!

شهيد فاتح معاً... إنّها خصوصيّة من خصائص الإمام أبي‌عبدالله الحسين عليه السلام، لم‌تكن لأحد قبله من أنبياء الله عليهم السلام ولا لأحد من أوليائه... ذلك لأنّ التأريخ العام لم‌يحدّثنا أنّ أحداً من رجال دين الله تعالىٰ قُتل فكانت شهادته عين الفتح لأهدافه والغايات التي يجاهد في سبيلها.

والتأريخ القرآني لم‌يقصّ علينا أنّ أحداً من أنبياء الله تعالىٰ ممّن قُتل في سبيل‌الله ـ وما أكثر الأنبياء الشهداء ـ كانت شهادته عين الفتح لبقاء دين الله وانتشاره!

نعم، كان هناك أنبياء فاتحون، وأولياء فاتحون... وكان هناك أنبياء شهداء، وأولياء شهداء...، ولكنّنا نتأمّل في صفة « الشهيد الفاتح»!

ولو أنّ هٰذه الصفة كانت لأحدٍ من أنبياء الله تعالىٰ وأوليائه عليهم السلام فيمن كانوا قبل نبيّنا الأكرم صلى الله عليه وآله، لكان لقصّته موضوع متميّز في التأريخ القرآنيّ، ولحظي ذكره بعناية فائقة في هٰذا التأريخ الإلهي، كما حظي بذٰلك إبراهيم وموسىٰ ويوسف عليهم السلام مثلاً، ذٰلك لأنّ التأريخ القرآني الذي اهتمّ بالمقاطع والمنعطفات واللقطات التأريخيّة ذات العبرة والعظة التربويّة، والذي سجّل لنا حتّىٰ اللقطة التأريخيّة لحديث نملة لما في حديثها من درس وعبرة، لم يكن ليعرض صفحاً عن ذكر صفة «شهيد فاتح» علىٰ ما في هٰذه الصفة من عبرة تربويّة وتأريخيّة عظمىٰ!

وفي مقطع حياة رسول الله صلى الله عليه وآله، كان هناك أكثر من انتصار وأكثر من فتح... ولم يكن حتّىٰ شهداء بدر فاتحين... ذٰلك لأنّ بدراً كانت غلبةً ونصراً ولم تكن فتحاً ـ والقرآن الحكيم لم يسمّها فتحاً ـ كما أنّ التحولات الحاسمة لصالح الإسلام بعد بدر لم تكن لشهادة شهداء بدرٍ الأبرار رضي الله عنهم بل لوجود النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله ولسيف عليّ عليه السلام والسيوف الصادقة الأخرىٰ التي كانت مع هٰذا السيف الفريد في أهمّ مواقع الإسلام المصيريّة!

نعم، كان لدماء شهداء بدر الزاكية وللشهداء الآخرين أثر وتمهيد للفتح فيما بعد... ولكنّ كلامنا هنا في شهادة هي عين الفتح!

وفي تأريخ الخمسين سنة من بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، أي إلىٰ نهاية سنة ستّين للهجرة لم يحدّثنا التأريخ عن شهادة هي عين الفتح! حتّىٰ دخلت سنة إحدىٰ وستّين... فتحقّقت تلك الخصوصيّة التي كانت مكنونة في مطاوي الزمان لصاحبها الإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام ذٰلك الوتر في الخالدين... ثمّ امتنعت عن سواه إلىٰ قيام الساعة!

وأمّا أنّها لاتكون لأحد بعد الحسين عليه السلام، فذلك لأنّ عاشوراء قد كشفت عن وحدة وجوديّة لا انفكاك لها بين الإسلام المحمّديّ الخالص وبين الحسين عليه السلام، فصارت الدعوة إلى هٰذا الإسلام هي عين الدعوة إلى الحسين عليه السلام، وبالعكس، وصارت مواجهة هٰذا الإسلام ومعاداته هي عين مواجهة الحسين عليه السلام ومعاداته، وبالعكس، وصار بقاء هٰذا الإسلام بعد كربلاء ببقاء عاشوراء الحسين عليه السلام، حتّىٰ لقد قيل ـ وما أصدقه من قول ـ: «**الإسلام محمّديّ الوجود حسينيّ البقاء**».[1]

لقد امتدّ النهج الحسيني بعد عاشوراء فهيمن على كلّ مساحة الزمان والمكان في انبعاث كلّ قيام إسلاميّ حتّى إلىٰ قيام الساعة، لقد غدا الحسين عليه السلام قدوة كلّ مسلم ثائر للحقّ وبالحقّ، وغدت كلّ نهضة إسلاميّة حقّة تجد نفسها امتداداً لنهضة الحسين عليه السلام، حتّىٰ نهضة المهدي عليه السلام تجد نفسها امتداداً لنهضة الحسين عليه السلام وتؤكّد هٰذا الامتداد بشعار: «**يا لثارات الحسين**».

وغدا كلّ طاغية من أعداء الإسلام بعد عاشوراء يجد نفسه في مواجهة الحسين عليه السلام، فهو يذعر من ذكر الحسين عليه السلام، بل ويخاف من قبر الحسين عليه السلام، وقد كان ولا يزال هٰذا القبر المقدّس يتعرّض ـ في الماضي والحاضر ـ لأشرس الهجمات ومحاولات الطمس من قبل الطغاة، فلا يزداد إلاّ علوّاً وشموخاً! يقول أمير المؤمنين عليّ عليه السلام مشيراً إلىٰ هٰذه الخصوصيّة الحسينيّة في وصف منزلة شهداء كربلاء عليهم السلام:

---

(١) وهٰذا لايعنى عدم تحقّق هٰذه الوحدة الوجوديّة بين الإسلام المحمّدي الخالص وبين سائر أئمّتنا عليهم السلام، بل يعنى أنّ المميّزات الفريدة للدّور الحسيني جعلت الإمام أباعبدالله الحسين عليه السلام من خلال عاشوراء عنوان بقاء الإسلام والحفاظ عليه نقيّاً كما هو.

«... ومصارع عشّاق شهداء، لايسبقهم من كان قبلهم، ولايلحقهم من بعدهم».[١]

إنّ في «لايسبقهم من كان قبلهم» و«لايلحقهم من بعدهم» إشارة إلىٰ هٰذا التفرّد الناشئ عن تلك الخصوصيّة!

وهنا قد يقول قائل: إذن فأنصار أبي‌عبدالله الحسين عليه السلام من أهل بيته وصحبه الكرام الذين استشهدوا بين يديه شهداء فاتحون أيضاً!

نعم، ولكنّ هٰذا الإشتراك لايقدح في أصل أنّ هٰذه الصفة من خصائص الحسين عليه السلام، ذٰلك لأنّ في ظلّ هٰذا الإمتياز الحسيني الخاصّ كان أنصار أبي‌عبدالله عليهم السلام من أهل بيته وصحبه الكرام الذين استشهدوا بين يديه شهداء فاتحين أيضاً، وتسنّموا هٰذا المقام الذي لم‌يسبقهم إليه سابق ولايلحق بهم إليه لاحق، لا عن استقلاليّة منهم بذٰلك، بل تبعاً لصاحب هٰذا الإختصاص أصالة، إذ لو لم‌يكن الإمام أبوعبدالله الحسين عليه السلام صاحب كربلاء، لما كان شهداء الطفّ الآخرون علىٰ ما هم عليه من هٰذه المرتبة في السمو والشرف التي ينحدر عنها السيل ولايرقىٰ إليها الطير، ولما كانت كربلاء التي نعرف، ولا عاشوراء التي تأخذ بمجامع قلوب المؤمنين خاصّة وأحرار العالم عامّة.

إنّ قداسة الإمام الحسين عليه السلام (المثل الأعلىٰ) في ضمير ووجدان الأمّة هي التي أسبغت علىٰ عاشوراء كلّ هٰذه القداسة وهٰذه الرمزيّة في الزمان «كلّ يوم عاشوراء»، وهي التي نشرت كربلاء علىٰ كلّ الأرض عنواناً لميدان انتصار دم الحقّ علىٰ سيف الباطل، فكانت «كلّ أرض كربلاء»، ولولاه عليه السلام لكانت واقعة الطفّ بكلّ ما غصّت به من فجائع أليمة: مأساة يذكرها الذاكر فيأسف لها كما يأسف لكثير من وقائع التأريخ الأليمة الأخرىٰ المقيّدة بحدود الزمان والمكان.

---

(١) بحارالأنوار، ٤١: ٢٩٥، حديث ١٨ نقلاً عن الخرائج والجرائح (مخطوط).

إنّ واقعة كربلاء بعظمتها الفريدة من كلّ جهة، وبكلّ أبطالها وبطولاتها، إنّما استمدّت خصائصها من الخصائص المنحصرة بصانع ملحمتها الإمام أبي‌عبدالله الحسين‌عليه السلام ، فكانت الحدث التأريخي الذي لايرقىٰ إليه أيّ حدث تأريخيّ آخر في مستوىٰ تأثيره...

▢منطق الشهيد الفاتح

إنّ الفترة الزمنية الممتدّة من يوم إعلان الإمام الحسين‌عليه السلام رفضه البيعة ليزيد بن معاوية أمام الوليد بن عتبة والي المدينة آنئذٍ ، إلىٰ اليوم الذي وصل فيه كتاب عبيدالله بن زياد إلىٰ الحرّ بن يزيد الرياحي رضي الله عنه ، والذي جاء فيه: «أمّا بعدُ: فجعجع بالحسين حين يبلغك كتابي ويقدم عليك رسولي، فلا تنزله إلاّ بالعراء في غير حصن ولا ماء، وقد أمرت رسولي أن يلزمك ولايفارقك حتّىٰ يأتيني بإنفاذك أمري، والسلام»،[1] تعتبر فترة التعريف بنهضة الإمام الحسين‌عليه السلام ، كما يمكن اعتبارها أهمّ مقطع من مقاطع هٰذه الثورة المقدّسة لما حوته من محاورات ومراسلات وخطب ووصايا ضبطها لنا التأريخ، فهي أغنىٰ مقاطع هٰذه الثورة بالنصوص المعرّفة بها والكاشفة عن هويّتها ممّا ورد عن الإمام الحسين‌عليه السلام .

كما أنّ هٰذه الفترة تعتبر أيضاً أهمّ مقاطع هٰذه الثورة المقدّسة بمنظار التحليل التأريخي، من ناحية عدد الإختيارات التي كان يملكها الإمام الحسين‌عليه السلام في هٰذه الفترة، ومن ناحية موقف الإمام‌عليه السلام إزاء كلّ من هٰذه الإختيارات، ثمّ من ناحية نوع الإختيار الذي أصرّ إليه الإمام‌عليه السلام منذ البدء.

---

(١) تأريخ الطبري، ٤: ٣٠٨.

لكنّ الإستفادة من نصوص هٰذه الفترة المهمّة في الوصول إلى تعريف صحيح تامّ لهٰذا الثورة المقدّسة لم تسلم في الغالب من عثرات القصور والخطأ في الإستنتاج في كثير ممّا كتب حول هٰذه الثورة، ويكفي التأمّل اليسير في كثير من الكتب والدراسات التي تناولت البحث في حقيقة قيام الإمام الحسين عليه السلام دليلاً لإثبات ما قلناه ـ والأمثلة تأتي ـ ولعلّ مرّد ذٰلك بالأساس إلى عدم الأنتباه إلى النقاط الثلاث التالية:

١ـ معرفة هويّة المخاطَب في تلك النصوص.

٢ـ النظر إلى هٰذه النصوص كوحدة في مجموعها.

٣ـ ردّ المتشابه منها إلى المحكم.

انّ معرفة هويّة المخاطَب من العناصر المهمّة في فهم واستيعاب روايات أهل البيت عليهم السلام، لأنّهم صلوات الله عليهم إنّما يخاطبون الناس على قدر عقولهم ومستوى بصيرتهم ودرجة ولائهم لهم ونوع علاقتهم بأعدائهم، وهٰذه نقطة مهمّة يجب حضورها دواماً في ذهن الباحث المتأمّل في النصوص الواردة عنهم عليهم السلام.

ولا شك أنّ الإمام الحسين عليه السلام كان قد خاطب أخاه محمّد بن الحنفيّة في محاوراته معه ووصاياه إليه خطاباً مختلفاً عن خطابه مع أخيه عمر الأطرف الذي كان قد أشار على الإمام عليه السلام قائلاً: «**فلو لا ناولت وبايعت!!**».[1]

كما أنّه عليه السلام يخاطب أمّ سلمة رضوان الله عليها خطاباً يختلف عن ردّه على كتاب عمرة بنت عبدالرحمٰن التي عظّمت عليه ما يصنع وأمرته بالطاعة ولزوم الجماعة!!

---

(١) اللهوف: ١٢.

وخاطب عليه السلام الشاعر الفرزدق في محاوراته معه بمنطق اختلف عن منطقه مع عبدالله بن مطيع العدوي الذي كان همّه الأكبر أن يكون ماء بئره عذباً وكثيراً!

ويحاور عليه السلام عبدالله بن جعفر وابن عبّاس حواراً يختلف كثيراً عن حواره مع عبدالله بن عمر صاحب الموقف والرأي المريب! الذي كان لايرىٰ إلاّ:

«أن تدخل في صلح ما دخل فيه الناس، واصبر كما صبرت لمعاوية من قبل».[١]

حتّىٰ ضاق الإمام عليه السلام ذرعاً به وباقتراحاته المريبة فقال له:

«أفٍّ لهٰذا الكلام أبداً مادامت السموات والأرض...».[٢]

وإذا تأمّل الباحث في جميع نصوص هٰذه الفترة المهمّة لوجد أثر نوع المخاطب في نوع كلّ منها بيّناً جليّاً، وممّن انتبه إلىٰ هٰذه النقطة المهمّة المؤرّخ المحقّق السيّد المقرّم حيث قال:

«وإنّما لم يصارح بما عنده من العلم لكلّ من رغب في إعراضه عن السفر إلىٰ الكوفة لعلمه بأنّ الحقائق لاتفاض لأيّ متطلّب بعد اختلاف الأوعية سعة وضيقاً وتباين المرامي قرباً وبُعداً، فلذٰلك عليه السلام يجيب كلّ أحد بما يسعه ظرفه وتتحمّله معرفته وعقليّته، فإنّ علم أهل البيت عليهم السلام صعب مستصعب لايتحمّله إلاّ نبيّ مرسلٌ أوملك مقرّبٌ أومؤمنٌ امتحن الله قلبه بالإيمان».[٣]

كما أنّ تأثير نوع المخاطب علىٰ درجة صراحة ووضوح محتوىٰ النصّ يفرض أن تؤخذ مجموعة هٰذه النصوص كوحدة في مجموعها، لأنّ النظر إلىٰ

---

(١) الفتوح، ٥: ٢٤.

(٢) الفتوح، ٥: ٢٥.

(٣) مقتل الحسين عليه السلام للمقرّم: ٦٥ ـ ٦٦.

بعض هٰذه النصوص ـ وقد تكون مبهمة ومتشابهة أوغير صحيحة ـ دون البعض الآخر قد يؤدّي بالباحث إلىٰ استنتاج نظرة تكون في الغالب قاصرة أو خاطئة.

كما لو نظر الباحث فقط إلىٰ مثل هٰذا المقطع من المحاورات الواردة بين الإمام عليه السلام وبين الشاعر الفرزدق حين سأله: «**ما أعجلك عن الحجّ!؟**»[١]

حيث أجابه عليه السلام: «**لو لم أعجل لأخذت**».[٢]

أو مثل هٰذه المحاورة الواردة بين الإمام عليه السلام وبين أبي هرّة الأزدي في منطقة الثعلبيّة، تقول الرواية:

«فلمّا أصبح الحسين وإذا برجل من الكوفة يكنّىٰ أبا هرّة الأزدي، أتاه فسلّم عليه

ثمّ قال: يا ابن بنت رسول الله، ما الذي أخرجك عن حرم الله وحرم جدّك محمّد صلى الله عليه وآله!؟

فقال الحسين: يا أباهرّة، إنّ بني أميّة أخذوا مالي فصبرتُ، وشتموا عرضي فصبرتُ، وطلبوا دمي فهربتَ، وأيم الله يا أباهرّة لتقتلنّي الفئة الباغية، وليلبسهم الله ذلاً شاملاً وسيفاً قاطعاً، وليسلّطنّ الله عليهم من يُذلّهم حتّىٰ يكونوا أذلَّ من قوم سبأ إذ ملكتهم إمرأة منهنّ فحكمت في أموالهم ودمائهم».[٣]

إنّ ظاهر مثل هذه النصوص يوحي بأنّ الإمام عليه السلام كان همّه الأكبر النجاة

---

(١) الإرشاد: ٢٤٣.

(٢) المصدر السابق.

(٣) الفتوح، ٥: ٧١.

بنفسه!! فقد صبر على أخذ ماله وشتم عرضه، وحين أرادوا قتله هرب لينجو بنفسه!! هٰذه حدود مظلوميّته لا أكثر!! وكأنّه ليس هناك رفض بيعة لا طلب اصلاح وأمر بمعروف ونهي عن منكر، ولا قيام!!

ولقد انطلىٰ هٰذا الإستنتاج الخاطئ علىٰ بعض الناس، فتوهّموا أنّ أساس حركة الإمام عليه السلام هو طلب النجاة والفرار من الإغتيال والقتل!!

كذلك إذا اقتصر نظر الباحث علىٰ مثل ردّه عليه السلام علىٰ المسور بن مخرمة حينما كتب إليه ألّا يغترّ بكتب أهل العراق حيث قال الإمام عليه السلام: «**أستخير الله في ذٰلك**».[1]

وقوله عليه السلام لأخيه محمّد بن الحنفيّة: «**يا أخي، سأنظر فيما قلت**».[2]

أو قوله عليه السلام لعبدالله بن مطيع العدوي: «**أمّا في وقتي هٰذا أُريد مكّة، فإذا صرت إليها استخرتُ الله تعالىٰ في أمري بعد ذٰلك**».[3]

أو قوله عليه السلام لعبدالله بن عبّاس حين حذّره من التوجّه إلى العراق: «**وإنّي أستخير الله، وأنظر ما يكون**».[4]

أو قوله عليه السلام لعبدالله بن الزبير: «**والله لقد حدّثت نفسي بإتيان الكوفة، ولقد كتب إليّ شيعتي بها وأشراف أهلها، وأستخير الله**».[5]

---

(١) تاريخ ابن عساكر (ترجمة الإمام الحسين عليه السلام) المحمودي: ٢٠٢، حديث ٢٥٥.

(٢) ينابيع المودّة: ٤٠٤.

(٣) الفتوح، ٥: ٢٢.

(٤) تاريخ الطبري، ٤: ٢٨٧.

(٥) نفس المصدر، ٤: ٢٨٨.

ذلك لأنّ ظاهر مثل هٰذه النصوص يوحي بأنّ الإمامعليه السلام لم تكن لديه خطّة علىٰ الأرض في مسار النهضة منذ البدء، ولا علم له بما هو قادم عليه في مستقبل أيّامه من مصير، بل كانت تُوجّه حركته بوصلة الإستخارة!

الأمر الذي يعارض وينافي كثيراً من النصوص الواردة عنهعليه السلام في نفس هٰذه الفترة، فضلاً عن منافاته للإعتقاد الصحيح بعلم الإمامعليه السلام!

كذلك الحال إذا اقتصر نظر الباحث مثلاً علىٰ النصوص المتعلّقة برسائل أهل الكوفة إلىٰ الإمامعليه السلام، خصوصاً النصوص الواردة عنهعليه السلام في ذٰلك، لأنّ نتيجة مثل هٰذا النظر ستكون اعتبار رسائل أهل الكوفة هي سبب قيام الإمامعليه السلام، وهٰذا من أشهر الإشتباهات الحاصلة في مجرىٰ النظر إلىٰ قيام الإمام الحسينعليه السلام!

وكذلك لايكون الإستنتاج سديداً إذا اقتصر مثلاً علىٰ النصوص المتعلّقة بالرؤيا التي رأىٰ فيها الإمامعليه السلام جدّه رسول اللهصلى الله عليه وآله وأمره فيها بأمرٍ لابدّ أن يمضي إليه!

وكذلك لايكون الإستنتاج سديداً إذا اقتصر مثلاً علىٰ النصوص التي توحي بأنّهعليه السلام كان يأمل النصر والنجاح وتسلّم زمام الأمور، وأنّه كان يتوقّع ذٰلك ويرجوه، وأنّه لم يكن يعلم المصير!.

كلّ تلك النتائج القاصرة أوالخاطئة إنّما تنشأ نتيجة الأخذ الجزئي المفكّك، أمّا أخذ جميع النصوص المتعلّقة بهٰذه الفترة كمجموعة واحدة أخذاً كليّاً موحّداً فهو أحد عناصر عصمة الإستنتاج من القصور والخطأ.

هٰذا، وكما يُردُّ متشابه القرآن إلىٰ محكمه، كذلك يردّ متشابه قول أهل البيتعليهم السلام إلىٰ محكم قولهم.

وفي مجموعة هٰذه النصوص هناك متشابهات لايتجلّىٰ معناها الحقّ للنظرة

الأولىٰ، ويؤدّي الإقتصار عليها في النظر إلىٰ نتائج قاصرة أو خاطئة أيضاً.

كما لو اقتصر النظر مثلاً علىٰ مثل قوله عليه السلام لعمرو بن لوذان حينما أشار عليه بعدم التوجّه إلىٰ الكوفة لأنّ أهلها لم يتحرّكوا عمليّاً لنصرته ولم يغيّروا شيئاً من أمورهم استقبالاً لمقدمه، حيث قال عليه السلام: «**يا عبدالله، ليس يخفىٰ عليَّ الرأي، ولكنّ الله تعالىٰ لايُغلب علىٰ أمره**».[1]

أو إلىٰ مثل قوله عليه السلام بعد أن قرأ كتاب عمرة بنت عبد الرحمٰن، وكانت في كتابها هٰذا «تعظّم عليه ما يريد أن يصنع، وتأمره باالطاعة ولزوم الجماعة، وتخبره أنّه إنّما يُساق إلىٰ مصرعه، وتقول: أشهد لحدّثتني عائشة أنّها سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «**يقتل حسين بأرض بابل**»، حيث قال عليه السلام: «**فلابدّ لي إذن من مصرعي!**».[2]

وإلىٰ مثل إجابته عليه السلام حين أشار عليه عمر بن عبدالرحمٰن بن الحارث بن هشام المخزومي بعدم التوجّه إلىٰ العراق، حيث قال عليه السلام: «**جزاك الله خيراً يا ابن عمّ، فقد والله علمت أنّك مشيت بنصح وتكلّمت بعقل، ومهما يقض من أمرٍ يكن، أخذتُ برأيك أو تركته!**».[3]

أو إلىٰ مثل قوله عليه السلام لأمّ سلمة رضي الله عنها: «**يا أُمّاه، قد شاء الله عزّ وجلّ أن يراني مقتولاً مذبوحاً ظلماً وعدواناً، وقد شاء أن يرىٰ حرمي ورهطي ونسائي مشرّدين، وأطفالي مذبوحين مظلومين مأسورين مقيّدين، وهم يستغيثون فلا يجدون ناصراً ولا**

---

(١) الإرشاد: ٢٤٨.

(٢) تاريخ ابن عساكر (ترجمة الإمام الحسين عليه السلام) المحمودي: ٢٠٢، حديث ٢٥٥.

(٣) تاريخ الطبري، ٤: ٢٨٧.

معيناً...».[١]

وإلىٰ مثل قوله عليه السلام لعمّته أُمّ هاني رضي الله عنها: «يا عمّة، كلّ الذي مقدّر فهو كائن».[٢]

وإلىٰ قوله عليه السلام للأوزاعي: «مرحباً بك يا أوزاعي، جئت تنهاني عن المسير، ويأبى الله إلاّ ذلك!».[٣]

وإلىٰ قوله عليه السلام لأخته زينب عليها السلام: «يا أختاهُ، المقضيُّ هو كائن».[٤]

ذلك لأنّ هٰذه النصوص تنطوي علىٰ إبهام وتشابه يوحي للنظرة الأولىٰ بأنّ هناك جبراً وقهراً لم يكن الإمام عليه السلام إزاءه يملك أيَّ اختيار في كلّ ما جرىٰ عليه! وهٰذا خلاف واقع الحال، وخلاف الإعتقاد الصحيح!

إنّ من لم يطّلع علىٰ معنىٰ القدر والقضاء وأقسام القضاء ـ بما ورد عنهم عليهم السلام لا يؤمَنُ عليه من الوقوع في مزالق الفهم الخاطيء لمعاني مثل هٰذه النصوص المتشابهات.

إنّ فهم الإشارات الكامنة في مثل هٰذه النصوص يفرض علىٰ الباحث أن يعرض متشابهات هٰذه النصوص علىٰ محكمات براهين الإعتقاد الحقّ، وعلىٰ نظائرها من النصوص الأخرىٰ المحكمة حتّىٰ يتجلّىٰ له معناها الحقّ تماماً.



---

(١) بحار الأنوار، ٤٤: ٣٣١ ـ ٣٣٢.

(٢) معالي السبطين، ١: ٢١٥.

(٣) دلائل الإمامة: ١٨٤، رقم ١٠٢/ ٧.

(٤) الفتوح، ٥: ٧٠.

ممّا سبق تتجلّىٰ لنا هٰذه الحقيقة وهي: أنّ قراءة معمّقة للنصوص الواردة عن الإمام الحسين عليه السلام في هٰذه الفترة، قراءة واعية لحقائق هٰذه النقاط الثلاث التي قدّمناها، لابدّ أن تصل إلىٰ هٰذه النتيجة وهي:

أنّ الإمام الحسين عليه السلام كان قد تعامل في العمق مع كلّ قضيّة في مسار النهضة المقدّسة بمنطق (الشهيد الفاتح)، وخاطبها بلغة الشهادة التي هي عين الفتح، وإن كان في نفس الوقت قد تعاطىٰ مع ظواهر القضايا بمنطق الحجج الظاهرة ولا منافاة بين المنطقين بل هما في طول بعضهما البعض.

فكان صحيحاً ـ مثلاً ـ أنّ الإمام عليه السلام أراد أن (ينجو) من أن يُقتَل في المدينة أوفي مكّة خاصّة، قتلة يُقضىٰ بها علىٰ ثورته في مهدها، وتُهتك بها حرمة البيت: «يا أخي، قد خفت أن يغتالني يزيد بن معاوية في الحرم، فأكون الذي يستباح به حرمة هٰذا البيت».[1]

حيث يتمكّن الأمويّون في كلّ ذٰلك أن يدعّوا أنّهم بريئون ممّا جرىٰ علىٰ الإمام عليه السلام سواء في المدينة أو في مكّة أو في الطريق، فيحافظو بذٰلك علىٰ الإطار الديني لحكمهم، أو أن تزداد المصيبة سوءً حين يطالبون هم بدم الإمام عليه السلام ويقتلون من أمروه بقتله، فيخدعون الناس بادّعائهم أنّهم أصحاب دمه الآخذون بثأره، فيزداد الناس انخداعاً بهم ومحبّة لهم وتصديقاً بما يستظهرون من التدين والإلتزام، فتكون المصيبة علىٰ الإسلام والأمّة الإسلاميّة أدهىٰ وأمرّ!

وصحيح في العمق أيضاً أنّ الإمام عليه السلام كان قد تحرّك علىٰ علمٍ منذ البدء نحو المصرع المختار علىٰ الأرض المختارة التي تنفرج وقائع المصرع في ساحتها عن الفتح المنشود:

---

(١) اللهوف: ٢٧.

«وخِيرَلي مصرعٌ أنا لاقيه». [1]

«الموعد حفرتي وبقعتي التي أستشهد فيها وهي كربلا». [2]

«لا سبيل لهم عليّ ولايلقوني بكريهة أو أصل إلىٰ بقعتي». [3]

«ولكن أعلم يقيناً أن هناك مصرعي ومصرع أصحابي...». [4]

فحيث إن لم يبايع عليه السلام يُقتل، فقد سعىٰ عليه السلام ألأ يقتل في ظروف زمانيّة ومكانيّة وبكيفيّة يختارها ويخطّط لها ويعدّها العدوّ، وسعىٰ عليه السلام بمنطق الشهيد الفاتح أن يتحقّق مصرعه الذي لابدّ منه علىٰ أرض يختارها هو، لايتمكّن العدوّ فيها أن يعتّم علىٰ مصرعه، فتختنق الأهداف المرجوّة من وراء هٰذا المصرع الذي سيهزّ الأعماق في وجدان الأمّة ويحرّكها بالإتّجاه الذي أراده الحسين عليه السلام، كما سعىٰ عليه السلام أن تجري وقائع المأساة في وضح النهار لا في ظلمة الليل، ليرىٰ جريان وقائعها أكبر عدد من الشهود، فلايتمكّن العدوّ من أن يعتّم علىٰ هٰذه الوقائع الفجيعة ويغطّي عليها، وهٰذا هو الهدف المنشود من وراء العامل الإعلامي والتبليغي في طلب الإمام عليه السلام عصر تاسوعاء أن يمهلوه إلىٰ صبيحة عاشوراء!

وكان صحيحاً ـ مثلاً ـ أنّ رسائل أهل الكوفة كانت حجّة لهم علىٰ الإمام عليه السلام، وحجّة له عليهم وعلىٰ الأمّة في وقت معاً، وكانت حجّة هٰذه الرسائل تقضي أن يتوجّه الإمام عليه السلام بعدها إلىٰ الكوفة، خصوصاً بعد أن كتب إليه مسلم بن

---

(١) اللهوف: ٢٦.

(٢) نفس المصدر: ٢٩.

(٣) المصدر السابق.

(٤) نفس المصدر: ٢٧.

عقيل رضي الله عنه يخبره بأنّه قد بايعه منهم ثمانية عشر ألفاً ويطلب منه القدوم.[1]

وذلك وفاءً بالوعد الذي قطعه لهم الإمام الحسين عليه السلام على نفسه:

«...فإن كتب إليّ أنّه قد أجمع رأي ملئكم وذوي الفضل والحجى منكم على مثل ما قدمت عليّ به رسلكم وقرأت في كتبكم، أقدم عليكم وشيكاً إن شاءالله...».[2]

ولو لم يتوجّه الإمام عليه السلام إلى الكوفة بعد هذه الرسائل لقال التأريخ والناس إلى يومنا هذا إنّه عليه السلام قد أخلف الوعد، وإخلاف الوعد قبيح! وضيّع الفرصة التي لاتُعوَّض وفوّتها تفويتاً، وفرّط في الأمر خلافاً للحنكة السياسيّة!

لكنّ حجّة أهل الكوفة على الإمام عليه السلام كانت قد انتفت بالفعل بعد انقلاب الكوفة على مسلم بن عقيل عليه السلام وخذلان أهلها له، ونكولهم عن نصرته والوفاء ببيعته، وتفرّق بقيّة المخلصين من الشيعة ـ وهم قليل جدّاً ـ تحت جنح التستّر والتخفّي خوفاً من بطش ابن زياد بهم، بعد أن سجن جمعاً منهم، ووصول الخبر بذلك إلى الإمام عليه السلام.

فلم يعد في الظاهر ثمّة إلزام يقضي بضرورة مواصلة التوجّه إلى الكوفة. فلماذا لم ينثنِ الإمام عليه السلام عن المسير إليها والتوجّه نحوها!؟

لعلّ هناك من يتصوّر أنّ إصرار الإمام عليه السلام على التوجّه إلى الكوفة كان بسبب إصرار بني عقيل على الأخذ بثأر مسلم عليه السلام بعد وصول خبر مقتله، كما هو ظاهر الرواية الواردة عن عبدالله بن سليمان والمنذر بن المشمّعل الأسديّين الذين نقلاً

---

(١) الإرشاد: ٢٢٦.

(٢) تاريخ الطبري، ٤: ٢٦٢؛ والإرشاد: ٢٢٥ بتفاوت يسير.

خبر مقتل مسلم عليه السلام عن طريق أسديّ آخر شهد مقتله في الكوفة، ثمّ قالا للإمام عليه السلام: «ننشدك الله في نفسك وأهل بيتك إلاّ انصرفت من مكانك هٰذا، فإنّه ليس لك بالكوفة ناصر ولا شيعة، بل نتخوّف أن يكونوا عليك...».[١]

تقول الرواية:

«فنظر إلىٰ بني عقيل فقال: **ما ترون، فقد قتل مسلم عليه السلام**؟ فقالوا: والله لا نرجع حتّىٰ نصيب ثأرنا أو نذوق ما ذاق. فأقبل علينا الحسين عليه السلام وقال: **لا خير في العيش بعد هٰؤلاء!**».[٢]

معنىٰ ذٰلك أنّ الإمام عليه السلام أصرّ علىٰ التوجّه إلىٰ الكوفة نتيجة لإصرار بني عقيل علىٰ الأخذ بثأر مسلم عليه السلام !! وإلاّ لكان الإمام عليه السلام قد رجع من حيث أتىٰ. أو كان قد انصرف عن وجهته، وما كانت لتقع عاشوراء!!

وهٰذا ما تأباه ماهيّة النهضة الحسينيّة ويأباه تأريخها الوثائقي.

فممّا يدلّ علىٰ أنّ القضيّة عند الإمام عليه السلام هي قضية نجاة الإسلام التي هي أكبر من دم مسلم عليه السلام ومن كلّ دم. قول الإمام عليه السلام لمسلم عليه السلام وهو يودّعه، موجّهاً إيّاه إلىٰ الكوفة ومبشّراً إيّاه بالشهادة:

«إنّي موجّهك إلىٰ أهل الكوفة، وهٰذه كتبهم إليّ، وسيقضي الله من أمرك ما يحبّ ويرضىٰ، وأنا أرجو أن أكون أنا وأنت في درجة الشهداء، فامض علىٰ بركة الله...».[٣]

(١) الإرشاد: ٢٤٧.

(٢) المصدر السابق.

(٣) الفتوح، ٥: ٣١.

وقوله عليه السلام للفرزدق حين سأله: «كيف تركن إلىٰ أهل الكوفة وهم الذين قتلوا ابن عمّك مسلم بن عقيل وشيعته!؟»[١]

حيث قال عليه السلام:

«رحم الله مسلماً، فلقد صار إلىٰ روح الله وريحانه وجنّته ورضوانه، أما إنّه قد قضىٰ ما عليه وبقي ما علينا...».[٢]

وفي إطار نقطة الإنتباه إلىٰ نوع المخاطب في معرفة المراد من النصوص الواردة عن أهل البيت عليهم السلام، يحسن هنا أن نذكّر بأنّ الرجلين الأسديين الذين رويا تلكم القصّة ـ والرواية تأتي في موضعها من هٰذا الكتاب ـ لم يكونا ممّن عزم علىٰ نصرة الإمام عليه السلام والإلتحاق بركبه!!

كلّ ما في أمرهما هو أنّ الفضول دفعهما إلىٰ معرفة مايكون من أمر الإمام عليه السلام فقط ـ هٰذا باعترافهما كما في الرواية ـ وقد تخلّيا عنه أخيراً وفارقاه!!

والمتتبّع لمّا ورد في هٰذه الفترة من نصوص محاورات الإمام عليه السلام خاصّة، يجد أنّ الإمام عليه السلام كان لايخاطب هٰذا النوع من الرجال بمُرّ الحقّ وصريح القضيّة، بل كان عليه السلام يسلك إلىٰ عقولهم في الحديث عن مراميه سبلاً غير مباشرة يعرض فيها سبباً أو أكثر من الأسباب التي تقع في طول السبب الرئيس بما يناسب المقام والحال.

فقوله عليه السلام صدقٌ وحقّ: «**لا خير في العيش بعد هٰؤلاء!**».

لكنّ هٰذا لايعني أنّ مواساة بني عقيل كانت هي السبب الرئيس في إصرار

---

(١) اللهوف: ٣٢.

(٢) المصدر السابق.

الإمام علىٰ التوجّه إلىٰ الكوفة.

يضاف إلىٰ ذلك أنّ الإمام عليه السلام لم يعلّل في أيّ موقع أو نصٍّ آخر إصراره علىٰ التوجّه إلىٰ الكوفة بطلب الثأر لمسلم عليه السلام! بل كان يعلّل ذلك في أكثر من موقع ونصّ بحجّة رسائل أهل الكوفة وببيعتهم، وظلّ عليه السلام يؤكّد التزامه بالوفاء بالعهد وبالقول الذي كان بينه وبين أهل الكوفة حتّىٰ بعد أن منعه جيش الحرّ بن يزيد الرياحي عن الكوفة وحال بينه وبينها (وعن الرجوع إلىٰ المدينة علىٰ بعض الروايات).[1]

فقد قال عليه السلام للطرّماح الذي عرض عليه اللجوء إلىٰ جبل (أجأ) المنيع بعد مضايقات جيش الحرّ:

«جزاك الله وقومك خيراً، إنّه قد كان بيننا وبين هٰؤلاء القوم قول لسنا نقدر معه علىٰ الإنصراف ...».[2]

وفي نصٍّ آخر:

«إنّ بيني وبين القوم موعداً أكره أن أُخلفهم، فإن يدفع الله عنّا فقديماً ما أنعم علينا وكفىٰ، وإن يكن ما لابدّ منه ففوز وشهادة إن شاء الله».[3]

كما خاطب عليه السلام جيش الحرّ بن يزيد الرياحي بهذه الحجّة أيضاً حيث قال:

«أيّها الناس، إنّي لم آتكم حتّىٰ أتتني كتبكم وقدمت عليّ رسلكم أن أقدم

(١) الإرشاد: ٢٥١؛ وتاريخ الطبري، ٤: ٣٠٤؛ والكامل في التأريخ، ٤: ٤٨.

(٢) الكامل في التأريخ، ٤: ٥٠.

(٣) مثير الأحزان: ٣٩ ـ ٤٠.

علينا فإنّه ليس لنا إمام، لعلّ الله أن يجمعنا بك على الهدى والحقّ...».[١]

وما فتأ الإمام عليه السلام يحتجّ بذلك على أهل الكوفة ويذكّر به حتّى استشهد!

وعلى ضوء مثل هذه النصوص، يكون صحيحاً القول: إنّ الإمام عليه السلام واصل التزامه بالوفاء بهذا الموعد والقول، وأصرّ على التوجّه إلى الكوفة لا لأنّ لأهل الكوفة حجّة باقية عليه في الواقع، بل لأنّه عليه السلام لم يشأ أن يدع أيّ مجال لإمكان القول بأنّه عليه السلام لم يفِ تماماً بالعهد لو كان قد انصرف عن التوجّه إلى الكوفة في بعض مراحل الطريق، حتّى بعد أن أغلق جيش الحرّ دونه الطريق إليها، ذلك لأنّ الإمام عليه السلام مع تمام حجّته البالغة على أهل الكوفة أراد في المقابل بلوغ تمام العذر وعلى أكمل وجه فيما قد يُتصوَّر أنّ لهم حجّة باقية عليه، بحيث لا يبقى ثمّة مجال للطّعن في وفائه بالعهد!

هذا، وإذا انتبهنا إلى أنّ الإمام عليه السلام بعد أن أختار موقفه المبدئي برفض البيعة ليزيد وبالقيام، كان يعلم منذ البدء أنّه مقتول لا محالة، خرج إلى العراق أو لم يخرج، وهذا ما تؤكّده كثير من النصوص الواردة عنه عليه السلام، منها:

«إنّي والله مقتول كذلك، وإن لم أخرج إلى العراق يقتلونني أيضاً..»[٢]

«لو كنت في جحر هامّة من هوامّ الأرض لاستخرجوني منه حتّى يقتلوني»[٣]

إتّضح لنا أنّ من الحكمة أن يختار الإمام عليه السلام لمصرعه أفضل الظروف الزمانيّة والمكانيّة والنفسية والإجتماعيّة المساعدة على كشف مظلوميّته وفضح

---

(١) الإرشاد: ٢٤٩ ـ ٢٥٠.

(٢) الخرائج والجرائح، ١: ٢٥٣، حديث ٧.

(٣) بحار الأنوار، ٤٥: ٩٩، باب ٣٧.

أعدائه ونشر أهدافه، وأن يتحرّك باتّجاه تحقيق ذٰلك ما وسعته القدرة علىٰ التحرك.

وبما أنّ الإمام عليه السلام كان يعلم منذ البدء أيضاً أنّ أهل الكوفة لايفون له بشيٍ من عهدهم وبيعتهم وأنّهم سوف يقتلونه:

«**هٰذه كتب أهل الكوفة إليّ ولاأراهم إلاّ قاتليّ...**».[1]

إذن فهو عليه السلام ـ بمنطق الشهيد الفاتح ـ كان يريد العراق ويُصرّ علىٰ التوجّه إليه لأنّه أفضل أرض للمصرع المختار، ذٰلك لما ينطوي عليه العراق من استعدادات للتأثّر بالحدث العظيم «**واقعة عاشوراء**» والتغيّر نتيجةً لها.

وذٰلك لأنّ الشيعة في العراق آنئذٍ أكثر منهم في أيّ إقليم إسلامي آخر ولأنّ العراق لم ينغلق إعلامياً ونفسياً لصالح الأمويّين كما هو الشام، بل لعلّ العكس هو الصحيح.

وهذه الحقيقة أكّدتها الوقائع التي تلت واقعة عاشوراء، وأثبتت أيضاً صحّة هٰذا المنطلق، ولعلّ هٰذا هو السرّ المستودع في قوله عليه السلام لمّا سأله عبدالله بن عيّاش: أين تريد يا ابن فاطمة؟ حيث أجاب عليه السلام: «العراق وشيعتي».[2]

وقوله عليه السلام بعبدالله بن عبّاس (رض): «**لابدّ من العراق**».[3]

وعلىٰ ضوء هٰذا يُفسَّر رفض الإمام عليه السلام اقتراحات في المدينة طلبت إليه عدم التوجّه إلىٰ العراق، وأن يتوجّه إلىٰ اليمن أو إلىٰ شعاب الجبال الآمنة (وذٰلك قبل

---

(١) تاريخ ابن عساكر (ترجمة الإمام الحسين عليه السلام) المحمودي: ٢١١، حديث ٢٦٦.

(٢) المصدر السابق: ٢٠١، حديث ٢٥٥.

(٣) الفتوح: ٥: ٧٢.

رسائل أهل الكوفة إليه)، كان قد اقترحها عليه مثل محمّد بن الحنفيّة رضي الله عنه وأمّ سلمة وغيرهم.

وفي هٰذا الاتّجاه أيضاً يمكن أن نفسّر رفض الإمام عليه السلام لاقتراح الطرمّاح عليه باللجوء إلىٰ جبل (أجأ) المنيع بعد اللقاء بجيش الحرّ بن يزيد الرياحي.

وكذلك إعراض الإمام عليه السلام عن استثمار الفرصة التي أتاحها له الحرّ رضي الله عنه ليرجع من حيث أتىٰ أو يمضي إلىٰ حيث شاء ـ كما في الرواية الآتية ـ وإصراره علىٰ التوجه إلىٰ الكوفة، وذٰلك قبل وصول الرسالة الصارمة التي بعث بها عبيدالله بن زياد إلىٰ الحرّ والتي أمره فيها أن يجعجع بالإمام عليه السلام.

ففي الأثر أنّ حواراً ساخناً دار بين الإمام عليه السلام وبين الحرّ بن يزيد الرياحي: فقال الإمام عليه السلام: «فذر إذن أصحابك وأصحابي، وابرز إليّ، فإن قتلتني حملت رأسي إلىٰ ابن زياد، وإن قتلتك أرحت الخلق منك!

فقال الحرّ: إنّي لم أؤمر بقتالك، وإنّما أمرت أن لا أفارقك أو أقدم بك علىٰ الأمير، و أنا والله كاره أن يبتليني الله بشيءٍ من أمرك، غير أنّي أخذت ببيعة القوم وخرجت إليك، وأنا أعلم أنّه ما يوافي القيامة أحدٌ من هٰذه الأمّة إلاّ وهو يرجو شفاعة جدّك، وإنّي والله لخائف إن أنا قاتلتك أن أخسر الدنيا والآخرة، ولكن أمّا أنا يا أباعبدالله فلستُ أقدر علىٰ الرجوع إلىٰ الكوفة في وقتي هٰذا، ولكن خذ غير الطريق وأمضِ حيث شئت، حتّىٰ أكتب إلىٰ الأمير أنّ الحسين خالفني الطريق فلم أقدر عليه...».[1]

فالحرّ علىٰ ضوء هٰذه الرواية كان قد سمح للإمام عليه السلام عدا الكوفة أن يمضي

---

(١) مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي، ١: ٢٣٢ ـ ٢٣٣؛ والفتوح ٥: ٧٩.

حيث شاء! حتّىٰ إلىٰ المدينة إن شاء! ولكنّ الإمام أصرّ علىٰ التوجّه إلىٰ أرض المصرع المختار حيث الفتح!

وكان صحيحاً ـ مثلاً ـ أنّ الإمام عليه السلام أراد أن يأمر بالمعروف وينهىٰ عن المنكر، ويصلح الأمّة، ويغيّر الأوضاع، ويقيم الحكومة الإسلاميّة.

والنصوص في هٰذا الشأن متوافرة، منها:

«... وإنّما خرجت لطلب الإصلاح في أمّة جدّي، أريد أن آمر بالمعروف وأنهىٰ عن المنكر، وأسير بسيرة جديّ وأبي عليّ بن أبي طالب عليهم السلام ...».[1]

«أيّهاالناس إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: من رأىٰ سلطاناً جائراً، مستحلاً لحرم الله، ناكثاً لعهدالله، مخالفاً لسنّة رسول الله صلى الله عليه وآله، يعمل في عبادالله بالإثم والعدوان، فلم يغيّر عليه بفعل ولا قول كان حقّاً على الله أن يدخله مدخله، ألا وإنّ هٰؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان، وتركوا طاعة الرحمٰن، وأظهروا الفساد، وعطّلوا الحدود، واستأثروا بالفيء، وأحلّوا حرام الله، وحرّموا حلاله، وأنا أحقّ من غيّر...».[2]

وقال صلوات الله عليه في مخاطبة له مع الفرزدق تجري نفس هٰذا المجرىٰ:

«...وأنا أولىٰ من قام بنصرة دين الله وإعزاز شرعه والجهاد في سبيله لتكون كلمةالله هي العليا».[3]

وفي رسالته عليه السلام لأهل البصرة قال:

---

(١) بحارالانوار، ٤٤: ٣٢٩، باب ٣٧.

(٢) تاريخ الطبري، ٤: ٣٠٤.

(٣) تذكرة الخواص: ٢١٧ ـ ٢١٨.

«...وأنا أدعوكم إلىٰ كتاب‌الله وسنّة نبيّه‌صلى الله عليه وآله، فإنّ السنّة قد أميتت، وإنّ البدعة قد أحييت، وإن تسمعوا قولي وتطيعوا أمري أهدكم سبيل الرشاد...».[١]

وصحيح في العمق أيضاً ـ بمنطق الشهيد الفاتح ـ أنّ الإمام‌عليه السلام كان يعلم أنّ النصر الظاهري وتسلّم الحكم حتّىٰ لو تحقّق له ـ علىٰ فرض الإحتمال ـ فإنّه قد يتحقّق في إقليم (العراق مثلاً) أو أكثر من إقليم علىٰ أحسن إحتمال، لكنّ الشام وما تبعها من الأقاليم الأخرىٰ تبقىٰ آنئذٍ في يد الحكم الأمويّ، ويعود الصراع بين الحقّ والباطل إلىٰ سابق حلباته ومعاركه غير الحاسمة، في مثل (صفّين) مرّةً أخرىٰ، وتبقىٰ قدرة الأمويّين علىٰ تضليل الأمّة كما هي، وتبقىٰ مأساة الإسلام علىٰ حالها، ويبقىٰ الأمر دون مستوىٰ الفتح المنشود.

فلابدّ إذن من «واقعة حاسمة» تفصل تماماً بين الحقّ والباطل، وتحيل شلل الأمّة ومواتها حركة وحياة، وتشلّ الباطل فلا تبقىٰ له بعدها أيّة قدرة علىٰ التلبّس بلباس الحقّ وتضليل الناس علىٰ الصعيد الديني والنفسي والسياسي والإعلامي.

«واقعة حاسمة» تنتهي بكل نتائجها لصالح الحقّ ولو بعد حين، فلا تنتهي كما انتهت صفّين مثلاً!

«واقعة حاسمة» تكتب بمداد من الدم المقدّس كلّ البلاغات والبيانات اللاّزمة في طريق الكمال الإنساني علىٰ هدي الإسلام المحمّدي الخالص!

«واقعة حاسمة» تمنح مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر «قيمة إثباتيّة» عليا تضاف إلىٰ قيمته الثبوتيّة العالية في الشريعة المقدّسة!

---

(١) تاريخ الطبري، ٤: ٢٦٦.

«**واقعة حاسمة**» لايكون بعدها الإصلاح في الأمّة إلاّ في ظلّها وببركتها وتحت شعارها!

«**واقعة حاسمة**» تمتدّ في الزمان فيكون كلّ يوم يومها، وتمتدّ في المكان فتكون كلّ أرض أرضها!

وحيث إنّ كلّ منطق آخر ـ غير منطق الشهيد الفاتح ـ لايؤدّي آنئذٍ إلىٰ هٰذا الحسم المنشود، من هنا رأينا الشهيد الفاتح عليه السلام يرفض كلّ نصر دون مستوىٰ ذٰلك الحسم، ويختار لقاء الله تعالىٰ شهيداً فاتحاً!

وفي هٰذا البعد ـ بعد منطق الشهيد الفاتح ـ يكون بإمكاننا أن نفهم السر في الرواية القائلة إنّه: «لمّا التقىٰ الحسين عليه السلام وعمر بن سعد لعنه الله وقامت الحرب، أُنزل النصر حتّىٰ رفرف علىٰ رأس الحسين عليه السلام، ثمّ خُيِّر بين النصر علىٰ أعدائه وبين لقاء الله تعالىٰ، فاختار لقاء الله تعالىٰ».[1]

وهٰذا البعد أيضاً أحد الأبعاد التي يمكن علىٰ ضوئها أن نفهم سرّ عدم إذنه عليه السلام للملائكة والجنّ الذين أظهروا له استعدادهم لنصرته أن ينصروه فعلاً، فقال للملائكة:

«الموعد حفرتي وبقعتي التي استشهد فيها وهي كربلا»

وقال للجنّ:

«أما قرأتم كتاب الله المنزل علىٰ جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله في قوله: (قل لوكنتم

---

(١) اللهوف: ٤٤ ينقلها عن معالم الدين للنرسي، وقد رواها الكليني بتفاوت في الكافي، ١: ٢٦٠، رقم ٨ (باب: أنّ الأئمّة عليهم السلام يعلمون متىٰ يموتون وأنّهم لايموتون إلاّ باختيارٍ منهم).

في بيوتكم لبرز الذين كُتب عليهم القتل إلىٰ مضاجعهم)».[1]

وعلىٰ ضوء هٰذا المنطق ـ منطق الشهيد الفاتح ـ نفهم أيضاً سرّ موقف الإمام الحسين عليه‌السلام من الإقتراحات والمشورات الصحيحة والنصائح الصائبة (بمقياس هدف النصر الظاهري وتسلّم الحكم) التي اقترحها عليه كلٌّ من محمّد بن الحنفيّة، وعمر بن عبدالرحمٰن، وعبدالله بن عبّاس، وعمربن لوذان...

فقد قال له أخوه محمّد:

«أخرج إلىٰ مكّة، فإن اطمأنّت بك الدار فذاك الذي تحبّ وأحبّ، وإن تكن الأخرىٰ خرجت إلىٰ بلاد اليمن، فإنّهم أنصار جدّك وأخيك وأبيك، وهم أرأف الناس، وأرقّهم قلوباً، وأوسع الناس بلاداً، وأرجحهم عقولاً، فإن اطمأنّت بك أرض اليمن وإلاّ لحقت بالرمال وشعوب الجبال، وصرت من بلد إلىٰ بلد لتنظر ما يؤول إليه أمر الناس، ويحكم بينك وبين القوم الفاسقين».[2]

وقد أقرّ الإمام عليه‌السلام أنّ هٰذه النصيحة صواب! إذ قال له:

«... جزاك الله يا أخي عنّي خيراً، ولقد نصحت وأشرت بالصواب...».[3]

---

(١) اللهوف: ٢٨ ـ ٣٠؛ وقلنا: إنّ هٰذا البعد هو أحد الأبعاد وليس البعد الوحيد لأنّه يمكن أن يفسّر رفض الإمام عليه‌السلام لنصرة الملائكة والجنّ بأنّه عليه‌السلام إنّما أراد أن تتمّ كلّ حركة أحداث نهضته بالأسباب الطبيعيّة العاديّة لا بالإعجاز والخوارق، تحقيقاً لكمال الأجر والمثوبة على المجاهدة والصبر. وقد فسّر الإمام عليه‌السلام نفسه عدم مقاتلته القوم بالملائكة ـ علىٰ ما في رواية أخرىٰ قائلاً: لو لا تقارب الأشياء وحبوط الأجر لقاتلتهم بهؤلاء (اللهوف: ٢٦ ـ ٢٧).

(٢) الفتوح، ٥: ٢٠ ـ ٢١.

(٣) الكامل في التأريخ، ٤: ٣٧.

وقال له عمر بن عبدالرحمٰن:

«... قد بلغني أنّك تريد العراق، وإنّي مشفق عليك، إنّك تأتي بلداً فيه عمّاله وأمراؤه ومعهم بيوت الأموال، وإنّما الناس عبيد الدنيا والدرهم، فلا آمن عليك أن يقاتلك من وعدك نصره، ومن أنت أحبّ إليه ممّن يقاتلك معه».[1]

وقد أثنىٰ الإمام عليه السلام علىٰ رأيه هٰذا، إذ قال له:

«جزاك الله خيراً يا ابن عمّ، فقد والله علمت أنّك مشيت بنصح وتكلّمت بعقل...».[2]

وفي هٰذا المجرىٰ قال له ابن عبّاس أيضاً:

«أخبرني رحمك الله، أتسير إلىٰ قوم قد قتلوا أميرهم وضبطوا بلادهم ونفوا عدوّهم!؟ فإن كانوا قد فعلوا ذٰلك فَسِر إليهم، وإن كانوا إنّما دعوك إليهم وأميرهم عليهم قاهرٌ لهم، وعمّاله تجبي بلادهم، فإنّهم إنّما دعوك إلىٰ الحرب والقتال، ولاآمن عليك أن يغرّوك ويكذّبوك ويخالفوك ويخذلوك، وأن يُستنفروا إليك فيكونوا أشدّ الناس عليك».[3]

وقال له عمرو بن لوذان في هٰذا الإتّجاه أيضاً:

«أنشدك الله لما انصرفت، فوالله ما تقدم إلاّ علىٰ الأسنّة وحدّ السيوف، وإنّ هٰؤلاء الذين بعثوا إليك لو كانوا كفوك مؤنة القتال، ووطّأوا لك الأشياء،

(١) الكامل في التاريخ، ٤:٣٧.

(٢) المصدر السابق.

(٣) تاريخ الطبري، ٤: ٢٨٧.

فقدمت عليهم كان ذلك رأياً، فأمّا على هذه الحال التي تذكر فإنّي لاأرى لك أن تفعل». [١]

ويجيبه الإمام عليه السلام:

«يا عبدالله، ليس يخفى عليّ الرأي، ولكنّ الله تعالى لايغلب على أمره». [٢]

وفي هذا الإجابة إقرار بعقلانيّة هذا الرأي وصوابه!

لكنّ الإمام عليه السلام مع إقراره بصحّة وصواب تلكم النصائح والإقتراحات كان يؤكّد لكلٍّ من هؤلاء الرجال بطريقة تتناسب ونوع المخاطب أنّه لابدّ له من عدم الأخذ بتلكم النصائح والأقتراحات!!

وذلك لأنّ منطق هؤلاء وإن كان صحيحاً بمقياس حدود الظاهر إلاّ أنّه لايتعدّى التفكير بالسلامة والمنفعة الذاتيّة والنصر الظاهري وإن كان جزئيّاً وعلى نحو الإحتمال!

في حين أنّ الإسلام كان آنئذٍ يمرُّ بمنعطف حرجٍ حاسم النتيجة في أن يبقى أو لايبقى، وقد لخّص الإمام عليه السلام حال الإسلام الحرجة هذه بقوله لمروان بن الحكم:

«وعلى الإسلام السلام إذ قد بليت الأمّة براعٍ مثل يزيد!». [٣]

كان الإسلام آنئذٍ في حالة كما المريض الذي لاينفع في علاجة إلاّ الكَيّ! وقديماً قيل في المثل: (آخر الدواء الكَيّ)، لما يترتّب عليه من علاج حاسم.

---

(١) الإرشاد: ٢٤٨.

(٢) المصدر السابق.

(٣) الفتوح، ٥: ١٧.

حال الإسلام آنئذٍ لم يكن ينفع في علاجها منطق السياسة والمعاملة السياسيّة، والدهاء السياسي ورعاية المصالح الذاتيّة، والتفكير بالسلامة، وحسابات الإستفادة والمنفعة والربح والخسارة الشخصيّة، ومنطلقات التخطيط للسيطرة علىٰ الحكم!

حال الإسلام آنئذٍ ماكانت لتصل إلىٰ علاجها الحاسم وتبلغ الشفاء التامّ إلاّ بمنطق الشهيد الفاتح الذي جاء من قلب (المدينة) يسعىٰ، يحدو به الشوق إلىٰ المصرع المختار:

«وما أولهني إلىٰ أسلافي اشتياق يعقوب إلىٰ يوسف».[1]

في ركب من العشّاق «ومصارع عشّاق شهداء...»[2] لاتثنيهم عن الغاية عقلانيّة عقلاء الظاهر، ولا نصائحهم، ولا ملامة المحجوب عن المحبوب.

حتّىٰ إذا قيل: هٰذه كربلاء!

تنفّس الشهيد الفاتح الصعداء!

فهاهنا: أرض المصرع المختار وبقعة الفتح!

□ آفاق الفتح الحسيني

يحدّثنا التأريخ في واحدة من روائع وثائقه (المعتبرة): أنّ الإمام أباعبدالله الحسين عليه السلام بعث بهٰذه الرسالة إلىٰ أخيه محمّد بن الحنفيّة ومن قبله من بني هاشم:

---

(١) اللهوف: ٢٦.

(٢) بحارالانوار، ٤١: ٢٩٥، باب ١١٤، حديث ١٨ نقلاً عن الخرائج والجرائح (مخطوط).

«بسم الله الرحمٰن الرحيم»

«من الحسين بن علّي إلىٰ محمّد بن علّي ومن قبله من بني هاشم. أمّا بعد: فانّ من لحق بي استشهد، ومن لم يلحق بي لم يدرك الفتح. و السلام.»[١]

يقول المحقّق السيّد المقرّم رحمه الله مشيراً إلىٰ هٰذه الرواية:

«كان الحسين عليه السلام يعتقد في نهضته أنّه فاتح منصور لما في شهادته من إحياء دين رسول الله صلى الله عليه وآله، وإماتة البدعة وتفظيع أعمال المناوئين، وتفهيم الأمّة أنّهم عليهم السلام أحقّ بالخلافة من غيرهم، وإليه يشير في كتابه إلىٰ بني هاشم: من لحق بنا منكم استشهد، ومن تخلّف لم يبلغ الفتح. فانّه لم يرد بالفتح إلاّ ما يترتّب علىٰ نهضته وتضحيته من نقض دعائم الضلال وكسح أشواك الباطل عن صراط الشريعة المطهّرة وإقامة أركان العدل والتوحيد، وأنّ الواجب علىٰ الأمّة القيام في وجه المنكر.

وهٰذا معنىٰ كلمة الإمام زين العابدين لإبراهيم بن طلحة بن عبيدالله لمّا قال له حين رجوعه إلىٰ المدينة: من الغالب!؟

(١) كامل الزيارات: ٧٥، باب ٢٤، حديث ١٥؛ وسندها: وحدّثني أبي رحمه الله وجماعة مشايخي، عن سعد بن عبدالله، عن عليّ بن إسماعيل بن عيسىٰ ومحمّد بن الحسين بن الخطّاب، عن محمّد بن عمرو بن سعيد الزيات، عن عبدالله بن بكير، عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام وجميع رجال السند ثقات إلاّ أنّ عبدالله بن بكير ثقة فطحيّ، فالرواية موثّقة إن لم تكن صحيحة. وقد رواها صاحب بصائر الدرجات، ١٠: ٤٨١، باب ٩، حديث ٥ بسند آخر إلىٰ الصادق عليه السلام بتفاوت يسير؛ ووردت في الخرائج والجرائح، ٢: ٧٧١، حديث ٩٣ مرسلة بتفاوت يسير؛ ووردت في البحار في مواضع متعدّدة: منها في ٤٤: ٣٣٠ بتفاوت يسير، عن كتاب محمّد بن أبي طالب، عن كتاب الرسائل للكليني بسند إلىٰ الصادق عليه السلام.

فقال السجّادعليه السلام: إذا دخل وقت الصلاة فأذّن وأقم تعرف الغالب![١]»

وقال المتتبّع باقر شريف القرشي تعليقاً على الرواية نفسها:

«لقد أخبرعليه السلام الأسرة النبويّة بأنّ من لحقه منهم سوف يظفر بالشهادة، ومن لم يلحق به فإنّه لاينال الفتح، فأيّ فتح هٰذا الذي عناه الإمام؟

إنّه الفتح الذي لم يحرزه غيره من قادة العالم وأبطال التأريخ، فقد انتصرت مبادؤه، وانتصرت قيمه وتألّقت الدنيا بتضحيته، وأصبح اسمه رمزاً للحقّ والعدل، وأصبحت شخصيّته العظيمة ليست ملكاً لأمّةٍ دون أمّة ولا لطائفةٍ دون أخرىٰ، وإنّما هي ملك للإنسانيّة الفذّة في كلّ زمان ومكان، فأيّ فتح أعظم من هٰذا الفتح، وأيّ نصر أسمىٰ من هٰذا النصر؟؟»[٢]

ويمكننا هنا أن ننظر إلىٰ أهمّ آفاق الفتح الحسيني - بما تتّسع له صفحات هٰذه المقالة - في المقاطع الزمانيّة الثلاثة التالية:

مقطع عصر عاشوراء:

وفي هٰذا المقطع هناك آفاق فتح حسينيّ عديدة، أهمّها:

أ) ـ **الفصل بين الأمويّة والإسلام:** مرّ بنا في المقالة الأولىٰ من مدخل هٰذا الكتاب: كيف أنّ معاوية بن أبي سفيان (الذي انتهت إليه قيادة حركة النفاق آنذاك) قد أضلّ جلّ هٰذه الأمّة إضلالاً بعنوان الدين نفسه! حيث عتّم علىٰ ذكر أهل البيت عليهم السلام وعلىٰ ذكر فضائلهم تعتيماً تامّاً، وافتعل من خلال وضّاع الأحاديث - افتراءً على النبيّ صلى الله عليه وآله ـ قداسة مكذوبة له ولبعض من مضىٰ من

---

(١) مقتل الحسين عليه السلام للمقرّم: ٦٦.

(٢) حياة الإمام الحسين بن علي عليه السلام، ٣: ٤٥-٤٤

الصحابة الذين قادوا حركة النفاق أو ساروا في ركابها، وتآزروا على غصب أهل البيت عليهم السلام حقّهم الذي فرضه الله لهم، وخدّر معاوية بن أبي سفيان الأمّة المسلمة عن القيام والنهوض ضدّ الظلم من خلال تأسيس فرق دينيّة تقدّم للناس تفسيرات دينية تخدم سلطة الأمويّين وتبرّر أعمالهم، كما في مذهب الجبر ومذهب الإرجاء وأعانه على ذلك ما بذله من جهدٍ كبير في تمزيق الأمّة قبليّاً وطبقيّاً، وفي اضطهاد الشيعة اضطهاداً كبيراً.

ومع طول مدّة حكمه، انخدع جلّ هذه الأمّة بالتضليل الديني الأمويّ، واعتقدوا أنّ حكم معاوية حكم شرعيّ، وأنّه امتداد للخلافة الإسلاميّة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، وأنّ معاوية إمام هذه الأمّة، وأنّ من ينوب عنه في مكانه إمام لهذه الأمّة وامتداد لأئمتها الشرعيّين!! ومن المؤسف حقّاً أنّ جلّ هذه الأمّة خضع خضوعاً أعمى لهذا التضليل وانقادله، فلم يعد يبصر غيره، بل لم يعد يصدّق أنّ الحقيقة شئ آخر غير هذا!

هذا ابن زياد يخطب في الناس في خطبته التي خذّلهم فيها عن مسلم بن عقيل عليه السلام فيقول فيها:

«إعتصموا بطاعة الله وطاعة أئمّتكم!!».[1]

وهذا مسلم بن عمرو الباهلي يخاطب مسلم بن عقيل عليه السلام مفتخراً بضلاله قائلاً:

«أنا ابن من عرف الحقّ إذ أنكرته!، ونصح لإمامه إذ غششته!، وسمع وأطاع إذ عصيته وخالفت!»[2]

(١) تاريخ الطبري، ٤: ٢٧٥.

(٢) نفس المصدر، ٤: ٢٨١.

وهٰذا عمرو بن الحجّاج الزبيدي – من قادة الجيش الأمويّ في كربلاء – صاح يحرّض أهل الكوفة علىٰ الإمام الحسين عليه السلام وأنصاره قائلاً:

«يا أهل الكوفة، إلزموا طاعتكم وجماعتكم، ولا ترتابوا في قتل من مرق من الدين وخالف الإمام!»[١]

هٰذا في الكوفة والعراق! أمّا في الشام فقد كان أهل الشام يرون أنه ليس لرسول الله صلى الله عليه وآله قرابة ولا أهل بيت يرثونه غير بني أميّة!![٢]

وكان الحكم الأمويّ حريصاً كلّ الحرص في الحفاظ علىٰ هٰذا الإطار الدينيّ الذي تلبّس به عن طريق الجهد الطويل في المكر والخداع..

ولقد كان أضمن السبل لتحطيم هٰذا الإطار الديني هو أن يثور عليه رجلٌ ذو مركز دينيّ مسلَّمٌ به عند الأمّة الإسلاميّة، فثورة مثل هٰذا الرجل كفيلة بأن تفضح الزخرف الديني الذي يتظاهر به الحكّام الأمويّون، وأن تكشف هٰذا الحكم علىٰ حقيقته، وجاهليّته، وبُعده الكبير عن مفاهيم الإسلام، ولم يكن هٰذا الرجل إلاّ الحسين عليه السلام، فقد كان له في قلوب الأكثريّة القاطعة من المسلمين رصيد كبير من الحبّ والإجلال والتعظيم.

وكان معاوية منتبهاً لهٰذه الحقيقة، فكان يتحاشىٰ أيّة مواجهة علنيّة مع الإمام الحسين عليه السلام، وكان يجتهد في الحيلولة دون قيام الإمام عليه السلام بالمراقبة الشديدة والمداراة، وكان عازماً علىٰ الصفح (في الظاهر طبعاً) عن الإمام عليه السلام إذا قام ثمّ ظفر به – علىٰ ما في بعض الروايات، كما سوف يأتي في متن هٰذا الكتاب – ذٰلك لأنّ معاوية يُدرك جيّداً أنّ سفك مثل هٰذا الدم المقدّس حماقة كبرىٰ تُعرّي الحكم

---

(١) تاريخ الطبري، ٤ :٣٣١.

(٢) راجع: مروج الذهب، ٣: ٤٣.

الأمويّ عن كلّ الزيف الذي تلبّس به.

لكنّ يزيد بن معاوية ارتكب هٰذه الحماقة الكبرىٰ!! لأسباب عديدة منها افتقاره إلىٰ الدهاء والحنكة السياسيّة اللذين كان يتمتّع بهما أبوه معاوية!

وفي عاشوراء كربلاء لم يرض الجيش الأمويّ من الإمام الحسين عليه السلام إلاّ بالقتل، قتله وقتل أنصاره من أهل بيته وأصحابه الكرام في وضح نهار ذٰلك اليوم، بعد منعهم عن الماء، حتّىٰ مضوا عطاشىٰ وفيهم حتّىٰ الطفل الرضيع!، ثمّ ما فعلوه بعد ذٰلك من رضّ أجسادهم بحوافر الخيل، وسبي بنات النبوة علىٰ الوجه المعروف، حاسرات بلا غطاء ولا وطاء، ونقل رؤوس القتلىٰ مع السبايا من كربلاء إلىٰ الكوفة وإلىٰ الشام...

كلّ ذٰلك جرّد الأمويّين من كلّ صبغة دينيّة وانسانيّة، بل أظهرهم علىٰ حقيقتهم المضادّة للدّين والإنسانيّة. لقد كانت الرؤوس والسبايا، وأحاديث الجنود العائدين دلائل حيّة، بليغة الأداء، قوّضت كلّ ركيزة دينيّة موهومة للحكم الأمويّ في نفوس المسلمين.

ولقد زاد الإمام الحسين عليه السلام موقف الأمويّين حراجة إذ لم يصّر علىٰ القتال ولم يبدأهم به، وقد أعطاهم عليه السلام الفرصة ليتّقوا بها ارتكاب قتله وقتل آله وصحبه، ولكنّهم أبوا إلاّ ارتكاب قتلهم وأصرّوا علىٰ ذٰلك، فزادهم ذٰلك فضيحة في المسلمين.

لقد عمي الجيش الأمويّ في حماقته الكبرىٰ في كربلاء يوم عاشوراء عن أنّه يقاتل شخص رسول الله صلى الله عليه وآله في شخص الحسين عليه السلام.

هٰذه الحقيقة التي فطن لها – في من فطن – الحرّ بن يزيد الرياحي رضوان الله تعالىٰ عليه، فتعذّب بها العذاب الأكبر، حتّىٰ دفعته في يوم عاشوراء إلىٰ اختيار

الجنّة علىٰ النار، فتحوّل إلىٰ صفّ الإمام عليه السلام واستشهد بين يديه!

لقد تحوّل الجيش الأمويّ في إصراره علىٰ قتل الإمام الحسين عليه السلام إلىٰ متمرّد علىٰ الإسلام نفسه! وقد استغلّ الإمام الحسين عليه السلام إصرارهم علىٰ قتله وامتناعهم عن الإستجابة لاقتراحاته استغلالاً رائعاً في احتجاجاته يوم عاشوراء، لفضحهم ولكشف عدائهم للإسلام نفسه! فأظهر لكلّ مشاهد من ذلك الملأ الكبير الحاضر علىٰ أرض الواقعة حقيقة نفاق الأمويّين، ثمّ انتشرت بعد ذلك أنباء فجائع وقائع يوم عاشوراء في كلّ الأمّة، ليتحقّق بذلك هذا الأفق الكبير من آفاق الفتح الحسيني في فصل الأمويّة عن الإسلام.

ولو لم تكن واقعة كربلاء لكان الأمويّون قد واصلوا حكم الناس باسم الدين حتّىٰ يترسّخ في أذهان الناس بمرور الأيّام والسنين أنّه ليس هناك إسلام غير الإسلام الذي يتحدّث به الأمويّون ويؤخذ عنهم!! وعلىٰ الإسلام السلام!

لو لم تكن واقعة عاشوراء لما كان بالإمكان فصل الإسلام والأمويّة عن بعضهما البعض، ممّا يعني أن زوال الأمويّة يوماً ما كان سيعني زوال الإسلام أيضاً!، ولكانت جميع الإنتفاضات والثورات التي قامت على الظلم الأمويّ تقوم حين تقوم علىٰ الإسلام نفسه! لكنّ الفتح الحسيني في عاشوراء هو الذي جعل كلّ هذه الإنتفاضات والثورات التي قامت بعد عاشوراء إنّما تقوم باسم الإسلام علىٰ الأمويّة!.[1]

---

(١) ولانغفل أن نذكر هنا أنّ الخوارج كانت لهم ثورات وانتفاضات ضدّ الحكم الأمويّ (بل تفرّدوا بذلك منذ شهادة الإمام علي عليه السلام إلىٰ عاشوراء)، لكنّ هؤلاء فشلوا في تحطيم الإطار الديني عن الحكم الأمويّ، وذلك لمعرفة الأمّة بانحرافهم الفكري عن الإسلام، ولفظاظتهم وغلظتهم ولقسوتهم ورعونتهم ورغبتهم في سفك الدماء وعدم تورّعهم عن قتل أيّ انسانٍ رجلاً كان أوامرأةً، شيخاً كان

وعند هٰذه النقطة - فصل الأمويّة عن الإسلام - تكون عاشوراء قد أعادت مساعي حركة النفاق - منذ وفاة النبيّ صلى الله عليه وآله حتّىٰ سنة ستّين للهجرة - إلىٰ نقطة الصفر! فلو لم تكن عاشوراء لتمكّنت حركة النفاق المتمثّلة بالحزب الأمويّ آنئذٍ من القضاء علىٰ الإسلام المحمّديّ الخالص تماماً، ولمّا بقي منه الاّ عنوانه!

فأيُّ أفق في الفتح أوضح وأكبر من أفق الحفاظ علىٰ الإسلام المحمّديّ الخالص من خلال فصل الأمويّة بكلّ عوالقها عن هٰذا الإسلام!؟

ب) - عاشوراء، بداية نهاية الحكم الأمويّ: لقد أثارت واقعة عاشوراء موجة رهيبة من الإنكار والرفض والقلق النفسي والشعور بالإثم، وقد سيطرت هٰذه الموجة علىٰ نفوس المسلمين أفراداً وجماعات، ودفعتهم إلى العمل السياسي والتكتّل الإجتماعي للإطاحة بالحكم الأمويّ.

ومنذ عاشوراء إلىٰ سقوط الحكم الأمويّ حفل تأريخ الأمّة الإسلاميّة بانتفاضات وثورات، فرديّة وجماعيّة، قامت ضدّ الحكم الأمويّ، وكان لثورة الإمام الحسين عليه السلام أثر مباشر أو غير مباشر في كلٍّ منها.

وبذٰلك تكون عاشوراء قد رسمت بداية نهاية الحكم الأمويّ.

ومن الإنتفاضات والثورات التي كان لثورة الإمام الحسين عليه السلام أثرها المباشر في اندلاعها:

﴿١﴾ - *إنتفاضة عبدالله بن عفيف الأزدي(رض)*: وقد قام هٰذا المؤمن المجاهد في وجه ابن مرجانة انتصاراً لأهل البيت عليهم السلام، وأحال نشوة ابن مرجانة بالنصر الظاهري إلىٰ غصّة بانكسار أليم حينما ردّ عليه وعنّفه منكراً عليه سوء ما فعل

⇦ أو طفلاً. الأمر الذي أدّىٰ إلىٰ عدم تجاوب الأمّة معهم، بل وقفت ضدّهم.

بذريّة النبيّ صلى الله عليه وآله ففضحه أمام الملأ العام، وكان للمواجهة السافرة بينه وبين ابن مرجانة أثر بالغ في كسر حاجز الخوف في قلوب الناس، وتشجيعهم على التمرّد، ويأتي ذكر هذه الإنتفاضة الشجاعة في موقعها من هذا الكتاب.

وهناك انتفاضة فرديّة أخرى ضبطها التأريخ، إذ رُوي أنّ رجلاً من بكر بن وائل يقال له جابر كان حاضراً في مجلس ابن زياد، وحينما عرف أنّ الرأس الذي بين يدي ابن زياد هو رأس ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله انتفض وهو يقول مخاطباً ابن زياد:

«لله عليّ أن لاأصيب عشرة من المسلمين خرجوا عليك الاّ خرجتُ معهم.».[١]

﴿٢﴾ - *ثورة المدينة:* وهي من أحداث سنة ثلاث وستّين للهجرة، حيث انتفض أهل المدينة فيها وأخرجوا عنها عامل يزيد بن معاوية فيها وهوعثمان بن محمّد بن أبي سفيان، وأظهروا خلع يزيد بن معاوية، في قصّة مفصّلة انتهت بوقعة الحرّة الأليمة على يد مسلم بن عقبة المرّي الذي أباح المدينة ثلاثة أيّام وقتل من أهلها خلقاً كثيراً، ناف عدد ما أُحصي منهم على الأربعة آلاف، حتّى لُقّب هذا المريّ اللعين بـ(مسرف)! وكان لهذه الفاجعة أيضاً أثر بالغ في تأجيج مشاعر الناس ضدّ الحكم الأمويّ.

والذي أجّج شعلة هذه الثورة أسباب كان أهمّها مقتل الإمام الحسين عليه السلام فإنّ زينب بنت علي عليها السلام دأبت بعد وصولها إلى المدينة على العمل للثّورة، وعلى تعبئة النفوس لها وتأليب الناس على حكم يزيد، وقد تعاظم أمر نشاطها وتأثيرها في أهل المدينة حتّى خاف والي المدينة آنذاك عمرو بن سعيد الأشدق من

---

(١) حياة الإمام الحسين بن علي عليه السلام، ٣: ٣٤٣ نقلاً عن مرآة الزمان في تواريخ الأعيان: ٩٨.

انفلات الأمر وانتقاضه عليهم فشكاها إلىٰ يزيد، وأتاه كتاب يزيد بأن يفرّق بينها وبين الناس.[١]

﴿٣﴾ - *ثورة التوّابين*: وكانت هٰذه الثورة ردّ فعل خالصاً لثورة الإمام الحسين عليه السلام، إذ لم يكن لغير ثورة الإمام الحسين عليه السلام أثر فيها، وقد انبعثت نتيجة الشعور بالإثم والندم والحسرة علىٰ عدم نصرة الإمام الحسين عليه السلام، وقد رأىٰ الثوّار فيها أنّه لا يغسل عارهم والإثم عنهم إلاّ قتل من قتل الإمام عليه السلام أو القتل في هٰذا الأمر، وكان زعيم هٰذه الثورة سليمان بن صرد الخزاعي، وقد ابتدأ الإعداد لهٰذه الثورة اجتماعياً وعسكرياً بعد عاشوراء سنة إحدىٰ وستّين للهجرة، وكان هٰذا الإعداد سرّياً حتّىٰ مات يزيد، فخرجوا بعد موته من السر إلىٰ العلن، فتوجّهوا سنة خمس وستّين للهجرة إلىٰ قبر الإمام الحسين عليه السلام، فلمّا وصلوا إليه صاحوا صيحةً واحدةً، فما رُئِيَ أكثر باكياً من ذٰلك اليوم، وكان من قولهم عند تربته:

«أللّهمّ ارحم حسيناً الشهيد ابن الشهيد، المهديَّ بن المهديِّ، الصدّيقَ بن الصدّيقِ، أللّهمّ إنّا نشهدك أنّا علىٰ دينهم وسبيلهم، وأعداء قاتليهم وأولياء محبّيهم، أللّهمّ إنّا خذلنا ابن بنت نبيّنا صلى الله عليه وآله، فاغفرلنا ما مضىٰ منّا وتب علينا، وارحم حسيناً وأصحابه الشهداء الصدّيقين، وإنّا نشهدك أنّا علىٰ دينهم وعلىٰ ما قتلوا عليه، وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكوننّ من الخاسرين.»[٢]

ثمّ توجّهوا إلىٰ الشام، والتحموا مع كتائب الجيش الأمويّ في منطقة (عين الوردة) في وقعة دمويّة رهيبة هزّت نتائجها الفادحة أركان الحكم الأمويّ هزّاً عنيفاً!

(١) راجع : كتاب زينب الكبرىٰ: ١٤٢.

(٢) الكامل في التأريخ، ٤ :١٧٨.

«ولقد اعتبر التوّابون أنّ المسؤول الأوّل والأهمّ عن قتل الحسين عليه السلام هو النظام وليس الأشخاص، وكانوا مصيبين في هٰذا الإعتقاد، ولذا نراهم توجّهوا إلىٰ الشام، ولم يُلقوا بالاً إلىٰ من في الكوفة من قتلة الحسين عليه السلام».[١]

ولقد شهد المجتمع الإسلامي في هٰذه الثورة ظاهرة جماعيّة جديدة انبعثت بعد خمودٍ طويل، وهي ظاهرة روحيّة الفداء والتضحية وطلب الموت، بعد وهن غامر تمثّل في حبّ الدنيا وكراهية الموت، هٰذا الوهن الذي جثم علىٰ قلب هٰذه الأمّة نتيجة الإفساد الأمويّ المتعمّد.

إنّ من يتأمّل في خطب قادة ثورة التوّابين يكتشف بوضوح كيف أنّ ثورة الإمام الحسين عليه السلام كانت قد عصفت بكلّ ركام معاني العجز والوهن والإنهيار والتلوّن، وأحلّت محل ذٰلك الرغبة في الإستقامة والتحرّر والإستشهاد.

﴿٤﴾ - ***ثورة المختار (ره)***: وفي سنة ستّ وستّين للهجرة ثار المختار بن أبي عبيدة الثقفي بالعراق طالباً ثأر الحسين عليه السلام. وقد نال تأييداً جماهيريّاً واسعاً في العراق، فقد أقبل الناس عليه وأدبروا عن ابن الزبير الذي لم يحقّق لهم ما كانوا يأملونه منه في الإنتقام لمظلوميّة الحسين عليه السلام، والإصلاح الإجتماعيّ.

لقد أخرج ابن الزبير الأمويّين عن سلطانهم في العراق، لكنّ سلطانه لم يكن خيراً من سلطان الأمويّين بالنسبة إلىٰ أهل العراق لأنّ قتلة الإمام الحسين عليه السلام ظلّوا مقرّبين إلىٰ سلطة بن الزبير كما كانوا في العهد الأمويّ، مثل شمر بن ذي الجوشن، وشبث بن ربعي، وعمر بن سعد، وعمرو بن الحجّاج، وغيرهم. كما أنّه لم يحقّق لهم العدل الإجتماعيّ الذي كانوا يطلبونه، فقد كانوا يريدون سيرة عليّ أبي طالب عليه السلام فيهم، تلك السيرة التي كانوا لازالوا يذكرونها ويحنّون إليها، في

---

(١) ثورة الحسين عليه السلام ظروفها الإجتماعيّة وآثارها الإنسانيّة: ٢٦٤.

حين أنّ عبدالله بن مطيع العدوي عامل ابن الزبير على الكوفة كان يريد أن يسير فيهم بسيرة عمر وعثمان، الأمر الذي كانوا لايريدونه.[١]

كان هٰذا سبباً في إدبار الناس عن ابن الزبير، وتأييدهم لثورة المختار الذي نادىٰ بشعار: «**يا لثارات الحسين**عليه السلام».

وقد تتبّع المختار قتلة الإمام الحسين عليه السلام وآله وصحبه الكرام، فقتل جلّ هٰؤلاء القتلة، حتّىٰ أنّه قتل منهم في يوم واحد مائتين وثمانية وأربعين رجلاً،[٢] ولم يفلت من قادتهم وزعمائهم أحد.

﴿٥﴾ - ***قيام زيد بن علي***: ولم يؤدّ القضاء علىٰ ثورة المختار من قبل ابن الزبير إلىٰ خمود الروح الثوريّة عند الشيعة، فلقد قامت بعده ثورات أخرىٰ، كثورة زيد بن علي رضي الله عنه في سنة مائة واثنتين وعشرين للهجرة، وقيام ابنه يحيىٰ بن زيد رضي الله عنه من بعده.

ولم يزل يتّسع الخرق علىٰ الحكم الأمويّ ويزداد ضعفاً علىٰ ضعف حتّىٰ أطاحت جيوش أبي مسلم الخراساني بالحكم الأمويّ إطاحة تامّة في سنة مائة واثنتين وثلاثين للهجرة.

من كلّ ما مضىٰ تتجسّد لنا حقيقة أنّ واقعة عاشوراء كانت بداية نهاية الحكم الأمويّ، بل لنا أن نقول: إنّ عاشوراء هي التي قضت على الحكم الأمويّ حيث نجحت نجاحاً تامّاً في فصل الأمويّة عن الإسلام!

---

(١) راجع أنساب الأشراف، ٥: ٢٢٠ - ٢٢١ أمر المختار بن أبي عبيد الثقفي وقصصه، نشر مكتبة المثنّىٰ - بغداد.

(٢) الكامل في التأريخ، ٤: ٢٣٥.

وأمّا الثورات التي لم يكن لثورة الإمام الحسين عليه السلام أثر مباشر فيها، كثورة عبدالله بن الزبير، وثورة مطرف بن المغيرة، وثورة عبدالرحمٰن بن محمّد بن الأشعث، فلم تخلُ من أثر غير مباشر لثورة الإمام عليه السلام فيها، إذ إنّها استمّدت الجرأة علىٰ الحكم الأمويّ من جرأة قيام الإمام عليه السلام، ولم تجد لها متنفّساً للقيام إلاّ بعد أن نجحت عاشوراء في فصل الأمويّة عن الإسلام، ومزّقت عن الحكم الأمويّ إطاره الديني الموهوم، الأمر الذي مكّن مثل هٰذه الثورات أن تجد في هٰذه الأمّة مدداً جماهيراً لقيامها.

مقطع ما بعد عاشوراء إلى عصر الظهور:

وفي هٰذا المقطع يتجلّىٰ لنا أفق مبين من آفاق الفتح الحسيني وهو:

الإسلام حسينيّ البقاء: قلنا فيما مرّ - تحت عنوان الشهيد الفاتح من الخصائص الحسينيّة - إنّ عاشوراء قد كشفت عن وحدة وجوديّة لا انفكاك لها بين الإسلام المحمّديّ الخالص وبين الحسين عليه السلام، فصارت الدعوة إلىٰ هٰذا الإسلام بعد عاشوراء هي عين الدعوة إلىٰ الحسين عليه السلام، وبالعكس، وصارت مواجهة الحسين عليه السلام ومعاداته بعد عاشوراء هي عين مواجهة هٰذا الإسلام ومعاداته، وبالعكس، وصار بقاء هٰذا الإسلام بعد كربلاء ببقاء عاشوراء الحسين عليه السلام، فالإسلام محمّديّ الوجود حسينيّ البقاء.

ذٰلك لأنّ نهضة الإمام الحسين عليه السلام في هدفها وشعارها ورسائلها وبياناتها وأخلاقيّاتها هي عين نهضة الإسلام المحمّديّ الخالص للتحرّر من كلّ رواسب الجاهليّة التي علقت به نتيجة «السقيفة» التي مكّنت حركة النفاق من التحكم في رقاب المسلمين!

ونتيجة لهٰذه الوحدة الوجوديّة بين الحقيقة الإسلاميّة والحقيقة الحسينيّة

امتدّت عاشوراء في الزمان فكان «**كلّ يوم عاشوراء**» وانتشرت كربلاء في المكان فكانت «**كلّ أرض كربلاء**».

وغدت كلّ نهضة إسلاميّة حقّة بعد عاشوراء تجد في ثورة الحسين عليه السلام نبراسها وتجد نفسها إمتداداً لتلك الثورة المقدّسة.

كما غدت كلّ نهضة تدعو إلىٰ الضلال السفيانيّ تجد نفسها عدوّة للحسين عليه السلام وعدوّة للإسلام المحمّديّ الخالص، وفي التأريخ الماضي والحاضر شواهد علىٰ هٰذه الحقيقة!

وفي إطار هٰذه الوحدة الوجوديّة بين الإسلام المحمّديّ الخالص وبين الحسين عليه السلام يتجلّىٰ لنا سرٌّ كبيرٌ من أسرار تركيز أئمّة أهل البيت عليهم السلام علىٰ عاشوراء وعلىٰ تثبيت دعائمها ونشر آفاقها ما وسعتهم الفرصة وتراخى عن منعهم الظرف الخانق، وذٰلك بتوجيه الأمّة توجيهاً مركّزاً وشدّها شدّاً محكماً إلىٰ سيّد الشهداء الإمام أبي‌عبدالله الحسين عليه السلام، من خلال تأكيداتهم المتواصلة علىٰ «عزاء الحسين عليه السلام» وعلىٰ «زيارة الحسين عليه السلام».

سرُّ تأكيد الأئمة عليهم السلام على عزاء الحسين عليه السلام وزيارته: إنّ العناية الفائقة التي خصّ أئمتنا عليهم السلام بها عزاء الحسين عليه السلام، وتأكيداتهم المتلاحقة علىٰ زيارة قبره المقدّس لايصحّ تفسيرها بلحاظ المثوبات العظيمة الموعودة عليها كعمل تعبّديٍّ فقط - وإن كان لسان جلّ الروايات المتعلّقة بهٰذه المسألة يقتصر علىٰ ذكر المثوبة فقط - بل لابدّ في تفسيرها من النظر أيضاً إلىٰ الآثار الأخرىٰ المترتّبة علىٰ عزائه عليه السلام وعلىٰ زيارته.[1]

---

(١) قد يتصوّر البعض أنّ قولنا هٰذا تحميل علىٰ الروايات بما ليس فيها، فنقول: إنّ هٰذا العزاء وهٰذه الزيارة لهما آثار - غير المثوبة - تنشأ عنهما سواء في حياة الفرد أو في حياة المجتمع هي من نوع

ومن أهمّ تلك الآثار: الأثر التربويّ المنشود من وراء العزاء والزيارة خاصّة، ومن وراء الشعائر الحسينيّة الأخرىٰ عامّة، إذ إنّ صناعة «**الإنسان الحسينيّ**»: المؤمن الحرّ الأبيّ البصير القاطع الصلب المتأسيّ بمناقبية الإمام الحسين عليه السلام وأنصاره الكرام لاتكون إلاّ في «**مصنع عاشوراء**».

ومن تلك الآثار: الأثر السياسي والإجتماعي، والتغيّر الفكري والروحي في الأمّة الناشئ عن العزاء والزيارة خاصّة وعن الشعائر الحسينيّة الأخرىٰ عامّة، خصوصاً في فترة ما بين مقتله عليه السلام إلىٰ أيّام الغيبة الصغرىٰ، حيث كان العزاء والزيارة مثلاً يعنيان في بعض مقاطع تلك الفترة رفض الناس للسلطات الحاكمة آنذاك، وإعلان البراءة منها، والخروج عليها والتصديّ لأنواع نكالها وبطشها، إذ صار «...أهل السواد يجتمعون بأرض نينوىٰ لزيارة قبر الحسين عليه السلام، فيصير إلىٰ قبره منهم خلق كثير...»[1]

ثمّ صاروا يصرّون علىٰ زيارته عليه السلام ويقولون:

«.. لو قتلنا عن آخرنا لما أمسك من بقي منّا عن زيارته، ورأوا من الدلائل ما حملهم علىٰ ما صنعوا ... حتّىٰ كثر جمعهم، وصار لهم سوق كبير....»،[2]

⇦ الأثر الطبيعي للفعل، وهٰذا أمرٌ يدركه الإنسان العاقل العادي ولايرتاب فيه، فمابالك بالإمام المعصوم عليه السلام !؟

اذن فحديثهم عليهم السلام فقط عن المثوبات المترتّبة علىٰ العزاء والزيارة والشعائر الحسينيّة الأخرىٰ دون ذكر الآثار الأخرىٰ يعني أنّهم عليهم السلام قد أغمضوا عن ذكر تلك الآثار الأخرىٰ عمداً بسبب ما كانت تفرضه الظروف الخانقة التي عاصروها آنذاك.

(١) أمالي الطوسي: ٣٢٩ - ٣٢٨، المجلس الحادي عشر، حديث ٦٥٦ / ١٠٣

(٢) المصدر السابق.

الأمر الذي هال الحكّام الطغاة وأفزعهم خوفاً ورعباً من آثاره، فمنعوا الزيارة بعد أن تحوّلت إلىٰ ظاهرة سياسيّة اجتماعيّة خطيرة، واعتدوا علىٰ القبر المقدّس نفسه غير مرّة، فقد كربه والي الكوفة موسىٰ بن عيسىٰ الهاشميّ في زمن هارون العبّاسي،[1] كما كربه المتوكلّ العبّاسي علىٰ يد إبراهيم الديزج اليهودي بمعونة جمع من اليهود،[2] أملاً من الطغاة في اندراس هٰذا القبر المقدّس ومحو وجوده، وهو لايزداد إلاّ علوّاً وإشراقاً!

وفي الأزمان الأخيرة أيضاً هوجم قبر الإمام الحسين عليه السلام عدّة مرّات، ففي سنة ١٢١٦هـ.ق هجم الجيش الوهابيّ المكوّن من اثني عشر ألف مقاتل بقيادة سعود بن عبدالعزيز بإيعاز من أبيه علىٰ مدينة كربلاء المشرّفة، فباغتها صبيحة يوم الغدير علىٰ حين غفلة من أهلها، فأباحوا القتل فيها سبع ساعات من النهار، وقتلوا سبعة آلاف من أهلها، وهتكوا حرمة القبر الشريف وحرمة هٰذه المدينة المقدّسة.[3]

وفي سنة ١٢٢٢هـ.ق تكرّرت هٰذه الفعلة أيضاً فقد هجم الجيش الوهابي المكوّن من عشرين ألف مقاتل بقيادة سعود بن عبدالعزيز نفسه علىٰ النجف وكربلاء.[4]

وفي سنة ١٢٥٨ هـ.ق تكرّرت هٰذه الفعلة الشنيعة أيضاً علىٰ يد نجيب باشا والي بغداد في عهد السلطان العثماني عبد المجيد، حيث هاجم نجيب هٰذا مدينة

(١) أمالي الطّوسي: ٣٢١ المجلس الحادي عشر، حديث ٩٧/٦٥.

(٢) مقاتل الطّالبين: ٣٩٥ – ٣٩٦.

(٣) راجع: كتاب شهداء الفضيلة: ٢٨٨.

(٤) راجع: كتاب شهداء الفضيلة: ٣٠٣.

كربلاء المقدّسة وهتك حرماتها وقتل من أهلها مقتلة عظيمة![1]

وفي سنة ١٤١١ هـ ق هجم حسين كامل أحد أشرس أعوان صدام التكريتي حاكم العراق على مدينة كربلاء وضرب القبر المقدّس بالمدفعيّة وقتل من أهلها مقتله عظيمة!

وما خوف الطغاة ورعبهم من صاحب هٰذا القبر عليه السلام إلاّ لوحدة الحقيقة بينه وبين الإسلام المحمّديّ الخالص، الذي صار بقاؤه رهين بقاء عاشوراء الحسين عليه السلام، النبراس والقدوة لكلّ إنتفاضة إسلاميّة حقّة.

مقطع عصر الظهور:

وفي هٰذا المقطع يتجسّد الفتح الحسينيّ في عاشوراء مبيناً لاريب فيه، من خلال الوحدة الصميميّة بين قيام الإمام الحسين عليه السلام وقيام الإمام المهدي عليه السلام، وبين الفتح الحسيني والفتح العالمي!

قيام المهدي(عج) هو الفصل الأخير من قيام عاشوراء: يبدو للمتأمّل في الروايات التي تتناول العلاقة بين هذين القيامين العظيمين وكأنّ قيام الإمام الحسين عليه السلام في مجموع أحداثه يتألّف من ثلاثة فصول:

□ الفصل الأوّل منها: كان قد تمّ بوقوع فاجعة عاشوراء وعودة الركب الحسينيّ إلى المدينة بقيادة الإمام زين العابدين عليه السلام.

□ والفصل الثاني: يمتدّ في الفترة ما بعد ذٰلك إلى قيام الإمام المهدي عليه السلام، وهو فصل الحفاظ على الإسلام وبقائه.

□ والفصل الثالث: يتحقّق بقيام الإمام المهديّ عليه السلام ثائراً للحسين عليه السلام

(١) راجع: شهداء الفضيلة: ٣٠٦.

ومظهراً لهٰذا الدين على الدين كلّه.

ويرى المتأمّل في هٰذه الروايات الشريفة بوضوح أنّ قيام الإمام المهديّ عليه السلام امتداد حقيقيّ لقيام الإمام الحسين عليه السلام، وأنّ عاشوراء سنة إحدى وستّين للهجرة كانت المعركة الأولى من معارك الإمام الحسين عليه السلام، وإن كان قد استشهد فيها، وأنّ الفترة ما بين عاشوراء وبين الظهور فترة مليئة بمواجهات ومعارك عديدة أخذ الإمام الحسين عليه السلام فيها بخناق جميع طواغيت تلك الفترة لا بخناق يزيد بن معاوية وحده! وأنّ العالم إنّما يشهد في عصر الظهور الفصل الأخير من قيام الإمام الحسين عليه السلام بقيادة ابنه الإمام المهديّ عليه السلام، الذي يقتل ذراري قتلة الإمام الحسين عليه السلام في كلّ فترة ما بين عاشوراء والظهور لرضاهم بفعال آبائهم!، وأنّ الفتح العالمي هو الحلقة الأخيرة من حلقات الفتح الحسينيّ في عاشوراء.

***

دلائل روائية: وإثباتاً لكلّ ما قدّمناه هنا، نتبرّك بذكر بعض هٰذه الروايات الشريفة على سبيل المثال لا الحصر:

▣ ***صاحب الفتح العالميّ من ذرّيّة الحسين عليه السلام:***

قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«ومن ذرّيّة هٰذا – وأشار إلى الحسين عليه السلام رجل يخرج في آخر الزمان يملأ الأرض عدلاً كما ملئت ظلماً ووجوراً ...».[1]

وقال الإمام الحسين عليه السلام:

«منّا إثنا عشر مهديّاً، أوّلهم أمير المؤمنين علي بن أبي‌طالب، وآخرهم التاسع

(١) أمالي الطوسي: ٤٩٩ ـ ٥٠٠ المجلس الثامن عشر، حديث ٢/١٠٩٥.

من ولدي، وهو القائم بالحقّ، يحي الله به الأرض بعد موتها، ويظهر به دين الحقّ علىٰ الدين كلّه ولوكره المشركون...».[١]

▣ ***امتداد المواجهة في فصول بين أهل الحقّ وأهل الباطل:***

قال الإمام الصادق عليه السلام:

«إنّا وآل أبي سفيان أهل بيتين تعادينا في الله، قلنا: صدق الله. وقالوا: كذب الله. قاتل أبو سفيان رسول الله صلى الله عليه وآله، وقاتل معاوية عليّ بن أبى طالب عليه السلام، وقاتل يزيد بن معاوية الحسين بن عليّ عليه السلام، والسفيانيّ يقاتل القائم عليه السلام».[٢]

▣ ***المهدي (عج) الثائر للحسين عليه السلام:***

قال الإمام الصادق عليه السلام:

«لمّا ضُرب الحسين بن عليّ عليه السلام بالسيف ثمّ ابتُدِر ليُقطع رأسه نادىٰ منادٍ من قبل ربّ العزّة تبارك وتعالىٰ من بطنان العرش فقال: ألا أيّتها الأمّة المتحيّرة الظالمة بعد نبيّها، لا وفّقكم الله لأضحىٰ ولا فطرٍ. قال: ثمّ قال أبو عبدالله عليه السلام: لاجرم والله ماوفّقوا ولايوفّقون أبداً حتّىٰ يقوم ثائر الحسين عليه السلام».[٣]

وقال الإمام الباقر عليه السلام:

«لمّا قُتل جدّي الحسين عليه السلام ضجّت الملائكة إلىٰ الله عزّ وجلّ بالبكاء والنحيب، وقالوا: إلٰهنا وسيّدنا، أتصفح عمّن قتل صفوتك وابن صفوتك وخيرتك من خلقك؟ فأوحىٰ الله عزّ وجلّ إليهم قرّوا ملائكتي، فوعزّتي وجلالي،

---

(١) كمال الدين وتمام النعمة، ١: ٣١٧، باب ٣٠: حديث ٣.

(٢) معاني الأخبار: ٣٤٦، حديث ١.

(٣) أمالي الصدوق: ١٤٢، المجلس ٣١، حديث ٥.

لأنتقمنّ منهم ولو بعد حين. ثمّ كشف الله عزّ وجلّ عن الأئمّة من ولد الحسين عليه السلام للملائكة، فسُرَّتِ الملائكة بذلك، فإذا أحدهم قائم يصلّي، فقال تعالى: بذلك القائم أنتقم منهم.».[١]

▣ *القائم(عج) الطالب بدم المقتول في كربلاء:*

وعن الإمام الصادق عليه السلام في تفسير قوله تعالى: ﴿أذن للّذين يقاتلون بأنّهم ظلموا وإنّ الله علىٰ نصرهم لقدير﴾ :

«إنّ العامّة يقولون نزلت في رسول الله صلى الله عليه وآله لمّا أخرجته قريش من مكّة، وإنّما هي للقائم عليه السلام إذا خرج يطلب بدم الحسين عليه السلام، وهو قوله: نحن أولياء الدم، وطُلّاب الدِّية...».[٢]

▣ *خروج القائم(عج) يوم عاشوراء!:*

قال الإمام الباقر عليه السلام: «يخرج القائم عليه السلام يوم السبت، يوم عاشوراء، يوم الذي قتل فيه الحسين عليه السلام».[٣]

▣ *وشعارهم: «يالثارات الحسين»:*

قال الإمام الرضا عليه السلام: «يابن شبيب، إن كنت باكياً لشيٍ فابك للحسين بن عليّ ابن أبي طالب عليه السلام فإنّه ذبح كما يذبح الكبش، وقتل معه من أهل بيته ثمانية عشر رجلاً مالهم في الأرض شبيهون، ولقد بكت السموات السبع والأرضون لقتله، ولقد نزل إلى الأرض من الملائكة أربعة آلاف لنصره، فوجدوه قد قتل، فهم عند

---

(١) دلائل الإمامة: ٤٥١ – ٤٥٢، حديث ٣١/٤٢٧.

(٢) تفسير القمي، ٢: ٨٤ – ٨٥.

(٣) كمال الدين وتمام النعمة، ٢: ٦٥٣ – ٦٥٤، باب ٥٧، حديث ١٩.

قبره شعثٌ غبرٌ إلى أن يقوم القائم فيكونون من أنصاره، وشعارهم: يا لثارات الحسين.»[١]

◙ ***القائم(عج) يقتل ذراري قتلة الحسين عليه السلام لرضاهم بفعال آبائهم:***

عن عبد السلام بن صالح الهرويّ قال: «قلت لأبي الحسن عليّ بن موسى الرضا عليه السلام: يا ابن رسول الله، ما تقول في حديث رُوي عن الصادق عليه السلام أنّه قال: إذا خرج القائم قتل ذراري قتلة الحسين عليه السلام بفعال آبائها؟ فقال عليه السلام: هو كذلك. فقلت: فقول الله عزّ وجلّ (ولا تزر وازرة وزر أخرى) ما معناه؟ فقال: صدق الله في جميع أقواله، لكنّ ذراري قتلة الحسين يرضون أفعال آبائهم ويفتخرون بها، ومن رضي شيئاً كان كمن أتاه، ولو أنّ رجلاً قتل في المشرق فرضي بقتله رجل في المغرب لكان الراضي عند الله شريك القاتل، وإنّما يقتلهم القائم إذا خرج لرضاهم بفعل آبائهم...».[٢]



(١) أمالي الصدوق: ١١٢، المجلس ٢٧، حديث ٥.

(٢) علل الشرائع: ٢٢٩، باب ١٦٤، حديث ١.

الفصل الأول

☑ الإمام الحسين عليه السلام بعد اخيه الامام الحسن عليه السلام

الفصل الأوّل

الإمام الحسين عليه السلام بعد أخيه الإمام الحسن عليه السلام

مكانة الإمام الحسين عليه السلام في الأمّة

امتاز الحسنان عليهما السلام بمكانتهما السامية وقداستهما الخاصّة في وجدان هٰذه الأمّة الإسلاميّة منذ عهد جدّهما الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وإلىٰ يوم تقوم الساعة.

فهما من أهل آية المباهلة وآية التطهير وآية المودّة وآية الأبرار...

وهما ريحانتا رسول الله صلى الله عليه وآله، والإمامان إن قاما وإن قعدا، وسيّدا شباب أهل الجنّة، وهما السبطان، وهما إبنا رسول الله صلى الله عليه وآله.[1]

وفي البيانات النبويّة الكثير في الدعوة إلىٰ حبّهما والتحذير من بغضهما.. وقد عرف لهما الصحابة موقعهما الخاصّ من قلب رسول الله صلى الله عليه وآله، فعظم عند المخلصين من الصحابة قدرهما وتنافسوا في تكريمهما وتقديسهما ..

اعترض مُدرك بن زياد علىٰ ابن عبّاس، وقد أمسك ابن عبّاس للحسن والحسين بالركاب وسوّىٰ عليهما

قائلاً: أنت أسنّ منهما تمسك لهما بالركاب؟!

فقال: يالُكَع، وتدري من هٰذان؟ هٰذان ابنا رسول الله صلى الله عليه وآله، أوليس ممّا أنعم

---

(١) راجع: نهج الحق وكشف الصدق:١٧٣–١٨٤؛ وحياة الإمام الحسن بن علي عليه السلام: ١: ٩٧ ـ ١٠٣.

الله به عليّ أن أمسك لهما وأسوّيَ عليهما؟![1]

وبلغ من تعظيم المسلمين وتكريمهم لهما، أنّهما لمّا كانا يحجّان إلىٰ بيت الله الحرام ماشيين والنجائب تقاد بين أيديهما، يترجّل كلُّ راكبٍ يجتاز الطريق عليهما إكباراً لهما وتعظيماً لشأنهما، حتّىٰ شقّ المشي علىٰ كثير من الحجّاج، فكلّموا أحد أعلام الصحابة، وطلبوا منه أن يعرض عليهما الركوب أو التنكّب عن الطريق، فعرض عليهما ذٰلك، فقالا: «لا نركب، قد جعلنا علىٰ أنفسنا المشي إلىٰ بيت الله الحرام علىٰ أقدامنا، ولكنّا نتنكّب عن الطريق..»[2]

«وكانا إذا طافا بالبيت يكاد الناس يحطمونهما ممّا يزدحمون عليهما للسلام عليهما..»[3].

ومابرح الحسنان عليهما السلام فرقدَي سماء هٰذه الأمّة، تتطلّع إليهما قلوب المؤمنين حبّاً وإكباراً وتقديساً، حتّىٰ غاب أبومحمّد الحسن المجتبىٰ عن هٰذه الدنيا منتقلاً إلىٰ جوار ربّه تبارك وتعالىٰ وجدّه صلّى الله عليه وآله وأمّه وأبيه عليهما السلام ...

وبقي الإمام أبوعبدالله الحسين عليه السلام وحده ...

فصارت الأمّة ترىٰ فيه فضلاً عن قدسيّته الخاصّة بقيّة أهل الكساء وآية التطهير وآية المودّة وآية الأبرار وأهل البيت وتذكار الرسول وعليٍّ وفاطمة والحسن صلوات الله عليهم أجمعين، فكان «أعظم الخلف ممّن مضىٰ» كما عبّرت عن ذٰلك إحدىٰ رسائل التعزية التي وصلته من الكوفة.[4]

---

(١) مناقب آل أبي طالب، ٣: ٤٠٠.

(٢) الإرشاد: ٢٨٠ - ٢٨١.

(٣) البداية والنهاية، ٨: ٣٧.

(٤) أنساب الأشراف، ٣: ١٥١، حديث ١٣.

وكان محلّه من الناس محلّ جدّه النبيّ صلى الله عليه وآله، تجد فيه الأرواح الحائرة القلقة ما تشتهي من طمأنينة وسكينة، حتّىٰ النفوس المنحرفة عن هدىٰ أهل البيت عليهم السلام لم تكن تملك أمام أبي عبدالله عليه السلام إلاّ أن تُجلّه وتظهر له فائق الإكبار وتعترف له بسمّو القدر والمنزلة.

تقول الرواية: «.. أعيىٰ الحسين عليه السلام فقعد في الطريق، فجعل أبوهريرة ينفض التراب عن قدميه بطرف ثوبه ...

فقال الحسين عليه السلام: يا أباهريرة، وأنت تفعل هٰذا!؟

قال أبوهريرة: دعني، فوالله لو يعلم الناس منك ما أعلم لحملوك علىٰ رقابهم.»[1]

وكان عليه السلام في المدينة الشمس التي تفيض على الناس نوراً وهدىً وأمنة وطمأنينة، وكان عليه السلام إذا خطب في مسجد جدّه صلى الله عليه وآله أوتحدّث إلىٰ حضّاره انبهرت له القلوب وتسمّرت إلىٰ محيّاه الأعين، وكأنّ علىٰ رؤوس الناس الطير.

هٰذا معاوية العدوّ اللدود يقول لرجل من قريش:

«إذا دخلت مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله فرأيت حلقة فيها قومٌ كأنّ علىٰ رؤوسهم الطير، فتلك حلقة أبي عبدالله، مؤتزراً علىٰ أنصاف ساقيه، ليس فيها من الهزيلىٰ[2] شئ».[3]

---

(١) تأريخ ابن عساكر (ترجمة الإمام الحسين عليه السلام) تحقيق المحمودي: ١٤٩، حديث ١٩١.

(٢) الهزيلى: إذا خفّت يدا المشعوذ بالتخاييل الكاذبة يقال لفعله: الهزيلى وأراد معاوية أنّ حلقة الإمام الحسين عليه السلام ليس فيها إلاّ الحق والصدق والجدّ.

(٣) تأريخ ابن عساكر (ترجمة الإمام الحسين عليه السلام) تحقيق المحمودي: ١٤٧، حديث ١٨٩.

ويجتاز الإمام الحسين عليه السلام في مسجد جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله على جماعة فيهم عبدالله بن عمرو بن العاص، فيسلّم الإمام عليهم، فيردّون عليه السلامَ، ثمّ ينبري عبدالله بن عمرو بن العاص فيردّ السلام بصوت عالٍ، «.... ثمّ أقبل على القوم..

فقال: ألاأخبركم بأحبّ أهل الأرض إلى أهل السماء؟

قالوا: بلى.

قال: هو هٰذا المُقْفي، والله ماكلّمته كلمة ولاكلّمني كلمة منذ ليالي صفّين، والله لأن يرضى عنّي أحبّ إليّ من أن يكون لي مثل أُحُد!...».[١]

وكان عليه السلام سيّد أهل الحجاز وسيّد العرب في دهره، وسيّد المسلمين ...

قال ابن عبّاس في إحدى محاوراته مع الإمام عليه السلام: «إنّ أهل العراق قوم غدرٌ فلاتقربنّهم، أقم بهٰذا البلد فإنّك سيّد أهل الحجاز..».[٢]

وممّا قال له عبدالله بن مطيع العدويّ وهو يحذّره ألّا يغرّه أهل الكوفة: «فالزم الحرم فإنك سيّد العرب في دهرك هٰذا!..».[٣]

وكان هٰذا العدويّ يعلم أنّ أباعبدالله الحسين عليه السلام من مساكن بركة الله ووسائط فيضه، فقال للإمام عليه السلام: «إنّ بئري هٰذه قد رشحتها، وهٰذا اليوم أوان ما خرج إلينا في الدلو شئ من ماء، فلو دعوت الله لنا فيها بالبركة!!

فقال له الإمام عليه السلام: «**هات من مائها**».

---

(١) مجمع الزوائد، ٩:١٨٦ – ١٨٧ عن الطبراني في الأوسط.

(٢) تاريخ الطبري، ٤ :٢٨٨.

(٣) الفتوح، ٥:٢٣.

فأتىٰ من مائها في الدلو، فشرب منه ثمّ تمضمض ثمّ ردّه في البئر فأعذب وأمهىٰ.[١]

وأقامعليه السلام بمكّة المكرّمة «فعكف الناس علىٰ الحسين يفدون إليه ويقدمون عليه، ويجلسون حواليه، ويستمعون كلامه، حين سمعوا بموت معاوية وخلافة يزيد، وأمّا ابن الزبير فإنّه لزم مصلاّه عند الكعبة، وجعل يتردّد في غبون ذٰلك إلىٰ الحسين في جملة الناس، ولايمكنه أن يتحرّك بشيء ممّا في نفسه مع وجود الحسين، لما يعلم من تعظيم الناس له وتقديمهم إيّاه عليه ... بل الناس إنّما ميلهم إلىٰ الحسين لأنّه السيّد الكبير، وابن بنت رسول اللهصلى الله عليه وآله، فليس علىٰ وجه الأرض يومئذٍ أحد يساميه ولايساويه ...».[٢]

وفي فقرات رسائل أهل الكوفة إليه ما يكشف عن مكانتهعليه السلام في قلوبهم، كمثل قولهم:

«إنّه ليس علينا إمام، فأقبل لعلّ الله أن يجمعنا بك علىٰ الهدىٰ».[٣]

وقولهم «أمّا بعد : فحيَّ هلاً، فإنّ الناس ينتظرونك، ولا رأي لهم في غيرك، فالعجل العجل، والسلام عليك».[٤]

وقام يزيد بن مسعود النهشليرحمه الله وهومن أشراف البصرة خطيباً في جموع بني‌تميم وبني‌حنظلة وبني‌سعد في البصرة، يدعوهم إلىٰ نصرة الحسينعليه السلام، فكان ممّا قاله لهم في التعريف بمكانة الإمامعليه السلام:

«.. وهٰذا الحسين بن علي، إبن بنت رسول اللهصلى الله عليه وآله ذوالشرف الأصيل،

---

(١) تأريخ ابن عساكر (ترجمة الإمام الحسينعليه السلام) تحقيق المحمودي: ١٥٥، حديث ٢٠١.

(٢) البداية والنهاية، ٨: ١٥١.

(٣) مقتل الحسينعليه السلام لأبي مخنف: ١٦.

(٤) المصدر السابق.

والرأي الأثيل، له فضل لايوصف، وعلم لاينزف، وهو أولى بهذا الأمر لسابقته وسنّه وقدمته وقرابته، يعطف على الصغير ويحنو على الكبير، فأكرم به راعي رعيّة، وإمام قوم وجبت للّه به الحجّة، وبلغت به الموعظة..».[1]

ولم تخل قلوب بعض بني أميّة من استشعار حرمة ومكانة أبي عبدالله الحسين عليه السلام، ويبدو أنّ قلب الوليد بن عتبة والي المدينة عند موت معاوية كان من تلك القلوب، فقد قال لمروان بن الحكم الذي أشار عليه بحبس الحسين عليه السلام حتّى يبايع أو تضرب عنقه:

«ويحك إنّك أشرت عليّ بذهاب ديني ودنياي، والله ما أُحبّ أنّ ملك الدنيا بأسرها لي وأنّني قتلت حسيناً ، والله ما أظنّ أحداً يلقى الله بدم الحسين عليه السلام إلاّ وهو خفيف الميزان، لاينظر الله إليه ولايزكّيه وله عذاب أليم».[2]

وهذا يحيى بن الحكم أخو مروان يعترض مستنكراً قتل الإمام الحسين عليه السلام في بلاط يزيد قائلاً:

لهامٌ بجنب الطفّ أدنى قرابة ... من ابن زياد العبد ذي الحسب الوغل
سميّة أمسى نسلها عدد الحصى ... وليس لآل المصطفى اليوم من نسل»[3]

ولمّا استشعر المجرمون سخط الأمّة لقتل الإمام عليه السلام حتّى في بيوتهم، حاولوا

---

(١) اللهوف: ٣٨.

(٢) نفس المصدر: ١٠.

(٣) تاريخ الطبري، ٤: ٣٥٢.

التهرّب من مسؤوليّة قتله، وصار بعضهم يُلقي بالمسؤوليّة على بعض! فهٰذا الطبري يروي أنّه لمّا وضع رأس الإمامعليه السلام بين يدي يزيد، وسمعت بذٰلك زوجة يزيد هند بنت عبدالله بن عامر، تقنّعت بثوبها فخرجت..

«وقالت: يا أمير المؤمنين، أرأس الحسين بن فاطمة بنت رسول‌الله!؟

قال: نعم، فاعولي عليه، وحُدّي على ابن بنت رسول‌اللهصلى الله عليه وآله وصريخة قريش، عجّل عليه ابن زياد فقتله، قتله الله!!!».[١]

وأراد عبيدالله بن زياد بعد قتل الإمامعليه السلام أن يأخذ من عمر بن سعد الكتاب الذي أمره فيه بقتل الإمامعليه السلام..

فقال: «يا عمر! أين الكتاب الذي كتبت به إليك في قتل الحسين!؟

قال: مضيتُ لأمرك، وضاع الكتاب.

قال: لتجيئنّ به!

قال: ضاع.

قال: والله لتجيئنّ به!

قال: تُرِك والله يُقرأ على عجائز قريش إعتذاراً إليهنّ بالمدينة! أما والله لقد نصحتك في حسين نصيحة لو نصحتها أبي سعد بن أبي‌وقّاص كنت قد أدّيتُ حقّه.

قال عثمان ابن زياد أخو عبيدالله: صدق، والله لوددت أنّه ليس من بني زياد رجلٌ إلاّ وفي أنفه خِزامةٌ إلى يوم القيامة وأنّ حسيناً لم‌يقتل ...».[٢]

---

(١) تاريخ الطبري، ٤: ٣٥٦.

(٢) نفس المصدر، ٤: ٣٥٧.

❑الإخبار بمقتله عليه السلام

ومن أبعاد مكانته في الأمّة، بُعد معرفتها بأنّه سيّد الشهداء الذي يقتل مظلوماً مع كوكبةٍ من أهل بيته وأصحابه عند شاطئ الفرات في أرض كربلاء من العراق، وأنّ شفاعة النبيّ صلى الله عليه وآله لاتنال قتلة الحسين عليه السلام، وكانت الأمّة تعرف أيضاً أيَّ طاغية يأمر بقتل الإمام عليه السلام، ومن يتولّىٰ قيادة الجيوش التي تخرج لقتاله، وتعرف أيضاً كثيراً من تفاصيل تلك الفاجعة المرتقبة!!

وقد عرفت الأمّة كلّ ذلك لما شاع فيها من الإخبارات الكثيرة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وعن عليٍّ عليه السلام وعن الحسين نفسه عليه السلام حول مصرعه ومصرع أنصاره وزمان ومكان ذلك.

فلقد نعى رسول الله صلى الله عليه وآله سبطه الحسين عليه السلام منذ يوم ولادته، وأقام عليه العزاء فبكىٰ وأبكىٰ من حوله في مناسبات متعدّدة، وكذلك كان أمير المؤمنين عليّ عليه السلام يَبكي ويُبكي من معه كلّما تذكّر ما يجري علىٰ مولانا الحسين عليه السلام.

فكان الإمام الحسين عليه السلام الشهيد الحيَّ في الأمّة، تتطلّع إليه أعين المؤمنين، وقلوبهم المنشدَّة إليه يعتصرها الأسىٰ حسرة عليه وحزناً لمصابه وعظمة رزيّته، ويَغمر أرواحهم خشوع الإجلال والإكبار لمقام سيّد الشهداء عليه السلام ومقام أنصاره الذين لايسبقهم سابق ولايلحق بهم لاحق.

وقد وردت هٰذه الإخبارات في كتب الخاصّة والعامّة، ننتقي هنا نماذج منها:

«.. قالت أسماء: فلمّا ولدت فاطمة الحسين عليه السلام نفّستها به، فجاءني النبيّ فقال: هلمّ ابني يا أسماء. فدفعته إليه في خرقة بيضاء، ففعل به كما فعل بالحسن، قالت: وبكىٰ رسول الله، ثمّ قال: إنّه سيكون لك حديث. أللّهمّ العن قاتله. لاتُعلمي فاطمة بذٰلك.

قالت أسماء: فلمّا كان في يوم سابعه جاءني النبيّ فقال: هلمّي ابني. فأتيته به، ففعل به كما فعل بالحسن وعقّ عنه كما عقّ عن الحسن ... ثمّ وضعه في حجره ثمّ قال: يا أباعبدالله، عزيزٌ عليَّ، ثمّ بكىٰ.

فقلت: بأبى أنت وأمّي، فعلت في هٰذا اليوم وفي اليوم الأوّل فما هو؟ قال: أبكي علىٰ ابني هٰذا تقتله فئة باغية كافرة من بني أميّة لعنهم الله، لاأنالهم الله شفاعتي يوم القيامة، يقتله رجل يثلم الدين ويكفر بالله العظيم ...».[1]

ولمّا بلغ عمر الحسين عليه السلام عامين «خرج النبي إلىٰ سفر فوقف في بعض الطريق، واسترجع ودمعت عيناه، فسُئِل عن ذٰلك فقال: هٰذا جبرئيل يخبرني عن أرضٍ بشطّ الفرات يقال لها كربلاء يُقتل فيها ولدي الحسين، وكأنّي أنظر إليه وإلىٰ مصرعه ومدفنه بها، وكأنّي أنظر إلىٰ السبايا علىٰ أقتاب المطايا، وقد أُهدي رأس ولدي الحسين إلىٰ يزيد لعنه الله، فوالله ما ينظر أحد إلىٰ رأس الحسين ويفرح إلاّ خالف الله بين قلبه ولسانه وعذّبه الله عذاباً أليماً.

ثمّ رجع من سفره مغموماً مهموماً كئيباً حزيناً، فصعد المنبر وأصعد معه الحسن والحسين، وخطب ووعظ الناس، فلمّا فرغ من خطبته وضع يده اليمنىٰ علىٰ رأس الحسن، ويده اليسرىٰ علىٰ رأس الحسين، وقال: أللّهمّ إنّ محمّداً عبدك ورسولك، وهٰذان أطائب عترتي وخيار أرومتي وأفضل ذريّتي ومن أُخلّفهما في أمّتي، وقد أخبرني جبرئيل أنّ ولدي هٰذا مقتول بالسمّ، والآخر شهيد مضرّج بالدم، أللّهمّ فبارك له في قتله، واجعله من سادات الشهداء، أللّهمّ ولاتبارك في قاتله وخاذله، وأصلِه حَرَّ نارك واحشره في أسفل درك الجحيم.

قال: فضجّ الناس بالبكاء والعويل، فقال لهم النبيّ: أيّها الناس، أتبكونه

---

(١) أمالي الطوسي، ٣٦٧ – ٣٦٨، المجلس ١٣، حديث ٣٢/٧٨١.

ولاتنصرونه، أللّهمّ فكن أنت له وليّاً وناصراً...».[1]

«ولمّا اشتدّ برسول الله صلى الله عليه وآله مرضه الذي مات فيه، وقد ضمّ الحسين عليه السلام إلى صدره، يسيل من عرقه عليه، وهو يجود بنفسه، ويقول: مالي وليزيد، لا بارك الله فيه، أللّهمّ العن يزيد. ثمّ غشي عليه طويلاً وأفاق وجعل يقبّل الحسين وعيناه تذرفان، ويقول: أما إنّ لي ولقاتلك مقاماً بين يدي الله عزّ وجلّ».[2]

وعن أُمّ سلمة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «يُقتل الحسين رأس ستّين من مهاجري».[3]

وعن عائشة أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال لها: «يا عائشة إنّ جبرئيل أخبرني أنّ ابني حسيناً مقتول في أرض الطف، وأنّ أمّتي ستفتن بعدي ثمّ خرج إلى أصحابه فيهم عليٌّ، وأبوبكر، وعمر، وحذيفة، وعمّار، وأبوذرّ، وهويبكي، فقالوا: ما يبكيك يا رسول الله!؟ فقال: أخبرَني جبرئيل عليه السلام أنّ ابني الحسين يُقتل بعدي بأرض الطفّ، وجاءني بهٰذه التربة، وأخبرني أنّ فيها مضجعه».[4]

وعن ابن عبّاس قال: «كنتُ مع أمير المؤمنين عليه السلام في خرْجته إلى صفّين، فلمّا نزل بنينوىٰ وهو بشطّ الفرات قال بأعلا صوته: يا ابن عبّاس، أتعرف هٰذا

---

(١) بحار الأنوار، ٤٤: ٢٤٨ عن مثير الأحزان؛ وفي المصدر الأصل: ١٨ - ١٩ بتفاوت؛ ورواه في الفتوح، ٤: ٣٢٥ بتفاوت يسير.

(٢) مثير الاحزان: ٢٢.

(٣) تأريخ ابن عساكر (ترجمة الإمام الحسين عليه السلام) تحقيق المحمودي: ١٧٥، حديث ٢٣٥؛ قال المحمودي: ورواه أيضاً الطبراني في الحديث: ٤١ - ٤٢ من ترجمة الإمام الحسين عليه السلام من المعجم الكبير الجزء الأوّل.

(٤) مجمع الزوائد، ٩: ١٨٧-١٨٨.

الموضع؟ قلت له: ماأعرفه يا أمير المؤمنين. فقال عليه السلام: لوعرفته كمعرفتي لم تكن تجوزه حتّىٰ تبكي كبكائي. قال: فبكى طويلاً حتّىٰ اخضلّت لحيته، وسالت الدموع علىٰ صدره، وبكينا معاً وهو يقول: أوّه أوّه، مالي ولآل أبي سفيان؟ مالي ولآل حرب، حزب الشيطان وأولياء الكفر!؟ صبراً يا أباعبدالله، فقد لقي أبوك مثل الذي تلقىٰ منهم».[1]

و«روي عن أبي جعفر عن أبيه عليهما السلام قال: مرّ عليّ عليه السلام بكربلاء فقال لمّا مرّ به أصحابه وقد أغرورقت عيناه يبكي ويقول: هٰذا مناخ ركابهم، وهٰذا مُلقىٰ رحالهم، هاهنا مراق دمائهم، طوبىٰ لك من تربة عليها تراق دماء الأحبّة.

وقال الباقر عليه السلام: خرج عليٌّ يسير بالناس حتّىٰ إذا كان بكربلاء على ميلين أو ميل تقدّم بين أيديهم حتّىٰ طاف بمكان يقال لها المقذفان، فقال: قُتل فيها مائتا نبيّ ومائتا سبط كلّهم شهداء، ومناخ ركاب ومصارع عشّاق شهداء لايسبقهم من كان قبلهم ولايلحقهم من بعدهم».[2]

وعن حذيفة قال: «سمعت الحسين بن عليٍّ يقول: والله ليجتمعنّ علىٰ قتلي طغاة بني أميّة، ويقدمهم عمر بن سعد. وذٰلك في حياة النبيّ صلى الله عليه وآله!

فقلت: أنبأك بهٰذا رسول‌الله؟

قال: لا.

فأتيتُ النبيّ فأخبرته فقال: علمي علمه، وعلمه علمي، وإنّا لنعلم بالكائن

---

(١) أمالي الصدوق: ٤٧٨، المجلس ٨٧، حديث ٥.

(٢) البحار، ٤١: ٢٩٥، باب ١١٤، حديث ١٨.

قبل كينونته».[١]

ويقول ابن عبّاس: «ماكنّا نشكّ، وأهل البيت متوافرون، أنّ الحسين بن عليّ يقتل بالطفّ».[٢]

وروىٰ عبدالله بن شريك العامري قال: «كنت أسمع أصحاب عليّ عليه السلام إذا دخل عمر بن سعد من باب المسجد يقولون: هٰذا قاتل الحسين بن علي عليه السلام. وذٰلك قبل أن يقتل بزمان».[٣]

وروي أنّ عمر بن سعد قال للحسين عليه السلام: يا أباعبدالله، إنّ قِبَلَنا ناساً سفهاء يزعمون أنيّ أَقتلك.

فقال له الحسين عليه السلام: إنّهم ليسوا بسفهاء، ولكنّهم حلماء، أما إنّه تقرّ عيني أن لاتأكل من برّ العراق بعدي إلاّ قليلاً!».[٤]

وعُنِّف ابن عبّاس علىٰ تركه الحسين فقال :« إنّ أصحاب الحسين لم ينقصوا رجلاً ولم يزيدوا رجلاً، نعرفهم بأسمائهم من قبل شهودهم!!»[٥]

وقال محمّد بن الحنفيّة: « وإنّ أصحابه عندنا لمكتوبون بأسمائهم وأسماء آبائهم!!».[٦]

إنّ أخبار الملاحم والفتن المأثورة عن أهل بيت العصمة عليهم السلام عامّة

---

(١) دلائل الإمامة: ١٨٣-١٨٤، حديث ٦/١٠١.

(٢) مستدرك الحاكم، ٣: ١٧٩.

(٣) الإرشاد: ٢٨٢.

(٤) المصدر السابق.

(٥) مناقب آل أبي طالب، ٤: ٥٣.

(٦) المصدر السابق.

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله خاصّة فضلاً عن أنّها تؤكّد علىٰ أنّ علم هٰؤلاء المصطفين الأخيار عليهم السلام علمٌ لدنّيٌ ربّانيٌ كاشف عن مكانتهم الإلهيّة الخاصّة المنصوص عليها من قبل الله تعالىٰ، تؤكّد أيضاً علىٰ مدىٰ حرصهم الكبير علىٰ رعاية هٰذه الأمّة وإنقاذها من هلكات مدلهمّات الفتن التي أحاطت بها منذ بداية التيه في يوم السقيفة.

لقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله يعلم مدىٰ الإنحراف الذي سيصيب الأمّة من بعده ويلقي بها في متاهات تنعدم فيها القدرة علىٰ الرؤية السديدة إلاّ علىٰ قلّة من ذوي البصائر، ويصعب فيها تشخيص الحقّ من الباطل إلاّ علىٰ من تمسّك بعروة الثقلين، وكان صلى الله عليه وآله يعلم خطورة حالة الشلل النفسي والإزدواجية في الشخصيّة التي ستتعاظم في الأمّة من بعده حتّىٰ لايكاد ينجو منها إلاّ أقلّ القليل.

لذا لم يألُ صلى الله عليه وآله جهداً في تبيان سبل الوقاية والنجاة من تلك الهلكات، ومن جملة تلك السبل سبيل إخبار الأمّة بملاحمها وبالفتن التي ستتعرّض لها إلىٰ قيام الساعة، فكشف لها صلى الله عليه وآله عن كلّ الملاحم والفتن وأوضح لها مزالق وعثرات الطريق إلىٰ أن تنقضي الدنيا، يقول حذيفة بن اليمان رضي الله عنه: «.. والله ما ترك رسول الله صلى الله عليه وآله من قائد فتنة إلىٰ أن تنقضي الدنيا بلغ من معه ثلثمائة فصاعداً إلاّ قد سمّاه لنا باسمه واسم أبيه واسم قبيلته».[١]

وذٰلك لكي لاتلتبس علىٰ الأمّة الأمور، ولاتقع في خطأ الرؤية أو انقلابها فترىٰ المنكر معروفاً والمعروف منكراً، إضافة إلىٰ ما يتضمّنه بيان الملاحم للأمّة من دعوة إلىٰ نصرة صفّ الحق وخذلان صفّ الباطل بعد تشخيص كلٍّ من الصفين.

---

(١) سنن أبي داود، ٤: ٩٥، حديث ٤٢٤٣.

وعلىٰ هٰذا النهج، ولهٰذه الغاية أيضاً، كانت أخبار الملاحم والفتن التي وردت عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام.

وقد اختصّ قتل الحسين عليه السلام بنصيب وتركيز أكبر في الإخبارات الواردة عن النبيّ صلى الله عليه وآله وعن أمير المؤمنين عليه السلام، وذٰلك لعظيم حرمة الإمام الحسين عليه السلام. ولنوع مصرعه المفجع ومصارع أنصاره، ولشدّة مصابهما بتلك الوقعة الفظيعة والرزيّة العظيمة، ولأهمّية واقعة عاشوراء بلحاظ ما يترتّب عليها من حفظ الإسلام وبقائه، ولأهميّة المثوبة العظيمة والمنزلة الرفيعة المترتّبة علىٰ نصرة الحسين عليه السلام، واللعنة الدائمة والعقوبة الكبيرة التي تلحق من يقاتله ويخذله.

ولعلّ قرب عاشوراء الزمني من عهد النبيّ صلى الله عليه وآله وعليّ عليه السلام عامل أيضاً من عوامل هٰذا التركيز، لأنّ النبيّ صلى الله عليه وآله ووصيّه عليه السلام يعلمان أنّ جماعة غير قليلة من الصحابة والتابعين سوف يدركون يوم عاشوراء، فالتركيز علىٰ الإخبار بمقتله عليه السلام ومخاطبة هٰؤلاء مخاطبة مباشرة بذٰلك يؤثّران التأثير البالغ في الدعوة إلىٰ نصرته عليه السلام، والتحذير من الإنتماء إلىٰ صفّ أعدائه. مع ما في ذٰلك من إتمام الحجّة علىٰ هٰؤلاء الناس آنئذٍ.

ولذا كان رسول الله صلى الله عليه وآله يخاطب الباكين معه لبكائه علىٰ الحسين عليه السلام خطاباً مباشراً، فيقول لهم: «أيّها الناس، أتبكونه ولا تنصرونه!؟».[١]

ويخاطب عليّ عليه السلام البراءَ بن عازب قائلاً: «يا براء، يُقتل ابني الحسين وأنت حيّ لا تنصره.». فلمّا قتل الحسين عليه السلام كان البراء بن عازب يقول: صدق والله عليّ بن أبي طالب، قتل الحسين ولم أنصره، ثمّ أظهر علىٰ ذٰلك الحسرة والندم.[٢]

---

(١) بحار الأنوار، ٤٤: ٢٤٨ عن مثير الأحزان.

(٢) الإرشاد: ١٩٢.

وفي المقابل فقد انتفع بهذا الأخبار جمع من أهل الصدق والإخلاص من الصحابة والتابعين، فقدروى الصحابيّ الجليل أنسُ بن الحارث رضوان الله تعالى عليه عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال: «إنّ ابني هذا – وأشار إلى الحسين – يُقتل بأرض يقال لها كربلاء، فمن شهد ذلك منكم فلينصره.». ولمّا خرج الإمام الحسين عليه السلام إلى كربلاء خرج معه الصحابي الجليل أنس بن الحارث رضوان الله تعالى عليه، واستشهد بين يدي الحسين عليه السلام.[1]

ولعلّ سرّ التحوّل في موقف زهير بن القين رضوان الله تعالى عليه ما كان يحفظه من قول سلمان الفارسيّ رضوان الله تعالى عليه وإخباره عن بشرى نصرة الإمام الحسين صلى الله عليه وآله، يقول زهير: «سأحدّثكم حديثاً، إنّا غزونا البحر، ففتح الله علينا، وأصبنا غنائم، فقال لنا سلمان الفارسيّ رحمه الله: أفرحتم بما فتح الله عليكم وأصبتم من الغنائم؟

فقلنا: نعم.

فقال: إذا أدركتم سيّد شباب آل محمّد صلى الله عليه وآله فكونوا أشدّ فرحاً بقتالكم معهم ممّا أصبتم اليوم من الغنائم».[2]

و« قال العريان بن الهيثم: كان أبي يتبدّى[3]، فينزل قريباً من الموضع الذي كان فيه معركة الحسين، فكنّا لانبدو إلاّ وجدنا رجلاً من بني أسد هناك.

فقال له ابي: أراك ملازما هذا المكان!!؟

---

(١) راجع: تأريخ ابن عساكر(ترجمة الإمام الحسين عليه السلام) تحقيق المحمودي: ٢٣٩، حديث ٢٨٣.

(٢) الإرشاد: ٢٤٦.

(٣) يتبدّى: يخرج إلى البادية.

قال: بلغني أنّ حسيناً يقتل هاهنا، فأنا أخرج إلىٰ هٰذا المكان لعلّي أصادفه فأقتل معه!!

قال ابن الهيثم: فلمّا قتل الحسين قال أبي: انطلقوا بنا ننظر هل الأسديّ فيمن قتل مع الحسين؟

فأتينا المعركة، وطوّفنا، فإذا الأسديُّ مقتول!!».[1]

❑زوبعة اليوم الأوّل

لم ينطوِ معاوية إلاّ علىٰ الخيانة ونقض العهد من اليوم الأوّل للصّلح بل منذ أن فكّر في الصلح، وقد أعلن عن غدره في الأيّام الأولىٰ بعد الصلح، ولا أوضح من قوله في خطبته الأولىٰ بعد الصلح:

«ألا وإنّ كلّ شيءٍ أعطيته الحسن بن عليّ تحت قدميَّ هاتين لا أفي به!!».[2]

وقوله:

«يا أهل الكوفة، أترونني قاتلتُكم علىٰ الصلاة والزكاة والحجّ، وقد علمت أنّكم تصلّون وتزكّون وتحجّون؟ ولكنّي قاتلتُكم لأتأمّر عليكم وأَلِيَ رقابكم، وقد آتاني الله ذٰلك وأنتم كارهون!، ألا إنّ كلّ دمٍ أصيب في هٰذه الفتنة مطلول، وكلّ شرط شرطته فتحت قدميّ هاتين!!».[3]

ومع أنّ معاوية لم يفِ بأيّ بندٍ من بنود المعاهدة، لكنّه لم يجد الراحة

---

(١) تأريخ ابن عساكر (ترجمة الإمام الحسين عليه السلام) تحقيق المحمودي: ٢١٢، حديث ٢٦٩.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ١٦: ١٦ عن المدائني.

(٣) صلح الحسن عليه السلام: ٢٨٥ عن المدائني.

والإستقرار في نفسه والإطمئنان علىٰ مستقبل خلافة يزيد من بعده وهو يرىٰ أبامحمّدٍ الحسن عليه السلام حيّاً، فمكر لقتله مراراً لكنّه لم ينجح في ذٰلك إلاّ أخيراً علىٰ يد جعدة بنت الأشعث بن قيس الكنديّ التي سمّت الإمام عليه السلام طمعاً في الزواج من يزيد بعد أن أغراها معاوية بذٰلك وخطّط لها المكيدة.

وانتقل الإمام المظلوم أبومحمّد الحسن المجتبىٰ إلىٰ جوار ربّه وجدّه وأبيه وأمّه بعد أن كابد مرارة السم وآلامه أربعين يوماً، وكانت شهادته في السابع من صفر سنة خمسين، أوفي آخر صفر سنة تسع وأربعين للهجرة.[1]

فابتدأت في ذٰلك اليوم إمامة سيّد الشهداء عليه السلام...

وكانت زوبعة اليوم الأوّل من امامته عليه السلام مشكلة دفن أخيه الحسن عليه السلام، تلك المشكلة التي أثارتها عائشة بتخطيط وتحفيز من مروان بن الحكم.

وفي قصّة هٰذه الزوبعة روايات كثيرة متفاوتة رواها الفريقان، ننتقي هنا هٰذه الرواية منها، وفيها أنّ الحسن عليه السلام قال لأخيه الحسين عليه السلام:

إذا متُّ فغسّلني، وحنّطني، وكفّنّي، وصلِّ عليَّ، واحملني إلىٰ قبر جدّي حتّىٰ تُلحدني إلىٰ جانبه، فإن مُنعتَ من ذٰلك فبحقّ جدّك رسول الله صلى الله عليه وآله وأبيك أمير المؤمنين وأمّك فاطمة، وبحقّي عليك إن خاصمك أحدٌ ردّني إلىٰ البقيع، فادفنّي فيه ولاتهرق فيَّ محجمة دم.

فلمّا فرغ من أمره، وصلّىٰ عليه، وسار بنعشه يريد قبر جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله ليلحده معه، بلغ ذٰلك مروان بن الحكم طريد رسول الله صلى الله عليه وآله، فوافىٰ مسرعاً علىٰ بغله، حتّىٰ دخل علىٰ عائشة...

---

(١) بحار الأنوار، ٤٤: ١٣٤.

فقال لها: يا أمّ المؤمنين، إنّ الحسين يريد أن يدفن أخاه الحسن عند قبر جدّه، ووالله لئن دفنه معه ليذهبنّ فخر أبيك وصاحبه عمر إلىٰ يوم القيامة.

فقالت له: فما أصنع يامروان؟

قال: إلحقي وامنعيه من الدخول إليه.

قالت: فكيف ألحقه؟

قال: هٰذا بغلي فاركبيه والحقي القوم قبل الدخول.

فنزل لها عن بغله، وركبته، وأسرعت إلىٰ القوم، وكانت أوّل امرأة ركبت السرج هي، فلحقتهم وقد صاروا إلىٰ حرم قبر جدّهما رسول الله صلّى الله عليه وآله، فرمت بنفسها بين القبر والقوم.

وقالت: والله، لايُدفن الحسن هاهنا أو تحلق هٰذه وأخرجت ناصيتها بيدها.

وكان مروان لمّا ركبت بغله جمع من كان من بني أميّة وحثّهم، فأقبل هو وأصحابه وهو يقول: يارُبَّ هَيْجا هيَ خيرٌ من دِعَة. أيُدفن عثمان في أقصىٰ البقيع ويدفن الحسن مع رسول الله؟! والله، لايكون ذٰلك أبداً وأنا أحمل السيف.

وكادت الفتنة تقع!!

وعائشة تقول: والله لايدخل داري من أكره.

فقال لها الحسين عليه السلام: هٰذه دار رسول الله صلّى الله عليه وآله، وأنتِ حشيّة من تسع حشيّاتٍ خلّفهنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله، وإنّما نصيبك من الدار موضع قدميك.

فأراد بنوهاشم الكلام وحملوا السلاح!

فقال الحسين عليه السلام: الله الله، لاتفعلوا فتضيعّوا وصيّة أخي.

وقال لعائشة: والله، لولا أنّه أوصىٰ إليّ ألاّ أُهرق فيه محجمة دم لدفنتُه هنا ولو رغم لذٰلك أنفك.

وعدل به إلىٰ البقيع فدفنه مع الغرباء!

وقال عبدالله بن عبّاس: يا حميراء، كم لنا منكِ!؟ فيوم علىٰ جمل، ويوم علىٰ بغل!

فقالت: إن شاء أن يكون يوم علىٰ جمل ويوم علىٰ بغل، والله ما يدخل الحسن داري..».[1]

وروي أنّ الإمام الحسين عليه السلام حاجَّ عائشة هٰكذا:

«قديماً هتكتِ أنتِ وأبوك حجاب رسول الله صلى الله عليه وآله، وأدخلتِ بيته من لايحبّ رسول الله صلى الله عليه وآله قربه وإنّ الله سائلك عن ذٰلك يا عائشة.

إنّ أخي أمرني أن أُقرّبه من أبيه رسول الله صلى الله عليه وآله ليحدث به عهداً، واعلمي أنّ أخي أعلم الناس بالله ورسوله، وأعلم بتأويل كتابه من أن يهتك علىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله ستره، لأنّ الله تبارك وتعالىٰ يقول: ﴿**يا أيّها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوت النبيّ إلاّ أن يؤذن لكم**﴾، وقد أدخلتِ أنتِ بيت رسول الله صلى الله عليه وآله الرجال بغير إذنه.

وقد قال الله عزّ وجلّ: ﴿**يا أيّها الذين آمنوا لاترفعوا أصواتكم فوق صوت النبيّ**﴾، ولعمري لقد ضربتِ أنتِ لأبيك وفاروقه عند أذنِ رسول الله صلى الله عليه وآله المعاول!

وقال الله عزّ وجلّ: ﴿**إنّ الذين يغضّون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين**

---

(١) دلائل الإمامة: ١٦١-١٦٢.

امتحن الله قلوبهم للتقوىٰ﴾، ولعمري لقد أدخل أبوك وفاروقه علىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله بقربهما منه الأذىٰ، وما رعيا من حقّه ما أمرهما الله به علىٰ لسان رسول الله صلى الله عليه وآله، إنّ الله حرّم علىٰ المؤمنين أمواتاً ما حرّم منهم أحياء.

وتالله يا عائشة لو كان هٰذا الذي كرهتيه من دفن الحسن عند أبيه صلوات الله عليهما جائزاً فيما بيننا وبين الله لعلمت أنّه سيدفن وإن رغم معطسك ...».[1]

وروىٰ ابن عساكر أنّ مروان كان قد راسل معاوية بأخبار الإمام الحسن عليه السلام وما آلت إليه حالته الصحيّة عند ما ثقل عليه السمُّ.[2]

وروي أيضاً أنّ معاوية بلغه ما كان قد أراد الإمام الحسين عليه السلام في دفن أخيه الحسن عليه السلام إلىٰ جوار جدّه صلى الله عليه وآله، فقال: «ما أنصفتنا بنوهاشم حين يزعمون أنّهم يدفنون حسناً مع النبيّ صلى الله عليه وآله وقد منعوا عثمان أن يُدفن إلاّ في أقصىٰ البقيع.

إن يك ظنّي بمروان صادقاً لايخلصون إلىٰ ذٰلك.

وجعل يقول: ويهاً مروان! أنت لها!».[3]

إذن فهٰذا الموقف الأمويّ الذي قام بتنفيذه مروان في قضيّة دفن الإمام الحسن عليه السلام كان رسالة موجهة إلىٰ الإمام الحسين عليه السلام في وقت مبكّر، هٰذه الرسالة تتضمّن رسم الحدود المسموح بها له والحدود الممنوعة عليه من قبل معاوية، فكأنّ الأمويّين أرادوا أن يقولوا له منذ البدء: لك أن تتكلّم كما تحبّ، وليس لك أن

(١) الكافي، ١: ٣٠٢ - ٣٠٣، حديث ٣.

(٢) تأريخ مدينة دمشق، ١٣: ٢٩١.

(٣) نفس المصدر، ١٣: ٢٩١.

تقوم بأي فعل لانرضاه، وإلاّ فالسيف!

□نظرة الإمام الحسين عليه السلام إلىٰ صلح أخيه عليه السلام مع معاوية

القيام عند أهل البيت عليهم السلام:

إنّ لأئمة أهل البيت عليهم السلام دوراً عامّاً يشتركون جميعاً في السعي إلىٰ تحقيقه بالرغم من تفاوت الظروف السياسيّة والإجتماعيّة التي يمرّون بها، كمثل مسؤوليّتهم في الحفاظ علىٰ الرسالة الإسلاميّة وتحصينها من كلّ ما يشوبها من عوالق لا إسلاميّة، ومسؤوليّتهم في الحفاظ علىٰ الأمّة ووقايتها من الأخطار التي تهدّدها، وتبيين الأحكام الشرعيّة والحقائق القرآنيّة، وإنقاذ الدولة الإسلاميّة من كلّ تحدٍّ كافر، وتعريف الأمّة بفضل أهل البيت عليهم السلام وأحقّيّتهم بالأمر ما سنحت الفرصة واتّسع المجال، وإلىٰ غير ذٰلك من مصاديق دورهم العام المشترك.

ولكلٍّ منهم أيضاً دور خاصّ به، تحدّده طبيعة الظروف السياسيّة والإجتماعيّة التي يعيشها كلٌّ من الإسلام والإمام والأمّة. وقد تتشابه الأدوار الخاصّة لبعضهم نتيجة تشابه تلك الظروف، كما هي الحال في الظروف التي عاشها كلّ من الباقر والصادق عليهما السلام أوالهادي والعسكريّ عليهما السلام. وقد تتعارض الأدوار الخاصّة لبعضهم نتيجة التغاير بين تلك الظروف، كما هي الحال في مهادنة الإمام الحسن عليه السلام مع معاوية والثورة التي قام بها الإمام الحسين عليه السلام ضدّ يزيد بن معاوية.

ومن الدور العامّ المشترك لأئمة أهل البيت عليهم السلام أصل القيام بوجه الحاكم الظالم إذا توفرّت «العدّة» اللاّزمة للقيام بكلّ أبعادها لا في بُعد العدد فقط، ويمكن استفادة هذه الحقيقة أوهذا الهدف من أهداف دورهم العام المشترك من

مجموعة روايات وردت عنهمعليهم السلام، فأمير المؤمنين عليّعليه السلام بعد السقيفة كان قد حرّض البدريّين من المهاجرين والأنصار على القيام والثورة، فلم يدع أحداً منهم إلاّ أتاه في منزله، يذكّرهم حقّه ويدعوهم إلى نصرته، فما استجاب له منهم إلاّ أربعة وأربعون، فأمرهم أن يصبحوا بكّرة محلّقين رؤوسهم معهم السلاح ليبايعوا على الموت، فما وافاه في الصباح منهم إلاّ أربعة، ثمّ أتاهم أيضاً في الليلة التالية فناشدهم فقالوا: نصبحك بكرة، فما أتاه غير أولئك الأربعة، وكانت النتيجة نفسها أيضاً في غداة اليوم التالي، فلمّا رأى غدرهم وقلّة وفائهم له لزم بيته.[1]

ولم يقل أمير المؤمنينعليه السلام قوله المشهور: «.. **والله، لأسلمنّ ما سلمت أمور المسلمين ولم يكن فيها جور إلاّ عليَّ خاصّة ..**»[2] إلاّ بعد أن ظهرت نتيجة مؤامرة الشورى وأُعطِيت الخلافة لعثمان، وزويت عنه للمّرة الثالثة، وهو يرى الأمّة في غمرتها تغطُّ في غفلة عميقة عن حقّه المغتصب، فما صبر على ما صبر إلاّ لعدم توفّر عدّة القيام حتّى فيما بعد الشورى.[3]

ويستفاد هذا الأصل أيضاً من قصّة سدير الصيرفي مع الإمام الصادقعليه السلام، التي قال له الإمامعليه السلام في آخرها:

«والله يا سدير، لو كان لي شيعة بعدد هذه الجداء ما وسعني القعود!»[4]

---

(١) راجع سليم بن قيس: ٨١؛ والكافي، ٨: ٣٣ في ذكر الخطبة الطالوتية؛ واختيار معرفة الرجال، ١: ٣٨ حديث ١٨؛ وتأريخ اليعقوبي، ٢: ٨٤ – ٨٥. وتفاوتت هذه المصادر في عدد الذين استجابوا له وأتوه بين أربعة أو ثلاثة، كما تفاوتت في من هم هؤلاء الرجال الذين وفوا له عليه السلام بالإستجابة.

(٢) نهج البلاغة: ١٠٢، حديث ٧٤ ضبط صبحي الصالح.

(٣) راجع: شرح النهج، ٩: ٢٩٢.

(٤) الكافي، ٢: ٢٤٢ – ٢٤٣، حديث ٤.

وكان عدد هٰذه الجداء سبعة عشر!.

كما يستفاد من رواية مأمون الرقّي في قصّة الصادقعليه‌السلام مع سهل بن حسن الخراساني الذي اعتذر للإمامعليه‌السلام عن امتثال أمره في دخول التنّور المسجور، ودخله هارون المكّيرحمه‌الله، فقالعليه‌السلام للخراساني: «كم تجد بخراسان مثل هٰذا؟» فقال: والله ولا واحداً، فقالعليه‌السلام:

«لا والله ولا واحداً، أما إنّا لانخرج في زمانٍ لانجد فيه خمسة معاضدين لنا، نحن أعلم بالوقت».[١]

وكان هٰذا الأصل أيضاً عند الإمام الحسنعليه‌السلام، إذ كان أوّل ما فعله بعد أمير المؤمنينعليه‌السلام هو مواصلة التعبئة العامّة لقتال معاوية في حرب مصيريّة، ولولا الخيانات الكبرىٰ والخذلان الخطير والوهن المتفشّي في عسكره وما أشبه ذٰلك من أسباب أجبرته علىٰ ترك الحرب لما آل الأمر إلىٰ صلح مع معاوية، وكان الإمام الحسنعليه‌السلام قد ابتلىٰ الناس في عزمهم علىٰ الجهاد قبل المهادنة فما وجد فيهم إلاّ الخَور والضعف وحبّ السلامة والدنيا، حين صعد المنبر فخطبهم قائلاً:

«.. ألا وإنّ معاوية دعانا إلىٰ أمرٍ ليس فيه عزّ ولا نصفة، فإن أردتم الموت رددناه عليه (وحاكمناه إلىٰ الله عزّ وجلّ بظُبا السيوف)، وإن أردتم الحياة قبلناه، وأخذنا لكم الرضا.»

فناداه القوم (من كلّ جانب): البقية! البقية!، (فلمّا أفردوه أمضىٰ الصلح).[٢]

---

(١) مناقب آل أبي طالب، ٤: ٢٣٧.

(٢) المجتنىٰ لابن دريد: ٢٣؛ وأسد الغابة، ٢: ١٤ بسند إلى ابن دريد، وفيه إضافة العبارات التي بين قوسين.

ولمّا أن شكىٰ إليه الصحابيّ البطل الشهيد حجر بن عديّ رضي الله عنه مرارة الحال بقوله: «خرجنا من العدل ودخلنا في الجور، وتركنا الحقّ الذي كنّا عليه ودخلنا في الباطل الذي كنّا نذمّه، وأعطينا الدنيّة ورضينا بالخسيسة، وطلب القوم أمراً وطلبنا أمراً، فرجعوا بما أحبّوا مسرورين، ورجعنا بما كرهنا راغمين» أجابه الإمام الحسن عليه السلام:

«يا حجر، ليس كلّ الناس يحبّ ما أحببت، إنّي قد بلوت الناس، فلو كانوا مثلك في نيّتك وبصيرتك لأقدمت».[1]

الخيارات المتاحة للإمام الحسن عليه السلام:

لقد وقف الإمام الحسن عليه السلام من هذه المحنة المحيّرة الموقف المعصوم الذي لايعتوره خطأ في فكرٍ أو قولٍ أو عملٍ، هٰذا ما يفرضه اعتقادنا الحقّ بإمامة مولانا أبي محمّد الحسن المجتبىٰ عليه السلام، لكنّنا في معرض تحليل ورصد الخيارات التي كانت متاحة له عليه السلام يمكن أن نحدّدها تأريخيّاً كما يلي:

١) ـ **بقاء الحالة القائمة**: وهي حالة اللاّسلام واللاّحرب، وكان الإمام عليه السلام يعلم أنّ بقاء هٰذه الحالة أمر غير ممكن آنذاك، وذٰلك لتزايد الوهن في أهل الكوفة وخذلانهم له، وكثرة الخيانات ممّن حوله، ولأنّ معاوية يأبىٰ حالة المتاركة هٰذه بسبب إصراره علىٰ مدّ سلطانه علىٰ كلّ البلاد طوعاً أوكرهاً. فإذن لابدّ من حالة حرب أو حالة سلم.

٢) ـ **حالة الحرب واحتمالاتها**: لم يكن للإمام عليه السلام أيّ أمل في نصر مؤزّر حاسم علىٰ ضوء الحالة النفسيّة والروحيّة لجيشه المكوّن من أخلاط وأهواء

---

(١) أنساب الأشراف (تحقيق المحمودي)، ٣: ١٥١، حديث ١٢.

مختلفة وهمم هامدة، كما أنّ الأمل ضعيف جدّاً في أن تنتهي الحرب مع معاوية كما انتهت صفّين إلىٰ حالة اللاحسم وذٰلك لأنّ ميزان القوىٰ قد تغيّر تغيّراً ملحوظاً لصالح معاوية.

إذن لم يبق إلاّ احتمال هو أقرب إلىٰ اليقين منه إلىٰ الظنّ، وهو احتمال الهزيمة المنكرة للإمام عليه‌السلام والنصر الحاسم لمعاوية.

وعندها فإمّا أن يُقتل الإمام عليه‌السلام وأهل بيته وأصحابه فينتهي الصفّ الإسلامي تماماً، ويخسر الإسلام قادته ومن معهم دون أيّة استفادة، ذٰلك لأنّ معاوية لِمابلغ به من تضليل الناس ولِما يملكه من دهاء وحنكة وقدرة علىٰ قلب الحقائق، كان يستطيع أن يُلقي علىٰ مقتلهم ألف حجاب وحجاب.

وإمّا أن يؤسر الإمام عليه‌السلام فيُقتل ومن معه صبراً أو يمنّ عليهم معاوية ويطلقهم في ذلّ مقابلة ليوم فتح مكّة، فتكون سُبّة علىٰ بني‌هاشم، ومنّة لبني‌أميّة عليهم، باقية إلىٰ آخر الدهر. وقد صرّح الإمام عليه‌السلام بذٰلك حيث قال:

«فوالله، لئن أسالمه وأنا عزيز خير من أن يقتلني وأنا أسير، أو يمنّ عليّ فتكون سُبّة على بني‌هاشم إلىٰ آخر الدهر، ومعاوية لايزال يمنّ بها وعقبه علىٰ الحيّ منّا والميّت».[١]

٣) ـ **الصلح**: وهٰذا ما اقتضت حكمة المعصوم عليه‌السلام القبول به، وإن كان قذىً في العين وشجىً في الحلق وأمرّ من العلقم، لأنّه الخيار الوحيد الذي يحفظ للإسلام بقاءه وبقاء رجاله، ويعرّي حقيقة نفاق معاوية وجاهليّته وكفره، ذٰلك لأنّه إذا استتبّ له الأمر بلامنازع تخلّىٰ عن تحفّظاته وكشف تماماً عن عدائه للإسلام.

---

(١) الاحتجاج، ٢: ١٠ ـ ١١.

هٰذا وتجدر الإشارة هنا إلىٰ أنّ الإمام الحسن عليه السلام لم ينظر إلىٰ الصلح علىٰ أنّه نهاية القضيّة مع معاوية، بل كان ينظر إليه كمتاركة مؤقّتة حتّىٰ يأتي الوقت المناسب للقيام ضدّ معاوية في حربٍ أخرىٰ، فها هو يجيب حجربن عدي الكندي بقوله:

«إنّي رأيت هوىٰ عظم الناس في الصلح، وكرهوا الحرب، فلم أحبّ أن أحملهم علىٰ ما يكرهون، فصالحت بقياً علىٰ شيعتنا خاصّة من القتل، فرأيت دفع هٰذه الحروب إلىٰ يومٍ ما، فإنّ الله كلّ يومٍ هو في شأنٍ».[1]

صدق أبو محمّد عليه السلام

كان الإمام الحسين عليه السلام قد وقف من كلّ قرارات ومواقف الإمام أبي محمّد الحسن عليه السلام موقف الشريك المعاضد والنصير المؤازر، هٰذا ما تؤكّده المتابعة التأريخيّة للعلاقة بينهما طيلة فترة إمامة الحسن عليه السلام، فضلاً عن أنّ الإعتقاد الحقّ بإمامتهما وعصمتهما يفرض القطع بأنّ كلاً منهما يصدّق الآخر في القول والفعل والتقرير. وفيما يتعلّق بأمر الصلح مع معاوية كان الإمام الحسين عليه السلام قد أكّد دعمه التامّ للقرار الحسني، وعبّر عن اشتراكه مع أخيه في موقفه، وعن امتثاله لأمره كإمام مفترض الطاعة في أكثر من مناسبة. فقد قال له عديّ بن حاتم رحمه الله: «يا أباعبدالله، شريتم الذلّ بالعزّ، وقبلتم القليل وتركتم الكثير، أَطِعنا اليوم واعصِنا الدهر، دعِ الحسن وما رأىٰ من هٰذا الصلح، واجمع إليك شيعتك من أهل الكوفة وغيرها، وولّني وصاحبي (يعني عبيدة بن عمر) هٰذه المقدّمة، فلايشعر ابن هند إلاّ ونحن نقارعه بالسيوف».

فأجابه الحسين عليه السلام: «إنّا قد بايعنا وعاهدنا، ولا سبيل لنقض بيعتنا».[2]

(١) الأخبار الطوال: ٢٢٠.

(٢) الأخبار الطوال: ٢٢٠.

ولمّا طلب منه حجر بن عديّ مثل ذلك أجابه الإمام الحسين عليه السلام أيضاً: «إنّا قد بايعنا، وليس إلىٰ ما ذكرت سبيل».[1]

كما أظهر تصديقه لأخيه في الإلتزام بالمعاهدة ولوازمها عمليّاً في جوابه لعليّ بن محمّد بن بشير الهمداني حين ذكر له امتناع الإمام الحسن عليه السلام من إجابة من دعاه إلىٰ الثورة بعد الصلح قائلاً: **«صدق أبو محمّد، فليكن كلّ رجل منكم حلساً من أحلاس بيته مادام هٰذا الإنسان حيّاً»**.[2]

وعبّر عليه السلام عن امتثاله التامّ لأمر الإمام الحسن عليه السلام في هٰذا الموقف لمّا دعاهما معاوية ومن معهما من أصحاب عليّ عليه السلام للبيعة في الشام، وكان معهم قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري، فلمّا أتوه دعا معاوية الحسن عليه السلام للبيعة فبايعه، ثمّ دعا الحسين عليه السلام أيضاً فبايعه، فلمّا طلب من قيس بن سعد البيعة التفت قيس إلىٰ الحسين عليه السلام ينظر ما يأمره، فقال الحسين عليه السلام: **«يا قيس إنّه إمامي»**. يعني الحسن عليه السلام.[3]

ولاينافي هٰذه الحقيقة ما ورد في مجموعة أخرىٰ من النصوص أنّه عليه السلام كان كارهاً لتلك البيعة، كمثل قوله لبعض الشيعة:

«قد كان صلح، وكانت بيعة كنت لها كارهاً، فانتظروا مادام هٰذا الرجل حيّاً، فإن يهلك نظرنا ونظرتم».[4]

ذلك لأنّ هٰذا الصلح كان أبغض الإختيارات أمام الإمام الحسن عليه السلام، وقد

---

(١) أنساب الأشراف، ٣: ١٥١، حديث ١٢.

(٢) الأخبار الطوال: ٢٢١.

(٣) إختيار معرفة الرجال، ١: ٣٢٥، حديث ١٧٦.

(٤) أنساب الأشراف، ٣: ١٥٠، حديث ١٠.

اضطرّ إليه اضطراراً حرصاً على مصالح إسلاميّة كبرى، ولاشك أنّ رعاية هذه المصالح قد تفرض على الإمام في ظروف صعبة غير مساعدة أن يقدم على أمرٍ هو عند الإمام أمرّ من العلقم، وأشدّ من السمّ، وأفجع من الموت.

ولا تفاوت في كراهيّة هذا الصلح عند الحسن والحسين عليهما السلام، كما أنّ التعبير عن الكراهيّة لأمرٍ لايعني التعبير عن عدم الرضا بفعله. ذلك لأنّ الرضا بهذا الصلح بلحاظ ما يترتّب عليه من نتائج مرجّوةٍ أمرٌ آخر.

ولا تفاوت في الرضا به أيضاً عند الحسن أوالحسين أو أيّ إمام آخر من أئمّة أهل البيت عليهم السلام، ولقد عبّر الإمام الباقر عليه السلام عن نظرة الرضا بهذا الصلح قائلاً:

«والله، للّذي صنعه الحسن بن عليّ عليه السلام كان خيراً لهذه الأمّة ممّا طلعت عليه الشمس...».[1]

ومع اعتقادنا بأنّ الموقف الذي يتّخذه الإمام المعصوم هو الأفضل في ظرفه، أي أنّ كلاً من صلح الحسن عليه السلام وقيام الحسين عليه السلام كان هوالأفضل في ظرفه، صحّ لنا إذن أن نقطع بأنّ إمامة الحسين عليه السلام لوكانت قبل إمامةالحسن عليه السلام لصالح معاوية كما فعل الحسن عليه السلام في ظرفه، ولوكانت إمامةالحسن عليه السلام بعد إمامة الحسين عليه السلام لثار الحسن عليه السلام كما فعل الحسين عليه السلام في ظرفه.

أمّا ما ورد في مجموعة أخرى من الروايات أنّ الإمام الحسين عليه السلام قال لأخيه الإمام الحسن عليه السلام حينما عزم على الصلح: «**يا أخي، أعيذك بالله من هذا**»[2] اعتراضاً عليه، أو أنّه قال: «**نشدتك الله أن تصدّق أحدوثة معاوية وتكذّب أُحدوثة عليّ!**».[3] أو

(١) الكافي، ٨: ٣٣٠، حديث ٥٠٦.

(٢) الفتوح، ٤: ٢٨٩.

(٣) تاريخ الطبري، ٤: ١٢٢.

«أنشدك الله أن تكون أوّل من عاب أباك وطعن عليه ورغب عن أمره!» فأجابه الإمام الحسن عليه السلام: «إنّي لاأرىٰ ما تقول، والله لئن لم تتابعني لأسندتك في الحديد، فلاتزال فيه حتّىٰ أفرغ من أمري!»[1] أو أنّه عليه السلام قال: «أعيذك بالله أن تكذّب عليّاً في قبره وتصدّق معاوية!»، فيجيبه الإمام الحسن عليه السلام: «والله ما أردت أمراً قطّ إلاّ خالفتني إلىٰ غيره، والله لقد هممت أن أقذفك في بيت فأُطيّنه عليك حتّىٰ أقضي أمري!».[2] فإنّ هٰذه الروايات كلّها عاميّة، مردودة لايمكن القبول بها، لأنّها تعارض الإعتقاد الحقّ بمعنىٰ الإمامة وحقائقها والأدب الرفيع الذي يتعامل به حجج الله تعالىٰ فيما بينهم، وهي من افتعال الخيال السنّي المتأثّر بالتضليل الأمويّ الذي عمد إلىٰ تشويه صورة الإمام الحسن عليه السلام بشكل خاصّ ليظهره بمظهر الموادع الذي يحبّ السلامة والراحة والنساء والمال، وأنّه لا عزم له علىٰ حرب ولا شدّة، كلّ ذلك ليجرّده في أذهان الناس عن أهليّته للخلافة. ومن المؤسّف حقّاً أنّك قد لاتجد في تواريخ العامّة كتاباً لم يتأثّر بهٰذا التضليل الظالم!!

مواصلة الإمام عليه السلام الإلتزام بالهدنة

آثر الإمام عليه السلام مواصلة الإلتزام بالهدنة، وحرص عليه السلام في حياة الإمام الحسن عليه السلام علىٰ تهدئة ثائرة الشيعة، وأمرهم بالصبر والترقّب، وأوصاهم بالتخفّي عن أعين السلطة، وبالإنتظار، وواصل السير علىٰ هٰذا الخطّ أيضاً بعد شهادة الإمام الحسن عليه السلام، فقدروىٰ البلاذري: أنّه لما توفّي الحسن بن عليٍّ اجتمعت الشيعة، ومعهم بنوجعدة بن هبيرة بن أبي‌وهب المخزومي وأمّ جعدة أمّ هاني بنت أبي‌طالب، في دار سليمان بن صرد، وكتبوا إلىٰ الحسين كتاباً بالتعزية، وقالوا في

---

(١) أنساب الأشراف، ٣: ٥١، حديث ٦١.

(٢) تأريخ مدينة دمشق، ١٣: ٢٦٧.

كتابهم: إنّ الله قد جعل فيك أعظم الخلف ممّن مضىٰ، ونحن شيعتك المصابة بمصيبتك، المحزونة بحزنك، المسرورة بسرورك، المنتظرة لأمرك.

وكتب إليه بنو جعدة يخبرونه بحسن رأي أهل الكوفة فيه وحبّهم لقدومه وتطلّعهم إليه، وأن قد لقوا من أنصاره وإخوانه من يُرضىٰ هديه ويُطمأنّ إلىٰ قوله، ويعرف نجدته وبأسه، فأَنضَوا إليهم ما هم عليه من شنآن ابن أبي سفيان والبراءة منه، ويسألونه الكتاب إليهم برأيه.

فكتب الحسين عليه السلام إليهم:

«إنّي لأرجو أن يكون رأي أخي رحمه الله في الموادعة ورأيي في جهاد الظلمة رشداً وسداداً، فالصقوا بالأرض، وأخفوا الشخص، وأكتموا الهوىٰ، واحترسوا من الأضاء مادام ابن هند حيّاً، فإن يحدث به حدثٌ وأنا حيّ يأتكم رأيي إن شاء الله».[1]

وكذلك نقل الشيخ المفيد رحمه الله عن الكلبي والمدائني وغيرهما من أصحاب السيرة أنّهم قالوا: «لمّا مات الحسن عليه السلام تحرّكت الشيعة بالعراق، وكتبوا إلىٰ الحسين عليه السلام في خلع معاوية، والبيعة له، فامتنع عليهم، وذكر أنّ بينه وبين معاوية عهداً وعقداً لا يجوز له نقضه حتّىٰ تمضي المدّة، فإذا مات معاوية نظر في ذلك».[2]

---

(١) أنساب الأشراف، ٣: ١٥١ ـ ١٥٢، حديث ١٣.

(٢) الإرشاد: ٢٢١.

❑موقف معاوية من الإمام الحسين عليه السلام

دعوىٰ «الدم المضنون في بني عبد مناف» وحقيقتها

روىٰ ابن عساكر أنّ الوليد بن عتبة أغلظ للإمام الحسين عليه السلام في القول، فشتمه الإمام عليه السلام وأخذ بعمامته فنزعها من رأسه...

فقال الوليد: إن هجنا بأبي عبدالله إلاّ أسداً!

فقال له مروان أو بعض جلسائه: أقتله.

قال الوليد: إنّ ذٰلك لدم مضنون في بني عبد مناف!!.[1]

لاشك أنّ الوليد بن عتبة وهو والي المدينة يومئذٍ لم ينطق عن رأيه الشّخصيّ، بل نطق عن الرأي الرسمي للحكم الأمويّ الذي كان معاوية بن أبي سفيان علىٰ رأسه آنئذٍ. والدم المضنون في بني عبد مناف معناه الدم الذي يعزّ علىٰ القتل ولايجوز سفكه، فهل كان دم الإمام الحسين عليه السلام كذلك فعلاً في عهد معاوية؟ وما هي حدود الحقيقة في هٰذه الدّعوى!؟

لقد كتب معاوية إلىٰ واليه سعيد بن العاص علىٰ المدينة قبل الوليد بن عتبة بصدد الموقف من الإمام الحسين عليه السلام قائلاً:

«... وأنظر حسيناً خاصّة فلاينالهُ منك مكروه، فإنّ له قرابة وحقّاً عظيماً لاينكره مسلم ولا مسلمة، وهو ليث عرين، ولست آمنك إن شاورته أن لاتقوىٰ عليه...».[2]

إذن فمشكلة معاوية في موقفه من الإمام الحسين عليه السلام هي في قرابة

---

(١) تأريخ ابن عساكر(ترجمة الإمام الحسين عليه السلام) تحقيق المحمودي: ٢٠٠، حديث ٢٥٥.

(٢) الإمامة والسياسة، ١: ١٧٩.

الإمام الحسين عليه السلام الخاصّة من رسول الله صلى الله عليه وآله، إنّه ابن فاطمة الزهراء عليها السلام، وهٰذه الصلة الخاصّة قد فرضت له عليه السلام حقّاً عظيماً علىٰ كلّ مسلم ومسلمة، وقد عرفت الأمّة كلّها هٰذا الحقّ العظيم فهي لاتنكره.

من هنا فإنّ أيّة مواجهة علنيّة بين النظام الأمويّ وبين الإمام عليه السلام لاتكون في مصلحة هٰذا النظام الحريص علىٰ التظاهر بالزيّ الديني.

لكنّ هٰذا الموقف الأمويّ في عدم مسّ الإمام عليه السلام بمكروه هو محدّد غير مطلق، ويلتزم به الحكم الأمويّ في حال عدم قيام الإمام عليه السلام ضدّ هٰذا الحكم، وقد صرّح الوليد بن عتبة للإمام الحسين عليه السلام بحدود الموقف الأمويّ الرسمي منه حينما عنّفه الإمام عليه السلام علىٰ منعه أهل العراق من اللقاء به، فقال الوليد يخاطب الإمام عليه السلام:

«ليت حلمنا عنك لايدعو جهل غيرنا إليك، فجناية لسانك مغفورة لك ما سكنت يدك، فلاتخطر بها فتخطر بك ...».[1]

أي لك أن تقول ما شئت وكما تحبّ مادمت لم‌تقم ضدّنا ولم‌تخرج علينا، وأمّا إذا تحرّكت عمليّاً ضدّنا وخرجت علينا فلا غفران ولا أمان، ولايكون بيننا وبينك عندها إلاّ السّيف والقتل. هٰذا هو الخطّ الأحمر المرسوم للدّم المضنون في بني‌عبدمناف! وعليه ألاّيتجاوزه حتّىٰ لايطاله القتل فيسفك كأيّ دم آخر غير مضنون!

هٰذا هو الموقف الأمويّ الرسمي بحدوده وأبعاده سافراً في تصريح الوليد بن عتبة، ولقد بلّغ الأمويّون الإمام الحسين عليه السلام بهٰذا الموقف وأشعروه بهٰذه الحدود

(١) أنساب الأشراف، ٣: ١٥٦، حديث ١٥.

أيضاً قبل ذٰلك في زوبعة اليوم الأوّل من إمامتهعليه السلام في المواجهة التي أثـاروها لمنع دفن الإمام الحسنعليه السلام قرب جدّهصلى الله عليه وآله.

إذن فدم الإمام الحسينعليه السلام دم مضنون في بنيعبدمناف عند الحكم الأمويّ ما لميخرج الإمامعليه السلام علىٰ هٰذا الحكم، وهو دم مظنون لا عن إيمان بحقّه العظيم وقداسته، بل لأنّ سفك هٰذا الدم المقدّس يمزّق الإطار الديني الذي يتشبّث بـه الحكم الأمويّ.

وظلّ معاوية مدّة بقيّة حياته يهتمّ بأمر الإمـام الحسـينعليه السلام اهـتماماً فـائقاً، ويحسب له حساباً خاصّاً، في موازنة دقيقة بين عدم التحرّش به وتحاشي إثارته وبين مراقبته ليل نهار مراقبة دقيقة متواصلة للحيلولة دون خـروج فكـرة القـيام والثورة عند الإمامعليه السلام من مكنون النيّة إلىٰ حيّز التطبيق والتنفيذ العملي، خشـية من مواجهة الخيارات الحرجة التي يسبّبها لمعاوية قيام الإمامعليه السلام في حال تمكّنه من تنفيذ هٰذا القيام عمليّاً.

الرقابة المشدّدة علىٰ الإمامعليه السلام

ولذا فلانعجب إذا شدّد معاوية الرقابة علىٰ الإمامعليه السلام، ورصد عليه الصغيرة والكبيرة من سكناته وحركاته في حياته الخاصّة والعامّة، وفي حِلّه وترحاله.

وكان معاوية يتعمّد تحسيس الإمامعليه السلام وإشعاره بهٰذه المراقبة، وإعلامه بأنّ الصغيرة والكبيرة من مجريات حياته مرفوعة إليه آناً فآناً بـلا انـقطاع بـواسـطة جواسيسه، لعلّ ذٰلك ينفع في ردع الإمامعليه السلام عن الفكرة بالخروج والقيام!!

والأمثلة علىٰ هٰذه الحقيقة كثيرة، ننتقي منها هٰذا المثال الدال علىٰ أنّ معاوية كان قد رصد علىٰ الإمام حتّىٰ شؤونه الخاصّة في منزله، يقول التأريـخ: «وكـان لمعاوية بن أبيسفيان عين بالمدينة يكتب إليه بما يكون من أمور الناس وقريش،

فكتب إليه: أنّ الحسين بن علي أعتق جارية له وتزوّجها، فكتب معاوية إلىٰ الحسين:

من أمير المؤمنين معاوية إلىٰ الحسين بن عليّ:

أمّا بعدُ: فإنّه بلغني أنّك تزوّجت جاريتك، وتركت أكفاءك من قريش، ممّن تستنجبه للولد، وتمجّد به في الصهر، فلا لنفسك نظرت، ولا لولدك انتقيت.

فكتب إليه الحسين بن علي عليه السلام:

«أمّا بعد: فقد بلغني كتابك، وتعييرك إيّاي بأنّي تزوّجت مولاتي، وتركت أكفائي من قريش، فليس فوق رسول الله منتهىٰ في شرف، ولا غاية في نسب، وإنّما كانت ملك يميني خرجت عن يدي بأمرٍ التمست فيه ثواب الله تعالىٰ، ثمّ ارتجعتها علىٰ سُنّة نبيّه صلى الله عليه وآله، وقد رفع الله بالإسلام الخسيسة، ووضع عنّا به النقيصة، فلا لوم علىٰ امرئٍ مسلم إلاّ في أمر مأثم، وإنّما اللوم لوم الجاهليّة».

فلمّا قرأ معاوية كتابه نبذه إلىٰ يزيد، فقرأه وقال: لشدّما فخر عليك الحسين! قال: لا، ولكنّها ألسنة بني هاشم الحداد التي تفلق الصخر، وتغرف من البحر![1]

ولاريب أنّ الإمام عليه السلام وإن اقتصر في ردّه علىٰ معاوية بالاحتجاج عليه فيما يتعلّق بموضوع هٰذه الجارية، إلاّ أنّه قد أدرك مراد معاوية الخفيّ من وراء هٰذه الرسالة، وهو أنّني على علم بكلّ ما تفعله حتّىٰ شؤونك الخاصّة في داخل منزلك! فمابالك بعلاقاتك الاجتماعيّة وشؤونك السياسيّة العامّة!؟ فاحذر ولاتتجاوز

---

(١) زهر الآداب، ١: ١٠١.

تربّصك بنا إلىٰ القيام بفعلٍ لاتكون عاقبته إلاّ وقوع السيف بيننا!

لقد كانت الموازنة دقيقة وحسّاسة جدّاً في المتاركة القائمة بين الإمام الحسين عليه السلام وبين معاوية، لكنّ بعض الأمويّين ممّن كانت قلوبهم تغلي بنار الحقد علىٰ أهل البيت عليهم السلام، وليس لهم دهاء معاوية، كانوا يستعجلون معاوية في تقاريرهم التي يبعثونها بالأخذ علىٰ يد الإمام عليه السلام أخذاً شديداً أو التخلّص منه قبل أن تستفحل الأمور وتستعصي معالجتها علىٰ بني أميّة!

وأشدّ هٰؤلاء الأمويّين حقداً علىٰ أهل البيت عليهم السلام، وأكثرهم عجلة وخرقاً، كان مروان بن الحكم الذي كانت تقاريره تتوالىٰ علىٰ معاوية، وتشعُّ بالإندفاع والإستعجال، فقد كتب إلىٰ معاوية ذات مرّة «يعلمه أنّ رجالاً من أهل العراق قدموا علىٰ الحسين بن عليّ عليه السلام، وهم مقيمون عنده، يختلفون إليه، فاكتب إليَّ بالذي ترىٰ».[١]

وقال البلاذري: «وكان رجال من أهل العراق وأشراف أهل الحجاز يختلفون إلىٰ الحسين يجلّونه ويعظّمونه، ويذكرون فضله، ويدعونه إلىٰ أنفسهم، ويقولون إنّا لك عضدٌ ويدٌ، ليتّخذوا الوسيلة إليه، وهم لايشكّون في أنّ معاوية إذا مات لم يعدل الناس بحسينٍ أحداً.

فلمّا كثر إختلافهم إليه أتى عمرو بن عثمان بن عفّان مروان بن الحكم ـ وهو إذ ذاك عامل معاوية علىٰ المدينة ـ فقال له: قد كثر اختلاف الناس إلىٰ حسينٍ، والله إنّي لأرىٰ أنّ لكم منه يوماً عصيباً.

فكتب مروان ذٰلك إلىٰ معاوية...».[٢]

---

(١) الأخبار الطوال: ٢٢٤.

(٢) أنساب الأشراف، ٣: ١٥٢، حديث ١٣.

وكتب إليه أيضاً: «إنّي لست آمن أن يكون حسين مرصداً للفتنة، وأظنّ يومكم من حسين طويلاً!».[1]

لكنّ معاوية الذي كان يرىٰ أنّ من مصلحته أن يبقىٰ الإمام الحسين عليه السلام ملتزماً بالهدنة ولو ظاهراً، لم يكن ليرغب في الخروج عن حال المتاركة مع الإمام عليه السلام، فكان يردّ مروان عن تجاوز هٰذه المتاركة، ويأمره بالصبر وينهاه عن الخرق والعجلة، فقد كتب إليه:

«اترك حسيناً ما تركك ولم يظهر لك عداوته ويُبدِ صفحته، واكمن عنه كمون الثرىٰ إن شاء الله، والسلام».[2]

ومع هٰذا فإنّ مروان الذي كان أشدّ ولاة المدينة الأمويّين علىٰ أهل البيت عليهم السلام لم يكن ليطيق وجود الإمام الحسين عليه السلام في المدينة وهو يرى التفاف الأمّة حوله وانشدادها إليه، فاقترح علىٰ معاوية إبعاد الإمام عن المدينة وفرض الإقامة الجبريّة عليه في الشام، لينقطع بذٰلك اتصاله بأهل العراق، لكنّ معاوية رفض هٰذا الإقتراح أيضاً، وردّ عليه قائلاً:

«أردت والله أن تستريح منه وتبتليني به، فإن صبرتُ عليه صبرتُ علىٰ ما أكره، وإن أسأتُ إليه قطعتُ رحمه».[3]

وفوق الرقابة المشدّدة علىٰ الإمام عليه السلام كان بعض ولاة المدينة الأمويّين يتدخلون عمليّاً فيمنعون وفود الأمّة من لقاء الإمام عليه السلام خوفاً من تطوّر الأمور عمليّاً لصالح الإمام عليه السلام، فقد روىٰ البلاذري عن العتبي أنّ الوليد بن عتبة حجب

---

(١) تأريخ ابن عساكر (ترجمة الإمام الحسين عليه السلام) تحقيق المحمودي: ١٩٧، حديث ٢٥٤.

(٢) أنساب الأشراف، ٣: ١٥٢، حديث ١٣.

(٣) حياة الإمام الحسين بن علي عليه السلام، ٢: ٢٢٣.

أهل العراق عن الإمام الحسين عليه السلام.

فقال الحسين عليه السلام: يا ظالماً لنفسه، عاصياً لربّه، علامَ تحول بيني وبين قوم عرفوا من حقّي ما جهلته أنت وعمّك!؟

فقال الوليد: ليت حلمنا عنك لايدعو جهل غيرنا إليك، فجناية لسانك مغفورة لك ما سكنت يدك، فلاتخطر بها فتخطر بك، ولوعلمت ما يكون بعدنا لأحببتنا كما أبغضتنا!!».[١]

وإضافة إلى ما قدّمناه قبل ذلك في أن تصريح الوليد هذا كاشف عن حقيقة ما يعنيه الحكم الأمويّ في دعوىٰ «الدم المضنون»، نلفت هنا الإنتباه إلىٰ أنّ قول الوليد «ولو علمت ما يكون بعدنا لأحببتنا كما أبغضتنا» ربّما كان إشارة إلىٰ أنّ هذه المتاركة الموزونة بيننا وبينك سوف لن تتحقّق في غير عهد معاوية، وأنّ يزيد الذي سيخلف أباه شخصيّة أخرىٰ، لاترىٰ في التعامل معك غير الشدّة والصرامة، وسوف تضيق عليك الأرض بما رحبت، وعندها إذا التفتّ إلىٰ وراء ستذكر أيّامنا وعفونا وسماحتنا!! فكأنّه يمنّ علىٰ الإمام عليه السلام بهذه المتاركة الموزونة التي هي في نفعهم هم أوّلاً وأساساً!!

الخطّ العامّ في رسائل معاوية إلىٰ الإمام عليه السلام

لعلّ أوّل ما يلفت انتباه المتأمّل في رسائل معاوية إلىٰ الإمام الحسين عليه السلام هو المكر الظاهر في الموازنة بين الترغيب والترهيب، ولاتكاد تخلو واحدة من رسائل معاوية إلىٰ الإمام عليه السلام من النهج المتوازن بين الترغيب والترهيب.

وهذه الظاهرة إنعكاس واضح لما يتبنّاه معاوية من مبدأ الحفاظ علىٰ حالة

---

(١) أنساب الأشراف، ٣: ١٥٦ ـ ١٥٧، حديث ١٥.

المتاركة مع الإمام عليه السلام، وهٰذه الرسائل نفسها برهان علىٰ تبنّي معاوية هٰذا المبدأ أيضاً.

ولننتق هنا أمثلة من هٰذه الرسائل...

«كان مالٌ حُمل من اليمن إلىٰ معاوية، فلمّا مرّ بالمدينة وثب عليه الحسين بن علي عليه السلام فأخذه وقسّمه في أهل بيته ومواليه، وكتب إلىٰ معاوية:

﴿من الحسين بن عليّ إلىٰ معاوية بن أبي‌سفيان.

أمّا بعد: فإنّ عيراً مرّت بنا من اليمن تحمل مالاً وحلالاً وعنبراً وطيباً إليك، لتودعها خزائن دمشق وتعلُّ بها بعد النهل بني أبيك، وإنّي احتجت إليها فأخذتها، والسلام﴾.

فكتب إليه معاوية:

﴿من عند عبدالله معاوية أمير المؤمنين إلىٰ الحسين بن عليّ. سلام عليك...

أمّا بعد: فإنّ كتابك ورد عليّ تذكر أنّ عيراً مرّت بك من اليمن تحمل مالاً وحلالاً وعنبراً وطيباً إليّ، لأودعها خزائن دمشق، وأعلّ بها بعد النهل بني أبي، وأنّك احتجت إليها فأخذتها.

ولم تكن جديراً بأخذها إذ نسبتها إليّ، لأنّ الوالي أحقّ بالمال ثمّ عليه المخرج منه، وأيمُ الله لو تركت ذٰلك حتّىٰ صار إليّ لم أبخسك حظّك منه، ولكنّي قد ظننت يا ابن أخي أنّ في رأسك نزوة، وبودّي أن يكون ذٰلك في زماني فأعرف لك قدرك، وأتجاوز عن ذٰلك، ولكنّي والله أتخوّف أن تبتلى بمن لاينظرك فُواق ناقة».[1]

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي‌الحديد، ١٨: ٣٢٧.

ولايخفىٰ أنّ معاوية في هٰذه الرسالة مع إظهاره المسامحة والتجاوز كان قد هدّد الإمام عليه السلام بمن يأتي بعده، يعني يزيد.

كما كتب إليه نتيجة التقارير الكثيرة التي كانت تبعث بها عيونه إليه عن حركة الأمّة وحركة الإمام عليه السلام:

(أمّا بعد: فقد انتهت إليَّ أمور أرغب بك عنها، فإن كانت حقّاً لم أقارّك عليها، ولعمري) إنّ من أعطىٰ الله صفقة يمينه وعهده لجدير بالوفاء. (وإن كانت باطلاً، فأنت أسعد الناس بذٰلك، وبحظّ نفسك تبدأ، وبعهد الله تفي، فلاتحملني علىٰ قطيعتك والإساءة بك، فإنّي متىٰ أنكرك تنكرني، وإنّك) متىٰ تكدني أكدك. وقد أُنبئتُ أنّ قوماً من أهل الكوفة قد دعوك إلىٰ الشقاق، (فإتّق شقّ عصا هٰذه الأمّة، وأن يرجعوا علىٰ يدك إلىٰ الفتنة). وأهل العراق من قد جرّبت، قد أفسدوا علىٰ أبيك وأخيك، (وقد جرّبت الناس وبلوتهم، وأبوك كان أفضل منك، وقد كان اجتمع عليه رأي الذين يلوذون بك، ولاأظنّه يصلح لك منهم ما كان فسد عليه). فاتّق الله، واذكر الميثاق، (وانظر لنفسك ودينك، ولايستخفّنّك الذين لايوقنون).[1]

فكتب إليه الإمام عليه السلام جواباً علىٰ رسالته هٰذه كان بمثابة الصاعقة التي نزلت علىٰ رأس معاوية الذي ارتبك وتأثّر بشدّة من حدّتها إلىٰ درجة أن كان يشكو إلىٰ مقرّبيه من قوّة جواب الإمام عليه السلام، وقد أوردت كتب التأريخ والتراث هٰذا الجواب كاملاً، وسنورده في محلّه من هٰذا الكتاب.

---

(١) الحسين عليه السلام سماته وسيرته: ١١٥ ـ ١١٦؛ وقال صاحب الكتاب: ...لفّقنا الكتاب ممّا أورده ابن عساكر خارج الأقواس وما ذكره البلاذري داخلها وأنا أعتقد أنّ الكتاب نسخة واحدة وإنّما الإختصار عن الرواة.

□لماذا لم يثر الإمام الحسين عليه السلام علىٰ معاوية!؟

كان رأي أهل بيت العصمة عليهم السلام هو رفض أن يكون معاوية حاكماً ولو لمدّة سواد ليلة واحدة رفضاً تامّاً، ولم يساوم أمير المؤمنين عليّ عليه السلام على هٰذا المبدأ قيد أنملة، ورفض كلّ نصيحة تدعو إلىٰ المداهنة في ذٰلك، وخاض حرب صفّين الطاحنة لتحقيق هٰذا الرفض، ثمّ لم يتزعزع عن هذا الرأي حتّىٰ قتل عليه السلام.

وواصل الإمام الحسن عليه السلام الإصرار علىٰ هٰذا الرأي، ولم يأل جهداً في الإعداد لتحقيق ذٰلك، لكنّ نكد الدهر وانقلاب الأمور اضطرّه في الختام إلىٰ القبول بأَمَرِّ اختيار، وحسبك من أمرين أحلاهما مُرّ!، فسلّم الأمر إلىٰ معاوية مؤجّلاً الحرب ضدّه إلىٰ يوم آخر قد يأتي به مستقبل الأيّام «فرأيت دفع هٰذه الحروب إلىٰ يوم ما، فإنّ الله كلّ يوم هو في شأنٍ»[1]، وانطوىٰ علىٰ ذٰلك حتّىٰ مضىٰ شهيداً عليه السلام.

فمسوّغات الثورة علىٰ معاوية ودواعيها كانت قائمة وموجودة منذ أوّل يومٍ من أيّام ولايته علىٰ الشام، لكنّ دواعي الثورة عليه ودوافعها تكاثرت وتعاظمت بعد شهادة الإمام الحسن عليه السلام، وكان الإمام الحسين عليه السلام يعلم ذٰلك ويشخّص أبعاده، ويصرّح به لثقاته، بل وقد صرّح به لمعاوية نفسه في الكتب والمحاورات التي كانت بينهما، ومن هٰذه التصريحات علىٰ سبيل المثال:

«وهيهات هيهات يا معاوية، فضح الصبح فحمة الدجىٰ، وبهرت الشمس أنوار السُّرُج، ولقد فضّلتَ حتّىٰ أفرطتَ، واستأثرتَ حتّىٰ أجحفتَ، ومنعتَ حتّىٰ بخلتَ، وجُرتَ حتّىٰ جاوزتَ، وما بذلت لذي حقّ من أتمّ

---

(١) الأخبار الطوال: ٢٢٠.

حقّه بنصيب، حتّىٰ أخذ الشيطان حظّه الأوفر، ونصيبه الأكمل...».[١]

وممّا خاطبه به في رسالةٍ أخرىٰ:

«...وقلتَ فيما قلتَ: لاتردَّ هٰذه الأمّة في فتنة، وإنّي لاأعلم لها فتنة أعظم من إمارتك عليها،وقلتَ فيما قلتَ: انظر لنفسك ولدينك ولأمّة محمّد، وإنّي والله ما أعرف أفضل من جهادك، فإن أفعل فإنّه قربة إلىٰ ربّي وإن لم‌أفعله فأستغفرالله لديني وأسأله التوفيق لما يحبّ ويرضىٰ...».[٢]

وهنا يفرض هٰذا السؤال نفسه علىٰ مجرىٰ البحث وهو: لماذا لم‌يثر ولم‌يقم الإمام الحسين‌عليه‌السلام علىٰ معاوية أيّام إمامته مع توافر جميع الدواعي والدوافع للقيام بالثورة!؟

وفي الإجابة عن هٰذا السؤال لابدّ في البدء من تحديد الهدف المنشود من الثورة، فما هو هدف الإمام الحسين‌عليه‌السلام من الثورة علىٰ معاوية؟

لاشك أنّ هدفه‌عليه‌السلام هوذات الهدف الذي أعلن عنه في قيامه ضدّ يزيد بن معاوية، وهو طلب الإصلاح في أمّة جدّه‌صلى‌الله‌عليه‌وآله بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بما يتضمّن ذٰلك من إزالة الحكومة الفاسدة وإقامة الحكومة الحقّة، من خلال قيام الأمّة مع الإمام‌عليه‌السلام لتحقيق نصر حاسم يتوفّر في ظلّه هٰذا الهدف.

اوتعريض الأمّة لصدمة مروّعة في الوجدان وصعقة كبرىٰ في الضمير من خلال ملحمة بطوليّة وفاجعة مأساوية تنتهي بمقتله‌عليه‌السلام ومقتل أنصاره من أهل بيته وصحبه الأبرار الذين هم صفوة أخيار هٰذه الأمّة، في إطار عمل إعلامي

---

(١) الإمامة والسياسة، ١: ١٨٧.

(٢) نفس المصدر، ١: ١٨٢.

وتبليغي كبير ناجح يتكشّف نتيجة له كلّ الزيف الذي تستّر به معاوية، وتتراجع كلّ خطط وآثار حركة النفاق الحاكمة منذ يوم السقيفة إلىٰ نقطة الصفر، ويعود الإسلام المحمّدي الخالص خالصاً من كلّ شائبة، وتتحرّر الأمّة روحيّاً ونفسيّاً من كلّ آثار التضليل والإفساد الذي تعرّضت له بعد غياب النبيّ الأكرم محمّد صلى الله عليه وآله وتتمزّق الغشاوة عن بصيرتها فتعرف الحقّ وأهله وتنهج علىٰ هدي نوره.

فهل كان بإمكان الإمام الحسين عليه السلام أن يحقّق أحد هذين الإختيارين في زمن معاوية؟

أمّا الإختيار الأوّل، وهو طريق الإنتصار العسكريّ الحاسم علىٰ معاوية، فكان لابدّ فيه من تعبئة شطر من الأمّة كافٍ علىٰ الأقلّ لتحمّل تبعات ومقتضيات حرب طاحنة حتّىٰ النصر، فهل كانت الأمّة آنئذٍ تنطوي علىٰ مثل هٰذا الإستعداد الكبير نفسيّاً وعمليّاً!؟

لنقرأ هٰذا المقطع الذي يصوّر فيه صاحب كتاب (ثورة الحسين ظروفها الإجتماعيّة وآثارها الإنسانيّة) حال الأمّة آنئذٍ، يقول: «لقد كانت حروب الجمل وصفّين والنهروان، والحروب الخاطفة التي نشبت بين القطع السوريّة وبين مراكز الحدود في العراق والحجاز واليمن بعد التحكيم قد ولّدت عند أصحاب الإمام عليه السلام حنيناً إلىٰ السلم والموادعة، فقد مرّت عليهم خمس سنين وهم لايضعون سلاحهم من حرب إلاّ ليشهروه في حرب أخرىٰ، وكانوا لايحاربون جماعات غريبة عنهم، وإنّما يحاربون عشائرهم وإخوانهم بالأمس، ومن عرفهم وعرفوه... وما نشك في أنّ هٰذا الشعور الذي بدأ يظهر بوضوح في آخر عهد عليّ عليه السلام إثر إحساسهم بالهزيمة أمام مراوغة خصمهم في يوم التحكيم أفاد خصوم الإمام من زعماء القبائل ومن إليهم ممّن إكتشفوا أنّ سياسته لايمكن أن تلبّي مطامحهم التي تؤججها سياسة معاوية في المال والولايات، فحاولوا إذكاء

هٰذا الشعور والتأكيد عليه، وقد ساعد علىٰ تأثير هٰؤلاء الزعماء ونفوذهم في أوساط المجتمع الروح القبليّة التي استفحلت في عهد عثمان بعد أن أطلقت من عقالها بعد وفاة النبيّ صلى الله عليه وآله، فإنّ الإنسان ذا الروح القبليّة عالمه قبيلته، فهو ينفعل بانفعالاتها، ويطمح إلىٰ ما تطمح إليه، ويعادي من تعادي، وينظر إلىٰ الأمور من الزاوية التي تنظر منها القبيلة، وذٰلك لأنّه يخضع للقيم التي تخضع لها. وتتركّز مشاعر القبيلة كلّها في رئيسها، فالرئيس في المجتمع القبلي هوالمهيمن والموجّه للقبيلة كلّها... وقد عبّر الناس عن رغبتهم في الدعة وكراهيتهم للقتال بتثاقلهم عن الخروج لحرب الفرق السوريّة التي كانت تغير علىٰ الحجاز واليمن وحدود العراق، وتثاقلهم عن الإستجابة للإمام عليه السلام حين دعاهم للخروج ثانية إلىٰ صفّين.

فلمّا استشهد الإمام عليّ عليه السلام وبويع الحسن عليه السلام بالخلافة برزت هٰذه الظاهرة على أشدّها، وبخاصّة حين دعاهم الحسن عليه السلام للتجهز لحرب الشام، حيث كانت الإستجابة بطيئة جدّاً. وبالرغم من أنّ الإمام الحسن عليه السلام قد استطاع بعد ذٰلك أن يجهّز لحرب معاوية جيشاً ضخماً إلاّ أنّه كان جيشاً كتبت عليه الهزيمة قبل أن يلاقي العدوّ بسبب التيارات المتعدّدة التي كانت تتجاذبه، فقد: «خفّ معه أخلاط من الناس: بعضهم شيعة له ولأبيه، وبعضهم محكّمة أي خوارج يؤثرون قتال معاوية بكلّ حيلة، وبعضهم أصحاب فتن وطمع في الغنائم، وبعضهم شكّاك، وأصحاب عصبيّة اتبعوا رؤساء قبائلهم». وقد كان رؤساء القبائل هٰؤلاء قد باعوا أنفسهم من معاوية الذي كتب إلىٰ كثير منهم يغريهم بالتخلّي عن الحسن عليه السلام والإلتحاق به، وأكثر أصحاب الحسن عليه السلام لم يستطيعوا مقاومة هٰذا الإغراء، فكاتبوا معاوية واعدين بأن يسلّموا الحسن عليه السلام حيّاً أو ميّتاً. وحين خطبهم الإمام الحسن عليه السلام ليختبر مدىٰ إخلاصهم وثباتهم هتفوا به من كلّ جانب: البقية، البقية، بينما هاجمته طائفة منهم تريد قتله، هٰذا في الوقت الذي أخذ الزعماء يتسلّلون

تحت جنح الليل إلىٰ معاوية بعشائرهم!

ولمّا رأىٰ الإمام الحسن عليه السلام - أمام هٰذا الوقع السّيء - أنّ الظروف النفسيّة والإجتماعيّة في مجتمع العراق جعلت هٰذا المجتمع عاجزاً عن النهوض بتبعات القتال وانتزاع النصر، ورأىٰ أنّ الحرب ستكلّفه استئصال المخلصين من أتباعه بينما يتمتّع معاوية بنصر حاسم، حينئذٍ جنح إلىٰ الصلح بشروط منها ألاّ يعهد معاوية لأحد من بعده، وأن يكون الأمر للحسن عليه السلام، وأن يُترك الناس ويؤمنوا... ولقد كان هٰذا هوالطريق الوحيد الذي يستطيع الحسن عليه السلام أن يسلكه باعتباره صاحب رسالة قد اكتنفته هٰذه الظروف الموئسة...».[1]

تُرىٰ هل بقيت الأمّة - في العراق خاصّة - علىٰ هٰذه الحال بعد ذٰلك، أم أنّها قد تغيّرت نحو الأحسن إلىٰ درجة أن صار بالإمكان أن يعتمد عليها الإمام الحسن عليه السلام في حياته أو الإمام الحسين عليه السلام بعده في تعبئة عامّة لحرب طاحنة حتّىٰ النصر الحاسم علىٰ معاوية!؟

صحيح أنّ الناس الذين كرهوا الحرب لطول معاناتهم منها، ورغبة منهم في الدنيا والسلامة والدعة، وطاعة لرغبات زعماء قبائلهم، كانوا قد اكتشفوا بعد مدّة مدىٰ الخطأ الذي وقعوا فيه بضعفهم عن القيام بتبعات القتال وخذلان الإمام عليه السلام، بعد ما عرفوا طبيعة حكم معاوية وذاقوا طعم واقعيّته، وما يقوم به من اضطهاد وإرهاب، وتجويع وحرمان، ومطاردة مستمرّة، وخنق للحرّيات واستهزاء بالشريعة واستخفاف بالقيم، وإنقاص من أعطياتهم ليُزاد في أعطيات أهل الشام، وحمل معاوية إيّاهم علىٰ محاربة الخوارج، الأمر الذي لم يُتح لهم أن ينعموا بالسلم الذي كانوا يحنّون إليه والدعة التي يتمنّونها... فندموا علىٰ ما فرّطوا في

(١) ثورة الحسين عليه السلام ظروفها الإجتماعيّة وآثارها الإنسانيّة: ١٣٨ - ١٤٣.

جنب أهل البيت عليهم السلام، «وقد جعل أهل العراق يذكرون حياتهم أيّام عليّ فيحزنون عليها، ويندمون على ما كان من تفريطهم في جنب خليفتهم ويندمون كذلك على ما كان من الصلح بينهم وبين أهل الشام، وجعلوا كلّما لقي بعضهم بعضاً تلاوموا فيما كان، وأجالوا الرأي فيما يمكن أن يكون، ولم تكد تمضي أعوام قليلة حتّى جعلت وفودهم تفدُ إلى المدينة للقاء الحسن عليه السلام، والقول له والإستماع منه...».[1]

وصحيح أنّ كثيراً من الناس، وعامّة أهل العراق بنوع خاصّ، صاروا يرون بغض بني أميّة وحبّ أهل البيت عليهم السلام ديناً لهم، نتيجة ظلم معاوية وجوره وبُعده عن الإسلام، لكنّ هذه العاطفة لم تستطع أن تخترق حاجز الإزدواجيّة في الشخصيّة عند أكثر هؤلاء، بل ظلّت تعشعش في إطارها في باطن الشخصيّة الرافض لآل أميّة ولحكمهم خلافاً لظاهر الشخصيّة المطيع لكل أوامرهم، فهم في إزدواج الشخصيّة كما وصفهم أمير المؤمنين عليّ عليه السلام في ظلّ ظلم بني أميّة حيث قال:

«والله لايزالون حتّى لايدعوا لله محرّماً إلاّ استحلّوه، ولا عقداً إلاّ حلّوه... وحتّى يقوم الباكيان يبكيان: باك يبكي لدينه، وباك يبكي لدنياه، وحتّى تكون نصرة أحدكم من أحدهم كنصرة العبد من سيّده، إذا شهد أطاعه، وإذا غاب اغتابه...».[2]

فالوصف العام للأمّة آنئذٍ هو أنّ جُلّها خاضع لإرادة الحكم الأمويّ طائع لأمره، سواء الذين عُمّي على بصيرتهم تحت تأثير التضليل الأمويّ، فتوهّموا أنّ

---

(١) الفتنة الكبرى، ٢: ١٨٨.

(٢) نهج البلاغة: ١٤٣ ـ ١٤٤، حديث ٩٨.

الإسلام متمثّل بحكم معاوية، أو ضعاف النفوس الذين قادهم حبّ الدنيا فباعوا دينهم بدنيا غيرهم، أو الذين عرفوا الحقّ وأهله فأحبّوهم في الباطن وتنكّروا لهم في الظاهر خوفاً من الإرهاب الأمويّ، وفي القليل المتبقّي كثير ممّن يمنعه الشلل النفسي عن نصرة الحقّ والإلتحاق بركبه مع معرفته بأهل الحقّ عليهم السلام!

هٰذا الوصف العام ظلّ منطبقاً علىٰ هٰذه الأمّة حتّىٰ بعد موت معاوية!! إذن فالأمّة لم تتأهّل لكي يعتمد عليها الإمام الحسين عليه السلام في التخطيط لحرب طاحنة تقصر أو تطول حتّىٰ النصر الحاسم علىٰ معاوية، وشواهد هٰذه الحقيقة في الوصف العام للأمّة كثيرة جدّاً مرّ بنا بعضها في المدخل.

بقي الإختيار الثاني المتاح أمام الإمام الحسين عليه السلام في الثورة علىٰ معاوية، وهو تعريض الأمّة لصدمة مروّعة في وجدانها وصعقة كبرىٰ يهتزّ لها ضميرها، من خلال ملحمة بطوليّة مأساويّة تنتهي بمصرعه ومصرع أنصاره، مقرونة بعمل إعلامي وتبليغي كبير ينجح في كشف الزيف الأمويّ، وينهي الآثار العمليّة الناشئة عنه.

وهٰذا الإختيار الذي كُتب له النجاح التام أيّام حكم يزيد، كان محكوماً عليه بالفشل التام في حياة معاوية، وسرّ ذٰلك يكمن في شخصيّة معاوية، وأسلوبه الخاص في معالجة الأمور، فإنّ معاوية لم يكن من الجهل بالسياسة بالمثابة التي يُتيح فيها للحسين عليه السلام أن يقوم بثورة مدوية، بل الراجح أنّه كان من الحصافة بحيث يُدرك أن جهر الحسين عليه السلام بالثورة عليه وتحريضه الناس علىٰ ذٰلك كفيل بزجّه في حروب تعكّر عليه بهاء النصر الذي حازه بعد صلح الحسن عليه السلام، إن لم يكن كافياً لتفويت ثمرة هٰذا النصر عليه، لأنّه عارف ـ ولا ريب ـ بما للحسين عليه السلام من منزلة في قلوب المسلمين.

وأقرب الظنون في الأسلوب الذي يتبعه معاوية في القضاء علىٰ ثورة الحسين عليه السلام ـ لوثار في عهده ـ هو أنّه كان يتخلّص منه بالسمّ قبل أن يتمكّن الحسين عليه السلام من الثورة، وقبل أن يكون لها ذٰلك الدويّ الذي يموّج الحياة الإسلاميّة التي يرغب معاوية في بقائها هادئة ساكنة.

والذي يجعل هٰذا الظنّ قريباً ما نعرفه من أسلوب معاوية في القضاء علىٰ من يخشىٰ منافستهم له في السلطان، أوتعكير صفو السلطان عليه، فإنّ الطريقة المثاليّة عنده في التخلّص منهم هي القضاء عليهم بأقلّ ما يمكن من الضجيج. ولقد مارس معاوية هٰذا الأسلوب في القضاء علىٰ الحسن بن عليّ عليهما السلام، وسعد بن أبي وقّاص، ومارسه في القضاء علىٰ الأشتر لمّا توجّه إلىٰ مصر، ومارسه في القضاء علىٰ عبدالرحمٰن بن خالد بن الوليد لمّا رأىٰ افتتان أهل الشام به. وقد أوجز هو أسلوبه هٰذا في كلمته المأثورة «إنّ لله جنوداً من العسل».

والذي يرتفع بهٰذا الظنّ إلىٰ مرتبة الإطمئنان ما نعلمه من أنّ معاوية كان قد وضع الأرصاد والعيون علىٰ الحسين عليه السلام وعلىٰ غيره ممّن يخشاهم علىٰ سلطانه، وأنّهم كانوا يكتبون إليه بما يفعل هٰؤلاء، ولايغفلون عن إعلامه بأيسر الأمور وأبعدها عن إثارة الشك والريبة»،[1] كمثل ما كتبوا إليه في أمر جارية كان الحسين عليه السلام قد أعتقها ثمّ تزوّجها.[2]

«فلو تحفّز الحسين عليه السلام للثّورة في عهد معاوية، ثمّ قضي عليه بهٰذه الميتة التي يفضّلها معاوية لأعدائه، فماذا كانت تكون جدوىٰ فعله هٰذا الذي لم يخرج عن حدود الفكرة إلىٰ أن يكون واقعاً يحياه الناس بدمائهم وأعصابهم، وما كان

(١) ثورة الحسين عليه السلام ظروفها الإجتماعيّة وآثارها الإنسانيّة: ١٥٣ ـ ١٥٥.

(٢) زهر الآداب، ١: ١٠١.

يعود علىٰ المجتمع الإسلامي من موته وقد قضىٰ كما يقضي سائر الناس بهدوء وبلا ضجيج؟ إنّه لن يكون حينذاك سوىٰ علويّ مات حتف أنفه، يثير موته الأسىٰ في قلوب أهله ومحبّيه وشيعة أبيه إلىٰ حين ثمّ يطوي النسيان ذكراه كما يطوي جميع الذكريات».[1]

وقد صرّح معاوية للإمام عليه السلام بهٰذا التهديد بقوله: «...فإنّك متىٰ تنكرني أنكرك، ومتىٰ تكدني أكدك، فاتّق شقّ عصا هٰذه الأمّة...».[2]

ولو قُدّر للإمام عليه السلام أن يخترق حصار جواسيس وعيون معاوية، ويقوم بالثورة عمليّاً، فيخرج مع صفوة أنصاره في جيش قليل العدّة والعدد، ويتّجه إلىٰ العراق مثلاً، فهل كان سينجح في صنع ملحمة بطوليّة مأساويّة يهتزّ لها ضمير الأمّة كما صنع ذٰلك بالفعل أيّام يزيد؟

وهل كان العمل الإعلاميّ والتبليغي المطلوب في مثل هٰكذا نهضة أن ينجح في عهد معاوية كما نجح بالفعل في زمن يزيد؟

لا شك أنّ معاوية في مثل هٰذا الفرض سيواجه مأزقاً عمليّاً صعباً، لكنّ معاوية من الدهاء والخبرة في معالجة المآزق بما يمكّنه من استيعاب هٰذا المأزق المحرج، والمتوقّع أنّه سيحاصر جيش الإمام الصغير، وسيحرص علىٰ سلامة الإمام عليه السلام وسلامة بني هاشم خاصّة، ويعفو عنهم بطريقة فنيّة مقرونة بعملٍ إعلاميّ كبير، تكون نتيجته سقوط الإمام عليه السلام في عين الأمّة وتجريده من قداسته الدينيّة، وقد يحجزه ومن معه بعد ذٰلك في الشام في إقامةٍ جبريّة لاتنتهي إلّا بموته الذي قد يكون بالسمّ أيضاً... ويخرج معاوية من هٰذا المأزق في النهاية بمظهر من

(١) ثورة الحسين عليه السلام ظروفها الإجتماعيّة وآثارها الإنسانيّة: ١٥٣ ـ ١٥٥.

(٢) إختيار معرفة الرجال، ١: ٢٥٢، حديث ٩٩.

عفا بعد المقدرة، وقابل الإساءة بالإحسان، والقطيعة بالصلة، فيكسب قلوب الناس ويزدادون حبّاً له ويزداد هو شأناً وعظمةً، وعندها لايتحقّق للإمام الحسين عليه السلام ما كان يؤمّله في هٰذا التحرّك من أثرٍ إيجابيٍّ فضلاً عن ما سيلحقه من آثار سلبيّة بسبب دهاء معاوية.

ولقد صرّح معاوية للإمام عليه السلام بهٰذا النهج حين كتب إليه علىٰ أثر قضيّة الأموال المحمولة إليه التي أخذها الإمام عليه السلام قائلاً: «ولكنّني قد ظننت يا ابن أخي أنّ في رأسك نزوة، وبودّي أن يكون ذٰلك في زماني فأعرف لك قدرك، وأتجاوز عن ذٰلك، ولكنّني والله أتخوّف أن تبلىٰ بمن لاينظرك فواق ناقة».[1]

ولايبعد أنّ معاوية يتمنّىٰ لو يوفّق لمثل موقف العفو هٰذا، فيطلق أسارىٰ بني‌هاشم في منّة يقابل بها منّة الرسول صلى الله عليه وآله علىٰ الطلقاء في مكّة، فيكونون سواء في حلبة المفاخرة، وهٰذا ما كان يحذره الإمام الحسن عليه السلام كما مرّ بنا، ولاشك أنّ هٰذا الأمر لم‌يكن ليغيب عن بال الإمام الحسين عليه السلام أيضاً.

وعلىٰ فرض أنّ معاوية ـ لو ثار عليه الإمام عليه السلام ـ قد يضطرّ إلىٰ قتل الإمام عليه السلام ومن معه من أنصاره، فإنّ في مسحة الدين التي كان معاوية يحرص علىٰ إسباغها علىٰ سلوكه وسائر تصرّفاته أمام العامّة وفي صفة الشرعيّة التي أفلح في أن يسبغها على منصبه لدىٰ جانب كبير من الرأي العام الإسلامي ما يمكّنه من إطفاء وهج مصارع هٰؤلاء الثوّار، وإثارة الناس عليهم لا لهم، ذٰلك «لأنّ الجواب الذي كان سيقدّمه معاوية وأعوانه للناس حين يتساءلون عمّا حمل الحسين عليه السلام علىٰ الثورة، أو يجيب به الناس أنفسهم، هو أنّ الحسين طالب ملك! ولو قُتل الحسين في سبيل ما توهّمه الناس هدفاً من ثورته لما أثار قتله استنكاراً، ولما عاد قتله

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ١٨: ٣٢٧.

بشئ على مبادئه ودوافعه الحقيقيّة للثورة، بل ربّما عدّه فريق من الناس مستحقّاً للقتل! ولن يُجدي الحسين عليه السلام وأنصاره أن يُعلنوا للناس أنّ ثورتهم لحماية الدين من تحريف وتزييف معاوية وإنقاذ الأمّة من ظلمه، فلن يصدّقهم الناس لأنّهم لايرون على الدين من بأس، ولم يُحدِث معاوية في الدين حدثاً ولم يجاهر بمنكر، بل سيرى الناس أنّ مقالتهم هذه ستار يخفي مقاصدهم الحقيقيّة».[1]

وعلى كلّ الفروض، فإنّ معاوية كان سيستثمر في سبيل تشويه ثورة الحسين عليه السلام لو ثار في عهده قضيّة الميثاق الذي كان نتيجة صلح الحسن عليه السلام مع معاوية، فلقد عرف عامّة الناس أنّ الحسن والحسين عليهما السلام قد سلّما الأمر إلى معاوية وعاهداه على السكوت عنه، فلوثار الإمام عليه السلام لأمكن معاوية أن يصوّره بصورة الخائن الناقض لبيعته وميثاقه الذي أعطاه!

ولايضرّ معاوية هنا أنّه كان قد نقض العهد قبل ذلك ولم يفِ بشرط من شروطه، ولم يعرف له حرمة ولم يحمل نفسه مؤونة الوفاء به...

كما لايغيّر في النتيجة شيئاً هنا أيضاً سواء أكان الحسن والحسين عليهما السلام بايعا أو لم يبايعا معاوية بل سلّما له الأمر تسليماً مشروطاً.[2]

ذلك لأنّ وسائل معاوية الإعلاميّة المهيمنة على أذهان عامّة الناس هي الغالبة والمؤثّرة في ميدان التبليغ والدعاية، وباستطاعتها التضليل تماماً على الرأي العام فيما تطرحه من إدانة دينيّة لقيام الإمام عليه السلام. ثمّ إنّ نفس المجتمع الذي لم يكن أهلاً للقيام بالثورة، والذي كان يؤثر السلامة والعافية، كان يرى أنّ الإمام عليه السلام قد بايع وعاهد، سواء كما هوالواقع أو كما أشاع الإعلام الأمويّ فيه، فهو يرى أنّ على

---

(١) ثورة الحسين عليه السلام ظروفها الإجتماعية وآثارها الإنسانية: ١٥٨.

(٢) كما ذهب إلى ذلك الشيخ راضي آل ياسين في كتابه القيّم صلح الحسن عليه السلام.

الإمام عليه السلام أن يفي بالعهد وألا ينقض البيعة.

إذن فشخصيّة معاوية بما انطوت عليه من دهاء وحيلة ومكر وغدر وطول ممارسة وتجربة في العمل السياسي الإجتماعي كانت العامل الأهمّ إن لم تكن العامل الوحيد الذي اضطرّ الإمام عليه السلام إلىٰ عدم القيام ضدّه.

ومن هنا نفهم سرّ حصر السبب بوجود معاوية في الأجوبة التي أفاد بها الإمام عليه السلام ردّاً علىٰ مطالب بعض شيعته بالنهضة والقيام، كمثل: «ليكن كلّ رجل منكم حلساً من أحلاس بيته مادام معاوية حيّاً... فإن هلك معاوية نظرنا ونظرتم...»[1] أو «...فالصقوا بالأرض، واخفوا الشخص، واكتموا الهوىٰ...مادام ابن هند حيّاً»[2] أو «...مادام هٰذا الإنسان حيّاً».[3]



(١) الإمامة والسياسة، ١: ١٦٧.

(٢) أنساب الأشراف، ٣: ١٥١، حديث ١٣.

(٣) الأخبار الطوال: ٢٢١.

الفصل الثاني

☑ المعالم العامة لنهج الإمام الحسين عليه السلام في عهد معاويه

الفصل الثاني

المعالم العامّة
لنهج الإمام الحسين عليه السلام في عهد معاوية

ضمن إطار موقفه العامّ في رعاية حالة الهدنة مع معاوية وعدم القيام ضدّه في الظروف الراهنة آنذاك، كان الإمام الحسين عليه السلام يقوم بمهامّه في حياة الأمّة الإسلاميّة كإمامٍ لها من قبل الله تبارك وتعالىٰ. ومن مهامّه ما كان في إطار الدور العامّ المشترك لجميع أئمّة أهل البيت عليهم السلام، ومنها ما كان في إطار دوره الخاصّ الذي حدّدته طبيعة الظروف السياسيّة والإجتماعيّة التي كانت تحيط به وبالإسلام وبالأمّة الإسلاميّة. ويمكننا أن نتصوّر المعالم العامّة لنهجه صلوات الله عليه في عهد معاوية كما يلي:

❑ الدعوة إلىٰ الحقّ والدفاع عنه:

في خضم تيّار التضليل الأمويّ الديني والسياسي المهيمن علىٰ الرأي العامّ الإسلامي كان الإمام الحسين عليه السلام يصارع هٰذا التيار ويحاول اختراقه في تبيين الحقّ والدعوة إليه والدفاع عنه، وكشف الضلال وزيفه عن ذهنيّة الأمّة بإيضاح الحجّة والدلالة علىٰ المحجّة البيضاء، وبالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتعليم الأمّة وتربيتها من خلال حلقات الوعظ والإرشاد التي كان يقوم بها في المدينة ومكّة، وكان الناس في حلقة الإمام الحسين عليه السلام كأنّ علىٰ رؤوسهم الطير كما وصف ذٰلك معاوية نفسه، وذٰلك لسموّ مكانته، وعناية الناس الفائقة بحديثه،

ولقوّة انشدادهم إليه، ولأنّ حديثه الحقّ الفصل الذي (ليس فيه من الهُزيلیٰ شيئ) علیٰ حدّ تعبير معاوية. ويمكننا أن نلحظ هٰذا الخطّ في الدعوة إلیٰ الحقّ والدفاع عنه في المجالات التالية:

التعريف بمكانة أهل البيت عليهم السلام وفضلهم ومعرفتهم:

ونتقي في هٰذا المجال النماذج التالية:

قيل لمعاوية: إنّ الناس قد رموا أبصارهم إلیٰ الحسين عليه السلام، فلو قد أمرته يصعد المنبر ويخطب فإنّ فيه حصراً أوفي لسانه كلالة.

فقال لهم معاوية: قد ظننّا ذٰلك بالحسن، فلم يزل حتّیٰ عظم في أعين الناس وفضحنا. فلم يزالوا به حتّیٰ قال للحسين عليه السلام: يا أباعبدالله، لو صعدت المنبر فخطبت. فصعد الحسين عليه السلام المنبر، فحمد الله وأثنیٰ عليه، وصلّیٰ علیٰ النبيّ صلى الله عليه وآله، فسمع رجلاً يقول: من هٰذا الذي يخطب؟ فقال الحسين عليه السلام:

«نحن حزب الله الغالبون، وعترة رسول الله صلى الله عليه وآله الأقربون، وأهل بيته الطيّبون، وأحد الثقلين اللذين جعلنا رسول الله صلى الله عليه وآله ثاني كتاب الله تبارك وتعالیٰ، الذي فيه تفصيل كلّ شيئ، لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، والمعوَّل علينا في تفسيره، لايُبطينا تأويله، بل نتّبع حقائقه، فأطيعونا فإنّ طاعتنا مفروضة، أن كانت بطاعة الله ورسوله مقرونة، قال الله عزّ وجلّ: «أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم، فإن تنازعتم في شيئٍ فردّوه إلیٰ الله والرسول»، وقال: «ولو ردّوه إلیٰ الرسول وإلیٰ أولیٰ الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم، ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتّبعتم الشيطان إلاّ قليلاً». وأُحذّركم الإصغاء إلیٰ هتوف الشيطان بكم، فإنّه لكم عدوٌّ مبين، فتكونوا كأوليائه الذين قال لهم: «لا غالب لكم اليوم من الناس وإنّي جارٌ

لكم، فلمّا تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال إنّي بريئ منكم»، فتَلقَون بالسيوف ضرباً، وللرّماح ورداً، وللعُمُد حطماً، وللسهام غرضاً، ثمّ لايقبل من نفس إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً.»

قال معاوية: حسبك يا أباعبدالله، قد بلغت.[1]

وقال الإمام الحسين عليه السلام ذات مرّةٍ في مجلس معاوية:

«أنا ابن ماء السماء وعروق الثرى، أنا ابن من ساد أهل الدنيا بالحسب الناقب والشرف الفائق والقديم السابق، أنا ابن من رضاه رضا الرحمٰن وسخطه سخط الرحمٰن.

ثمّ ردّ وجهه للخصم فقال:

هل لك أبٌ كأبي، أو قديم كقديمي؟ فإن قلت: لا، تُغلب، وإن قلت: نعم، تُكذَّب.

فقال الخصم: لا، تصديقاً لقولك. فقال الحسين عليه السلام:

الحقّ أبلج، لايزيغ سبيله، والحقّ يعرفه ذوو الألباب».[2]

وعن الباقر عليه السلام، عن أبيه عليه السلام أنّه قال: «صار جماعة من الناس بعد الحسن إلى الحسين عليهما السلام، فقالوا: يا ابن رسول الله، ما عندك من عجائب أبيك التي كان يريناها؟

فقال عليه السلام: هل تعرفون أبي؟

قالوا: كلّنا نعرفه.

---

(١) الإحتجاج، ٢: ٢٢ ـ ٢٣.

(٢) إحقاق الحقّ، ١١: ٥٩٥.

فرفع له ستراً كان على باب بيت، ثمّ قال: «أنظروا في البيت».

فنظروا فقالوا: هٰذا أمير المؤمنين، ونشهد أنّك خليفة الله حقّاً»[١].

وفي رواية أخرى: سئل الحسين بن عليّ عليهما السلام بعد مضيّ أمير المؤمنين فقال لأصحابه: «أتعرفون أمير المؤمنين عليه السلام إذا رأيتموه»؟

قالوا: نعم.

قال: «فارفعوا هٰذا الستر».

فرفعوه، فاذاهم به لايُنكرونه.

فقال لهم عليّ عليه السلام: «إنّه يموت من مات منّا وليس بميّت، ويبقى من بقي منّا حجّة عليكم»[٢].

وسأله حبيب بن مظاهر الأسدي رضي الله عنه قائلاً: أيّ شيءٍ كنتم قبل أن يخلق الله عزّ وجلّ آدم عليه السلام؟

فقال الإمام الحسين عليه السلام: «كنّا أشباح نورٍ ندور حول عرش الرحمٰن، فنعلّم الملائكة التسبيح والتهليل والتحميد»[٣].

وعن عقيصا ـ وهو أبوسعيد دينار ـ قال:

سمعت الحسين عليه السلام يقول: «من أحبّنا نفعه الله بحبّنا وإن كان أسيراً في الديلم، وإنّ حبّنا ليساقط الذنوب كما تساقط الريح الورق»[٤].

---

(١) الخرائج والجرائح، ٢: ٨١١، حديث ٢٠.

(٢) إثبات الهداة، ٢: ١٨٣، حديث ٣٧، الفصل الثامن.

(٣) بحار الأنوار، ٦٠: ٣١١ عن كتاب محمّد بن بحر الشيباني المعروف بالدهني.

(٤) مناقب عليّ بن أبي طالب لابن المغازلي: ٤٠٠، حديث ٤٥٤.

وعن اسماعيل بن عبدالله قال:

قال الحسين بن عليّ عليه السلام: «لمّا أنزل الله تبارك وتعالىٰ هٰذه الآية (وأولوا الأرحام بعضهم أولىٰ ببعض في كتاب الله) سألت رسول الله صلى الله عليه وآله عن تأويلها.

فقال: والله ما عنىٰ غيركم، وأنتم أولوا الأرحام، فإذا متّ فأبوك عليٌّ أولىٰ بي وبمكاني، فإذا مضىٰ أبوك فأخوك الحسن أولىٰ به، فإذا مضىٰ الحسن فأنت أولىٰ به.

قلت، يا رسول الله، فمن بعدي أولىٰ بي؟

قال: إبنك عليّ أولىٰ بك من بعدك، فإذا مضىٰ فابنه محمّد أولىٰ به من بعده، فإذا مضىٰ محمّد فابنه جعفر أولىٰ به وبمكانه من بعده، فإذا مضىٰ جعفر فابنه موسىٰ أولىٰ به من بعده، فإذا مضىٰ موسىٰ فابنه عليّ أولىٰ به من بعده، فإذا مضىٰ عليّ فابنه محمّد أولىٰ به من بعده، فإذا مضىٰ محمّد فابنه عليّ أولىٰ به من بعده، فإذا مضىٰ عليّ فابنه الحسن أولىٰ به من بعده، فإذا مضىٰ الحسن وقعت الغيبة في التاسع من ولدك، فهٰذه الأئمّة تسعة من صلبك، أعطاهم علمي وفهمي، طينتهم من طينتي، ما لقوم يؤذونني فيهم، لاأنالهم الله شفاعتي». [1]

وعن النضر بن مالك قال: قلت للحسين بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام: يا أباعبدالله، حدّثني عن قول الله عزّ وجلّ (هٰذان خصمان اختصموا في ربّهم).

قال: «**نحن وبنو أميّة اختصمنا في الله عزّ وجلّ، قلنا: صدق الله. وقالوا: كذب الله. فنحن وإيّاهم الخصمان يوم القيامة**» [2]

وعن أبي جعفر عليه السلام قال:

---

(١) كفاية الأثر: ١٧٥ ـ ١٧٦.

(٢) الخصال، ١: ٤٢ ـ ٤٣ باب الإثنين، حديث ٣٥.

قال الحارث بن عبدالله الأعور للحسين بن علي عليهما السلام: يا ابن رسول الله، جعلت فداك، أخبرني عن قول الله في كتابه: (والشمس وضحىٰها). قال: «ويحك يا حارث، ذٰلك محمّد رسول الله صلى الله عليه وآله».

قال: قلت: جعلت فداك، وقوله: (والقمر إذا تلىٰها).

قال: «ذاك أمير المؤمنين عليّ أبي طالب عليه السلام، يتلو محمّداً صلى الله عليه وآله».

قال: قلت: (والنهار إذا جلّىٰها).

قال: «ذٰلك القائم عليه السلام من آل محمّد صلى الله عليه وآله، يملأ الأرض عدلاً وقسطاً[1] (والليل إذا يغشىٰها) بنو أميّة».[2]

وقيل مرّ المنذر بن الجاورد بالحسين عليه السلام فقال: كيف أصبحت جعلني الله فداك يا ابن رسول الله؟

فقال عليه السلام: «أصبحنا وأصبحت العرب تعتدُّ علىٰ العجم بأنّ محمّداً صلى الله عليه وآله منها، وأصبحت العجم مقرّة لها بذٰلك، أصبحنا وأصبحت قريش يعرفون فضلنا ولايرون ذٰلك لنا، ومن البلاء علىٰ هٰذه الأمّة أنّا إذا دعوناهم لم يُجيبونا، وإذا تركناهم لم يهتدوا بغيرنا».[3]

وفي رواية أخرىٰ أنّه اجتاز به وقد أُغضب، فقال عليه السلام: «ماندري ما تنقم الناس منّا، إنّا لبيت الرحمة، وشجرة النبوّة، ومعدن العلم».[4]

وكان في خُلُقه العظيم دعوة مفتوحة للإقبال علىٰ الحقّ وتعريف رائع بأهل

---

(١) تفسير فرات الكوفي: ٥٦٣، حديث ٧٢١.

(٢) بحار الأنوار، ٢٤: ٧٩، حديث ٢٠.

(٣) نزهة الناظر وتنبيه الخاطر: ٨٥، حديث ٢٠.

(٤) نفس المصدر: ٨٥، حديث ٢١.

الحقّ عليهم السلام.

فقد روي عن عصام بن المصطلق أنّه قال: دخلت المدينة فرأيت الحسين بن عليّ عليهما السلام، فأعجبني سمته ورواؤه، وأثار من الحسد ما كان يخفيه صدري لأبيه من البغض.

فقلت له: أنت ابن أبي تراب؟

فقال عليه السلام: «نعم».

فبالغت في شتمه وشتم أبيه، فنظر إليّ نظرة عاطفٍ رؤوفٍ.

ثمّ قال: «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين، وإمّا ينزغنّك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنّه سميع عليم، إنّ الذين اتّقوا إذا مسّهم طائفٌ من الشيطان تذكّروا فإذا هم مبصرون، وإخوانهم يمدّونهم في الغيّ ثمّ لايقصرون».

ثمّ قال عليه السلام لي: «خفّض عليك، أستغفر الله لي ولك، إنّك لو استعنتنا لأعنّاك ولو استرفدتنا لرفدناك، ولواسترشدتنا لأرشدناك».

قال عصام فتوسّم منّي الندم على ما فرط منّي.

فقال عليه السلام: «لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين. من أهل الشام أنت؟»

قلت: نعم.

فقال عليه السلام: «شِنشِنةٌ أعرفها من أخزم.[1] حيّانا الله وإيّاك، انبسط إلينا في حوائجك وما

(١) شنشنة أعرفها من أخزم: جزء من بيت شعر: ذهبت مثلاً في القضيّة المعروف أصل سببها.

يعرض لك، تجدني عند أفضل ظنّك إن شاء الله تعالىٰ».

قال عصام: فضاقت عليَّ الأرض بما رحبت، ووددت لو ساخت بي، ثمّ سللت منه لواذاً وما علىٰ الأرض أحبّ اليَّ منه ومن أبيه.[1]

وعن عبدالله بن عمر قال:

سمعت الحسين بن عليّ عليهما السلام يقول: **«لو لم يبق من الدنيا إلّا يوم واحد لطوّل الله عزّ وجلّ ذٰلك اليوم حتّىٰ يخرج رجل من ولدي، فيملأها عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً وظلماً، كذلك سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول».**[2]

وعن عبدالرحمٰن بن سليط قال:

قال الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهما السلام: **«منّا إثنا عشر مهديّاً، أوّلهم أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وآخرهم التاسع من ولدي، وهو القائم بالحقّ، يحيي الله به الأرض بعد موتها، ويُظهر به دين الحقّ علىٰ الدين كلّه ولوكره المشركون، له غيبة يرتدُّ فيها أقوام ويثبت فيها علىٰ الدين آخرون، فيؤذَون ويقال لهم: (متىٰ هٰذا الوعد إن كنتم صادقين)؟، أما إنّ الصابر في غيبته علىٰ الأذىٰ والتكذيب بمنزلة المجاهد بالسيف بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله».**[3]

ومرّ الحسين عليه السلام علىٰ حلقةٍ من بني أميّة وهم جلوس في مسجد الرسول صلى الله عليه وآله.

فقال عليه السلام: **«أما والله لاتذهب الدنيا حتّىٰ يبعث الله منّي رجلاً يقتل منكم ألفاً، ومع**

---

(١) نفثة المصدور: ٦١٤ ـ ٦١٥.

(٢) كمال الدين، ١: ٣١٧ ـ ٣١٨، باب ٣٠، حديث ٤.

(٣) كمال الدين، ١: ٣١٧، باب ٣٠، حديث ٣.

الألف ألفاً ومع الألف ألفاً».

فقال له عبيدالله بن شريك: جعلت فداك، إنّ هٰؤلاء أولاد كذا وكذا، لايبلغون هٰذا.

فقال عليه السلام: «**ويحك، في ذٰلك الزمان يكون الرجل من صلبه كذا وكذا رجلاً، وإنّ مولىٰ القوم من أنفسهم**».[1]

وقال رجلٌ للحسين عليه السلام: يا ابن رسول الله أنا من شيعتكم.

قال عليه السلام: «**إتّق الله، ولاتدّعين شيئاً يقول الله تعالىٰ لك كذبت وفجرت في دعواك. إنّ شيعتنا من سلمت قلوبهم من كلّ غشٍّ وغلٍّ ودغلٍ، ولكن قل أنا من مواليكم ومحبّيكم**».[2]

وعن يزيد بن رويان قال: دخل نافع بن الأزرق المسجد الحرام، والحسين بن عليّ عليهما السلام مع عبدالله بن عبّاس جالسان في الحجر، فجلس إليهما.

ثمّ قال: يا ابن عبّاس، صف لي إلٰهك الذي تعبده.

فأطرق ابن عبّاس طويلاً مستبطئاً بقوله.

فقال له الحسين عليه السلام: «**إليّ يا ابن الأزرق المتورّط في الضلالة، المرتكن في الجهالة، أجيبك عمّا سألت عنه**».

فقال: ما إيّاك سألت فتجيبني.

فقال له ابن عبّاس: مَهْ! عن ابن رسول الله، فإنّه من أهل بيت النبوّة، ومعدن الحكمة.

---

(١) غيبة الطوسي: ١٩٠ ـ ١٩١، حديث ١٥٣.

(٢) التفسير المنسوب للإمام العسكري عليه السلام: ٣٠٩، حديث ١٠٤.

فقال له: صف لي.

فقال عليه السلام: «**أصفه بما وصف به نفسه، وأعرّفه بما عرّف به نفسه، لايدرك بالحواس، ولايقاس بالناس، قريب غير ملتزق، وبعيد غير مقصٍ، يُوحَّد ولايتبعّض، لا إله إلاّ هو الكبير المتعال**».

قال فبكى ابن الأزرق بكاء شديداً!

فقال له الحسين عليه السلام: «**ما يبكيك؟**»

قال: بكيت من حسن وصفك.

قال عليه السلام: «يا ابن الأزرق، إنّي أُخبرتُ أنّك تُكفّر أبي وأخي وتُكفّرني».

قال له نافع: لئن قلت ذاك لقد كنتم الحكّام ومعالم الإسلام، فلمّا بدّلتم استبدلنا بكم.

فقال له الحسين عليه السلام: «**يا ابن الأزرق، أسألك عن مسألةٍ، فأجبني عن قول الله لاإله إلاّ هو: (وأمّا الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنزٌ لهما) إلىٰ قوله (كنزهما)، مَن حُفِظَ فيهما؟**».

قال: أبوهما.

قال عليه السلام: «**فأيّهما أفضل أبوهما أم رسول الله صلى الله عليه وآله وفاطمة؟**».

قال: لا، بل رسول الله وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله.

قال عليه السلام: «**فما حفظنا حتّىٰ حال بيننا وبين الكفر**».

فنهض ابن الأزرق، ثمّ نفض ثوبه، ثمّ قال: قد نبّأنا الله عنكم معشر قريش أنتم

قوم خصمون».[١]

وعن أبي‌عبدالله عليه السلام قال:

«خرج الحسين بن علي عليهما السلام على أصحابه فقال: «**أيها الناس، إنّ الله جلّ ذكره ما خلق العباد إلاّ ليعرفوه فإذا عرفوه عبدوه، فإذا عبدوه استغنوا بعبادته عن عبادة ما سواه**».

فقال له رجل: يا ابن رسول الله، بأبي أنت وأمّي، فما معرفة الله؟

قال: «**معرفة أهل كلّ زمان إمامهم الذي يجب عليهم طاعته**».[٢]

وروى عبدالعزيز بن كثير: أنّ قوماً أتوا إلى الحسين عليه السلام.

وقالوا: حدّثنا بفضائلكم!

قال عليه السلام: «**لاتطيقون، وانحازوا عنّي لأشير إلى بعضكم، فإن أطاق سأحدّثكم**».

فتباعدوا عنه، فكان يتكلّم مع أحدهم حتّى دهش ووَلِهَ وجعل يهيم ولايجيب أحداً، وانصرفوا عنه.[٣]

استثمار المناسبات الدينيّة لنشر الحقّ وكشف التضليل الأمويّ

ومن الأمثلة على ذلك ما رواه سليم بن قيس رحمه الله، قال:

«فلمّا مات الحسن بن علي عليهما السلام لم‌تزل الفتنة والبلاء يعظمان ويشتدّان، فلم‌يبق وليٌّ لله إلاّ خائفاً على دمه (وفي رواية أخرى: إلاّ خائفاً على دمه أنّه

---

(١) تفسير العيّاشي، ٢: ٣٣٧، حديث ٦٤.

(٢) علل الشرايع: ٩، باب ٩، حديث ١.

(٣) مناقب آل أبي طالب، ٤: ٥١.

مقتول) وإلاّ طريداً وإلاّ شريداً، ولم يبق عدو لله إلاّ مظهراً حجّته غير مستترٍ ببدعته وضلالته، فلمّا كان قبل موت معاوية بسنة حجّ الحسين بن عليّ صلوات الله عليه وعبدالله بن عبّاس وعبدالله بن جعفر معه، فجمع الحسين عليه السلام بني هاشم رجالهم ونساءهم ومواليهم من الأنصار ممّن يعرفه الحسين عليه السلام وأهل بيته، ثمّ أرسل رسلاً: لاتدعوا أحداً ممّن حجّ العام من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله المعروفين بالصلاح والنسك إلاّ أجمعهم لي، فاجتمع إليه بمنىٰ أكثر من سبعمائة رجل وهم في سرادقه، عامّتهم من التابعين ونحو من مائتي رجل من أصحاب النبيّ صلى الله عليه وآله، فقام فيهم خطيباً فحمد الله وأثنىٰ عليه. ثمّ قال:

«أمّا بعد: فإنّ هٰذا الطاغية قد فعل بنا وبشيعتنا ما قد رأيتم وعلمتم وشهدتم، وإنّي أريد أن أسألكم عن شيءٍ، فإن صدقت فصدّقوني وإن كذبت فكذّبوني، وأسألكم بحقّ الله عليكم وحقّ رسول الله صلى الله عليه وآله وقرابتي من نبيّكم لما سيّرتم مقامي هٰذا، ووصفتم مقالتي ودعوتم أجمعين في أمصاركم من قبائلكم من آمنتم من الناس (وفي رواية أخرىٰ بعد قوله فكذّبوني: **اسمعوا مقالتي واكتبوا قولي ثمّ ارجعوا إلىٰ أمصاركم وقبائلكم، فمن أمنتم من الناس**) **ووثقتم به فادعوهم إلىٰ ما تعلمون من حقّنا، فإنّي أتخوّف أن يدرس هٰذا الأمر ويذهب الحقّ ويُغلَب، والله متمّ نوره ولو كره الكافرون»**.

وما ترك شيئاً ممّا أنزل الله فيهم من القرآن إلاّ تلاه وفسرّه، ولاشيئاً ممّا قاله رسول الله صلى الله عليه وآله في أبيه وأخيه وأمّه وفي نفسه وأهل بيته إلاّ رواه.

وكلّ ذٰلك يقول أصحابه: أللّهمّ نعم، وقد سمعنا وشهدنا.

ويقول التابعي: أللّهمّ قد حدّثني به من أصدّقه وأئتمنه من الصحابة.

فقال: أنشدكم الله إلاّ حدّثتم به من تثقون به وبدينه.

(قال سليم): فكان فيما ناشدهم الحسين عليه السلام وذكّرهم أن قال:

«أنشدكم الله، أتعلمون أنّ عليّ بن أبي‌طالب كان أخا رسول‌الله صلى الله عليه وآله حين آخى بين أصحابه فآخىٰ بينه وبين نفسه وقال: أنت أخي وأنا أخوك في الدنيا والآخرة؟»

قالوا: أللّهمّ نعم.

قال: «أنشدكم الله، هل تعلمون أنّ رسول‌الله صلى الله عليه وآله اشترى موضع مسجده ومنازله، فابتناه ثمّ ابتنىٰ فيه عشرة منازل، تسعة له وجعل عاشرها في وسطها لأبي، ثمّ سدّ كلّ باب شارع إلىٰ المسجد غير بابه، فتكلّم في ذٰلك من تكلّم، فقال: ما أنا سددت أبوابكم وفتحت بابه، ولكنّ الله أمرني بسدّ أبوابكم وفتح بابه، ثمّ نهىٰ الناس أن يناموا في المسجد غيره، وكان يجنب في المسجد ومنزله في منزل رسول‌الله صلى الله عليه وآله فولد لرسول‌الله صلى الله عليه وآله وله فيه أولاد؟»

قالوا: أللّهمّ نعم.

قال: «أفتعلمون أنّ عمر بن الخطّاب حرص علىٰ كوّةٍ قدر عينه يدعها في منزله إلىٰ المسجد فأبىٰ عليه، ثمّ خطب فقال: إنّ الله أمرني أن أبنيَ مسجداً طاهراً لا يسكنه غيري وغير أخي وبنيه؟»

قالوا: أللّهمّ نعم.

قال: «أنشدكم الله أتعلمون أنّ رسول‌الله صلى الله عليه وآله نصبه يوم غدير خمّ فنادىٰ له بالولاية وقال: ليبلّغ الشاهد الغائب؟»

قالوا: أللّهمّ نعم.

قال: «أنشدكم الله أتعلمون أنّ رسول‌الله صلى الله عليه وآله قال له في غزوة تبوك: أنت منّي بمنزلة هارون من موسىٰ، وأنت وليّ كلّ مؤمن بعدي؟»

قالوا: أللّهمّ نعم.

قال: «أنشدكم الله، أتعلمون أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله حين دعا النصارىٰ من أهل نجران إلىٰ المباهلة لم يأت إلاّ به وبصاحبته وابنيه؟»

قالوا: أللّهمّ نعم.

قال: «أنشدكم الله، أتعلمون أنّه دفع إليه اللواء يوم خيبر، ثمّ قال: لأدفعه إلىٰ رجل يحبّه الله ورسوله ويحبّ الله ورسوله، كرّار غير فرّار، يفتحها الله علىٰ يديه؟»

قالوا: أللّهمّ نعم.

قال: «أتعلمون أنّ رسول الله بعثه ببرائة، وقال: لايبلّغ عنّي إلاّ أنا أو رجل منّي؟»

قالوا: أللّهمّ نعم.

قال: «أتعلمون أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لم تنزل به شدّة قطّ إلاّ قدّمه لها ثقة به، وأنّه لم يدعه باسمه قطّ إلاّ يقول: يا أخي، وادعوا لي أخي؟»

قالوا: أللّهمّ نعم.

قال: «أتعلمون أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قضىٰ بينه وبين جعفرٍ وزيدٍ، فقال: يا عليّ، أنت منّي وأنا منك، وأنت وليّ كلّ مؤمن بعدي؟»

قالوا: أللّهمّ نعم.

قال: «أتعلمون أنّه كانت له من رسول الله صلى الله عليه وآله كلّ يوم خلوة وكلّ ليلة دخلة، إذا سأله أعطاه، وإذا سكت أبداه؟»

قالوا: أللّهمّ نعم.

قال: «أتعلمون أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله فضّله علىٰ جعفر وحمزة حين قال لفاطمة عليها السلام: زوّجتك خير أهل بيتي، أقدمهم سلماً، وأعظمهم حلماً، وأكثرهم علماً؟»

قالوا: أللّهمّ نعم.

قال: «أتعلمون أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: أنا سيّد ولد بني آدم، وأخي عليّ سيّد العرب، وفاطمة سيّدة نساء أهل الجنّة، والحسن والحسين إبناي سيّدا شباب أهل الجنّة؟»

قالوا: أللّهمّ نعم.

قال: «أتعلمون أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أمره بغسله، وأخبره أنّ جبرئيل يعينه عليه؟»

قالوا: أللّهمّ نعم.

قال: «أتعلمون أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: في آخر خطبة خطبها: إنّي تركت فيكم الثقلين كتاب الله وأهل بيتي، فتمسّكوا بهما لن تضلّوا؟»

قالوا: أللّهمّ نعم.

فلم يدع شيئاً أنزله الله في عليّ بن أبي طالب عليه السلام خاصّة وفي أهل بيته من القرآن، ولا على لسان نبيّه صلى الله عليه وآله إلاّ ناشدهم فيه.

فيقول الصحابة: أللّهمّ نعم، قد سمعنا.

ويقول التابع: أللّهمّ قد حدّثنيه من أثق به، فلان وفلان.

ثمّ ناشدهم أنّهم قد سمعوه يقول: «من زعم أنّه يحبّني ويبغض عليّاً فقد كذب، ليس يحبّني ويبغض عليّاً. فقال له قائل: يا رسول الله، كيف ذلك؟ قال: لأنّه منّي وأنا منه، من أحبّه فقد أحبّني، ومن أحبّني فقد أحبّ الله، ومن أبغضه فقد أبغضني، ومن أبغضني فقد أبغض الله».

فقالوا: أللّهمّ نعم، قد سمعنا.

وتفرّقوا على ذلك...[1]

---

(١) كتاب سليم بن قيس: ٢٠٦ ـ ٢٠٧.

وفي هٰذه الرواية دلالة بليغة علىٰ شدّة وشمول الحصار الإعلاميّ والتعتيم الذي فرضه الحكم الأمويّ علىٰ البيان النبويّ المتعلّق بفضائل أهل البيت عليهم السلام، وتقادم الأيّام علىٰ هٰذا الحصار والتعتيم المتواصل، الأمر الذي اضطرّ الإمام الحسين عليه السلام إلىٰ عقد مثل هٰذا الإجتماع والمحفل الكبير ليذكّر بقيّة الصلحاء من الصحابة والأخيار من التابعين بفضائل أهل البيت عليهم السلام. وكأنّه يذكّر بأمر يكاد يُنسىٰ، ويُنفّس عن حقيقة تكاد تموت إختناقاً من شدّة الحصار وطول مدّته!

هاهو عليه السلام يقول: «**فإنّي أتخوّف أن يُدرس هٰذا الأمر ويذهب الحقّ ويُغلَب...**»!

وهاهو عليه السلام يدعو إلىٰ اختراق هٰذا الحصار فيقول لبقيّة الصحابة والتابعين: «**وأسألكم بحقّ الله عليكم وحقّ رسول الله صلى الله عليه وآله وقرابتي من نبيّكم لما سيّرتم مقامي هٰذا، ووصفتم مقالتي، ودعوتم أجمعين في أمصاركم من قبائلكم من أمنتم من الناس ووثقتم به، فادعوهم إلىٰ ما تعلمون من حقّنا... أنشدكم الله إلاّ حدّثتم به من تثقون به وبدينه**».

كما أنّ في هٰذه الرواية دلالة بليغة علىٰ المجهود العظيم الذي كان يبذله الإمام الحسين عليه السلام لاختراق ذٰلك الحصار والتعتيم، وعلىٰ الصعوبة الكبيرة التي كان يواجهها في هٰذا السبيل، ذٰلك لأنّ أثر هٰذا الحصار والتعتيم بلغ أشدّه في زمانه عليه السلام، فلم يكن علىٰ هٰذه الشدّة في زمن الحسن عليه السلام ولا في زمن أمير المؤمنين عليه السلام.

احتجاجه عليه السلام علىٰ العلماء ودعوتهم إلىٰ نصرة الحقّ

ومن كلام له عليه السلام في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يخاطب به أهل العلم من الصحابة خاصّة والتابعين عامّة، يحتجّ عليهم فيه ويدعوهم إلىٰ نصرة الحقّ وإتّخاذ الموقف المشرّف اللائق بأهل العلم.

قال عليه السلام: «اعتبروا أيّها الناس بما وعظ الله به أولياءه من سوء ثنائه علىٰ الأحبار إذ يقول (لولا ينهاهم الربّانيّون والأحبار عن قولهم الإثم) وقال: (لُعن الذين كفروا من بني إسرائيل ـ إلىٰ قوله ـ لبئس ما كانوا يفعلون)، وإنّما عاب الله ذٰلك عليهم لأنّهم كانوا يرون من الظلمة الذين بين أظهرهم المنكر والفساد فلاينهونهم عن ذٰلك رغبة فيما كانوا ينالون منهم ورهبة ممّا يحذرون، والله يقول: (فلا تخشوا الناس واخشونِ) وقال: (المؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) فبدأ الله بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فريضة منه، لعلمه بأنّها إذا أُدّيت وأقيمت استقامت الفرائض كلّها، هيّنها وصعبها، وذٰلك أنّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر دعاء إلىٰ الإسلام مع ردّ المظالم ومخالفة الظالم وقسمة الفيئ والغنائم وأخذ الصدقات من مواضعها ووضعها في حقّها.

ثمّ أنتم أيّتها العصابة، عصابة بالعلم مشهورة، وبالخير مذكورة، وبالنصيحة معروفة، وبالله في أنفس الناس مهابة، يهابكم الشريف ويكرمكم الضعيف، ويؤثركم من لا فضل لكم عليه، ولا يد لكم عنده، تشفعون في الحوائج إذا امتنعت من طلاّبها، وتمشون في الطريق بهيبة الملوك وكرامة الأكابر، أليس كلّ ذٰلك إنّما نلتموه بما يُرجىٰ عندكم من القيام بحقّ الله، وإن كنتم عن أكثر حقّه تُقصّرون، فاستخففتم بحقّ الأئمّة، فأمّا حقّ الضعفاء فضيّعتم، وأمّا حقّكم بزعمكم فطلبتم، فلا مالاً بذلتموه ولا نفساً خاطرتم بها للّذي خلقها، ولا عشيرة عاديتموها في ذات الله، أنتم تتمنّون علىٰ الله جنّته ومجاورة رسله وأماناً من عذابه!

لقد خشيت عليكم أيّها المتمنون علىٰ الله أن تحلّ بكم نقمة من نقماته لأنّكم بلغتم من كرامة الله منزلة فُضّلتم بها، ومن يعرف بالله لاتُكرِمون، وأنتم بالله في عباده تُكرَمون، وقد ترون عهود الله منقوضة فلاتفزعون، وأنتم لبعض ذمم آبائكم تفزعون، وذمّة رسول الله صلى الله عليه وآله محقورة، والعميُ والبكم والزُمنَّ في المدائن مهملة، لاترحمون ولا في منزلتكم تعملون، ولا من عمل فيها تُعينون، وبالإدهان والمصانعة عند الظلمة تأمنون، كلّ ذٰلك ممّا أمركم الله به من النهي والتناهي وأنتم عنه غافلون، وأنتم أعظم الناس مصيبة لما غلبتم

عليه من منازل العلماء لو كنتم تشعرون، ذلك بأنّ مجاري الأمور والأحكام علىٰ أيدي العلماء بالله، الأمناء علىٰ حلاله وحرامه، فأنتم المسلوبون تلك المنزلة، وما سلبتم ذلك إلاّ بتفرّقكم عن الحقّ، واختلافكم في السنّة بعد البيّنة الواضحة، ولو صبرتم علىٰ الأذى وتحمّلتم المؤونة في ذات الله كانت أمور الله عليكم ترد وعنكم تصدر وإليكم ترجع، ولكنّكم مكّنتم الظلمة من منزلتكم واستسلمتم أمور الله في أيديهم، يعملون بالشبهات ويسيرون في الشهوات، سلّطهم علىٰ ذلك فراركم من الموت وإعجابكم بالحيوة التي هي مفارقتكم، فأسلمتم الضعفاء في أيديهم، فمن بين مستعبَد مقهور وبين مستضعف علىٰ معيشته مغلوب، يتقلّبون في الملك بآرائهم ويستشعرون الخزي بأهواءهم اقتداء بالأشرار وجرأة علىٰ الجبّار، في كلّ بلد منهم علىٰ منبره خطيب يصقع، فالأرض لهم شاغرة وأيديهم فيها مبسوطة، والناس لهم خَوَل لايدفعون يد لامس، فمن بين جبّار عنيد، وذي سطوة علىٰ الضَّعَفة شديد، مطاع لايعرف المبديء المعيد.

فيا عجباً، وما لي لاأعجب، والأرض من غاش غشوم ومتصدّق ظلوم وعامل علىٰ المؤمنين بهم غير رحيم، فالله الحاكم فيما فيه تنازعنا والقاضي بحكمه فيما شجر بيننا.

أللّهمّ إنّك تعلم أنّه لم يكن ما كان منّا تنافساً في سلطان ولا التماساً من فضول الحطام، ولكن لنُري المعالم من دينك، ونظهر الإصلاح في بلادك، ويأمن المظلومون من عبادك، ويعمل بفرائضك وسننك وأحكامك.

فإنّكم إلاّ تنصرونا وتنصفونا قوي الظلمة عليكم، وعملوا في إطفاء نور نبيّكم، وحسبنا الله وعليه توكّلنا وإليه أنبنا وإليه المصير».[1]

---

(١) تحف العقول: ١٧١ ـ ١٧٢.

إحتجاجاته عليه السلام على معاوية وبني أميّة

لم يمنع التزام الإمام عليه السلام بالهدنة والمتاركة من إعلانه المتواصل عن اعتراضه على منكرات معاوية وعلى نقضه شروط الهدنة، واحتجاجه المتواصل عليه وعلى ولاته في انحرافهم عن الإسلام وظلمهم الأمّة.

ومن أشمل احتجاجات الإمام عليه السلام على معاوية ذلك الكتاب الذي بعث به إليه جواباً لكتاب دعا معاوية فيه الإمام عليه السلام إلى رعاية الهدنة، وحذّره فيه من مغبّة الفتنة وشقّ عصا الأمّة بزعمه.

وهذا نصّ جوابه عليه السلام: «...**أمّا بعدُ: فقد بلغني كتابك، تذكر أنّه قد بلغك عنّي أمور أنت لي عنها راغب، وأنا لغيرها عندك جدير، فإنّ الحسنات لايهدي لها ولايسدّد إليها إلاّ الله.**

وأمّا ما ذكرت أنّه انتهى إليك عنّي، فإنّه إنّما رقاه إليك الملاّقون المشّاؤون بالنميم، وماأريد لك حرباً ولا عليك خلافاً، وأيمُ الله إنّي لخائف للّه في ترك ذلك، وما أظنّ الله راضياً بترك ذلك ولا عاذراً بدون الإعذار فيه إليك، وفي أولئك القاسطين الملحدين حزب الظلمة وأولياء الشياطين.

ألست القاتل حجر بن عدي[1] أخا كندة والمصلّين العابدين الذين كانوا ينكرون الظلم ويستعظمون البدع، ولايخافون في الله لومة لائم، ثمّ قتلتهم ظلماً وعدواناً من بعد ما كنت أعطيتهم الأيمان المغلّظة والمواثيق المؤكّدة لاتأخذهم بحدثٍ كان بينك وبينهم، ولا بإحنة تجدها في نفسك.

---

(١) حجر بن عدي الكنّدي: قال عمرو بن عبد البرّ في كتاب الإستيعاب: كان حجر من فضلاء الصحابة مع صغر سنّه عن كبارهم: وقال غيره: كان من الأبدال: وكان صاحب راية النبيّ صلى الله عليه وآله وهو يُعَدُّ من الرؤساء والزهاد، ومحبّته وإخلاصه لأمير المؤمنين أشهر من أن تذكر، وكان على كندة يوم

⇐ صفّين: وعلىٰ الميسرة يوم النهروان: وكان يُعرف بحجر الخير... قال الأعمش: أوّل من قتل في الإسلام صبراً هو حجر بن عديّ وأوّل رأس أُهدي من بلدٍ إلىٰ بلدٍ رأس عمرو بن الحمق (الدرجات الرفيعة: ٤٢٣ ـ ٤٢٩).

وقال له أمير المؤمنين عليه السلام: كيف لي بك إذا دُعيت إلىٰ البراءة منّي، فما عساك أن تقول؟ فقال: والله يا أمير المؤمنين: لو قطّعت بالسيف إرباً إرباً، وأضرم لي النار وأُلقيت فيها، لآثرت ذٰلك علىٰ البراءة منك. فقال عليه السلام: وفّقت لكلّ خيرٍ يا حجر، جزاك الله خيراً عن أهل بيت نبيّك. (سفينة البحار، ١: ٢٢٣).

وفي سنة ثلاث وخمسين قتل معاوية حجر بن عديّ الكنّدي، وهوأوّل من قتل صبراً في الإسلام، حمله زياد من الكوفة ومعه تسعة نفر من أصحابه من أهل الكوفة وأربعة من غيرها... ولمّا صار إلىٰ مرج عذراء علىٰ إثني عشر ميلاً من دمشق، تقدّم البريد بأخبارهم إلىٰ معاوية، فبعث برجلٍ أعور... فلمّا وصل إليهم قال لحجر: إنّ أمير المؤمنين قد أمرني بقتلك يا رأس الضلال ومعدن الكفر والطغيان المتولّي لأبي تراب وقتل أصحابك، إلاّ أن ترجعوا عن كفركم، وتلعنوا صاحبكم وتتبرّؤا منه. فقال حجر وجماعة ممّن كان معه: إنّ الصبر علىٰ حدّ السيف لأيسر علينا ممّا تدعونا إليه، ثمّ القدوم علىٰ الله وعلىٰ نبيّه وعلىٰ وصيّه أحبّ إلينا من دخول النار، ...فلمّا قدّم حجر ليقتل قال: دعوني أصليّ ركعتين، فجعل يطوّل في صلاته، فقيل له: أ جزعاً من الموت!؟ فقال: لا، ولكنّي ما تطهّرت للصّلاة قطّ إلاّ صلّيت، وما صلّيتُ قطّ أخفّ من هٰذه! ...ثمّ تقدّم فنُحر، وألحق به من وافقه علىٰ قوله من أصحابه. وقيل إنّ قتلهم كان في سنة خمسين. (مروج الذهب، ٣: ١٢ ـ ١٣).

وقتل مع حجر «ولده همام، وقبيصة بن ضبيع العبسي، وصيفي بن فسيل، وشريك بن شدّاد الحضرمي، ومحرز بن شهاب السعدي، وكرام بن حيّان العبدي» (الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة: ٤٢٨).

وقالت عائشة لمعاوية: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: سيقتل بعذراء أُناس يغضب الله لهم وأهل السماء.

وذكر كثير من أهل الأخبار أنّ معاوية لمّا حضرته الوفاة جعل يغرغر بالموت ويقول: إنّ

أولستَ قاتل عمرو بن الحمق[1] صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله العبد الصالح الذي أبلته العبادة، فنحل جسمه، وصفرت لونه، بعد ما أمنته وأعطيته من عهود الله ومواثيقه ما لو أعطيته طائراً لنزل إليك من رأس الجبل، ثمّ قتلته جرأة علىٰ ربّك واستخفافاً بذلك العهد.

⇦ يومي منك يا حُجر بن عديّ لطويل.

وسُئل ابن إسحاق متىٰ ذلّ الناس؟ قال: حيث مات الحسن بن علي عليهما السلام وادّعىٰ معاوية زياداً وقتل حجر بن عديّ. (الدرجات الرفيعة: ٤٢٩).

(١) عمرو بن الحمق الخزاعي: صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله، ومن حواريّ أمير المؤمنين عليّ عليه السلام، وشهد معه مشاهده كلّها (اختيار معرفة الرجال، ١: ٢٤٨). ألقىٰ زياد بن سميّة القبض غدراً علىٰ حجر بن عديّ رضي الله عنه وطلب أصحابه، «فخرج عمروبن الحمق حتّىٰ أتىٰ الموصل ومعه رفاعة بن شدّاد فاختفيا بجبل هناك، فرفع خبرهما إلىٰ عامل الموصل، فسار إليهما، فخرجا إليه، فأمّا عمرو فقد استسقىٰ بطنه ولم‌يكن عنده امتناع، وأمّا رفاعة فكان شابّاً قويّاً فركب فرسه ليقاتل عن عمرو، فقال له عمرو: ماينفعني قتالك عنّي؟ أنجُ بنفسك! فحمل عليهم فأفرجوا له فنجا، وأخذ عمرو أسيراً... فبعثوه إلىٰ عامل الموصل وهو عبدالرحمٰن بن عثمان الثقفي الذي يُعرف بابن أمّ الحكم، وهو ابن أُخت معاوية... فكتب فيه إلىٰ معاوية، فكتب إليه: إنّه زعم أنّه طعن عثمان تسع طعنات بمشاقص معه، فاطعنه كما طعن عثمان، فأُخرج وطُعن، فمات في الأولىٰ منهنّ أو الثانية. (الكامل في التأريخ، ٣: ٤٧٧) وبعث برأسه إلىٰ معاوية، فكان رأسه أوّل رأس حمل في الإسلام (نفس المهموم: ١٤٣) فنصبه علىٰ رمح، وهو أوّل رأس نصب في الإسلام. (اختيار معرفة الرجال،١: ٢٥٠) وبعث معاوية برأسه إلىٰ امرأته، فوضع في حجرها، فقالت: سترتموه عنّي طويلاً، وأهديتموه إليَّ قتيلاً، فأهلاً وسهلاً من هديّة غير قالية ولا مقلية، بلّغ أيّها الرسول عنّي معاوية ما أقول: طلب الله بدمه، وعجّل الوبيل من نقمه، فقد أتىٰ أمراً فريّاً وقتل بارّاً تقيّاً.... (الإختصاص:١٧).

وكان معاوية قد كتب إلىٰ عمرو بن الحمق يؤمنه قائلاً: «أمّا بعدُ: فإنّ الله أطفأ النائرة، وأخمد الفتنة، وجعل العاقبة للمتّقين!، ولست بأبعد أصحابك همّة، ولا أشدّهم في سوء الأثر صنعاً، كلّهم قد أسهل بطاعتي وسارع إلىٰ الدخول في أمري، وقد بطأ بك ما بطأ، فادخل فيما دخل فيه الناس، يمح عنك سالف ذنوبك ويحي داثر حسناتك، ولعلّي لاأكون دون من كان قبلي إن أبقيتَ واتّقيتَ ووقيتَ

أولست المدّعي زياد بن سميّة [١] المولود علىٰ فراش عبد ثقيف!؟ فزعمت أنّه ابن أبيك، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «الولد للفراش وللعاهر الحجر»، فتركت سنّة رسول الله تعمّداً وتبعت هواك بغير هدىً من الله، ثمّ سلّطته علىٰ العراقين، يقطع أيدي المسلمين وأرجلهم، ويسمّل أعينهم، ويصلّبهم علىٰ جذوع النخل، كأنّك لست من هٰذه الأمّة، وليسوا منك!.

⇦ وأحسنت، فأقدم عليّ آمناً في ذمّة الله وذمّة رسوله صلى الله عليه وآله محفوظاً من حسد القلوب وإحَن الصدور، وكفىٰ بالله شهيداً»، (الإختصاص: ١٦).

وقال عمرو بن الحمق يخاطب عليّاً عليه السلام: «والله ما جئتك لمال من الدنيا تعطينيها، ولا لالتماس السلطان ترفع به ذكري، إلاّ لأنّك ابن عمّ رسول الله صلوات الله عليهما، وأولىٰ الناس بالناس، وزوج فاطمة سيّدة نساء العالمين عليها السلام، وأبو الذريّة التي بقيت لرسول الله صلى الله عليه وآله، وأعظم سهماً للإسلام من المهاجرين والأنصار، والله لو كلّفتني نقل الجبال الرواسي ونزح البحور الطوامي أبداً حتّىٰ يأتي عليّ يومي وفي يدي سيفي أهزّ به عدوّك، وأقويّ به وليّك (ويُعلي) ويعلو به الله كعبك ويفلج به حجّتك، ما ظننت أنّي أدّيت من حقّك كلّ الحقّ الذي يجب لك عليّ». فقال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: «ألّلهمّ نوّر قلبه باليقين، واهده إلىٰ الصراط المستقيم. ليت في شيعتي مائة مثلك!!»، (الاحتجاج، ١٤: ١٥)، ورواه المنقري بتفاوت (وقعة صفّين: ١٠٣ ـ ١٠٤).

وكان أمير المؤمنين عليّ عليه السلام قد أخبر حواريّه عمرو بن الحمق بمقتله قائلاً: «يا عمرو، وإنّك لمقتول بعدي، وإنّ رأسك لمنقول، وهو أوّل رأس ينقل في الإسلام، والويل لقاتلك»، (الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة: ٤٣٣).

(١) تعتبر قضية استلحاق معاوية زياد بن عبيد الرومي كأخ له من أبي سفيان بلا بيّنة شرعيّة مثلاً من الأمثلة الكثيرة علىٰ استخفاف معاوية بأحكام الشريعة الإسلاميّة، وقد احتجّ الإمام عليه السلام علىٰ معاوية بها في هٰذا البعد، ويلاحظ هنا أنّه عليه السلام كشف عن بعد آخر من أبعاد هٰذا العمل المنكر وهو البعد النفسيّ الذي شكّل الغاية من هذا الإستلحاق، بقوله: «ثمّ سلّطته...» ذلك لأنّ زياداً قبل الإستلحاق كان يتعصّب للموالي لأنّه يرىٰ نفسه عبداً لثقيف، فيحنو عليهم ويدرأ عنهم مكائد الحقد القوميّ العربي، كما فعل في ردّ عمر عن خطّته في الفتك بالموالي والأعاجم التي كتب بها إلىٰ أبي موسى الأشعري. وقد لامه معاوية بعد الإستلحاق على ذلك في كتابه السرّي إليه قائلاً: «فشاورك

أولست صاحب الحضرميّين[1] الذين كتب فيهم ابن سميّة أنّهم كانوا علىٰ دين عليٍّ صلوات الله عليه، فكتبت إليه: أن اقتل كلّ من كان علىٰ دين عليّ، فقتلهم ومثّل بهم بأمرك. ودين عليّ عليه السلام والله الذي كان يضرب عليه أباك ويضربك، وبه جلست مجلسك الذي جلست، ولولا ذٰلك لكان شرفك وشرف أبيك الرحلتين.[2]

وقلت فيما قلت:[3] «أنظر لنفسك ولدينك ولأمّة محمّد، واتّق شقّ عصا هٰذه الأمّة وأن

⇦ أبوموسىٰ في ذٰلك فنهيته، وأمرته أن يراجع فراجعه، وذهبت أنت بالكتاب إلىٰ عمر، وإنّما صنعتَ ما صنعتَ تعصّباً للموالي وأنت يومئذ تحسب أنّك عبد ثقيف، فلم‌تزل بعمر حتّىٰ رددته عن رأيه...»، (سليم بن قيس: ١٧٤ ـ ١٧٩).

فلمّا استلحقه معاوية تحرّر من عقدة الموالي وانفصل نفسيّاً عنهم، فانطلق يبطش بهم ـ وجلّ الشيعة منهم ـ بوحشية لا نظير لها كما وصف الإمام عليه السلام.

(١) الحضرميّون هم: عبدالله بن يحيىٰ الحضرمي وجماعته، قتلهم زياد بن سميّة بأمر معاوية ومثّل بهم كما وصف الإمام عليه السلام.

«وروي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال لعبدالله بن يحيىٰ الحضرمي يوم الجمل: أبشر يا ابن يحيىٰ، فأنت وأبوك من شرطة الخميس حقّاً، لقد أخبرني رسول‌الله صلى الله عليه وآله باسمك واسم أبيك في شرطة الخميس، والله سمّاكم شرطة الخميس علىٰ لسان نبيّه صلى الله عليه وآله»، (إختيار معرفة الرجال، ١: ٢٤، رقم ١٠).

وشرطة الخميس: الخميس الجيش لأنّه يتكوّن في تلك الأيّام من خمس فرق: المقدّمة والقلب والميمنة والميسرة والساقة. شرطة الخميس هم أوّل كتيبة تشهد الحرب وتتهيّأ للموت. وشرطة الخميس في جيش أمير المؤمنين عليه السلام كانوا ستّة أو خمسة آلاف رجلٍ. وسأل رجل الأصبغ بن نباته قائلاً: «كيف سمّيتم شرطة الخميس يا أصبغ؟ قال: إنّا ضمنّا له الذبح، وضمن لنا الفتح، يعني أمير المؤمنين عليه السلام»، (إختيار معرفة الرجال، ١: ٢٥ و ٣٢١ رقم ١٦٥).

(٢) يعني بالرحلتين: رحلة الشتاء والصيف.

(٣) مرّت بنا بعض فقرات هٰذه الرسالة في موارد سابقة من البحث، وقد أتينا بتمام هٰذه الرسالة هنا

تردّهم إلىٰ فتنة»، وإنّي لاأعلم فتنة أعظم علىٰ هٰذه الأمّة من ولايتك عليها، ولاأعلم نظراً لنفسي ولديني ولأمّة محمّد صلى الله عليه وآله وعلينا أفضل من أجاهدك، فإن فعلتُ فإنّه قربة إلىٰ الله، وإن تركتُه فإنّي أستغفر الله لديني (لذنبي)، وأسأله توفيقه لإرشاد أمري.

وقلت فيما قلت: «إنّي إن أنكرتك تنكرني وإن أكدك تكدني»، فكدني ما بدا لك، فإنّي أرجو أن لايضرّني كيدك فيّ، وأن لايكون على أحد أضرّ منه على نفسك، لأنّك قد ركبت جهلك، وتحرّصت علىٰ نقض عهدك، ولعمري ما وفيت بشرط، ولقد نقضت عهدك بقتلك هٰؤلاء النفر الذين قتلتهم بعد الصلح والأيمان والعهود والمواثيق، فقتلتهم من غير أن يكونوا قاتلوا وقتلوا، ولم تفعل ذٰلك بهم إلاّ لذكرهم فضلنا، وتعظيمهم حقّنا، فقتلتهم مخافة أمرٍ لعلّك لو لم تقتلهم متَّ قبل أن يفعلوا أو ماتوا قبل أن يدركوا.

فأبشر يا معاوية بالقصاص، واستيقن بالحساب، واعلم أنّ للّٰه تعالىٰ كتاباً لايغادر صغيرةً ولا كبيرةً إلاّ أحصاها، وليس الله بناسٍ لأخذك بالظنّة، وقتلك أولياءه علىٰ التهم، ونفيك أولياءه من دورهم إلىٰ دار الغربة، وأخذك الناس ببيعة ابنك، غلام حدث، يشرب الخمر، ويلعب بالكلاب.

لاأعلمك إلاّ وقد خسرت نفسك وتبّرت دينك وغششت رعيتك وأخزيت أمانتك، وسمعت مقالة السفيه الجاهل، وأخفت الورع التقيّ لأجلهم، والسلام».

فلمّا قرأ معاوية الكتاب قال: لقد كان في نفسه ضبٌّ ما أشعر به!

فقال يزيد: يا أمير المؤمنين، أجبه جواباً يصغّر إليه نفسه، وتذكر فيه أباه بشرّ فعله.

قال: ودخل عبدالله بن عمرو بن العاص.

⇐ كنصّ إحتجاجي شامل كاشف عن أحد المعالم العامّة لنهج الإمام عليه السلام في مواجهة معاوية.

فقال له معاوية: أما رأيت ما كتب به الحسين؟

قال: وما هو؟

قال: فأقرأه الكتاب.

فقال: وما يمنعك أن تجيبه بما يصغّر إليه نفسه؟ وإنّما قال ذٰلك في هـوىٰ معاوية.

فقال يزيد: كيف رأيت يا أمير المؤمنين رأيي؟

فضحك معاوية، فقال: أمّا يزيد فقد أشار عليّ بمثل رأيك!

فقال عبدالله: فقد أصاب يزيد.

فقال معاوية: أخطأتما، أرأيتما لو أنّي ذهبت لعيب عليٍّ محقّاً، ما عسيتُ أن أقول فيه!؟ ومثلي لايحسن أن يُعيب بالباطل وما لايُعرف، ومتىٰ ما عبت به رجلاً بما لايعرفه الناس لميُحفل بصاحبه، ولايراه الناس شيئاً وكذّبوه، وما عسيتُ أن أعيب حسيناً، والله ما أرىٰ للعيب فيه موضعاً، وقد رأيتُ أن أكتب إليه أتـوعّده وأتهدّده، ثمّ رأيت أن لاأفعل ولاأمحكه».[1]

و«لمّا قتل معاوية حجر بن عديّ وأصحابه حجّ ذٰلك العامّ، فلقي الحسين بن عليّ عليه السلام. فقال: يا أباعبدالله، هل بلغك ما صـنعنا بـحجر وأصـحابه وأشـياعه، وشيعة أبيك؟

فقال عليه السلام: وما صنعت بهم!؟

قال: قتلناهم، وكفنّاهم، وصلّينا عليهم!

---

(١) إختيار معرفة الرجال، ١: ٢٥٢ ـ ٢٥٩ رقم ٩٩؛ واعتمدنا المفردات الواضحة المعنىٰ من نصّ بحار الأنوار، ٤٤: ٢١٢ ـ ٢١٤ رقم ٩ بدلاً من مفردات غامضة في نصّ الكشّي.

فضحك الحسين عليه السلام، ثمّ قال: خصمك القوم يا معاوية، لكنّنا لو قتلنا شيعتك ما كفّناهم، ولا صلّينا عليهم، ولا قبرناهم. ولقد بلغني وقيعتك في عليٍّ، وقيامك ببغضنا، واعتراضك بني هاشم بالعيوب، فإذا فعلت ذٰلك فارجع إلىٰ نفسك ثمّ سلها الحقّ عليها ولها، فإن لم تجدها أعظم عيباً فما أصغر عيبك فيك، وقد ظلمناك يا معاوية فلا توترنّ غير قوسك، ولا ترمينّ غير غرضك، ولا ترمنا بالعداوة من مكان قريب، فإنّك والله لقد أطعت فينا رجلاً ما قدُم إسلامه، ولا حدث نفاقه، ولا نظر لك فانظر لنفسك أودع ـ يعني (عمرو بن عاص) ـ».[1]

وروي أنّ الإمام الحسين عليه السلام كتب إلىٰ معاوية كتاباً يقرّعه فيه ويبكّته بأمور صنعها، كان فيه: «ثمّ ولّيت ابنك وهو غلام يشرب الشراب، ويلهو بالكلاب، فخُنت أمانتك وأخربت رعيّتك، ولم تؤدّ نصيحة ربّك، فكيف تولّي علىٰ أمّة محمّد من يشرب المسكر!؟ وشارب المسكر من الفاسقين، وشارب المسكر من الأشرار، وليس شارب المسكر بأمين علىٰ درهم فكيف علىٰ الأمّة!؟ فعن قليل ترد علىٰ عملك حين تُطوىٰ صحائف الإستغفار».[2]

وكان معاوية يحيط علماً بالكثير من حالات وأوضاع الإمام الحسين عليه السلام لكثرة جواسيسه وعيونه الذين يرصدون الصغيرة والكبيرة من حياة الإمام عليه السلام الخاصّة والعامّة، ولقد ضاقت ذات يد الإمام عليه السلام لكثرة جوده وسخائه، فركبه الدين.

فاغتنم الفرصة معاوية، فكتب إلىٰ الإمام عليه السلام يريد أن يشتري منه (عين أبي نيزر) التي حفرها أمير المؤمنين عليّ عليه السلام بيده الشريفة، وأوقفها على فقراء أهل

---

(١) الإحتجاج، ٢: ١٩ ـ ٢٠.

(٢) دعائم الإسلام، ٢: ١٣٣، حديث ٤٦٨.

المدينة وابن السبيل، وأرسل معاوية مع الكتاب مائتي ألف دينار.

فأبى الإمام الحسين عليه السلام أن يبيعها وقال: «**إنّما تصدّق بها أبي ليقي الله بها وجهه حرّ النار! ولست بائعها بشيء**».[1]

وروي أنّه كان بين الإمام الحسين عليه السلام وبين معاوية كلام في أرض للإمام عليه السلام، فقال له الإمام الحسين عليه السلام: «**اختر خصلة من ثلاث خصال: إمّا أن تشتري منّي حقّي، وإمّا أن تردّه عليّ، أو تجعل بيني وبينك ابن الزبير وابن عمر، والرابعة الصَّيلَم.**

قال: وما الصيلم؟

قال: **أن أهتف بحلف الفضول.**

قال: فلا حاجة لنا بالصيلم».[2]

وروي عن محمّد بن السايب أنّه قال:

«قال مروان بن الحكم يوماً للحسين بن عليّ عليهما السلام: لولا فخركم بفاطمة بم كنتم تفتخرون علينا!؟

فوثب الحسين عليه السلام ـ وكان عليه السلام شديد القبضة ـ فقبض على حلقه فعصره، ولوى عمامته على عنقه حتّى غشي عليه، ثمّ تركه.

وأقبل الحسين عليه السلام على جماعة من قريش، فقال: **أنشدكم بالله إلاّ صدّقتموني إن صدقت، أتعلمون أنّ في الأرض حبيبين كانا أحبّ إلى رسول الله صلى الله عليه وآله منّي ومن أخي؟»**

قالوا: ألّلهمّ لا.

(١) الكامل للمبرّد، ٣: ٢٠٨.

(٢) الأغاني، ١٧: ١٨٩.

قال: وإنّي لأعلم أنّ في الأرض ملعون بن ملعون غير هٰذا وأبيه، طريدي رسول الله، والله ما بين جابرس وجابلق أحدهما بباب المشرق والآخر بباب المغرب رجلان ممّن ينتحل الإسلام أعدىٰ للّٰه ولرسوله ولأهل بيته منك ومن أبيك إذا كان. وعلامة قولي فيك أنّك إذا غضبت سقط رداؤك عن منكبك!

قال: فوالله ما قام مروان من مجلسه حتّىٰ غضب، فانتفض وسقط رداؤه عن عاتقه».[١]

و«استعمل معاوية مروان بن الحكم علىٰ المدينة، وأمره أن يفرض لشباب قريش ففرض لهم.

فقال عليّ بن الحسين عليهما السلام: فأتيته.

فقال: ما اسمك؟

فقلت: عليّ بن الحسين.

فقال: ما اسم أخيك؟

فقلت: عليّ.

فقال: عليّ وعليّ! ما يريد أبوك أن يدع أحداً من ولده إلّا سمّاه عليّاً!!

ثمّ فرض لي، فرجعت إلىٰ أبي فأخبرته.

فقال: ويلي علىٰ ابن الزرقاء دبّاغة الأُدُم، لو ولد لي مائة لأحببت أن لا أسمّي أحداً منهم إلّا عليّاً».[٢]

---

(١) الإحتجاج، ٢: ٢٣ ـ ٢٤.

(٢) الكافي، ٦: ١٩، حديث ٧.

وروي أنّه «خطب الحسنعليه السلام عائشة بنت عثمان، فقال مروان: أزوّجها عبدالله بن الزبير.

ثمّ إنّ معاوية كتب إلىٰ مروان وهو عامله علىٰ الحجاز يأمره أن يخطب أمّ كلثوم بنت عبدالله بن جعفر لابنه يزيد، فأبى عبدالله بن جعفر، فأخبره بذٰلك، فقال عبدالله: إنّ أمرها ليس اليَّ إنّما هو إلىٰ سيّدنا الحسين وهو خالها.

فأخبر الحسين بذٰلك فقال: أستخير الله تعالىٰ، أللّهمّ وفّق لهٰذه الجارية رضاك من آل محمّد.

فلمّا اجتمع الناس في مسجد رسول‌الله أقبل مروان حتّىٰ جلس إلىٰ الحسينعليه السلام وعنده من الجلّة، وقال: إنّ أمير المؤمنين أمرني بذٰلك، وأن أجعل مهرها حكم أبيها بالغاً ما بلغ، ومع صلح ما بين هذين الحيّين، مع قضاء دينه، واعلم أنّ من يغبطكم بيزيد أكثر ممّن يغبطه بكم، والعجب كيف يستمهر يزيد وهو كفو من لاكفو له، وبوجهه يستسقىٰ الغمام، فرُدَّ خيراً يا أباعبدالله!!

فقال الحسينعليه السلام: الحمد لله الذي اختارنا لنفسه، وارتضانا لدينه، واصطفانا علىٰ خلقه»، إلىٰ آخر كلامه.

ثمّ قال: يا مروان قد قلت فسمعنا، أمّا قولك مهرها حكم أبيها بالغاً ما بلغ، فلعمري لو أردنا ذٰلك ما عدونا سنّة رسول‌الله في بناته ونسائه وأهل بيته، وهو اثنتا عشرة أوقية يكون أربعمائة وثمانين درهماً!

وأمّا قولك: مع قضاء دين أبيها، فمتىٰ كنّ نساؤنا يقضين عنّا ديوننا!؟

وأمّا صلح ما بين هذين الحيّين فإنّا قوم عاديناكم في الله، ولم نكن نصالحكم للدّنيا، فلعمري فلقد أعيي النسب فكيف السبب!؟

وأمّا قولك: العجب ليزيد كيف يستمهر، فقد استمهر من هو خيرٌ من يزيد ومن أب

يزيد ومن جدّ يزيد.

وأمّا قولك: إنّ يزيد كفو من لا كفوله، فمن كان كفوه قبل اليوم فهو كفوه اليوم، ما زادته إمارته في الكفاءة شيئاً.

وأمّا قولك: بوجهه يستسقىٰ الغمام، فإنّما كان ذٰلك بوجه رسول الله صلى الله عليه وآله.

وأمّا قولك: من يغبطنا به أكثر ممّا يغبطه بنا، فإنّما يغبطنا به أهل الجهل، ويغبطه بنا أهل العقل.

ثمّ قال بعد كلام: فاشهدوا جميعاً أنّي قد زوّجت أمّ كلثوم بنت عبدالله بن جعفر من ابن عمّها القاسم بن محمّد بن جعفر علىٰ أربعمائة وثمانين درهماً، وقد نحلتها ضيعتي بالمدينة، أوقال: أرضي بالعقيق، وإنّ غلّتها في السنة ثمانية آلاف دينار، ففيها لهما غنىً إن شاء الله.

قال: فتغيّر وجه مروان، وقال: أغدراً يا بني هاشم، تأبون إلّا العداوة.

فذكّره الحسين عليه السلام خطبة الحسن عائشة وفعله ثمّ قال: فأين موضع الغدر يا مروان!؟...».[١]

وروي أنّه عليه السلام كان جالساً في مسجد النبيّ صلى الله عليه وآله فسمع رجلاً من بني أميّة يقول ويرفع صوته ليسمع الإمام عليه السلام: إنّا شاركنا آل أبي‌طالب في النبوّة حتّىٰ نلنا منها مثل ما نالوا منها من السبب والنسب، ونلنا من الخلافة ما لم ينالوا، فبم يفخرون علينا!؟ وكرّر هٰذا القول ثلاثاً.

فأقبل عليه الحسين عليه السلام فقال له: «إنّي كففت عن جوابك في قولك الأوّل حلماً، وفي الثاني عفواً، وأمّا في الثالث فإنّي مجيبك. إنّي سمعت أبي يقول: إنّ في الوحي الذي أنزله الله علىٰ محمّد صلى الله عليه وآله: إذا قامت القيامة الكبرىٰ حشر الله بني أميّة في صور الذرّ، يطأهم الناس

(١) مناقب آل أبي طالب، ٤: ٣٨ ـ ٣٩.

حتىٰ يفرغ من الحساب، ثمّ يؤتىٰ بهم فيحاسبوا، ويُصار بهم إلىٰ النار».

فلم يُطقَ الأمويّ جواباً وانصرف وهو يتميّز من الغيظ.[1]

❑رعاية الإمام عليه السلام للأمّة عامّة وللشيعة خاصّة

من الدور العامّ المشترك لجميع ائمّة أهل البيت عليهم السلام رعايتهم للأمّة الإسلاميّة عامّة وللشيعة منها خاصّة، فليس بدعاً من أمر الإمامة الحقّة أن يهتمّ الإمام الحسين عليه السلام إهتماماً فائقاً بأمور هٰذه الأمّة في جميع مجالات حياتها، وأن لايألو جهداً في الدفاع عنها وانقاذها من كلّ خطر وهلكة يحيقان بها، وهو الذي قدّم نفسه الزكيّة وأهل بيته وخاصّته وأصحابه قرابين مقدّسة علىٰ مذبح الهدف العام من قيامه وخروجه وهو إصلاح هٰذه الأمّة المنكوبة بعد ما شملها الفساد في كلّ أبعاد حياتها «...وإنّما خرجت لطلب الإصلاح في أمّة جدّي...»

ولمّا كانت مصاديق رعايته لهٰذه الأمّة في قضاياها العامّة قد وردت مبثوثة في ثنايا أبحاث الأبواب والفصول الأخرىٰ من هٰذا الكتاب، فإنّنا نقتصر هنا علىٰ تقديم نماذج منتقاة من رعايته لأفراد هٰذه الأمّة، تمثّل عفوه ورأفته وحنانه وكرمه وباقي سجاياه السامية، ثمّ نعرض بعدها نماذج من رعايته للشيعة خاصّة:

«جنىٰ له غلام جناية توجب العقاب، فأمر عليه السلام به أن يضرب.

فقال: يا مولاي، (والكاظمين الغيظ).

قال عليه السلام: «خلّوا عنه!»

---

(١) حياة الإمام الحسين بن علي عليه السلام، ٢: ٣٥ نقلاً عن المناقب والمثالب للقاضي نعمان المصري (ص٦١).

فقال: يا مولاي، (والعافين عن الناس).

قال عليه السلام: **«قد عفوتُ عنك!»**

قال: يا مولاي، (والله يحبّ المحسنين).

قال عليه السلام: **«أنت حرّ لوجه الله، ولك ضعف ما كنت أعطيك.»** [١]

و«خرج سائل يتخطّى أزقّة المدينة حتّى أتى باب الحسين بن عليّ عليهما السلام، فقرع الباب وأنشأ يقول:

لم يَخبِ اليوم من رجاك ومن حرّك من خلف بابك الحلقه

فأنت ذو الجود، أنت معدنُه أبوك قد كان قاتل الفسقه

قال: وكان الحسين بن عليّ عليهما السلام واقفاً يصلّي، فخفّف من صلاته، وخرج إلى الأعرابي فرأى عليه أثر ضُرٍّ وفاقة، فرجع ونادى بقنبر

فأجابه: لبّيك يا ابن رسول الله صلّى الله عليه وآله.

قال عليه السلام: **ما تبقّى معك من نفقتنا؟**

قال: مائتا درهم، أمرتني بتفريقها في أهل بيتك.

فقال عليه السلام: **فهاتها، فقد أتى من هو أحقُّ بها منهم.**

فأخذها (من قنبر) وخرج فدفعها إلى الأعرابي، وأنشأ يقول:

خذها فإنّي إليك معتذر واعلم بأنّي عليك ذو شفقه

لو كان في سيرنا الغداة عصا كانت سمانا عليك مندفقه

---

(١) كشف الغمّة، ٢: ٣١.

لكــنّ ريب الزمــان ذونكَــدٍ والكــفُّ مــنّا قــليلة النــفقه

قال: فأخذها الأعرابيّ وولّىٰ، وهو يقول:

مــطهَّرون نــقيّاتٌ جــيوبهم تجــري الصــلاة عــليهم أينما ذكــروا

وأنــتم أنــتم الأعــلون، عــندكم علم الكــتاب ومـا جـاءت بـه السـوَرُ

مــن لم يكــنْ عــلويّاً حــين تــنسبه فــماله في جــميع النــاس مــفتخرُ[1]

وفي رواية: «قال: فأخذها الأعرابي وبكىٰ.

فقال عليه السلام له: لعلّك استقللت ما أعطيناك؟

قال: لا، ولكن كيف يأكل التراب جودك!؟».[2]

و«دخل الحسين عليه السلام علىٰ أسامة بن زيد وهو مريض، وهو يقول: واغمّاه.

فقال له الحسين عليه السلام: ما غمّك يا أخي؟

قال: ديني، وهو ستّون ألف درهم.

فقال له الحسين عليه السلام: هو عليّ.

قال: إنّي أخشى أن أموت.

فقال له الحسين عليه السلام: لن تموت حتّىٰ أقضيها عنك.

فقضاها قبل موته».[3]

وروي أنّه عليه السلام: «دخل المستراح، فوجد لقمة ملقاة، فدفعها إلىٰ غلام له،

(١) تأريخ ابن عساكر (ترجمة الإمام الحسين عليه السلام): ١٦٠ ـ ١٦١، حديث ٢٠٥.

(٢) مناقب آل أبي طالب، ٤: ٦٦.

(٣) نفس المصدر، ٤: ٦٥.

فقال: يا غلام، أذكرني بهذه اللقمة إذا خرجتُ.

فأكلها الغلام.

فلمّا خرج الحسين بن عليّ عليه السلام قال: **يا غلام أين اللقمة؟**

قال: أكلتها يا مولاي.

قال: **أنت حرّ لوجه الله تعالىٰ.**

قال له رجل: أعتقته يا سيّدي!؟

قال: نعم، **سمعت جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: من وجد لقمة ملقاة فمسح منها أو غسل ما عليها ثمّ أكلها لم تستقرّ في جوفه إلاّ أعتقه الله من النار. (ولم أكن أستعبد رجلاً أعتقه الله من النار).**[1]

و«مرّ الحسين بن عليّ عليه السلام بمساكين قد بسطوا كساءً لهم فألقوا عليه كِسَراً،

فقالوا: هلمَّ يا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله!

فثنّىٰ وركه فأكل معهم، ثمّ تلا: **(إنّ الله لايحبّ المستكبرين).**

ثمّ قال: **قد أجبتكم فأجيبوني.**

قالوا: نعم يا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله...

فقاموا معه حتّىٰ أتوا منزله...

فقال عليه السلام للرّباب: **أخرجي ما كنت تدّخرين».**[2]

---

(١) عيون أخبار الرضا، ٢: ٤٣ ـ ٤٤، حديث ١٥٤؛ والعبارة الأخيرة بين القوسين عن نصّ الرواية في صحيفة الإمام الرضا: حديث ١٧٧.

(٢) تفسير العيّاشي، ٢: ٢٥٧، حديث ١٥.

«وجاءه رجل من الأنصار يريد أن يسأله حاجة...

فقال عليه السلام: **يا أخا الأنصار صُن وجهك عن بذل المسألة، وارفع حاجتك في رقعة، فإنّي آتٍ فيها ما سارّك إن شاء الله.**

فكتب: يا أباعبدالله، إنّ لفلان عليّ خمسمائة دينار، وقد ألحّ بي، فكلّمه ينظرني إلىٰ ميسرة.

فلمّا قرأ الحسين عليه السلام الرقعة دخل إلىٰ منزله فأخرج صرّة فيها ألف دينار،

وقال عليه السلام له: **أمّا خمسمائة فاقض بها دينك، وأمّا خمسمائة فاستعن بها علىٰ دهرك، ولاترفع حاجتك إلاّ إلىٰ أحد ثلاثة: إلىٰ ذي دين أو مروّة أو حسب، فأمّا ذو الدين فيصون دينه، وأمّا ذو المروّة فإنّه يستحيي لمروّته، وأمّا ذو الحسب فيعلم أنّك لم تكرم وجهك أن تبذله له في حاجتك، فهو يصون وجهك أن يردّك بغير قضاء حاجتك**».[1]

و«مرّ الحسين بن عليّ عليهما السلام براعٍ، فأهدىٰ الراعي إليه شاة،

فقال له الحسين عليه السلام: **حرٌّ أنت أم مملوك؟**

فقال: مملوك.

فردّها الحسين عليه السلام عليه..

فقال له المملوك: إنها لي.

فقبلها منه، ثمّ اشتراه واشترىٰ الغنم، فأعتقه، وجعل الغنم له».[2]

وروي «أنّ الحسين عليه السلام كان جالساً في مسجد جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله، بعد وفاة

(١) تحف العقول: ١٧٧ ـ ١٧٨.

(٢) المحلّىٰ، ٨: ٥١٤ ـ ٥١٥.

أخيه الحسن عليه السلام، وكان عبدالله بن الزبير جالساً في ناحية المسجد، وعتبة بن أبي سفيان في ناحية أخرىٰ، فجاء أعرابيّ على ناقة فعقلها باب المسجد ودخل، فوقف على عتبة بن أبي سفيان فسلّم فردّ عليه السلام

فقال له الأعرابي: إنّي قتلت ابن عمٍّ لي، وطولبت بالدية، فهل لك أن تعطيني شيئاً؟

فرفع رأسه إلىٰ غلامه وقال: إدفع إليه مائة درهم.

فقال الأعرابي: ما أريد إلاّ الدية تماماً!

ثمّ تركه وأتىٰ عبدالله بن الزبير، وقال له مثل ما قال لعتبة.

فقال عبدالله لغلامه: إدفع إليه مائتي درهم.

فقال الأعرابيّ: ماأريد إلاّ الدية تماماً!

ثمّ تركه وأتىٰ الحسين عليه السلام، فسلّم عليه

وقال: يا ابن رسول الله، إنّي قتلت ابن عمّ لي، وقد طولبت بالدية، فهل لك أن تعطيني شيئاً؟

فقال عليه السلام له: **يا أعرابي، نحن قوم لانعطي المعروف إلاّ علىٰ قدر المعرفة.**

فقال: سل ما تريد.

فقال له الحسين عليه السلام: **يا أعرابيّ، ما النجاة من الهلكة؟**

قال: التوكّل علىٰ الله عزّ وجلّ.

فقال عليه السلام: **وما الهمّة؟**

قال: الثقة بالله.

ثمّ سأله الحسين عليه السلام غير ذلك وأجاب الأعرابيّ، فأمر له الحسين عليه السلام بعشرة آلاف درهم، وقال له: هٰذه لقضاء ديونك. وعشرة آلاف درهم أخرىٰ، وقال: هٰذه تلمّ بها شعثك وتحسّن بها حالك وتنفق منها علىٰ عيالك. فأنشأ الأعرابيّ يقول:

طَربْت وما هاجَ لي مَعبقُ ... ولا لي مقام ولا مَعشقُ

ولكنْ طربتُ لآلِ الرسو ... لِ فلذَّ لي الشعرُ والمنطقُ

هم الأكرمون، هم الأنجبون ... نجومُ السماء بهم تُشرِقُ

سبقتَ الأنام إلىٰ المكرمات ... فقصّر عن سبقك السُّبَّقُ

بكم فتح الله باب الرشاد ... وباب الفساد بكم مغلق[١]

وفي رواية أنّه «وجد علىٰ ظهره عليه السلام يوم الطفّ أثر، فسئل زين العابدين عليه السلام عن ذلك، فقال: هٰذا ممّا كان ينقل الجراب علىٰ ظهره إلىٰ منازل الأرامل واليتامىٰ والمساكين».[٢]

وأمّا عنايته الخاصّة بالشيعة ورعايته لهم...

فقد أولىٰ الإمام الحسين عليه السلام ـ شأن جميع أئمّة أهل البيت عليهم السلام ـ شيعته عناية فائقة ورعاية خاصّة، وحرص في ظرفه السياسي الإجتماعي الشديد الحسّاسيّة والخطورة علىٰ حفظهم من كلّ سوء، وعمل بما وسعه الإمكان علىٰ إبقائهم بمنأىٰ عن منال يد البطش الأمويّ الهادف إلىٰ محو الوجود الشيعي من خريطة المجتمع الإسلاميّ.

---

(١) أعيان الشيعة، ١: ٥٨٠.

(٢) نفس المصدر، ١: ٥٨٠.

ويمكن أن نلحظ بوضوح تامّ حرص الإمامعليه السلام علىٰ حفظ الشيعة في وصاياه العامّة لهم بعد الصلح مع معاوية في حياة الإمام الحسنعليه السلام وبعد شهادته، كمثل قولهعليه السلام: «...**فالصقوا بالأرض، وأخفوا الشخص، واكتموا الهوىٰ، واحترسوا...**».[1] وكقولهعليه السلام: «...**فليكن كلّ رجل منكم حلساً من أحلاس بيته...**»،[2] كما يمكن أن نلحظ ذٰلك في استقباله وفود الشيعة من أقطار البلاد الإسلاميّة وحرصه علىٰ إخفاء هٰذه اللقاءات عن عيون الرصد الأمويّ، وكان صلوات الله عليه يحرص علىٰ توعية وفود الشيعة ووجهائهم علىٰ حقائق مجريات الأمور في إطار التزامه بالهدنة مع معاوية، ويبثّ فيهم من هدي أهل البيتعليهم السلام ما يركّز الإيمان والمعرفة في قلوبهم، ويقوّي ارتباطهم بإمامهم، ويزيد من صبرهم علىٰ المكاره، ويعرّفهم منزلتهم عند الله تعالىٰ.

روي أنّه: «وفد إلىٰ الحسين صلوات الله عليه وفدٌ

فقالوا: يا ابن رسول الله، إنّ أصحابنا وفدوا إلىٰ معاوية، ووفدنا نحن إليك.

فقال: **إذن أجيزكم بأكثر ممّا يجيزهم.**

فقالوا: جعلنا فداك، إنّما جئنا لديننا.

قال فطأطأ رأسه ونكت في الأرض، وأطرق طويلاً، ثمّ رفع رأسه...

فقال: **قصيرة من طويلة، من أحبّنا لم يحبّنا لقرابة بيننا وبينه ولا لمعروفٍ أسديناه إليه، إنّما أحبّنا للّه ورسوله، جاء معنا يوم القيامة كهاتين وقرن بين سبّابتيه**».[3]

(١) أنساب الأشراف، ٣: ١٥١، حديث ١٣.

(٢) الأخبار الطوال: ٢٢١.

(٣) بحارالأنوار، ٢٧: ١٢٧ ـ ١٢٨، حديث ١١٨.

وروي عنه عليه السلام أنّه قال: **«والله، البلاء والفقر والقتل أسرع إلىٰ من أحبّنا من ركض البراذين، ومن السيل إلىٰ صمره!»**.[١]

وعن حبّابة الوالبيّة قالت: «سمعت الحسين بن عليّ عليهما السلام يقول: **نحن وشيعتنا على الفطرة التي بعث الله عليها محمّداً صلى الله عليه وآله وسائر الناس منها براء»**.[٢]

وكان صلوات الله عليه يحثّ أهل المعرفة والعلم من الشيعة ليكفلوا إخوانهم المحرومين من العلم، المنقطعين عن مواليهم، الذين هم يتامىٰ آل محمّد صلى الله عليه وآله، ويرشدوهم ويهدوهم ويخرجوهم من ظلمة الجهل.

وقد رويت عنه عليه السلام في ذٰلك نصوص كريمة منها: **«فضل كافل يتيم آل محمّد ـ المنقطع عن مواليه، الناشب في رتبة الجهل، يخرجه من جهله، ويوضّح له ما اشتبه عليه ـ علىٰ فضل كافل يتيم يطعمه ويسقيه، كفضل الشمس علىٰ السُّها»**.[٣]

و**«من كفل لنا يتيماً قطعته عنّا محنتنا باستتارنا، فواساه من علومنا التي سقطت إليه حتّىٰ أرشده وهداه، قال الله عزّ وجلّ: يا أيّها العبد الكريم المواسي لأخيه أنا أولىٰ بالكرم منك، إجعلوا له يا ملائكتي في الجنان بعدد كلّ حرف علّمه ألف ألف قصر، وضمّوا إليها ما يليق بها من سائر النعيم»**.[٤]

وكان صلوات الله عليه يحنو علىٰ أفراد الشيعة حنوّاً خاصّاً يفوق حنوّ الوالد علىٰ ولده، وقد رويت عنه عليه السلام في ذٰلك أخبار كثيرة، اخترنا منها نماذج علىٰ

---

(١) بحار الأنوار، ٦٧: ٢٤٦، حديث ٨٥؛ والبرذون: نوع من الخيل غير العربيّة سريع الجري، وصمر السيل: منتهاه.

(٢) اختيار معرفة الرجال، ١: ٣٣١ ـ ٣٣٢، حديث ١٨٢.

(٣) الإحتجاج، ١: ٧ ـ ٨.

(٤) نفس المصدر.

سبيل المثال:

روي عن صالح بن ميثم أنّه قال: «دخلتُ أنا وعباية الأسدي علىٰ حبّابة الوالبيّة.

فقال لها: هٰذا ابن أخيك ميثم.

قالت: إبن أخي والله حقّاً، ألا أحدّثكم بحديث عن الحسين بن عليّ عليهما السلام.

فقلت: بلىٰ.

قالت: دخلتُ عليه وسلّمت فردّ السلام ورحّب.

ثمّ قال عليه السلام: **ما بطّأ بك عن زيارتنا والتسليم علينا يا حبّابة؟**

قلت: ما بطّأني إلاّ علّة عرضت.

قال: **وما هي؟**

قالت: فكشفتُ خماري عن برص.

قالت: فوضع يده علىٰ البرص، ودعا فلم يزل يدعو حتّىٰ رفع يده، وكشف الله ذٰلك البرص، ثمّ قال: **يا حبّابة، إنّه ليس أحدٌ علىٰ ملّة إبراهيم في هٰذه الأمّة غيرنا وغير شيعتنا، ومن سواهم منها براء**».[١]

وعن يحيىٰ بن أمّ الطويل قال: «كنّا عند الحسين عليه السلام إذ دخل عليه شابّ يبكي.

فقال له الحسين عليه السلام: **ما يبكيك؟**

قال: إنّ والدتي توفّيت في هٰذه الساعة ولم توص، ولها مالٌ، وكانت قد أمرتني

---

(١) اختيار معرفة الرجال، ١: ٣٣٢، حديث ١٨٣.

ألاّ أُحدثَ في أمرها شيئاً حتّىٰ أُعلمك خبرها.

فقال الحسين عليه السلام: قوموا بنا حتّىٰ نصير إلىٰ هٰذه الحرّة.

فقمنا معه حتّىٰ انتهينا إلىٰ باب البيت الذي توفّيت فيه المرأة، وهي مسجّاة.

فأشرف علىٰ البيت ودعا الله ليحييها حتّىٰ توصي بما تحبُّ من وصيّتها، فأحياها الله تعالىٰ، فإذا المرأة جلست وهي تتشهّد، ثمّ نظرت الىٰ الحسين عليه السلام.

فقالت: أدخل البيت يا مولاي، ومرني بأمرك.

فدخل وجلس علىٰ مخدّة، ثمّ قال عليه السلام لها: وصّي، يرحمك الله.

فقالت: يا ابن رسول الله، إنّ لي من المال كذا وكذا في مكان كذا وكذا، وقد جعلت ثلثه إليك لتضعه حيث شئت من أوليائك، والثلثان لابني هٰذا، إن علمت أنّه من مواليك وأوليائك، وإن كان مخالفاً فخذه إليك، فلا حقّ للمخالفين في أموال المؤمنين.

ثمّ سألته أن يصلّي عليها وأن يتولّىٰ أمرها، ثمّ صارت المرأة ميتة كما كانت».[١]

و«عن الحسن البصري قال: كان الحسين عليه السلام سيّداً زاهداً، ورعاً، صالحاً، ناصحاً، حسن الخلق، فذهب ذات يومٍ مع أصحابه إلىٰ بستان له، وكان في ذٰلك البستان غلام يقال له، صافي.

فلمّا قرب من البستان رأىٰ الغلام يرفع الرغيف فيرمي بنصفه إلىٰ الكلب ويأكل نصفه، فتعجّب الحسين عليه السلام من فعل الغلام، فلمّا فرغ من الأكل قال: الحمد لله ربّ العالمين، اللّهمّ اغفرلي ولسيّدي، وبارك له كما باركت علىٰ أبويه، يا أرحم الراحمين.

---

(١) الخرائج والجرائح، ١: ٢٤٥ ـ ٢٤٦، حديث ١.

فقام الحسين عليه السلام ونادىٰ: يا صافي.

فقام الغلام فزعاً وقال: يا سيّدي وسيّد المؤمنين إلىٰ يوم القيامة، إنّي ما رأيتك فاعفُ عنّي.

فقال الحسين عليه السلام: إجعلني في حلٍّ يا صافي، دخلت بستانك بغير إذنك!

فقال صافي: بفضلك وكرمك وسؤددك تقول هٰذا!

فقال الحسين عليه السلام: إنّي رأيتك ترمي بنصف الرغيف إلىٰ الكلب وتأكل نصفه، فما معنىٰ ذٰلك؟

فقال الغلام: يا سيّدي، إنّ الكلب ينظر إليّ حين آكل، فإنّي أستحيي منه لنظره إليّ، وهٰذا كلبك يحرس بستانك من الأعداء، وأنا عبدك، وهٰذا كلبك، نأكل من رزقك معاً.

فبكىٰ الحسين عليه السلام ثمّ قال: إنْ كان كذٰلك، فأنت عتيق للّٰه.

ووهب له ألف دينار!

فقال الغلام: إن أعتقتني فإنّي أريد القيام ببستانك.

فقال الحسين عليه السلام: إنّ الكريم إذا تكلّم بكلامٍ ينبغي أن يصدّقه بالفعل، البستان أيضاً وهبتُه لك، وإنّي لمّا دخلت البستان قلت: إجعلني في حلٍّ فإنّي قد دخلتُ بستانك بغير إذنك، كنت قد وهبتُ البستان بما فيه، غير أنّ هٰؤلاء أصحابي، لأكلهم الثمار والرطب فاجعلهم أضيافك وأكرمهم لأجلي، أكرمك الله يوم القيامة، وبارك لك في حسن خلقك ورأيك.

فقال الغلام: إن وهبت لي بستانك، فإنّي قد سبلته لأصحابك».[١]

□قاطعيّته عليه السلام في رفض الإقرار بولاية يزيد والبيعة له

مختصر قصّة البيعة ليزيد بولاية العهد

كان المغيرة بن شعبة ـ وهو من رؤوس جماعة النفعيّين في حركة النـفاق، ومن دهاة العرب ومحترفي المكر والغدر، وممّن خدم معاوية طويلاً ـ قد بلغه أنّ معاوية يريد عزله عن ولاية الكوفة واستعمال سعيد بن العاص مكانه، فرأىٰ أن يذهب إلىٰ معاوية فيستعفي من منصبه عنده قبل صدور الأمر بعزله، ليظهر للناس بمظهر الكاره الولاية الزاهد فيها.

لكنّ تعلّقه الشديد حقيقة بمنصب الولاية دفعه إلىٰ التفكير مليّاً ـ وهو فـي الطريق إلىٰ الشام ـ بحيلة تصرف معاوية عن عزله، فلم يرَ ـ وهو الخبير بمعاوية ـ من حيلة أفضل من إثارة أمنية معاوية الكبرىٰ التـي لم تساعده الظـروف عـلى التحرّك عمليّاً لتحقيقها حتّىٰ ذٰلك الوقت، وهي أُمنيّته في عقد البيعة بالخلافة من بعده لابنه يزيد.

فقرّر المغيرة بن شعبة أن يعزف علىٰ أوتار هٰذه الأُمنيّة المكنونة في قـلب معاوية، ويدعو إلىٰ إثارتها وإظهارها، ويُبدي استعداده للخدمة من أجل تحقيقها، لعلّ معاوية ينصرف بذٰلك عن عزله فيبقيه والياً علىٰ الكوفة.

ورأىٰ المغيرة أن يدخل أوّلاً علىٰ يزيد نفسه فيثير فيه خفّته إلىٰ مـثل هـٰذا الأمر، ليكون يزيد بعد ذٰلك مفتاح المدخل إلىٰ قلب أبيه، «ومضىٰ حتّىٰ دخل علىٰ

---

(١) مستدرك الوسائل، ٧: ١٩٢ ـ ١٩٣، باب ١٧، حديث ٦ عن مجمع البحرين في مناقب السبطين للسيّد وليّ الله الرضوي.

يزيد، وقال له: إنّه قد ذهب أعيان أصحاب النبيّ صلى الله عليه وآله، وآله وكبراء قريش وذوو أسنانهم، وإنّما بقي أبناؤهم، وأنت من أفضلهم وأحسنهم رأياً وأعلمهم بالسنّة والسياسة!، ولاأدري ما يمنع أمير المؤمنين أن يعقد لك البيعة!؟

قال: أَوَتَرىٰ ذٰلك يتمّ!؟

قال: نعم.

فدخل يزيد علىٰ أبيه وأخبره بما قال المغيرة، فأحضر المغيرة...

وقال له: ما يقول يزيد!؟

فقال: يا أمير المؤمنين، قد رأيت ما كان من سفك الدماء والإختلاف بعد عثمان، وفي يزيد منك خلف، فاعقد له فإنْ حدث بك حادثٌ كان كهفاً للناس، وخلفاً منك، ولاتُسفَك دماء ولاتكون فتنة.

قال: ومن لي بهٰذا!؟

قال: أكفيك أهل الكوفة، ويكفيك زياد أهل البصرة، وليس بعد هٰذين المصرين أحدٌ يخالفك.

قال: فارجع إلىٰ عملك وتحدَّث مع من تثق إليه في ذٰلك، وترىٰ ونرىٰ. فودّعه ورجع إلىٰ أصحابه، فقالوا: مه!؟

قال: لقد وضعتُ رِجل معاوية في غرزٍ بعيد الغاية علىٰ أمّة محمّد، وفتقت عليهم فتقاً لايُرتق أبداً...!!

وسار المغيرة حتّىٰ قدم إلىٰ الكوفة، وذاكَر من يثق إليه ومن يعلم أنّه شيعة لبني أميّة أمر يزيد، فأجابوا إلىٰ بيعته، فأوفد منهم عشرة، ويقال أكثر من عشرة، وأعطاهم ثلاثين ألف درهم، وجعل عليهم ابنه موسىٰ بن المغيرة، وقدموا علىٰ

معاوية فزيّنوا له بيعة يزيد ودعوه إلىٰ عقدها.

فقال معاوية: لاتعجلوا بإظهار هٰذا، وكونوا علىٰ رأيكم.

ثمّ قال لموسىٰ: بكم اشترى أبوك من هٰؤلاء دينهم!؟

قال: بثلاثين ألفاً.

قال: لقد هان عليهم دينهم...[١]

وقوي عزم معاوية علىٰ البيعة ليزيد، فأرسل إلىٰ زياد يستشيره، لكنّ زياداً كتب إلىٰ معاوية يشير عليه بالتريث وعدم العجلة حتّىٰ يأتي الوقت المناسب.

وهناك رأيٌ يقول إنّ معاوية كان قد أشار بالبيعة ليزيد في حياة الإمام الحسن عليه السلام وعرّض بها، ولكنّه لم يكشفها ولا عزم عليها إلاّ بعد موت الحسن عليه السلام.[٢] ويؤيّد ذٰلك الرواية التأريخيّة التي تقول إنّ معاوية سافر إلىٰ المدينة سنة خمسين قبيل وفاة الإمام الحسن عليه السلام، في محاولة لجسّ نبض المدينة في قضيّة فكرة البيعة ليزيد، وعقد فيها اجتماعاً مغلقاً مع عبدالله بن جعفر، وعبدالله بن عبّاس، وعبدالله بن الزبير، وعبدالله بن عمر وطرح عليهم نيّته في عقد البيعة ليزيد، لكنّ هٰذا الإجتماع المغلق باء بالفشل الذريع لأنّ هٰؤلاء العبادلة عارضوا هٰذه الفكرة بشدّة. فسكت معاوية عن ذكر البيعة ليزيد إلىٰ سنة إحدىٰ وخمسين، أي إلىٰ ما بعد وفاة الإمام الحسن عليه السلام.[٣] وتقول بعض المصادر التأريخيّة إنّ معاوية لم يلبث بعد وفاة الإمام الحسن عليه السلام إلاّ يسيراً حتّىٰ بايع ليزيد في الشام، وكتب

(١) الكامل في التأريخ، ٣: ٥٠٣ ـ ٥٠٤.

(٢) راجع: الإستيعاب، ١: ٣٩١، دار الجيل ـ بيروت.

(٣) راجع: الإمامة والسّياسة، ١: ١٧٣ ـ ١٧٤.

ببيعته إلىٰ الآفاق.[١] وقيل إنّه تريّث في ذٰلك حتّىٰ مات زياد الذي لم يكن في الحقيقة يرجّح لمعاوية هٰذا التوجّه في عقد البيعة ليزيد.[٢]

فلمّا مات زياد عزم معاوية علىٰ البيعة لابنه يزيد... وكتب إلىٰ مروان بن الحكم قائلاً: «إنّي قد كبرتْ سنّي، ودقّ عظمي، وخشيت الإختلاف علىٰ الأمّة بعدي!، وقد رأيت أن أتخيّر لهم من يقوم بعدي، وكرهتُ أن أقطع أمراً دون مشورة من عندك، فأعرض ذٰلك عليهم وأعلمني بالذي يردّون عليك».

فقام مروان في الناس فأخبرهم به...

فقال الناس: أصاب ووفّق، وقد أحببنا، أن يتخيّر لنا فلا يألو!!

فكتب مروان إلىٰ معاوية بذٰلك، فأعاد إليه الجواب يذكر يزيد.

فقام مروان فيهم وقال: إنّ أمير المؤمنين قد اختار لكم فلم يأل، وقد استخلف إبنه يزيد بعده...».[٣]

فقام إليه وجهاء المدينة فأنكروا ذٰلك عليه وعلىٰ معاوية، كالإمام الحسين عليه السلام وعبدالرحمٰن بن أبي‌بكر وابن الزبير وابن عمر.

وكان معاوية قد قام حينذاك بحملة إعلاميّة ودعائيّة كبيرة ليزيد، فقد كتب إلىٰ عمّاله بتقريظ يزيد ووصفه بالأوصاف الحميدة التي تجعله في أعين الناس أهلاً للخلافة، كما أمر عمّاله أن يوفدوا إليه الوفود من الأمصار، ولم يزل معاوية يعطي المقارب ويُداري المباعد ويلطف به حتّىٰ استوثق له أكثر الناس وبايعوه علىٰ

---

(١) راجع: الإمامة والسياسة، ١: ١٧٦ ـ ١٧٧.

(٢) راجع: الكامل في التأريخ، ٣: ٥٠٦.

(٣) الكامل في التاريخ، ٣: ٥٠٦.

ذٰلك!!

وبقيت معضلة معاوية الكبرىٰ فيٰاستعصاء المدينة بوجهائها، وتقول المصادر التأريخيّة إنّ معاوية استشعر برودة موقف مروان وعدم اندفاعه في مشروع أخذ الناس بالبيعة ليزيد، فعزله وجعل محلّه سعيد بن العاص، الذي حاول أخذ الناس في ذٰلك بالغلظة والشدّة، لكنّه لم يفلح في مسعاه، فكتب إلىٰ معاوية قائلاً: «أمّا بعد، فإنّك أمرتني أن أدعو الناس لبيعة يزيد بن أمير المؤمنين، وأن أكتب إليك بمن سارع ممّن أبطأ، وإنّي أُخبرك أنّ الناس عن ذٰلك بطاء لاسيّما أهل البيت من بني هاشم، فإنّه لم يجبني منهم أحد، وبلغني عنهم ما أكره، وأمّا الذي جاهر بعداوته وإبائه لهٰذا الأمر فعبدالله بن الزبير، ولست أقوىٰ عليهم إلاّ بالخيل والرجال، أو تقدم بنفسك فترىٰ رأيك في ذٰلك، والسلام».[1]

المواجهات الحادّة

فكتب معاوية إلىٰ كلّ من الإمام الحسين عليه السلام وعبدالله بن عبّاس وعبدالله بن جعفر وعبدالله بن الزبير، وأمر سعيد بن العاص أن يوصلها إليهم ثمّ يبعث إليه بجواباتها، وأمره بالحزم والتصلّب مع الرفق وتجنّب الخرق، وكان ممّا أوصاه في التعامل مع الإمام الحسين عليه السلام أن قال: «وانظر حسيناً خاصّة، فلايناله منك مكروه، فإنّ له قرابة وحقّاً عظيماً لاينكره مسلم ولا مسلمة، وهو ليثٌ عرين، ولست آمنك إن شاورته أن لاتقوىٰ عليه...».[2]

وكان كتاب معاوية إلىٰ الإمام الحسين عليه السلام: «أمّا بعدُ: فقد انتهت اليّ منك أمور، لم أكن أظنّك بها رغبة عنها، وإنّ أحقّ الناس بالوفاء لَمن أعطىٰ بيعته من كان

(١) الإمامة والسياسة، ١: ١٧٩.

(٢) المصدر السابق.

مثلك في خطرك وشرفك ومنزلتك التي أنزلك الله بها، فلا تنازع إلىٰ قطيعتك، واتّق الله ولاتردّنّ هٰذه الأمّة في فتنة، وانظر لنفسك ودينك وأمّة محمّد، ولايستخفّنّك الذين لايوقنون».[1]

أمّا الإمام الحسين عليه السلام فقد ردّ علىٰ معاوية الردّ الإحتجاجي الشامل الذي تضمّن إدانته معاوية بقتل حجر بن عديّ وأصحابه العابدين، وبقتل الصحابي الجليل عمرو بن الحمق، وبقتل عبدالله بن يحيىٰ الحضرمي، وباستلحاقه زياد بن عبيد الرومي ثمّ تسليطه علىٰ الأمّة يبطش بها، وذكّره مغبّة سوء العاقبة وزوال الدنيا، وأنّ للّٰه كتاباً لايغادر صغيرة ولا كبيرة إلاّ أحصاها، وكانت الفقرة الختاميّة في هٰذا الردّ الشامل: «واعلم أنّ الله ليس بناسٍ لك قتلك بالظنّة وأخذك بالتهمة، وإمارتك صبيّاً يشرب الشراب ويلعب بالكلاب، ما أراك إلاّ وقد أوبقت نفسك وأهلكت دينك وأضعت الرعية، والسلام».[2]

يقول ابن قتيبة: «وذكروا أنّه لمّا جاوب القوم معاوية بما جاوبوه من الخلاف لأمره والكراهيّة لبيعته ليزيد، كتب إلىٰ سعيد بن العاص يأمره أن يأخذ أهل المدينة بالبيعة ليزيد أخذاً بغلظة وشدّة، ولايدع أحداً من المهاجرين والأنصار وأبناءهم حتّىٰ يبايعوا، وأمره ألاّ يحرّك هٰؤلاء النفر ولايهيجهم. فلمّا قدم عليه كتاب معاوية أخذهم بالبيعة أعنف ما يكون من الأخذ وأغلظه فلم يبايعه أحدٌ منهم. فكتب إلىٰ معاوية أنّه لم يبايعني أحد، وإنّما الناس تبع لهٰؤلاء النفر، فلو بايعوك بايع الناس جميعاً ولم يتخلّف عنك أحد. فكتب إليه معاوية يأمره ألاّ

---

(١) الإمامة والسياسة، ١: ١٨٠.

(٢) نفس المصدر، ١: ١٨٢؛ وقد أوردنا النصّ الكامل لجواب الإمام عليه السلام (برواية الكشّي) في احتجاجاته عليه السلام علىٰ معاوية وبني أميّة، فراجع.

يحرّكهم إلىٰ أن يقدم، فقدم معاوية المدينة حاجّاً، فلمّا أن دنا من المدينة خرج إليه الناس يتلقّونه... حتّىٰ إذا كان بالجرف لقيه الحسين بن علي وعبد الله بن عبّاس، فقال معاوية: مرحباً بابن بنت رسول الله، وابن صنو أبيه، ثمّ انحرف إلىٰ الناس فقال: هٰذان شيخا بني عبد مناف، وأقبل عليهما بوجهه وحديثه، فرحبّ وقرّب، وجعل يواجه هٰذا مرّة ويضاحك هٰذا أخرىٰ حتّىٰ ورد المدينة، فلمّا خالطها لقيته المشاة والنساء والصبيان يسلّمون عليه ويسايرونه إلىٰ أن نزل فانصرفا عنه...».[1]

ثمّ إنّه أرسل إلىٰ الإمام الحسين عليه السلام، وعبدالله بن الزبير، وعبدالله بن عمر، وعبدالرحمن بن أبيبكر، كلٌّ علىٰ انفراد، ودعاهم إلىٰ قبول البيعة ليزيد، لكنّه لم يحصل منهم علىٰ ما يريد...

وفي اليوم الثاني، جلس مجلسه، وأمر حاجبه أن لا يأذن لأحد من الناس وإن قرب، «ثمّ أرسل إلىٰ الحسين بن علي وعبدالله بن عبّاس، فسبق ابن عبّاس، فلمّا دخل وسلّم عليه أقعده في الفراش علىٰ يساره فحادثه مليّاً... حتّىٰ أقبل الحسين بن عليّ عليه السلام، فلمّا رآه معاوية جمع له وسادة كانت علىٰ يمينه، فدخل الحسين وسلّم، فأشار إليه فأجلسه عن يمينه مكان الوسادة، فسأله معاوية عن حال بني أخيه الحسن وأسنانهم، فأخبره ثمّ سكت.

قال: ثمّ ابتدأ معاوية فقال: أمّا بعدُ، فالحمد للّٰه وليّ النعم، ومنزل النقم، وأشهد أن لا إله إلاّ الله المتعالي عمّا يقول الملحدون علوّاً كبيراً، وأنّ محمّداً عبده المختصّ المبعوث إلىٰ الجنّ والإنس كافّة لينذرهم بقرآن لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيلٌ من حكيم حميد، فأدّىٰ عن الله وصدع بأمره وصبر عن

---

(١) الإمامة والسياسة، ١: ١٨٢ ـ ١٨٣.

الأذىٰ في جنبه، حتّىٰ أوضح دين الله وأعزّ أولياءه، وقمع المشركين وظهر أمر الله وهم كارهون، فمضىٰ صلوات الله عليه وقد ترك من الدنيا ما بُذل له واختار منها الترك لما سخّر له زهادة واختياراً للّه وأَنفة واقتداراً علىٰ الصبر بغياً لما يدوم ويبقىٰ، فهٰذه صفة الرسول صلى الله عليه وآله.

ثمّ خلفه رجلان محفوظان وثالث مشكوك، وبين ذٰلك خوض طال ما عالجناه مشاهدة ومكافحة ومعاينة وسماعاً، وما أعلم منه فوق ما تعلمان.

وقد كان من أمر يزيد ما سُبقتم إليه وإلىٰ تجويزه، وقد علم الله ما أحاول به من أمر الرعيّة، من سدّ الخلل ولمّ الصدع بولاية يزيد، بما أيقظ العين وأحمد الفعل، هٰذا معناي في يزيد، وفيكما فضل القرابة وحظوة العلم وكمال المروءة، وقد أصبت من ذٰلك عند يزيد علىٰ المناظرة والمقابلة ما أعياني مثله عندكما وعند غيركما، مع علمه بالسنّة وقراءة القرآن والحلم الذي يرجح بالصمّ الصلاب!!

وقد علمتما أنّ الرسول المحفوظ بعصمة الرسالة قدّم علىٰ الصدّيق والفاروق ومن دونهما من أكابر الصحابة وأوائل المهاجرين يوم غزوة السلاسل من لم يقارب القوم ولم يعاندهم برتبة في قرابة موصولة ولا سُنّة مذكورة، فقادهم الرجل بأمره، وجمع بهم صلاتهم، وحفظ عليهم فيئهم، وقال ولم يقل معه، وفي رسول الله صلى الله عليه وآله أسوة حسنة.

فمهلاً بني عبدالمطّلب، فإنّا وأنتم شعبا نفعٍ وجدٍّ، وما زلت أرجو الإنصاف في اجتماعكما، فما يقول القائل إلاّ بفضل قولكما، فَرِدًا علىٰ ذي رحم مُستَعتِبٍ ما يحمد به البصيرة في عتابكما، وأستغفر الله لي ولكما.

قال: فتيسّر ابن عبّاس للكلام، ونصب يده للمخاطبة.

فأشار إليه الحسين فقال: علىٰ رسلك، فأنا المراد ونصيبي في التهمة أوفر!

فأمسك ابن عبّاس، فقام الحسين فحمد الله وصلّىٰ علىٰ الرسول، ثمّ قال:

«أمّا بعدُ يا معاوية فلن يؤدّي القائل وإن أطنب في صفة الرسول صلى الله عليه وآله من جميعٍ جزءاً، وقد فهمت ما لبست به الخلف بعد رسول الله من إيجاز الصفة والتنكّب عن استبلاغ البيعة.

وهيهات هيهات يا معاوية، فضح الصبح فحمة الدجىٰ، وبهرت الشمس أنوار السُّرُج، ولقد فضّلتَ حتّىٰ أفرطتَ، واستأثرتَ حتّىٰ أجحفتَ، ومنعتَ حتّىٰ بخلتَ، وجُرتَ حتّىٰ جاوزتَ، ما بذلت لذي حقّ من أَتمّ حقّه بنصيب، حتّىٰ أخذ الشيطان حظّه الأوفر ونصيبه الأكمل!!

وفهمت ما ذكرته عن يزيد، من اكتماله وسياسته لأمّة محمّد، تريد أن توهم الناس في يزيد، كأنّك تصف محجوباً، أو تنعت غائباً، أو تخبر عمّا كان ممّا احتويته بعلم خاصّ.

وقد دلّ يزيد من نفسه علىٰ موقع رأيه، فخذ ليزيد فيما أخذ به من استقرائه الكلاب المُهارشة عند التحارش، والحمام السُّبّق لإترابهنّ، والقينات ذوات المعازف، وضروب الملاهي، تجده ناصراً.

ودع عنك ما تحاول، فما أغناك أن تلقىٰ الله بوزر هٰذا الخلق بأكثر ممّا أنت لاقيه، فوالله ما برحت تقدح باطلاً في جور، وحنقاً في ظلم، حتّىٰ ملأت الأسقية، وما بينك وبين الموت إلاّ غمضة، فتقدم علىٰ عملٍ محفوظٍ في يومٍ مشهودٍ، ولات حين مناص.

ورأيتك عرّضت بنا بعد هٰذا الأمر، ومنعتنا عن آبائنا تراثاً، ولقد لعمرُالله أورثنا الرسول صلى الله عليه وآله ولادة، وجئت لنا بها ما حججتم به القائم عند موت الرسول، فأذعن للحجّة بذٰلك، وردّه الإيمان إلىٰ النصف، فركبتم الأعاليل وفعلتم الأفاعيل، وقلتم كان ويكون، حتّىٰ أتاك الأمر يا معاوية من طريق كان قصدها لغيرك، فهناك فاعتبروا يا أولي الأبصار.

وذكرت قيادة الرجل القوم بعهد رسول الله صلى الله عليه وآله وتأميره له، وقد كان ذٰلك ولعمرو بن العاص يومئذٍ فضيلة بصحبة الرسول وبيعته له وما صار لعمرو يومئذٍ حتّىٰ أَنِفَ القوم أمرته وكرهوا تقديمه وعدوّا عليه أفعاله، فقال صلى الله عليه وآله: لا جرم معشر المهاجرين لايعمل عليكم بعد اليوم غيري. فكيف يُحتجّ بالمنسوخ من فعل الرسول في أوكد الأحوال وأولاها بالمجتمع عليه من الصواب!؟ أم كيف صاحبت بصاحب تابعاً، وحولك من لايؤمَن في صحبته ولايعتمد في دينه وقرابته، وتتخطاهم إلىٰ مسرفٍ مفتون، تريد أن تلبس الناس شبهة يُسعد بها الباقي في دنياه وتشقىٰ بها في آخرتك، إنّ هٰذا هو الخسران المبين، وأستغفر الله لي ولكم.

قال: فنظر معاوية إلىٰ ابن عبّاس، فقال: ما هٰذا يا ابن عبّاس!؟ ولما عندك أدهىٰ وأمرُّ.

فقال ابن عبّاس: لعمرالله، إنّها لذرّيّة الرسول، وأحد أصحاب الكساء، ومن البيت المطّهر، فَالْهَ عمّا تريد، فإنّ لك في الناس مقنعاً حتّىٰ يحكم الله بأمره، وهو خير الحاكمين ...»[1]

وكان قد أرسل بعدهما إلىٰ عبدالرحمٰن بن أبي‌بكر وعبدالله بن الزبير وعبدالله بن عمر، وطلب إليهم أن يبايعوا يزيد، وادعّىٰ أنّها قضاء من قضاء الله الذي ليس للعباد الخيرة فيه!، فردّ عليه عبدالرحمٰن بن أبي‌بكر بشدّة رافضاً ذٰلك، وكذلك فعل ابن الزبير، ومع أن ابن عمر كان ليّناً في ردّه لقوله:«... ولكنّي إن استقام الناس فسأدخل في صالح ما تدخل فيه أمّة محمّد»[2] لكنّ اجتماع معاوية بهٰؤلاء الثلاثة قد انفضّ أيضاً دون أيّة نتيجة يرجوها معاوية.

---

(١) الإمامة والسياسة، ١: ١٨٥ – ١٨٨.

(٢) نفس المصدر، ١: ١٨٩.

ثمّ إنّه «احتجب عن الناس ثلاثة أيّام لايخرج، ثمّ خرج فأمر المنادي أن ينادي في الناس أن يجتمعوا لأمرٍ جامعٍ، فاجتمع الناس في المسجد، وقعد هٰؤلاء حول المنبر. فحمدالله وأثنىٰ عليه، ثمّ ذكر يزيد وفضله وقراءته القرآن، ثمّ قال: يا أهل المدينة، لقد هممتُ ببيعة يزيد، وما تركت قرية ولا مدرة إلاّ بعثت إليها ببيعته فبايع الناس جميعاً وسلّموا، وأخّرت المدينة بيعته، وقلتُ بيضته وأصله ومن لاأخافهم عليه، وكان الذين أبوا البيعة منهم من كان أجدر أن يصله، ووالله لو علمتُ مكان أحدٍ هو خيرٌ للمسلمين من يزيد لبايعت له!

فقام الحسين فقال: والله لقد تركت من هو خير منه أباً وأمّاً ونفساً!

فقال معاوية: كأنّك تريد نفسك؟

فقال الحسين: نعم، أصلحك الله.

فقال معاوية: إذن أخبرك، أمّا قولك خيرٌ منه أمّاً، فلعمري أمّك خير من أمّه، ولولم يكن إلاّ أنّها امرأة من قريشٍ لكان لنساء قريش فضلهنّ، فكيف وهي ابنة رسول‌الله صلّى عليه وسلّم، ثمّ فاطمة في دينها وسابقتها، فأمّك لعمرُ الله خير من أمّه، وأمّا أبوك فقد حاكم أباه إلىٰ الله فقضىٰ لأبيه علىٰ أبيك!

فقال الحسين: حسبك جهلك، آثرت العاجل علىٰ الآجل!

فقال معاوية: وأمّا ما ذكرت من أنّك خير من يزيد نفساً فيزيد والله خير لأمّة محمّد منك!!

فقال الحسين: هٰذا هو الإفك والزور، يزيد شارب الخمر، ومشتري اللهو خير منّي!؟[1]

---

(١) الإمامة والسياسة، ١: ١٨٩ ـ ١٩٠.

وفي رواية أخرىٰ...

«فقال الحسين عليه السلام: **من خيرٌ لأمّة محمّد، يزيد الخمور والفجور!؟**

فقال معاوية: مهلاً أباعبدالله، فإنّك لوذكرت عنده لما ذكر منك إلاّ حسناً.

فقال الحسين عليه السلام: **إن علم منّي ما أعلمه منه أنا فليقل فيَّ ما أقول فيه.**

فقال له معاوية: أبا عبدالله، إنصرف إلىٰ أهلك راشداً، واتّق الله في نفسك، واحذر أهل الشام أن يسمعوا منك ما قد سمعته، فإنّهم أعداؤك وأعداء أبيك.

قال: فانصرف الحسين عليه السلام إلىٰ منزله».[١]

وقدروىٰ ابن أعثم الكوفي في كتابه الفتوح هٰذه القصّة بنحو آخر: «أنّه لما كان من الغد خرج معاوية وأقبل حتّىٰ دخل المسجد، ثمّ صعد المنبر فجلس عليه، ونودي له في الناس فاجتمعوا إليه، وأقبل الحسين بن علي عليهما السلام، وابن أبي‌بكر، وابن عمر، وابن الزبير، حتّىٰ جلسوا إلىٰ المنبر ومعاوية جالس، حتّىٰ علم أنّ الناس قد اجتمعوا وثب قائماً علىٰ قدميه، فحمد الله وأثنىٰ عليه.

ثمّ قال: أيّها الناس، إنّا قد وجدنا أحاديث الناس ذات عوار، وإنّهم قد زعموا أنّ الحسين بن علي، وعبدالرحمٰن بن أبي‌بكر، وعبدالله بن عمر، وعبدالله بن الزبير لم يبايعو يزيد، وهٰؤلاء الرهط الأربعة هم عندي سادة المسلمين وخيارهم، وقد دعوتهم إلىٰ البيعة فوجدتهم إذاً سامعين مطيعين، وقد سلّموا وبايعوا وسمعوا وأجابوا وأطاعوا!

قال: فضرب أهل الشام بأيديهم إلىٰ سيوفهم فسلّوها، ثمّ قالوا: يا أمير المؤمنين، ما هٰذا الذي تُعظمه من أمر هٰؤلاء الأربعة!؟ إئذن لنا أن نضرب أعناقهم،

---

(١) الفتوح، ٤: ٣٣٩.

فإنّا لانرضىٰ أن يبايعوا سرّاً ولكن يبايعوا جهراً حتّىٰ يسمع الناس أجمعون.

فقال معاوية: سبحان الله، ما أسرع الناس بالشرّ، وما أحلىٰ بقائهم عندهم، إتّقوا الله يا أهل الشام ولاتسرعوا إلىٰ الفتنة، فإنّ القتل له مطالبة وقصاص.

قال: فبقي الحسين بن علي عليهما السلام، وابن أبي‌بكر، وابن عمر، وابن الزبير، حيارىٰ لايدرون ما يقولون، يخافون إن يقولوا: لم‌نبايع، الموت الأحمر تجاه أعينهم في سيوف أهل الشام أو وقوع فتنة عظيمة، فسكتوا ولم‌يقولوا شيئاً، ونزل معاوية عن المنبر، وتفرّق الناس وهم يظنّون أنّ هٰؤلاء الأربعة قد بايعوا.

قال: وقُرّبت رواحل معاوية فمضىٰ في رفاقه وأصحابه إلىٰ الشام.

قال: وأقبل أهل مكّة إلىٰ هٰؤلاء الأربعة فقالوا لهم: يا هٰؤلاء، إنّكم قد دعيتم إلىٰ بيعة يزيد فلم‌تبايعوا وأبيتم ذٰلك، ثمّ دعيتم فرضيتم وبايعتم!!

فقال الحسين عليه السلام: **لا والله ما بايعنا، ولكنّ معاوية خدعنا وكادنا ببعض ما كادكم به، ثمّ صعد المنبر وتكلّم بكلام، وخشينا إن رددنا مقالته عليه أن تعود الفتنة جذعاً، ولاندري إلىٰ ماذا يؤول أمرنا، فهٰذه قصّتنا معه».**[1]

❑ روايات مكذوبة علىٰ سيرة الإمام الحسين عليه السلام

في التراث الروائي الإسلامي هناك الكثير من الروايات المفتريات، وفيما يتعلّق بتأريخ حياة أهل بيت العصمة صلّى الله عليهم نصيب غير قليل من هٰذه الروايات المكذوبة.

ولم‌ينجُ تأريخ حياة سيّد الشهداء عليه السلام من أن تعلق به مجموعة من هٰذه

---

(١) الفتوح، ٤: ٣٤٣.

الروايات المفتريات.

والمؤسف أنّ بعض الذين كتبوا في حياة الإمام الحسين عليه السلام تلقّوا هٰذه الروايات المكذوبة تلقّي المسلّمات، وتناولوها بالشرح والتعليق، واستلهموا عظات موهومة منها،[1] ونذكر هنا من هٰذه الروايات المكذوبة أهمّ ما اعترضنا في متابعاتنا أثناء تحضيرنا لهٰذا البحث:

الرواية الأولىٰ:

يقول ابن عساكر في مطلع ترجمته للإمام الحسين عليه السلام:

«ووفد علىٰ معاوية، وتوجّه غازياً إلىٰ القسطنطينيّة في الجيش الذي كان أميره يزيد بن معاوية».[2]

لاشك أنّ من له أدنىٰ معرفة بشخصيّة الإمام الحسين عليه السلام وحكمته وإبائه ومعرفته بزمانه وأهل زمانه ومنهم معاوية ويزيد خاصّة، لايحتاج في تفنيد هٰذه الرواية المكذوبة إلىٰ تحقيق في سند ومناقشة في متن.

ومع هٰذا فإنّنا نقول هنا: إنّ ابن عساكر تفرّد بهٰذا الإدّعاء المُرسَل، ولم يأتِ له حتّىٰ بشاهدٍ واحدٍ، ولو بخبرٍ ضعيفٍ!

وقصّة غزوة القسطنطينية ذكرها ابن الأثير في (الكامل في التأريخ) في أحداث سنة تسع وأربعين هٰكذا: «في هٰذه السنّة، وقيل: سنة خمسين، سيَّرَ معاوية

---

(١) كما تورّط بهٰذا مثلاً عبدالله العلايلي في كتابه (الإمام الحسين عليه السلام) مع أنّه ادّعىٰ لنفسه في هٰذا الكتاب قدرة تحقيقية وتحليلية تلملم أطراف التأريخ ودقائقه المبعثرة فتخرج منها باستنتاجات وتقريرات صائبة!!

(٢) ابن عساكر (ترجمة الإمام الحسين عليه السلام) المحمودي: ٥.

جيشاً كثيفاً إلىٰ بلاد الروم للغزاة، وجعل عليهم سفيان بن عوف، وأمر ابنه يزيد بالغزاة معهم، فتثاقل واعتلَّ، فأمسك عنه أبوه، فأصاب الناس في غزاتهم جوع ومرض شديد، فأنشأ يزيد يقول:

ما إن أبالي بما لاقت جموعهم ... بالفرقدونة من حُمّىٰ ومن مومِ

إذا اتكأتُ علىٰ الأنماط مرتفقاً ... بدَيْرِ مُرّانَ عندي أمُّ كلثومِ

وأمّ كلثوم امرأته، وهي بنت عبدالله بن عامر.

فبلغ معاوية شعره فأقسم عليه ليلحقنّ بسفيان في أرض الروم، ليصيبه ما أصاب الناس، فسار معه جمع كثير أضافهم إليه أبوه، وكان في هٰذا الجيش ابن عبّاس وابن عمر وأبوأيّوب الأنصاري وغيرهم، وعبدالعزيز بن زرارة الكلابي... ثمّ رجع يزيد والجيش إلىٰ الشام، وقد توفّي أبوأيّوب الأنصاري عند القسطنطينيّة فدفن بالقرب من سورها...».[1]

فالمتيقّن من نصّ ابن الأثير إذن: هو أنّ يزيد لم يكن قائد هٰذا الجيش وأميره، وأنّ الإمام الحسين عليه السلام لم يكن في من حضر هٰذه الغزوة!

ويؤكّد الطبري في تأريخه عدم حضور الإمام الحسين عليه السلام في هٰذه الغزوة، وإن ادّعىٰ أنّ أميرها يزيد، قائلاً: «وفيها: كانت غزوة يزيد بن معاوية الروم، حتّىٰ بلغ القسطنطينيّة، ومعه ابن عبّاس وابن عمر وابن الزبير وأبوأيّوب الأنصاري».[2]

أمّا اليعقوبي فيقول: «وأغزىٰ معاوية يزيد ابنه الصائفة ومعه سفيان بن عوف الغامدي فسبقه سفيان بالدخول إلىٰ بلاد الروم، فنال المسلمين في بلاد الروم

---

(١) الكامل في التأريخ، ٣: ٤٥٨ ـ ٤٥٩.

(٢) تاريخ الطبري، ٤: ١٧٣.

حمّىٰ وجدري، وكانت أمّ كلثوم بنت عبدالله بن عامر تحت يزيد بن معاوية، وكان لها محبّاً...»[1] إلىٰ آخر القصّة.

وأقوىٰ الأدلّة علىٰ عدم حضور الإمام الحسين عليه السلام هٰذه الغزوة التي لم يكن يزيد أميرها أيضاً، هو أنّ الفضل بن شاذان رحمه الله سئل عن أبي أيّوب الأنصاري (خالد بن زيد) وقتاله مع معاوية المشركين، فقال رحمه الله: «كان ذٰلك منه قلّة فقه وغفلة، ظنّ أنّه إنّما يعمل عملاً لنفسه يقوّي به الإسلام ويوهي به الشرك، وليس عليه من معاوية شيئ كان معه أو لم يكن».[2] وهٰذا التصريح الصادر عن الفضل بن شاذان، وهو من أصحاب الأئمة: الجواد والهادي والعسكري عليهم السلام، وقيل إنّه من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام أيضاً، وهو من أجلّ فقهاء الشيعة ومتكلّميهم في عصره، هٰذا التصريح كاشف عن عدم حضور الإمام الحسين عليه السلام في هٰذه الغزوة، وذٰلك لأنّ الفضل لم يكن ليعيب علىٰ أبي أيّوب إشتراكه فيها مع علمه باشتراك الإمام عليه السلام فيها.

ولا يقال إنّ هناك احتمالاً في أنّ الفضل بن شاذان علم باشتراك أبي أيّوب ولم يعلم باشتراك الإمام عليه السلام، ذٰلك لأنّ منزلة الفضل العلميّة تمنع من ذٰلك، خصوصاً وهو من أصحاب مجموعة من أئمة الحقّ عليهم السلام، ثمّ إنّه لا يُتصوّر أنّ حضور أبي أيّوب الأنصاري في واقعةٍ ما أشهر وأظهر من حضور الإمام الحسين عليه السلام فيها بطبيعة الحال!!

هٰذا ولو أنّ الإمام عليه السلام كان قد اشترك فعلاً في هٰذه الغزوة، لصار ذٰلك الحدث من أشهر مسلّمات التأريخ، لأنّ الإعلام الأمويّ خاصّة في عهد معاوية كان

---

(١) تأريخ اليعقوبي، ١: ١٦٦.

(٢) اختيار معرفة الرجال (رجال الكشّي)، ١: ١٧٧، حديث ٧٧.

سيستثمر هٰذا الحدث أوسع الإستثمار في التبليغ والدعاية لصالح النظام الأمويّ في كلّ أنحاء البلاد الإسلاميّة، الأمر الذي يجعل من قضيّة اشتراك الإمام في هٰذه الغزوة أشهر من أن تخفىٰ علىٰ أحد، وأمنع من أن يرقىٰ إليها شكّ!

من كلّ ما مضىٰ يكون المتيقّن في قصّة هٰذه الغزوة أمران هما: عدم اشتراك الإمام الحسين عليه السلام فيها، وثبوت اشتراك أبي أيّوب الأنصاري رحمه الله فيها.

الرواية الثانية

قال ابن عساكر أيضاً: أخبرنا أبومحمّد طاهر بن سهل بن بشر، أخبرنا أبوالحسن عليّ بن الحسن ابن صصرىٰ إجازة، أخبرنا أبومنصور طاهر بن العبّاس بن منصور المروزي العماري بمكّة، أخبرنا أبوالقاسم عبيدالله بن محمّد بن أحمد بن جعفر السقطي بمكّة، أخبرنا إسحق بن محمّد بن إسحق السوسي، أخبرنا أبوعمر الزاهد:

أخبرنا عليّ بن محمّد بن الصائغ، حدّثني أبي: قال:

رأيت الحسين بن عليّ بن أبي‌طالب بعينيّ وإلاّ فعميتا، وسمعته بأذنيّ وإلاّ فصمتا، وفد علىٰ معاوية بن أبي‌سفيان زائراً فأتاه في يوم جمعة وهو قائم علىٰ المنبر خطيباً

فقال له رجل من القوم: يا أمير المؤمنين إئذن للحسين بن عليّ يصعد المنبر.

فقال معاوية: ويلك، دعني أفتخر، فحمد الله وأثنىٰ عليه، ثمّ قال: سألتك بالله يا أباعبدالله، أليس أنا ابن بطحاء مكّة؟

فقال الحسين عليه السلام: إي والذي بعث جدّي بالحقّ بشيراً!

ثمّ قال: سألتك بالله يا أباعبدالله، أليس أنا خال المؤمنين؟

فقال: إي والذي بعث جدّي نبيّاً!

ثمّ قال: سألتك بالله يا أباعبدالله، أليس أنا كاتب الوحي؟

فقال: إي والذي بعث جدّي نذيراً!

ثمّ نزل معاوية، فصعد الحسين بن عليّ، فحمد الله عزّ وجلّ بمحامد لم يحمده الأوّلون والآخرون، ثمّ قال: حدّثني أبي، عن جدّي، عن جبرئيل عليه السلام، عن ربّه عزّ وجلّ: أنّ تحت قائمة كرسيّ العرش ورقة آسٍ خضراء مكتوب عليها: لاإله إلاّ الله، محمّد رسول الله، يا شيعة آل محمّد، لايأتي أحد منكم يوم القيامة يقول لاإله إلاّ الله إلاّ أدخله الله الجنّة.

قال: فقال معاوية بن أبي سفيان: سألتك بالله يا أباعبدالله، من شيعة آل محمّد؟

فقال: الذين لايشتمون الشيخين أبابكر وعمر، ولايشتمون عثمان، ولا يشتمون أبي، ولايشتمونك يا معاوية!

ثمّ قال ابن عساكر: هٰذا حديث مُنكَر، ولا أرى إسناده متّصلاً إلىٰ الحسين، والله أعلم».[١]

إضافة إلىٰ هٰذا، فإنّ عليّ بن محمّد الصائغ الراوي عن أبيه في سند هٰذه الرواية ممّن ضعفهم الخطيب أبوبكر علىٰ ما في (ميزان الإعتدال، ٣: ١٥٣ رقم ٥٩٢٤) وكذلك في (لسان الميزان، ٤: ٢٥٤ رقم ٦٩١).

وفي السند أيضاً من هو مجهول مثل المروزي العماري (لا ترجمة له في كتب الرجال المعروفة).

فالرواية لايُعبأ بها سنداً... أما متنها فيغني عن متابعة سندها لما فيه من افتراء

---

(١) تأريخ ابن عساكر (ترجمة الإمام الحسين عليه السلام) المحمودي: ٨، حديث ٦.

واضح على الإمام عليه السلام، حتّىٰ أنكره ابن عساكر نفسه الذي قد يغفل عن روايات منكرة كثيرة أو قد يغضّ الطرف عنها!

نعم، في متن هٰذه الرواية نصّ تؤيّده وتسنده روايات أُخرىٰ عندنا، وهو: «لاإله إلّا الله، محمّداً رسول الله، يا شيعة آل محمّد، لايأتي أحدٌ منكم يوم القيامة يقول لاإله إلّا الله إلّا أدخله الله الجنّة».

غير أنّ صاحب الإفتراء في هٰذه الرواية نسج حول هٰذا النصّ الإدعاءات الأُخرىٰ الكاذبة! المنافية للمأثور عن نهج وسيرة أبي عبدالله عليه السلام.

إنّ سيرة الإمام الحسين عليه السلام شاهدة علىٰ أنّه ما خطب في محفل عام إلّا ونشر من فضائل أهل البيت عليهم السلام وفضل شيعتهم ما تشرأبّ له الأعناق وتهفو له الأرواح، وكشف عن نقائص ومثالب أعدائهم من بني أميّة وغيرهم ما تشمئزّ منه النفوس.

والعارف بمنسوجات الإعلام الأمويّ ومفتعلاته من الروايات التي تصبّ في مجرىٰ تنظيف سمعة معاوية وعثمان وبعض الصحابة ممّن ليس لهم منقبة تُذكر في حياة النبيّ صلى الله عليه وآله يعلم من نسق المتن أنّ هٰذه الرواية من تلك المفتعلات المكذوبة والمنسوجات الموهومة.

الرواية الثالثة

«وقال عمر بن شبينة: حجّ يزيد في حياة أبيه، فلمّا بلغ المدينة جلس علىٰ شراب له، فاستأذن عليه ابن عبّاس والحسين فقيل له: إنّ ابن عبّاس إن وجد ريح الشراب عرفه، فحجبه وأذن للحسين، فلمّا دخل وجد رائحة الشراب مع الطيب.

فقال: للّٰه درُّ طيبك ما أطيبه! فما هٰذا؟

قال: هو طيب يصنع بالشام.

ثمّ دعا بقدح فشربه، ثمّ دعا بآخر، فقال: إسق أباعبدالله.

فقال له الحسين: عليك شرابك أيّها المرء لا عين عليك منّي!

فقال يزيد:

ألا يـــا صـــاح للـعجب ... دعـــــــوتك ثمّ لم تجب

إلىٰ الفــــتيات والشهـــوا ... ت والصهـــباء والطـــرب

وبـــــــاطية مكـــلّلة ... عـــليها ســادة العـــرب

وفـــــيهنّ التي تـــبلت ... فـــؤادك ثمّ لم تـــتب

فنهض الحسين وقال: بل فؤادك يا ابن معاوية تبلت».[1]

إنّ عمر بن شبينة أو (عمر بن سبيئة: كما في الكامل في التأريخ: ٣: ٣١٧} إدارة الطباعة المنيريّة ـ مصر ـ الطبعة الأولىٰ) أو عمر بن سمينة علىٰ إحتمال ثالث، ليس له ترجمة في كتب الرجال المعروفة. أمّا احتمال كونه عمر بن سفينة فقد قال فيه الذهبي في ميزان الإعتدال: «لايُعرف... وقال البخاري إسناده مجهول»[2] وعلىٰ احتمال كونه عمر بن شيبة؛ فقد قال فيه الذهبي أيضاً في ميزان الإعتدال: «مجهول».[3]

أمّا من جهة محتواها فهو أيضاً يغنينا في تكذيبها عن متابعة نوع سندها، ذٰلك لأنّه علىٰ فرض أنّ يزيد قد ذهب للحجّ فعلاً، فقد ذهب في السنين الأواخر من عمر أبيه معاوية، والأقوىٰ أن أباه دفعه إلىٰ الحجّ بعد أو أثناء محاولاته لأخذ البيعة

(١) الكامل في التأريخ، ٤: ١٢٧.

(٢) ميزان الإعتدال، ٣: ٢٠١.

(٣) نفس المصدر، ٣: ٢٠٥.

له بولاية العهد من بعده، لتشيع عنه مقالة الإيمان والصلاح والتقوىٰ خدعة، ودلائل هٰذه الحقيقة عديدة منها أنّ معاوية لما أراد أن يأخذ البيعة ليزيد من الناس، طلب من زياد أن يأخذ بيعة المسلمين في البصرة، فكان جواب زياد له: «فما يقول الناس إذا دعوناهم إلىٰ بيعة يزيد، وهو يلعب بالكلاب والقرود، ويلبس المصبّغ ويدمن الشراب، ويمشي علىٰ الدفوف، وبحضرتهم الحسين بن علي، وعبدالله بن عبّاس، وعبدالله بن الزبير، وعبدالله بن عمر!؟

ولكن تأمره ويتخلّق بأخلاق هٰؤلاء حولاً أو حولين، فعسانا أن نُمَوِّه علىٰ الناس!!».[1]

وهٰذا دليل علىٰ أنّ خدعة التخلّق بمظاهر التديّن في حياة يزيد إنّما كانت تمهيداً لأخذ البيعة له بولاية العهد، وما كان هٰذا إلّا بعد وفاة الإمام الحسن عليه السلام، أي في العقد الأخير من حياة معاوية.

وقد نصّ اليعقوبي في تأريخه أنّ يزيد وليَ الحجّ سنة إحدىٰ وخمسين للهجرة،[2] وكذلك قال ابن الأثير في تأريخه،[3] وكذلك قال الطبري في تأريخه.[4]

وفي تلك الأيّام، كان فسق وفجور يزيد أظهر من أن يخفىٰ علىٰ أكثر الناس بدليل نفس نصّ جواب زياد لمعاوية! فكيف يخفىٰ ذٰلك علىٰ الحسين عليه السلام!؟

في تلك الأيّام خاطب الإمام الحسين عليه السلام معاوية بصدد يزيد قائلاً:

«**وفهمت ما ذكرته عن يزيد من اكتماله وسياسته لأمّة محمّد، تريد أن توهم الناس في**

---

(١) تأريخ اليعقوبي، ٢: ٢٢٠.

(٢) نفس المصدر، ٢: ٢٣٩.

(٣) الكامل في التأريخ، ٣: ٤٩٠.

(٤) تاريخ الطبري، ٤: ٢١٣.

يزيد كأنّك تصف محجوباً أو تنعت غائباً أو تخبر عمّا كان ممّا احتويته بعلم خاصّ! وقد دلّ يزيد من نفسه علىٰ موقع رأيه، فخذ ليزيد فيما أخذ به من استقرائه الكلاب المهارشة عندالتحارش، والحمام السُّبَّق لأترابهنّ، والقينات ذوات المعازف، وضروب الملاهي، تجده ناصراً ودع عنك ما تحاول...».[1]

وفي تلك الأيّام قال عليه السلام لمعاوية أيضاً:

«...هٰذا هو الإفك والزور، يزيد شارب الخمر مشتري اللهو خير منّي...!؟».[2]

إذا كان هٰذا، فكيف نصدّق أنّ الإمام الحسين عليه السلام يستأذن للدّخول علىٰ يزيد في المدينة، وهو علىٰ هٰذه المعرفة التامّة بفسق يزيد وفجوره!؟

أليس في دخوله عليه ومجالسته معنىٰ التأييد والدعم له!؟ وكيف يوافق هٰذا معارضة الإمام عليه السلام الشديدة والصريحة لمعاوية في مسألة البيعة ليزيد!؟ إنّ هٰذا ما لايفعله مؤمن عاديّ يدرك الأثر السياسي والإجتماعي لمثل هٰذا الفعل، فما بالك بالإمام الحسين عليه السلام!؟ وهو يعلم أنّ في كلّ حركة أو سكنة منه إشارة ذات معنىٰ للأمّة.

ثمّ كيف يجسر يزيد علىٰ مثل هٰذا التصرّف بمحضر الإمام عليه السلام ـ علىٰ فرض أنّهما اجتمعا فعلاً ـ خصوصاً وأن سفر يزيد إلىٰ مكّة والمدينة كان لإظهار تديّنه وصلاحه وإظهار لياقته للخلافة!؟

لقد علّق المؤرّخ المصري الشيخ عبدالوهّاب النجّار في حاشية (الكامل في التأريخ) علىٰ هٰذه الرواية قائلاً:

---

(١) الإمامة والسياسة، ١: ١٨٧.

(٢) نفس المصدر، ١: ١٩٠.

«أعتقد أنّ هٰذه الأبيات مصنوعة منحولة، فلم‌يكن يزيد من البلاهة بحيث يعرض ذٰلك علىٰ الحسين ويوجد عليه مقالاً، وإذا نظرنا من جهة أخرىٰ إلىٰ أنّ معاوية إنّما ولّى ابنه الحجّ لتشيع عنه قالة الخير، ويوصف بالدين والتقوى، فلانشك في أنّ يزيد كان في حجّه يتسمّت ويظهر التمسّك بالدين وهٰذا ينافي هٰذه الرواية. وقد أحسن ابن جرير (الطبري) كلّ الإحسان في إهمالها ولعلّها اخترعت بعد زمانه!».[1]

الرواية الرابعة

«وأخبرنا محمّد بن أبي‌الأزهر قال: حدّثنا الزبير قال: حدّثنا أبوزيد عمر بن شبّة قال: حدّثنا سعيد بن عامر الضبعي، عن جويريّة بن أسماء قال:

لمّا أراد معاوية البيعة ليزيد ولده كتب إلىٰ مروان وهو عامله علىٰ المدينة، فقرأ كتابه وقال: إنّ أمير المؤمنين قد كبر سنّه ودقّ عظمه، وقد خاف أن يأتيه أمر الله تعالىٰ فيدع الناس كالغنم لا راعي لها، وقد أحبّ أن يُعلِمَ عَلَماً ويقيمَ إماماً!

فقالوا: وفّق الله أمير المؤمنين وسدّده، ليفعل!

فكتب بذٰلك إلىٰ معاوية، فكتب إليه: أن سمِّ يزيد!

قال: فقرأ الكتاب عليهم وسمّىٰ يزيد، فقام عبدالرحمٰن بن أبي‌بكر رضي الله عنه.

فقال: كذبت والله يا مروان وكذب معاوية معك! لايكون ذٰلك! لاتُحدِثوا علينا سنّة الروم! كلّما مات هرقل قام مكانه هرقل!

فقال مروان: إنّ هٰذا الذي قال لوالديه: أُفٍّ لكما أتعدانني أن أُخرج. قال: فسمعت ذٰلك عائشة (رض) فقالت: ألابن الصديق يقول هٰذا!؟ استروني.

---

(١) الكامل في التأريخ، ٣: ٣١٧ (إدارة الطباعة المنيرية ـ مصر ـ الطبعة الأولىٰ).

فستروها، فقالت: كذبت والله يا مروان، إنّ ذٰلك لرجلٌ معروف نسبه.

قال: فكتب بذٰلك مروان إلىٰ معاوية، فأقبل، فلمّا دنا من المدينة استقبله أهلها، فيهم عبدالله بن عمر وعبدالله بن الزبير والحسين بن علي وعبدالرحمٰن بن أبي‌بكر رضوان الله عليهم أجمعين.

فأقبل علىٰ عبدالرحمٰن بن أبي‌بكر فسبّه فقال: لا مرحباً بك ولا أهلاً!

فلمّا دخل الحسين عليه السلام قال: لا مرحباً بك ولا أهلاً، بَدَنَةٌ يترقرق دمها والله مهريقه!

فلمّا دخل ابن الزبير قال: لا مرحباً بك ولا أهلاً، ضبٌّ تلعة مدخلٌ رأسه تحت ذنبه!

فلمّا دخل عبدالله بن عمر قال: لا مرحباً بك ولا أهلاً وسبّه.

فقال: إنّي لست بأهل لهٰذه المقالة.

قال: بلىٰ، ولما هو شرّ منها!

قال: فدخل معاوية المدينة وأقام بها، وخرج هٰؤلاء الرهط معتمرين، فلمّا كان وقت الحجّ خرج معاوية حاجّاً.

فأقبل بعضهم علىٰ بعض فقالوا: لعلّه قد ندم!

فأقبلوا يستقبلونه. قال: فلمّا دخل ابن عمر قال: مرحباً بك وأهلاً بابن الفاروق، هاتوا لأبي عبدالرحمٰن دابّة! وقال لابن أبي‌بكر: مرحباً بابن الصدّيق، هاتوا له دابّة! وقال لابن الزبير: مرحباً بابن حواريّ رسول الله، هاتوا له دابّة! وقال للحسين: مرحباً بابن رسول الله، هاتوا له دابّة!

وجعلت ألطافُه تدخل عليهم ظاهرة يراها الناس، ويُحسن إذنهم وشفاعتهم.

قال: ثمّ أرسل إليهم!

فقال بعضهم لبعض: من يكلّمه؟

فأقبلوا علىٰ الحسين فأبى!

فقالوا لابن الزبير: هات، فأنت صاحبنا.

قال: علىٰ أن تعطوني عهد الله ألاّ أقول شيئاً إلاّ تابعتموني عليه!

قال: فأخذ عهودهم رجلاً رجلاً، ورضي من ابن عمر بدون ما رضي به من صاحبيه.

قال: فدخلوا عليه، فدعاهم إلىٰ بيعة يزيد، فسكتوا!

فقال: أجيبوني. فسكتوا!

فقال: أجيبوني. فسكتوا!

فقال لابن الزبير: هات، فأنت صاحبهم!

قال: إخترْ منّا خصلة من ثلاث!

قال: إنّ في ثلاث لمخرجاً.

قال: إمّا أن تفعل كما فعل رسول الله صلى الله عليه وآله.

قال: ماذا فعل؟

قال: لم يستخلف أحداً!

قال: وماذا؟

قال: أو تفعل كما فعل أبوبكر.

قال: فعل ماذا؟

قال: نظر إلىٰ رجل من عرض قريش فولّاه!

قال: وماذا؟

قال: أو تفعل كما فعل عمر بن الخطّاب.

قال: فعل ماذا!؟

قال: جعلها شورىٰ في ستّة من قريش!

قال: ألاتسمعون!؟ إنّي قد عوّدتكم علىٰ نفسي عادة، وإنّي أكره أن أمنعكموها قبل أن أبيّن لكم، إن كنت لاأزال أتكلّم بالكلام فتعترضون عليّ فيه، وتردّون عليّ، وإنّي قائم فقائل مقالة، فإيّاكم أن تعترضوا حتّىٰ أتمّها، فإن صدقت فعليَّ صدقي، وإن كذبتُ فعليَّ كذبي، والله لاينطق أحدٌ منكم في مقالتي إلاّ ضربتُ عنقه!

ثمّ وكّل بكلّ رجل من القوم رجلين يحفظانه لئلاّ يتكلّم...

وقام خطيباً فقال: إنّ عبدالله بن عمر وعبدالله بن الزبير والحسين بن علي وعبدالرحمٰن بن أبي‌بكر قد بايعوا، فبايعوا.

فانجفل الناس عليه يبايعونه، حتّىٰ إذا فرغ من البيعة ركب نجائبه فرمىٰ إلىٰ الشام وتركهم. فأقبل الناس علىٰ الرهط يلومونهم!

فقالوا: والله ما بايعنا، ولكن فعل بنا وفعل».[1]

ورواها ابن الأثير مرسلة بتفاوت في كتابه الكامل في التأريخ،[2] وفيها:

أنّ معاوية قال لابن الزبير أخيراً: هل عندك غير هٰذا!؟

---

(١) كتاب الأمالي (النوادر منه) لأبي علي القالي، ٣: ١٧٥ ـ ١٧٦، دارالكتب العلميّة ـ بيروت.

(٢) الكامل في التأريخ، ٣: ٥٠٨ ـ ٥١١.

قال: لا.

ثمّ قال: فأنتم!؟

قالوا: قولنا قوله!

كما رواها ابن قتيبة مرسلة بتفاوت أيضاً في الإمامة والسياسة.[1]

ويكفي في مناقشة سندها أن نقول إنّ الراوي الذي ينتهي إليه سند هٰذه الرواية هو جويريّة بن أسماء الذي قال فيه الإمام جعفر بن محمّد الصادقعليه‌السلام: «وأمّا جويريّة فزنديق لايفلح أبداً».[2]

وأمّا أوّل رجل في سندها، وهو محمّد بن أبيالأزهر فقد قال الذهبي في ترجمته: «يروي عن الزبير بن بكّار، فيه ضعف وقد تُرك، واتُّهم وقيل بل هو متّهم بالكذب. قال الخطيب: قد وضع أحاديث».[3]

فالرواية ساقطة سنداً.

أمّا متنها فقد احتوى علىٰ ما تأباه ساحة الحسينعليه‌السلام المقدّسة وتتنزّه عنه، من قبيل سكوته وهو صاحب شعار (هيهات منّا الذلّة) علىٰ الإهانة التي وجّهها إليه معاوية عندما لقيه علىٰ مشارف المدينة حيث قال له بزعم هٰذه الرواية:

«لا مرحباً بك ولا أهلاً، بدنة يترقرق دمها والله مهريقه!».

ومن قبيل تفويض الأمر لابن الزبير ليكون ناطقاً باسم كبّار المعارضين، والإمام الحسينعليه‌السلام يعلم من هو ابن الزبير وما هي دوافعه للمعارضة! ويعلم انحراف عقيدته! ويعلم رأيه في أهل البيتعليهم‌السلام وفي قضيّة الخلافة بالذات التي

(١) الإمامة والسياسة، ١: ١٩٠ ـ ١٩١.

(٢) إختيار معرفة الرجال (رجال الكشّي)، ٢: ٧٠٠، حديث ٧٤٢.

(٣) ميزان الإعتدال، ٤: ٣٥، دارالفكر.

هي أساس المحاجّة مع معاوية!!

فكيف يمكن للإمام عليه السلام أن يُمضي قول ابن الزبير وادّعاءه أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قبض ولم يستخلف أحداً!؟

أليس إمضاء هٰذا القول إقراراً بالمغالطة الكبرىٰ التي أُغتُصبت بها الخلافة، وتنازلاً عن مبدأ القول بالنصّ علىٰ خلافة عليّ عليه السلام!؟

هٰذا فضلاً عن أنّ الإمام عليه السلام لاتنقصه الجرأة والقدرة والبلاغة علىٰ مخاطبة معاوية بما هوالحقّ، وكلّ مواقف الإمام عليه السلام مع معاوية شاهدة علىٰ جرأته في الصدع بالحقّ والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر!



الفصل الثالث

☑ قصة بداية الثورة

الفصل الثالث

قصّة بداية الثورة

❑ موت معاوية بن أبي‌سفيان

حكم معاوية حوالي اثنين وأربعين سنة من عمره البالغ أكثر من سبعين سنة، منذ أن عيّنه عمر بن الخطّاب في السنة الثامنة عشرة من الهجرة والياً على دمشق خلفاً لأخيه يزيد بن أبي‌سفيان الذي توفّي فيمن توفّي في طاعون عمواس، إلى أن توفي معاوية في سنة ستّين للهجرة.

منها سبع عشرة سنة تقريباً والياً في عهد كلّ من عمر بن الخطّاب وعثمان بن عفّان، وخمس سنوات تقريباً متمرداً باغياً في عهد أميرالمؤمنين عليّ بن أبي‌طالب عليه السلام، ثمّ تسع عشرة سنة وبضعة أشهر ملكاً على جميع البلاد الإسلاميّة، وهوالقائل:

«أنا أوّل الملوك»[1] و«رضينابها ملكاً»[2].

ولو أغمضنا عن أهمّية وخطورة الدور الرئيس الذي قامت به قيادة حزب السلطة في تأسيس الإنحراف لرأينا معاوية بن أبي‌سفيان أهمّ الرجال خطراً وأثراً على الإسلام وعلى حياة المسلمين، وفيما مضى من هذا الكتاب أدلّة عديدة كافية

---

(١) البداية والنهاية، ٨ :١٤٤.

(٢) محاسن الوسائل في معرفة الاوائل: ٢٨٥

لإثبات هٰذه الحقيقة.

ومعاوية بن أبي‌سفيان ليس بدعاً من الطواغيت الذين تحكّموا في حياة الأمم ومصائرها، وأُشربوا حبّ الدنيا في قلوبهم، وانقادوا لشهواتهم في كلّ لذائذها انقياد منهوم لايرویٰ ولايشبع، إذا دنا منهم الأجل وأحسّوا بمرارة الفوت ولوعة الفراق وانتهاء المهلة، وأشرفوا علىٰ العذاب المقيم، تمنّوا أن لم‌يكونوا قد فعلوا ما فعلوا، «ولوردّوا لعادوا لما نهوا عنه وإنّهم لكاذبون».[١]

قال المسعودي:

«وذكر محمّد بن إسحاق وغيره من نقلة الآثار: أنّ معاوية دخل الحمّام في بدء علّته التي كانت وفاته فيها، فرأىٰ نحول جسمه، فبكىٰ لفنائه وما قد أشرف عليه من الدثور الواقع بالخليقة، وقال متمثّلاً:

أرىٰ الليالي أسرعت في نقضي ... أَخَذْنَ بعضي وتركن بعضي

حَنَيْنَ طولي وحَنَيْنَ عرضي ... أقعدنني من بعد طول نهضي

ولمّا أَزف أمره، وحان فراقه، واشتدّت علّته، وآيس من بُرئِهِ، أنشأ يقول:

فياليتني لم أُغْنَ في الملك ساعة ... ولَمْ‌أك في اللذات أعشىٰ النواظر

وكنتُ كذِي طِمْرَين عاش ببُلْغَةٍ ... من الدهر حتّىٰ زار أهلَ المقابر»[٢]

وعلىٰ كثرة جرائمه الموبقة التي لاتحصىٰ، والدماء الزاكية المحرَّمة التي سفكها، والأعراض المصونة التي هتكها، قيل إنّه لمّا تناهبت جسمه العلّة، وشعر بدنوّ أجله، كان أشدّ ما يحزنه من تلك الجرائم التي اقترفها جريمته المنكرة في

---

(١) سورة الأنعام: الآية ٢٨.

(٢) مروج الذهب، ٣ :٥٨.

قتل حُجر بن عديّ الكنديﷺ وأصحابه الميامين، فقد كان يقول:

«ويلي منك يا حجر» و«إنّ لي مع ابن عديّ ليوماً طويلاً!»[١].

وكان معاوية أواخر أيّامه يستشعر ملل الأمّة منه وسئمها من وجوده، حتّىٰ لقد روي أنّه قد خطب قبل مرضه فقال: «إنّي كزرعٍ مستحصد وقد طالت إمرتي عليكم حتّىٰ مللتُكم ومللتموني وتمنّيت فراقكم وتمنّيتم فراقي...»[٢]، كما كان معاوية يستشعر قبيل وفاته أنّ الناس شامتون به لقرب رحيله إلىٰ دار الجزاء ولمصيره الأسود عند الله تعالىٰ، فقد روي أنّه:

«لمّا ثقل معاوية، وحدّث الناس أنّه الموت، قال لأهله: احشوا عينيّ إثمداً وأوسعوا رأسي دهناً. ففعلوا وبرّقوا وجهه بالدهن، ثمّ مُهِّدَ له، فجلس وقال: أسندوني، ثمّ قال: إئذنوا للناس فليسلّموا قياماً ولايجلس أحدٌ، فجعل الرجل يدخل فيسلّم قائماً فيراه مكتحلاً مدهّناً، فيقول: يقول الناس هو لما به، وهو أصحّ الناس !!، فلمّا خرجوامن عنده قال معاوية:

وتجلّدي للشامتين أريهم ... أنّي لريب الدهر لاأتضعضع

وإذا المنيّة أنشبت أظفارها ... ألفيت كلّ تميمة لاتنفعُ

قال: وكان به النفاثات[٣] فمات من يومه ذٰلك.»[٤]

---

(١) الفتنة الكبرىٰ، ٢ : ٢٢٤.

(٢) الكامل في التأريخ، ٤ :٥.

(٣) النفاثات: لعلّه من الأمراض الصدرية التي فيها النفث: وهو خروج القشع أو الدم أو القيح أو غير ذٰلك.

(٤) تاريخ الطبري، ٤ :٢٤٠ ـ ٢٤١.

وهلك معاوية في النصف من رجب، وقيل: مات لهلال رجب، وقيل:لثمانٍ بقين منه.[١]

❑«ولولا هواي في يزيد لأبصرتُ رشدي وعرفتُ قصدي..»[٢]

هٰذه العبارة من أقوال معاوية التي لايمكن لمؤرّخ يتلمّس حقائق الأمور في ماوراء السطور أن يمرَّ عليها مرور الكرام دون أن يتأمّل في أبعاد دلالتـها، ذٰلك لأنّها من نوع العبارات التي تصدر عن الطواغيت في حالة من حالات الإسترخاء والضعف النفسي التي تتكشف فيها الأعماق المكنونة وتظهر فـيها المـضمرات على فلتات اللسان.

تُرىٰ ما هو هٰذا الرشد الذي عناه معاوية بقوله هٰذا!!؟

هل هو الإيمان والإستقامة علىٰ الصراط المستقيم وردّ حقّ كلّ ذي حقٍّ إليه والإنابة إلىٰ الله تبارك وتعالىٰ والتوبة إليه..!؟

لاشك أنّ الرشد الذي عناه معاوية ليس هٰذا، لأنّ وجود يزيد وحبّ معاوية الشديد له وتعلّقه به لم يكن يوماً ما عائقاً عن نيل هٰذا الرشد والوصول إليه، بل العكس هوالمحتمل احتمالاً قوّياً، وهو أنّ رشاد معاوية لو كان راشـداً يـحتمل احتمالاً كبيراً أن يكون سبباً في رشاد يزيد وهدايته.

وقد يتصوّر البعض أنّ معاوية كان علىٰ يقين بأنّ يزيد ليس أهلاً لتولّي زمام

---

(١) الكامل في التأريخ، ٤ :٦.

(٢) الفتوح، ٤: ٣٤٤؛ والبداية والنهاية، ٨ :١٢٦.

الحكم، وكان إصرار معاوية علىٰ استخلاف يزيد إصراراً علىٰ ذنب كبير متيقّن، كما صرّح معاوية بذلك ليزيد فيما نسب إليه: «ما ألقىٰ الله بشيءٍ أعظم من استخلافي إيّاك.»[1] وقد اقترف معاوية وزراً عظيماً فيما جناه علىٰ الأمّة بتحويل الخلافة إلىٰ ملك عضوض لايُعنىٰ فيه بإرادة الأمّة واختيارها!!

ولكن، متىٰ كان الأب أهلاً وصالحاً حتّىٰ يرىٰ عدم تأهّل إبنه وزراً!؟

وهل حكم الأب بإرادة الأمّة واختيارها حتّىٰ يرىٰ تحوّل الحكم إلىٰ ملك عضوض وزراً كبيراً يلقىٰ الله به !؟ والأب هو القائل: رضينا بها ملكاً، وأنا أوّل الملوك، مستهزئاً بالخلافة وباختيار الأمّة!!

إنّ الرشد الذي عناه معاوية هو: تهيئة كلّ عوامل دوام الحكم الأمويّ وبقائه، واستمرار آثار ضلاله علىٰ الأرض!!

وتوضيح ذلك: أنّ معاوية بما لديه من خبرة عميقة، وتجربة طويلة، ودهاء نادر، كان يعلم أنّ استمرار نجاح جهود حركة النفاق التي انتجت الحكم الأمويّ الجاهلي المتستّر بالمظهر الإسلامي، يقتضي فيما يقتضيه أن يأتي بعد معاوية حاكم آخر داهية أيضاً يتصنّع الإيمان والحكمة والحلم، ولايرتكب من الحماقات ما يفضح خطّة التستّر بلباس الدين، حتّىٰ تستمرّ الخدعة إلىٰ وقت لايبقىٰ من الدين إلاّ إسمه، ومن القرآن إلاّ رسمه، ومن التشريع إلاّ ما وافق الشرعة الأمويّة.. هٰذا هوالرشد الذي عناه معاوية!!

ومعاوية يعلم أنّ هٰذه المتطلّبات لاتتوفر في يزيد، بل في يزيد من الرعونة والحماقة والإفتضاح ما يكفي لهدم ما بنته حركة النفاق طيلة خمسين سنة بعد

---

(١) حياة الإمام الحسين عليه السلام، ٢: ١٩٧.

رسول الله صلى الله عليه وآله...

لكنّ معاوية في حبّه لذاته وليزيد كامتداد وجودي ونسبي له كان قد أصرّ على استخلاف يزيد انقياداً لهٰذا الهوىٰ، وهٰذا هو معنىٰ التعارض الذي عناه في عبارته:

ولولا هواي في يزيد لأبصرت رشدي..

وقد ظنّ معاوية علىٰ ما يبدو أنّ نقاط الضعف في شخصيّة يزيد يمكن أن تعالج بوصايا تفصيليّة يوصىٰ بها، وبإحاطته بمستشارين أكفاء يحولون بينه وبين أن يرتكب حماقة كبرىٰ لا يجبر كسرها ولا يرتق فتقها.

وهٰكذا كان، ومن أهمّ وصايا معاوية لابنه يزيد الوصية التي رسم له فيها كيفيّة التعامل مع رؤوس المعارضة، والتي ورد فيها:

«أنظر أهل الحجاز فإنّهم أصلك، فأكرم من قدم عليك منهم، وتعاهد من غاب، وأنظر أهل العراق فإنْ سألوك أن تعزل عنهم كلّ يوم عاملاً فافعل، فإنّ عزل عامل أحبّ اليّ من أن تُشهر عليك مائة ألف سيف، وانظر أهل الشام فليكونوا بطانتك وعيبتك، فإن نابك شئ من عدوّك فانتصر بهم، فإذا أصبتهم فاردد أهل الشام إلىٰ بلادهم، فإنّهم إن أقاموا بغير بلادهم أخذوا بغير أخلاقهم.

وإنّي لست أخاف من قريش إلاّ ثلاثة، حسين بن عليّ، وعبدالله بن عمر، وعبدالله بن الزبير، فأمّا ابن عمر فرجلٌ قد وقذه الدين(!) فليس ملتمساً شيئاً قبلك. وأمّا الحسين بن عليّ فإنّه رجل خفيف(!) وأرجو أن يكفيكه الله بمن قتل أباه وخذل أخاه، وإنّ له رحماً ماسّة وحقّاً عظيماً وقرابة من محمّد صلّى الله عليه وسلّم ولاأظنّ أهل العراق تاركيه حتّىٰ يخرجوه، فإن

قدرت عليه فاصفح عنه، فإنّي لو أنّي صاحبه عفوت عنه. وأمّا ابن الزبير فإنّه خَبٌّ ضبٌّ، فإذا شخص لك فالْبَد له، إلاّ أن يلتمس منك صلحاً، فإن فعل فاقبل، واحقن دماء قومك ما استطعت».[1]

هٰذه الوصية ـ مع ما أريد فيها من ثناء علىٰ ابن عمر وإساءة للإمام عليه السلام ـ تنسجم تماماً مع الخطّ العام لمنهج معاوية، خاصّة في نوع التعامل المطلوب مع الإمام الحسين عليه السلام، ذٰلك لأنّ معاوية يدرك تماماً أن قتل الإمام الحسين عليه السلام في مواجهة علنيّة عموماً وبالطريقة التي يختارها ويرسم حركة أحداثها الإمام الحسين عليه السلام خصوصاً سيقلب السحر علىٰ الساحر، وسيفصل الإسلام عن

---

(١) تاريخ الطبري: ٢٣٨ ـ ٢٣٩؛ وقد روى الشيخ الصدوق رحمه الله في أماليه: ١٢٩ المجلس الثلاثون: حديث ١ هٰذه الوصية بتفاوت: عن الصادق: عن الباقر، عن السجّاد عليهم السلام

وفيها: «لما حضرت معاوية الوفاة دعا إبنه يزيد لعنه الله فأجلسه بين يديه فقال له: ...» وهٰذا كاشف عن أنّ يزيد تلقّىٰ الوصيّة حضوراً عن أبيه.

وفيها:«..فأمّا عبدالله بن عمر فهو معك فالزمه ولاتدعه ..» وهٰذا كاشف عن انتماء ابن عمر في الحقيقة إلىٰ حركة النفاق، وعن تأييده للحكم الأمويّ وإن أظهره الحكم الأمويّ نفسه كأحد المعارضين الذين يُخشىٰ منهم! إنّه صوت أمويّ قد اندسّ في رجال المعارضة كذباً وزوراً، والمتأمّل في محاوراته مع الإمام الحسين عليه السلام يرىٰ هٰذه الحقيقة واضحة تماماً.

وفيها:«..وأمّا الحسين عليه السلام فقد عرفتَ حظّه من رسول الله صلى الله عليه وآله: وهو من لحم رسول الله ودمه: وقد علمتُ لامحالة أنّ أهل العراق سيخرجونه إليهم ثمّ يخذلونه ويضيّعونه، فإن ظفرت به فاعرف حقّه ومنزلته من رسول الله صلى الله عليه وآله ولاتؤاخذه بفعله، ومع ذٰلك فإنّ لنا به خلطةً ورحماً وإيّاك أن تناله بسوء ويرىٰ منك مكروهاً...»». وهٰذا كاشف عن أنّ موقف معاوية في ألّا يواجه الإمام عليه السلام مواجهة علنيّة، وأن يعفىٰ عنه في حال وقوع مثل هٰذه المواجهة العلنيّة ـ وقد فسّرنا أسباب هٰذا الموقف في المتن ـ قد ذكرته منابع الفريقين، الأمر الذي يُضعف جدّاً احتمال كون هٰذه الوصيّة مكذوبة علىٰ معاوية.

الأمويّة، ويمزّق الإطار الديني الذي يتشبّث به الحكم الأمويّ، ويمنح الأمّة روحاً ثوريّة وتضحويّة جديدة خالصة من كلّ شوائب وآثار الشلل النفسي، وبذٰلك تتتابع الثورات ضدّ الحكم الأمويّ، وعندها يبدأ العدّ التنازلي لعمر هٰذا الحكم حتّىٰ يصل إلىٰ نهايته المحتومة، فيمسي خبراً من أخبار تأريخ الأمم، وحديثاً من أحاديث الحضارات البائدة، ولن تجد لسنّة الله تبديلاً.

من هنا..يطمئنّ الباحث المتأمّل إلىٰ أنّ معاوية ـ لهٰذه الأسباب ـ لابدّ أن يوصي يزيد بالمتاركة مع الإمام الحسين عليه السلام وبعدم إثارته والتعرّض له بما يدفعه إلىٰ التمرّد والخروج والثورة، وبالعفو عنه في حال المقدرة عليه.

وليس ذٰلك من معاوية حبّاً للإمام عليه السلام، بل حرصاً علىٰ بقاء واستمرار الحكم الأمويّ، وخوفاً من النتائج الضارّة التي تفرزها المواجهة العلنيّة معه.

وقد رويت هٰذه الوصيّة في المصادر التأريخيّة بصورة أخرىٰ[١]، فيها أنّ معاوية تخوّف علىٰ يزيد من أربعة لا من ثلاثة، والرابع هو عبدالرحمٰن بن أبي‌بكر، في حين أنّ هٰذا الأخير كان قد توفّي قبل معاوية، ممّا دفع ببعض المحقّقين[٢] إلى رفض هٰذه الوصيّة والقول بأنّها مكذوبة، لهٰذا السبب ولأسبابٍ أخرىٰ منها أنّه لايُعقل أن يوصي معاوية ابنه يزيد بالعفو عن الإمام الحسين عليه السلام إن ظفر به!

إذ: «لم‌يكن معاوية بالذي يرعىٰ لرسول‌الله صلى الله عليه وآله حرمة أو قرابة حتّىٰ يوصي إبنه برعاية آل محمّد، كلاّ أبداً، فقد حارب الرسول في الجاهليّة حتّىٰ أسلم كرهاً يوم فتح مكّة، ثمّ حارب صهر الرسول وخليفته وابن عمّه عليّاً، ونزا علىٰ خلافة

(١) تاريخ الطبري، ٤ : ٢٣٨؛ والكامل في التأريخ، ٤: ٦.

(٢) راجع حياة الإمام الحسين عليه السلام، ٢: ٢٣٦ ـ ٢٣٨.

المسلمين، وانتزعها قهراً، وسمَّ ابن بنت الرسول الحسن، فهل يُصدَّق بعد هٰذا كلّه أن يوصي بمثل ما أوصىٰ به !؟»[١]

والمتأمّل يرىٰ أنّ استبعاد هٰذا المحقّق لهٰذه الوصيّة علىٰ أساس هٰذا السبب، إنّما نشأ عن الخلط بين المواجهة العلنيّة مع الإمام عليه السلام والمواجهة السرية معه من حيث نوع الآثار والنتائج، أو عن تصوّر أنّ الأمر منحصر في المواجهة السريّة التي يتمّ فيها قتل الإمام عليه السلام بتدبير وتخطيط من الحكم الأمويّ في ظروف زمانيّة ومكانيّة يختارها ويصنعها الحكم الأمويّ نفسه.

نعم، في المواجهة السريّة يمكن لمعاوية أو يزيد أن يتوسّل لقتل الإمام عليه السلام بوسائل متعدّدة، منها السمّ والإغتيال، وغير ذٰلك، ثمّ يُموِّهُ علىٰ مقتله بأكثر من ادّعاء كاذب لتبرئة ساحته من تلك الجريمة، فتنطلي الحيلة علىٰ الأمّة، ولايكون لمقتله عليه السلام في مثل هٰذه المواجهة تلك الآثار المحذورة التي تكون لمقتله في مواجهة علنيّة مكشوفة.

ولكنّ الأمر ليس منحصراً في احتمال المواجهة السريّة، بل هناك احتمال حصول المواجهة العلنيّة التي يستطيع فيها الإمام عليه السلام نفسه أن يختار ظروفها الزمانيّة والمكانيّة ويصنع أجواءها الإعلاميّة والتبليغيّة كما يريد هو لا كما يريد معاوية أو يزيد، فتكون كلّ آثارها ونتائجها في صالح الإمام عليه السلام وفي ضرر الحكم الأمويّ، كما حصل ذٰلك بالفعل في واقعة عاشوراء سنة إحدىٰ وستّين للهجرة، الأمر الذي كان يخشاه معاوية ويتحاشاه طيلة أيّام المواجهة بينه وبين الإمام الحسين عليه السلام.

لقد كان معاوية يعلم يقيناً أنّه: في إطار مواجهة علنيّة وخصوصاً المواجهة

---

(١) حياة الإمام الحسين عليه السلام ، ٢: ٢٣٩.

التي تتمّ في ظروف زمانيّة ومكانيّة وعسكريّة وإعلاميّة بتخطيط من الإمام عليه السلام يكون العفو عن الإمام عليه السلام عملاً إعلامياً لصالح النظام الأمويّ، ولذا فإنّ هٰذه الوصيّة في هٰذه الحدود منطقيّة ومنسجمة مع دهاء معاوية ونمط تفكيره، ولايصحّ استبعادها.

وقال هٰذا الكاتب في الختام:

«ولو أنّ الوصيّة المزعومة كانت صحيحة لما كان يزيد لا همَّ له بعد موت أبيه إلاّ تحصيل البيعة من الحسين وتشديده علىٰ عامله بالمدينة بلزوم إجبار الحسين علىٰ البيعة».[١]

و واضحٌ أنّه لاتلازم بين وجود الوصيّة وبين تنفيذها من قبل يزيد، فمن الممكن أن يوصي معاوية يزيد بأمور ثمّ لاينفّذها ولايأخذ بها يزيد، وقد أوصىٰ معاوية يزيد بأمور لم‌يطعه فيها أيّام حياته، منها مثلاً عدم إظهار التهتّك، والتستّر عليه، والفارق بين الشخصيّتين واضح وكبير!

وقد يُقال:

إنّ هٰذه الوصيّة كانت في غياب يزيد، وقد حمّلها معاوية كلاًّ من الضحاك بن قيس الفهري ومسلم بن عقبة المرّي ليوصلاها إلىٰ يزيد، ومن المحتمل أنّها لم‌تصل إليه!

وهٰذا أمر مستبعد، لم‌تحمل أيّة رواية تأريخيّة إشارة ما إلىٰ احتماله. ومع هٰذا فإنّ من البعيد جدّاً أيضاً أنّ معاوية منذ أن عزم علىٰ استخلاف يزيد من بعده

---

(١) حياة الإمام الحسين عليه السلام، ٢: ٢٣٩ نقلاً عن بحث للأستاذ عبدالهادي المختار في مجلة الغري: السنة الثامنة: العدد ٩ و١٠.

لايكون قد شافه وطارح يزيد بآرائه ووصاياه في كلّ القضايا المهمّة التي ستواجه يزيد أثناء حكمه، ولاشك أنّ هٰذه القضيّة هي الأهمّ.

نعم، يمكن أن يقال في ختام بحث هٰذه المسألة:

إنّ معاوية بإصراره علىٰ تنصيب يزيد من بعده، وأخذه الناس بالبيعة له بولاية العهد كان قد أمضىٰ عملياً قتل الإمام الحسين عليه السلام من بعده، وذٰلك لأنّه يعلم أنّ يزيد سيرتكب هٰذه الجريمة الشنعاء من طريقين علىٰ الأقلّ هما:

أولاً: كان قد انتشر في الأمّة أن الإمام الحسين عليه السلام يُقتل في أرض في العراق يقال لها كربلاء مع كوكبة من أهل بيته وأصحابه، وكان قد انتشر أيضاً أنّ يزيد قاتله، بل كان عمر بن سعد إذا دخل مسجد الكوفه أشار الناس إليه قائلين: هٰذا قاتل الحسين، حتّىٰ شكا ذٰلك إلىٰ الإمام الحسين عليه السلام نفسه، كلُّ ذٰلك نتيجة ما تناقلته الأمّة من الإخبارات الكثيرة بذٰلك، مأثورة عن النبيّ صلى الله عليه وآله وعن أمير المؤمنين والحسن والحسين عليهم السلام وعن جمع من الصحابة.

فهل يُعقل أنّ معاوية لم يسمع بذٰلك، وهو الذي كان يتابع كلّ شاردة من أخبار الملاحم المأثورة عن النبيّ صلى الله عليه وآله وعن أمير المؤمنين عليه السلام وخصوصاً فيما يتعلّق بمستقبل بني أميّة وعدد حكّامهم وكم يحكمون وما إلىٰ ذٰلك.

ثانياً: كان معاوية يتباهىٰ أنّه أعرف الناس بالرجال عامّة وبقريش خاصّة، فهل يُتصوّر أنّه لم يعرف يزيد ابنه وهو منه علىٰ هٰذا القرب، من حيث التركيب النفسي والمؤثرات الحاكمة في شخصيّته والميول الطاغية عليه، وكيفيّة نظره في الأمور وطريقة معالجته المشاكل، بل وحقده وحنقه علىٰ الإمام الحسين عليه السلام خاصّة، أليس معاوية هو القائل في رسالة للإمام الحسين عليه السلام: «ولكنّي قد ظننت يا ابن أخي أنّ في رأسك نزوة وبودّي أن يكون ذٰلك في زماني فأعرف لك قدرك

وأتجاوز عن ذلك، ولكنّي والله أتخوّف أن تُبتلىٰ بمن لاينظرك فواق ناقة...»[١]

يعني يزيد!؟

من هنا، فإنّ النتيجة العمليّة الأولىٰ لإصرار معاوية علىٰ استخلاف يزيد بعده هي قتل الإمام الحسين عليه السلام علىٰ علم من معاوية بذلك، ولاينافي هذا أنّه حاول أن يحول دون تحقّق هذا الأمر بالتأكيدات والوصايا التي حثّ فيها يزيد على المسامحة مع الإمام عليه السلام والعفو عنه إن ظفر به.

وهذا الإصرار من معاوية علىٰ استخلاف يزيد يعني أيضاً أنّ معاوية الذي أشاد كيان الحكم الأمويّ كان أوّل من أهوى بمعول الهدم علىٰ هذا الكيان بتنصيبه يزيد حاكماً بعده.

وقد حقّ له أن يقول:

ولولا هواي في يزيد لأبصرت رشدي وعرفت قصدي!!

❑شخصية يزيد بن معاوية

ولد يزيد بن معاوية في الشام سنة ٢٥ أو ٢٦ للهجرة، في قصر إمارة كثر فيه الترف وكثر العبيد والخدم، و«يبدو مستغرباً بادئ ذي بدء أن نعرف أنّ يزيد نشأ نشأة مسيحيّة تبعد كثيراً عن عرف الإسلام، وتزيد بالقارئ الدهشة إلىٰ حدّ الإنكار، ولكن لايبقىٰ في الأمر ما يدعو إلىٰ الدهشة إذا علمنا أنّ يزيد يرجع بالأمومة إلىٰ بني كلب، هذه القبيلة التي كانت تدين بالمسيحيّة قبل الإسلام، ومن بديهيّات علم الإجتماع أنّ إنسلاخ شعب كبير من عقائده يستغرق زمناً طويلاً،

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ١٨ : ٣٢٧.

بين معاودات نفسيّة ورجعات ضميريّة وذكريّات وجدانيّة، وبالأخصّ إذا كانت عقيدة سيطرت علىٰ الأفكار والعادات والعرف العام.

والتأريخ يحدّثنا أنّ يزيد نشأ فيها إلىٰ طور الشباب، أو حتّىٰ جاوز طور الطفولة. ومعنىٰ هٰذا أنّه أمضىٰ الدور الذي هو محطّ أنظار المربّين وعنايتهم، وبذٰلك ثبت علىٰ لون من التربية النابية تمازجها خشونة البادية وجفاء الطبع. علىٰ أنّ طائفة من المؤرّخين ترجّح ولايبعد أن يكون صحيحاً أنّ من أساتذة يزيد بعض نساطرة[1] الشام من مشارقة النصارىٰ، وربّما شهد لهٰذا التقدير ما جاء في تأريخ الشام لابن عساكر (من أنّ يزيد كان يعرف طرفاً من الهندسة) هٰذا الفنّ الذي كان مجهولاً من العرب، ممّا يضعنا أمام الأمر الواقع الذي يتّسق تفسيره علىٰ هٰذه الوجه، ولايخفىٰ ما يكون لهٰذه التربية من أثرٍ سيئ فيمن سيكون وليّ أمر المسلمين... فقد كان يتزيّد في تقريب المسيحيّين ويستكثر منهم في بطانته الخاصّة، لما إنّه يقع بينهم علىٰ من يمتزج به وينسجم معه (علىٰ ما يقولون). ولقد اطمأنّ إليهم حتّىٰ عهد بتربية ابنه إلىٰ مسيحي علىٰ ما لا اختلاف فيه بين المؤرّخين...

إذا كان يقيناً أو يشبه اليقين أنّ تربية يزيد لم‌تكن إسلاميّة خالصة، أو بعبارة أخرىٰ كانت مسيحيّة خالصة، فلم‌يبق ما يُستغرب معه أن يكون متجاوزاً مستهتراً مستخفّاً بما عليه الجماعة الإسلاميّة، لايحسب لتقاليدها واعتقاداتها أيّ حساب ولايقيم وزناً، بل الذي يُستغرب أن يكون علىٰ غيرذٰلك...».[2]

---

(١) النسطوريّة: أمّة من النّصارىٰ يخالفون بقيّتهم وهم بالرّومية نسطروس (لسان العرب: نسطر، ٥: ٢٠٦).

(٢) الإمام الحسين عليه السلام (العلايلي): ٥٨ ـ ٥٩.

وكان يزيد متهتّكاً في معاصيه ومباذله وهواياته لايأبه بالأعراف الإجتماعيّة ولايقيم لها وزناً، ولم‌يكن معاوية ينهاه عنها، بل كان يدعوه إلىٰ التستّر عليها كي لايفتضح فيشمت به عدوٌّ ويُساء به صديق، فقد قال له يوماً:

«يا بنيّ ما أقدرك على أن تصل حاجتك من غير تهتّك يذهب بمروءتك وقدرك ويشمتُ بك عدوّك ويسئ بك صديقك، ثمّ قال: يا بنيّ إنّي منشدك أبياتاً فتأدّب بها واحفظها، فأنشده:

انصب نهاراً في طلاب العلا ... واصبر علىٰ هجر الحبيب القريب

حتّىٰ إذا الليل أتىٰ بالدجىٰ ... واكتحلت بالغمض عين الرقيب

فباشر الليل بما تشتهي ... فإنّما الليل نهار الأريب

كم فاسقٍ تحسبه ناسكاً ... قد باشر الليل بأمرٍ عجيب

غطّىٰ عليه الليل أستاره ... فبات في أمنٍ وعيشٍ خصيب

ولذّة الأحمق مكشوفة ... يسعىٰ بها كلّ عدوٍّ مُريب[1]

وكأنّ معاوية يحدّثه عن تجربته هو فيما يتستّر به في الليل!!

ولمّا أراد معاوية أن يأخذ البيعة ليزيد من الناس، طلب من زياد أن يأخذ بيعة المسلمين في البصرة، فكان جواب زياد له: «فما يقول الناس إذا دعوناهم إلىٰ بيعة يزيد، وهو يلعب بالكلاب والقرود، ويلبس المصبّغ، ويُدمن الشراب، ويمشي علىٰ الدفوف...».[2]

وفي هٰذا الخبر إشارة واضحة إلىٰ أنّ يزيد كان مشهوراً بذٰلك عند الناس،

---

(١) البداية والنهاية، ٨: ٢٥٠.

(٢) تأريخ اليعقوبي، ٢: ٢٢٠.

ويؤيّد ذٰلك قول الإمام الحسين عليه السلام لمعاوية:

«كأنّك تصف محجوباً أو تنعت غائباً عمّا كان ممّا احتويته بعلم خاصّ، وقد دلّ يزيد من نفسه علىٰ موقع رأيه، فخذ ليزيد في ما أخذ من استقرائه الكلاب المهارشة عند التحارش، والحمام السُّبَّق لأترابهن، والقينات ذوات المعازف، وضروب الملاهي، تجده ناصراً ودع عنك ما تحاول...».[1]

بل هناك عبارة لابن كثير في تأريخه تصرّح باشتهار يزيد في ذٰلك:

«اشتهر بالمعازف وشرب الخمر والغناء والصيد، واتّخاذ الغلمان والقيان والكلاب، والنطاح بين الكباش والدباب والقرود، وما من يوم إلاّ ويُصبح فيه مخموراً...».[2]

بل عدّه بعض المؤرّخين من الأوائل في ذٰلك:

«كان يزيد بن معاوية أوّل من أظهر شرب الشراب والإستهتار بالغناء، والصيد واتّخاذ القيان والغلمان، والتفكّه بما يضحك منه المترفون من القرود، والمعافرة بالكلاب والديكة».[3]

ومنذ أن فتح عينيه علىٰ الدنيا في قصر أبيه، كانت كلّ طلباته مستجابة فوراً، فما تعوّد أن يُردَّ له طلب، وكان هٰذا من الأسباب الذي جعلت شخصيّته ذات بُعدٍ واحد خلافاً لشخصيّة أبيه المتعدّدة الأبعاد، وجعلت منه قاصر النظر ضعيف الرأي لاينظر إلىٰ أمرٍ ما إلاّ من زاوية واحدة من زواياه، ولذا فقد عالج القضايا

(١) الإمامة والسياسة، ١: ١٨٧.

(٢) البداية والنهاية، ٢: ٢٥٨.

(٣) معالم المدرستين، ٣: ٢٤ عن أنساب الأشراف.

المستعصية التي واجهها بحسم أرعن لايرتكز على أساسٍ من حكمة ونضج وبصيرة، وكأنّ الدنيا كلّها قصر أبيه المترف فلاينبغي لأحدٍ إلاّ أن يخضع لأمره ورغبته «ولم‌يكن يزيد يحتمل أن يلتوي عليه أحدٌ بطاعة، وإنّما كان يرىٰ أنّ طاعته حقٌّ علىٰ الناس جميعاً، فمن التوىٰ بها عليه فليس له عنده إلاّ السيف».[1]

وكان قصور نظره وضعف رأيه وتشنّجه النفسي قد تجلّىٰ في القضايا الكبرىٰ كقضيّة مواجهة الإمام الحسين عليه السلام، ومواجهة انتفاضة المدينة المنوّرة.

فقد كان يزيد هوالذي أمر بقتل الإمام الحسين عليه السلام، إذ قد خيّر عبيدالله بن زياد بين قتله أو قتل الإمام عليه السلام، وبين أن يبقىٰ حُرّاً يحمل اللقب الأمويّ أويعود عبداً روميّاً كما هو حقيقة، يقول عبيدالله بن زياد:

«أمّا قتلي الحسين فإنّه أشار إليّ يزيد بقتله أوقتلي فاخترتُ قتله...».[2]

وروىٰ اليعقوبي أنّ يزيد كتب إلىٰ عبيدالله بن زياد قائلاً:

«قد بلغني أنّ أهل الكوفة قد كتبوا إلىٰ الحسين في القدوم عليهم، وأنّه قد خرج من مكّة متوجّهاً نحوهم، وقد بُليَ به بلدك من بين البلدان، وأيّامك من بين الأيّام، فإن قتلته، وإلاّ رجعت إلىٰ نسبك وإلىٰ أبيك عُبَيدٍ، فاحذر أن يفوتك».[3]

لكنّ بعض المؤرّخين رووا هٰذه الرسالة بدون أمر يزيد الصريح بقتل الإمام عليه السلام، كمثل ابن عساكر الذي رواها مخفّفة هٰكذا:

«إنّه قد بلغني أنّ حسيناً صار إلىٰ الكوفة، وقد ابتلي به زمانك من بين الأزمان،

---

(١) الفتنة الكبرىٰ، ٢: ٢٣٧.

(٢) الكامل في التأريخ، ٤: ١٤٠.

(٣) تأريخ اليعقوبي، ٢: ٢٤٢.

وبلدك من بين البلدان، وابتليت به أنت من بين العمّال، وعندها تُعتقَ أو تعود عبداً كما تعتبدُ العبيد. فقتله ابن زياد وبعث برأسه إليه».[١]

وفي موضع آخر خفّف ابن عساكر من القضيّة تخفيفاً أكثر فقال:

«وبلغ يزيد خروجه فكتب إلىٰ عبيدالله بن زياد وهو عامله علىٰ العراق، يأمره بمحاربته وحمله إليه إن ظفر به، فوجّه اللعين عبيدالله بن زياد الجيش إليه مع عمر بن سعد بن أبي وقّاص».[٢]

والغريب أنّ الراوي في هٰذا النصّ الأخير يوجّه اللعن إلىٰ عبيدالله بن زياد ولايلعن يزيد الذي أمره بمحاربة الإمام عليه السلام!!

يقول عبدالله العلايلي:

«لذٰلك أعتمد رواية اليعقوبي المحقّقة (من أنّ يزيد أمر ابن زياد بقتل الحسين عليه السلام)، وأشك في غيرها وأميل إلىٰ أنّها[٣] تنصّلٌ من يزيد لمّا رأىٰ عِظم ما جنّت يداه، وإنّما إعتمدها المؤرّخون المعتدلون تخفيفاً لحمّىٰ المأساة».[٤]

ولو لم يكن يزيد هوالآمر بالقتل لما ترنّم حين رأىٰ السبايا والرؤوس المقدّسة علىٰ أطراف الرماح وقد أشرفوا علىٰ رُبىٰ نهر جيرون قائلاً:

لمّا بدت تلك الحمول وأشرقت   تلك الشموس علىٰ رُبىٰ جيرونِ

---

(١) تأريخ ابن عساكر (ترجمة الإمام الحسين عليه السلام تحقيق المحمودي: ٢٠٨، حديث ٢٦٠.

(٢) نفس المصدر: ٢٠٧، حديث ٢٥٩.

(٣) أي الروايات الأُخرىٰ.

(٤) الإمام الحسين عليه السلام (العلايلي): ٥٩ ـ ٦٠.

نعب الغرابُ فقلتُ صِحْ أو لاتصح فلقد قضيتُ من الغريمِ ديوني[١]

«ومن هنا حكم ابن الجوزي والقاضي أبويعلىٰ والتفتازاني والجلال السيوطي بكفره ولعنه...».[٢]

ويعترف يزيد بأنّه قاتل الإمام الحسين عليه السلام إقراراً، إذ لمّا «أُتي برأس الحسين إلىٰ يزيد بن معاوية بدمشق فنصب، فقال يزيد: عليّ بالنعمان بن بشير. فلمّا جاء:

قال: كيف رأيت ما فعل عبيدالله بن زياد؟

قال: الحربُ دُوَلٌ.

فقال: الحمدلله الذي قتله.

قال النعمان: قد كان أمير المؤمنين ـ يعني به معاوية ـ يكره قتله.

فقال: ذٰلك قبل أن يخرج، ولو خرج علىٰ أميرالمؤمنين والله قتله إن قدر...».[٣]

فيزيد في ردّه هٰذا يقرّ بتبنّي قتل الإمام الحسين عليه السلام إذا خرج، وقد حمد الله علىٰ قتله، ثمّ هو ينسب هٰذا الموقف إلىٰ أبيه معاوية خلافاً لما ورد في بعض الأخبار من طريق الفريقين[٤] من أنّ معاوية قد أوصاه بالمسامحة مع الإمام وبالعفو عنه، والتي هي أقرب إلىٰ منهج معاوية في دهائه، ولايبعد أن يكذب يزيد علىٰ أبيه بعد أن أدرك عظم ما اجترح في هٰذه المأساة، وهو الغرير الذي يفتقر حتّىٰ إلىٰ أبسط مسحة من الدهاء.

---

(١) تذكرة الخواص: ٢٣٥.

(٢) مقتل الإمام الحسين عليه السلام (المقرّم): ٣٥٠.

(٣) مقتل الحسين عليه السلام (الخوارزمي): ٥٩ ـ ٦٠.

(٤) راجع: تاريخ الطبري، ٤: ٢٣٨ ـ ٢٣٩؛ وأمالي الصدوق: ١٢٩، م ٣٠، حديث ١.

نعم قد يقدم معاوية على قتل الإمامعليه‌السلام، خرج أو لم يخرج، إذا رأى أنّ بقاءه يشكّل خطراً عليه أو على الحكم الأمويّ، ولكنّه لا يقتله بهذه الطريقة المكشوفة التي فعلها يزيد، بل يقتله سرّاً بالسم أو اغتيالاً ثمّ ينسب الفعلة إلى غيره، ويطلب هو بدم الإمامعليه‌السلام فيوهم الناس ويخدعهم ويزداد بذلك حبّاً عند أكثر الناس.

ثمّ إنّ هناك فارقاً واضحاً بين موقف معاوية من الإمامعليه‌السلام وموقف يزيد منه، وهو أنّ معاوية لم يشدّد على الإمام في أمر البيعة ليزيد وإن كان قد أوهم الناس أنّ الإمامعليه‌السلام قد بايع كما في بعض الروايات، أمّا يزيد فلم يرخّص للإمامعليه‌السلام في ألاّ يبايع، بل ركز بين اثنتين: البيعة أو القتل.

وقد خرج يزيد عن طوره النفاقي فأظهر كفره وعداءه السافر لرسول اللهصلى‌الله‌عليه‌وآله، وافتخر بانتمائه إلى جاهليّة أسلافه، وإلى حركة النفاق، حينما وضع رأس الإمامعليه‌السلام بين يديه فتمثّل متشفّياً بأبيات ابن الزبعرى التي مطلعها:

ليت أشياخي ببدرٍ شهدوا   جزع الخزرج من وقع الأسلْ

وقيل: إنّ يزيد قد أضاف إليها هذه الأبيات من عنده:

لأهلّوا واستهلّوا فرحاً   ثمّ قالوا يا يزيد لا تُشَل

لست من عتبة إن لم أنتقم   من بني أحمد ما كان فعل

لعبت هاشم بالملك فلا   خبرٌ جاء ولا وحيٌ نزل[1]

وهذا بنفسه كاشف عن شخصيّة يزيد ذات البعد الواحد والتي لا تتمتّع بشيءٍ من الدهاء العادي فضلاً عن دهاء أبيه.

وكأنّ يزيد قد ظفر بأمنيّته الكبرى بقتل سيّد الشهداءعليه‌السلام، وغمرت كيانه

---

(١) راجع معالم المدرستين، ٣: ٢٠٢ ـ ٢٠٣.

نشوة الغلبة العاجلة والتشفّي، فقد «جلس ذات يوم على شرابه، وعن يمينه ابن زياد، ذلك بعد قتل الحسين عليه السلام، فأقبل على ساقيه فقال:

إسقني شربة تروّي مُشاشي ... ثمّ مِلْ فَاسْقِ مثلَها ابنَ زيادِ

صاحب السرِّ والأمانة عندي ... ولتسديد مغنمي وجهادي

ثمّ أمر المغنّين فغنّوا به...».[١]

«وغلب على أصحاب يزيد وعمّاله ما كان يفعله من الفسوق. وفي أيّامه ظهر الغناء بمكّة والمدينة، واستعملت الملاهي، وأظهر الناس شرب الشراب.

وبالجملة، كان موفّر الرغبة في اللهو والقنص والخمر والنساء وكلاب الصيد حتّى كان يُلبسها الأساور من الذهب والجلال والمنسوجة منه، ويهب لكلّ كلبٍ عبداً يخدمه، وساس الدولة سياسة مشتقّة من شهوات نفسه، وكانت ولايته ثلاث سنين وستّة أشهر، ففي السنة الأولى قتل الحسين بن علي، وفي السنة الثانية نهب المدينة وأباحها ثلاثة أيّام، تمّ فيها قتل سبعمائة من المهاجرين والأنصار، فلم يبق بدريٌّ بعد ذلك، وقتل عشرة آلاف من الموالي والعرب والتابعين، وافتضاض ألف عذراء».[٢]

❑ الخبر في المدينة

اختلف شأن مدينة رسول الله صلى الله عليه وآله عن سائر مدن الإسلام الأخرى من حيث طريقة وصول خبر موت معاوية إليها، فقد وصل إليها هذا الخبر بتخطيط خاصّ

---

(١) مروج الذهب، ٣: ٧٧.

(٢) الإمام الحسين عليه السلام (العلايلي): ٣٤٥ ـ ٣٤٦.

مدروس من قِبل يزيد في الشام، لأنّه أراد من واليه على المدينة وهو الوليد بن عتبة بن أبي‌سفيان، ـ على ما في أكثر التواريخ[١] ـ أن يأخذ البيعة له من الإمام الحسين‌عليه السلام بالأساس ومن عبدالله بن الزبير ثانياً قبل أن يعلم أهل المدينة بخبر موت معاوية.

هٰذا ما يستفاد من الرسالة الصغيرة ـ التي وصفت كأنّها أذن فأرة ـ والتي بعثها يزيد إلى الوليد بن عتبة مع رسالة النعي الكبيرة، وكانت تلك الرسالة الصغيرة على ما في رواية اليعقوبي:

«إذا أتاك كتابي هٰذا، فأحضر الحسين بن عليّ‌عليه السلام، وعبدالله بن الزبير، فخذهما بالبيعة لي، فإن امتنعا فاضرب أعناقهما، وابعث إليّ برؤوسهما، وخذ الناس بالبيعة، فمن امتنع فأنفذ فيه الحكم، وفي الحسين بن عليّ وعبدالله بن الزبير، والسلام».[٢]

ويستفاد هٰذا أيضاً من قول مروان بن الحكم حينما استشاره والي المدينة في كيفيّة أخذ البيعة من هٰؤلاء الرجال، حيث أجاب قائلاً:

«أرسل الساعة إلى هٰؤلاء النفر فخذ بيعتهم، فإنّهم إن بايعوا لم‌يختلف على يزيد أحدٌ من أهل الإسلام، فعجّل عليهم قبل أن يُفشى الخبر فيمتنعوا...».[٣]

وفي رواية الفتوح:

«فقال مروان: إبعث إليهم في هٰذه الساعة فتدعوهم إلى البيعة والدخول في

---

(١) فقد شذّ بعض المؤرّخين عن ذٰلك في إسم والي المدينة، كابن قتيبة الدينوري حيث روى أنّ اسم الوالي هو خالد بن الحكم (الإمامة والسياسة، ١: ٢٠٥).

(٢) تأريخ اليعقوبي، ٢: ٢٤١.

(٣) الإمامة والسياسة، ١: ٢٠٦.

طاعة يزيد، فإن فعلوا قبلت ذٰلك منهم، وإن أبوا قدّمهم واضرب أعناقهم قبل أن يدروا بموت معاوية، فإنّهم إن علموا ذٰلك وثب كلّ رجل منهم فأظهر الخلاف ودعا إلىٰ نفسه...».[1]

إذن فقد كانت الخطة أن تؤخذ البيعة من الإمام الحسين عليه السلام ومن عبدالله بن الزبير ومن عبدالله بن عمر علىٰ ما في بعض الروايات قبل أن يفشو الخبر ويعلم أهل المدينة بموت معاوية.

وممّا يؤكّد هٰذا أيضاً:

أنّ رسول الوليد لمّا أتىٰ إلىٰ الإمام الحسين عليه السلام وإلىٰ عبدالله بن الزبير يستدعيهما إلىٰ الوليد، ووجدهما في المسجد، وأخبرهما بالإستدعاء، قال عبدالله بن الزبير يسائل الإمام عليه السلام:

«يا أباعبدالله، إنّ هٰذه ساعة لم يكن الوليد بن عتبة يجلس فيها للناس، وإنّي قد أنكرت ذٰلك وبَعْثَه في هٰذه الساعة إلينا ودعاءَه إيّانا لمثل هٰذا الوقت، أترىٰ في أيٍّ طلبنا!؟

فقال له الحسين عليه السلام:

إذاً أُخبرك أبابكر، إنّي أظنّ بأنّ معاوية قد مات، وذٰلك أنّي رأيت البارحة في منامي كأنّ منبر معاوية منكوس، ورأيت داره تشتعل ناراً، فأوّلتُ ذٰلك في نفسي أنّه مات.»[2].

فلو كان خبر موت معاوية قد فشا وانتشر في المدينة ساعتئذٍ لكان ابن الزبير

---

(١) الفتوح، ٥: ١٠.

(٢) الفتوح، ٥: ١١ ـ ١٢.

قد علمه كما علم الناس.

والظاهر أنّ خبر موت معاوية ظلّ مكتوماً عن عامّة أهل المدينة إلىٰ ما بعد خروج الإمام الحسين عليه السلام منها فلم ينتشر إلاّ انتشاراً ضعيفاً، ولم يعلم به إلاّ بعض خواصّ أهلها ممّن يحيط بالوالي من بني أميّة وبعض رجال السلطة، وممّن يحيط بالإمام الحسين عليه السلام من بني هاشم وبعض شيعته، وعبدالله بن الزبير وإخوته وبعض من يحيطون بهم، وعبدالله بن عمر وخاصّته.

ولعلّ هٰذا ما كانت تريده السلطة في المدينة بالذات، لعزل الأمّة في المدينة عن حركة الإمام عليه السلام سواء بقي في المدينة أو خرج منها، إذ إنّ السلطة الأمويّة ـ علىٰ فرض بقائه ـ ستواصل إحراجه منفرداً لتذليل بيعته، ولن يطول ذٰلك أكثر من يومٍ أو يومين، فإذا بايع فلن يمتنع بعده أحدٌ من الأمّة عن البيعة، وإذا أصرّ علىٰ الإمتناع فلابدّ له من أن يحتال للخروج من المدينة مخافة الإغتيال، ولن يطول مكثه ـ حتّىٰ يخرج ـ ثلاث ليال علىٰ الأكثر، فتخلو المدينة منه وممّن يتّبعه، وعندئذ تسهل عمليّة أخذ البيعة من أهل المدينة في غياب الإمام عليه السلام، أمّا من عداه من وجهاء المدينة فلا يتمتّع بمثل تلك المنزلة التي يتمتّع بها الإمام عليه السلام في قلوب الناس وليس له تلك الأهمّية، فضلاً عن أنّ بعضهم يتّسم بالميوعة والمسالمة في المواقف ولا قاطعيّة له، كمثل عبدالله بن عمر، الذي أشك بقوّةٍ أنّ بعض الروايات حشرته مع الإمام عليه السلام وعبدالله بن الزبير في وجهاء المدينة المعارضين للتغطية علىٰ ميله للحكم الأمويّ.

وممّا يؤكّد ما ذهبنا إليه في تعمّد سلطة المدينة عدم الإعلان عن موت معاوية إلىٰ ما بعد انجلاء الموقف الحسينيّ، هو أنّ الإمام عليه السلام طلب من الوالي الوليد بن عتبة أن يُدعىٰ إلىٰ البيعة بمحضر الناس فيكون الأمر سواء حيث قال عليه السلام:

«إنّ مثلي لايعطي بيعته سرّاً، وإنّما أحبّ أن تكون البيعة علانية بحضرة الجماعة، ولكن إذا كان من الغد ودعوت الناس إلىٰ البيعة دعوتنا معهم فيكون أمرنا واحداً...».[١]

فالعادة إذن أن ينعىٰ الوالي الخليفة الميّت في الغد ويدعو الناس إلىٰ بيعة من يخلفه، هٰذا ما تُشعر به عبارة الإمامعليه السلام:

«... ولكن إذا كان من الغد ودعوت الناس إلىٰ البيعة...».

والتأريخ لم يحدّثنا أنّ الوليد بن عتبة قد جمع الناس في اليوم التالي للبيعة في المسجد كما العادة[٢] ولا في اليوم الذي بعده، بل إنّ التأريخ ليؤكّد عكس ذٰلك، إذ كتب الوليد إلىٰ يزيد «يخبره بما كان من أهل المدينة وما كان من ابن الزبير وأمر السجن (حيث أخرج بنوعدي عبدالله بن مطيع العدوي منه بالقوّة وأخرجوا كلّ من كان في السجن)،[٣] ثمّ ذكر له بعد ذٰلك أمر الحسين بن عليّعليه السلام:

«أنّه ليس يرىٰ لنا عليه طاعة ولا بيعة».[٤]

---

(١) الفتوح، ٥: ١٣.

(٢) إلاّ ما جاء في (تأريخ ابن عساكر (ترجمة الإمام الحسينعليه السلام) تحقيق المحمودي: ١٩٨، حديث ٢٢٥؛ وخرج الحسينعليه السلام وعبدالله بن الزبير من ليلتهما إلىٰ مكّة، وأصبح الناس وغدوا إلىٰ البيعة ليزيد، وطُلب الحسين وابن الزبير فلم يوجدا...)، وهٰذه الرواية مع ما فيها من مخالفة المشهور الثابت أنّ ابن الزبير خرج من مكّة قبل الإمام بليلتين أو ليلة علىٰ الأقلّ، فإنّها ضعيفة السند لا أقلّ بجويريّة بن أسماء الذي قال فيه الإمام الصادقعليه السلام: «وأمّا جويريّة فزنديق لايُفلح أبداً»، (اختيار معرفة الرجال «رجال الكشّي»، ٢: ٧٠٠، حديث ٧٤٢).

(٣) ما بين القوسين ليس من نفس النصّ.

(٤) الفتوح، ٥: ١٧ ـ ١٨.

فكتب إليه يزيد:

«من عبدالله يزيد أمير المؤمنين إلىٰ الوليد بن عتبة. أمّا بعدُ:

فإذا ورد عليك كتابي هٰذا فخذ البيعة ثانياً علىٰ أهل المدينة بتوكيد منك عليهم، وذر عبدالله بن الزبير فإنّه لن يفوتنا ولن ينجو منّا أبداً مادام حيّاً، وليكن مع جوابك إليّ رأس الحسين بن علي، فإن فعلتَ ذٰلك فقد جعلتُ لك أعنّة الخيل، ولك عندي الجائزة والحظّ الأوفر والنعمة واحدة، والسلام».[١]

فقوله: «فخذ البيعة ثانياً علىٰ أهل المدينة بتوكيد منك عليهم» كاشف عن أنّ الوليد لم يكن يستطيع أخذ البيعة من أهل المدينة بوجود الإمام الحسين عليه السلام، وقوله: «البيعة ثانياً»: يتضمّن الإشارة إلىٰ البيعة الأولىٰ التي أخذها معاوية بولاية العهد ليزيد من أهل المدينة في حياته خدعة. لا أنّ الوليد أخذ البيعة من أهل المدينة ليزيد ثمّ دعاه يزيد إلىٰ أخذها مرّةً ثانية منهم بتوكيد عليهم.

وقوله: «وذر عبدالله بن الزبير...» كاشف عن عدم تمتّع ابن الزبير بالأهمية التي يتمتع بها الإمام عليه السلام.

وقوله: «وليكن مع جوابك إليّ رأس الحسين بن عليّ عليه السلام» كاشف عن أنّ وجود الإمام عليه السلام بماله من منزلة ومكانة قدسيّة في الأمّة هو العقبة الكبرىٰ في طريق البيعة التي يريدها يزيد من أهل المدينة خاصّة.

كما أنّ هٰذه الرسالة كاشفة بنوع محتواها عن نوع شخصيّة يزيد التي لاتتمتّع حتّىٰ بذرّة من الحكمة والدهاء، وكاشفة عن سطحيّته وضحالته الظاهرة، فها هو أمام رغبته وغضبه لاينظر إلىٰ حقائق الواقع السياسي والإجتماعي ولايعبأ بها، إنّه

---

(١) الفتوح، ٥: ١٨.

فيما يأمر به متجاوزاً هٰذه الحقائق كما يأمر الطفل في تخيّلاته وألعابه خلافاً لما تحكم به السنن الطبيعيّة والإجتماعيّة.

إنّ كتمان خبر موت معاوية عن أهل المدينة عموماً عدّة أيّامٍ ربّما شكّل واحداً من أسباب تخلّف أهل المدينة عن نصرة الإمامعليه السلام وفيهم آنئذٍ مئات من الصحابة وأكثر من ذٰلك من التابعين، لأنّ الظاهر أنّ جُلّهم لميعلم حتّىٰ بخروجه من المدينة، وما علموا بذٰلك إلاّ بعد حين من مكثه في مكّة المكرّمة، مع أنّ الذين التحقوا به من المدينة في مكّة بعد ذلك أفراد قليلون.

الإستدعاء والتشاور في المسجد

لنعد إلىٰ بداية القصّة في أحداث سنة ستّين للهجرة...

تقول الرواية: «وفي هٰذه السنة بويع ليزيد بن معاوية بالخلافة بعد وفاة أبيه للنصف من رجب في قول بعضهم، وفي قول بعض لثمانٍ بقين منه...

وقال هشام بن محمّد عن أبيمخنف:

ولي يزيد في هلال رجب سنة ستّين، وأمير المدينة الوليد بن عتبة بن أبيسفيان، وأمير الكوفة النعمان بن بشير الأنصاري، وأمير البصرة عبيدالله بن زياد، وأمير مكّة عمرو بن سعيد بن العاص.

ولميكن ليزيد همّة حين ولي إلاّ بيعة النفر الذين أبوا علىٰ معاوية الإجابة إلىٰ بيعة يزيد حين دعا الناس إلىٰ بيعته وأنّه وليّ عهده بعده، والفراغ من أمرهم.

فكتب إلىٰ الوليد:

بسم الله الرحمٰن الرحيم.

من يزيد أمير المؤمنين إلىٰ الوليد بن عتبة. أمّا بعدُ: فإنّ معاوية كان عبداً من

عبادالله، أكرمه الله واستخلفه وخوّله ومكّن له، فعاش بقدر ومات بأجل، فرحمه الله، فقد عاش محموداً «!» ومات برّاً تقيّاً «!» والسلام.

وكتب إليه في صحيفة كأنّها أُذن فأرة:

أمّا بعدُ: فَخُذ حسيناً وعبدالله بن عمر وعبدالله بن الزبير بالبيعة أخذاً شديداً ليست فيه رُخصة حتّىٰ يبايعوا، والسلام».[1]

أمّا محتوىٰ هٰذه الصحيفة الصغيرة التي كأنّها أذن فأرة علىٰ ما في رواية الفتوح فهو:

«أمّا بعدُ: فخذ الحسين بن علي عليه السلام، وعبدالرحمٰن بن أبي‌بكر، وعبدالله بن الزبير، وعبدالله بن عمر بن الخطّاب أخذاً عنيفاً ليست فيه رخصة، فمن أبىٰ عليك منهم فاضرب عنقه وابعث إليّ برأسه».[2]

ويلاحظ علىٰ هٰذا النص أنّ عبدالرحمٰن بن أبي‌بكر مات في عهد معاوية، في نومة نامها، ويقال إنّ معاوية دسّ إليه سمّاً فقتله.

ولم‌يروها ابن عساكر كصحيفة صغيرة مخصوصة، بل رواها هٰكذا ككتاب عام: «وبايع الناس ليزيد ـ يعني في الشام ـ فكتب يزيد مع عبدالله بن عمرو بن أويس العامري ـ من بني عامر بن لؤيّ ـ إلىٰ الوليد بن عتبة بن أبي‌سفيان ـ وهو علىٰ المدينة ـ: أن ادع الناس فبايعهم، وابدأ بوجوه قريش، وليكن أوّل من تبدأ به الحسين بن عليّ بن أبي‌طالب، فإنّ أميرالمؤمنين رحمه الله عهد إليّ في أمره الرفق

---

(١) تاريخ الطبري، ٤: ٢٥٠؛ والكامل في التأريخ، ٤: ١٤ بتفاوت.

(٢) الفتوح، ٥: ١٠.

به واستصلاحه».[١]

ولم يروها اليعقوبي أيضاً كصحيفة صغيرة مخصوصة، لكنّ محتوىٰ الرسالة التي رواها يشهد علىٰ أنّها من الرسائل السرّية التي لايطّلع عليها سوىٰ المسؤول المقصود بها، كما أنّ نصّها يبدو من أضبط النّصوص المرويّة بصددها، لأنّه ليس فيه اسم عبدالله بن عمر الذي لميكن يشكّل في مسألة بيعته ليزيد أيّة مشكلة بالفعل، إذ كان معروفاً بالميوعة في مواقفه والمسالمة والدخول فيما دخل فيه الناس، كما أنّ نصّ اليعقوبي ينسجم تماماً مع ضيق نظر يزيد وسرعة انفعاله ولا مبالاته بالسنن والقيم الإجتماعيّة، كما أنّ نمط الترتيب فيه كاشف عن دقّته.

ونصّ اليعقوبي هو:

«إذا أتاك كتابي هٰذا، فأحضر الحسين بن علّي وعبدالله بن الزبير، فخذهما بالبيعة لي، فإن امتنعا فاضرب أعناقهما، وابعث إليّ برؤوسهما، وخذ الناس بالبيعة، فمن امتنع فأنفذ فيه الحكم، وفي الحسين بن علي وعبدالله بن الزبير، والسلام».[٢]

لنعد إلىٰ تسلسل القصّة، ولنقرأ ماذا صنع الوليد بن عتبة!؟ تقول الرواية:

«فلمّا أتاه نعيٌ معاوية فظع به وكبر عليه، وبعث إلىٰ مروان بن الحكم فدعاه ـ وكان مروان عاملاً علىٰ المدينة من قبل الوليد، فلمّا قدمها الوليد كان مروان يختلف إليه متكارهاً، فلمّا رأىٰ الوليد ذٰلك منه شتمه عند جلسائه، فبلغ ذٰلك مروان فانقطع عنه، فلميزل مصارماً له حتّىٰ جاء نعيُ معاوية، فلمّا عظم علىٰ الوليد هلاكه وما أُمِرَ به من بيعة هٰؤلاء النفر استدعىٰ مروان ـ فلمّا قرأ الكتاب

---

(١) تأريخ ابن عساكر (ترجمة الإمام الحسين عليه السلام) تحقيق المحمودي: ١٩٩، حديث ٢٥٥.

(٢) تأريخ اليعقوبي، ٢ : ٢٤١.

بموت معاوية استرجع وترحّم عليه، واستشاره الوليد كيف يصنع؟

قال: أرى أن تدعوهم الساعة، وتأمرهم بالبيعة، فإن فعلوا قبلت منهم وكففت عنهم، وإن أبوا ضربت أعناقهم قبل أن يعلموا بموت معاوية، فإنّهم إن علموا بموته وثب كلّ رجل منهم بناحية وأظهر الخلاف ودعا إلىٰ نفسه، أمّا ابن عمر فلايرىٰ القتال ولايحبّ أن يلي علىٰ الناس إلاّ أن يُدفع إليه هٰذا الأمر عفواً.

فأرسل الوليد عبدالله بن عمرو بن عثمان وهو غلامٌ حَدث، إلىٰ الحسين وابن الزبير يدعوهما، فوجدهما في المسجد وهما جالسان، فأتاهما في ساعة لميكن الوليد يجلس فيها للناس.

فقال: أجيبا الأمير.

فقالا: انصرف، ألآن نأتيه.

وقال ابن الزبير للحسين: وما تراه بعث إلينا في هٰذه الساعة التي لميكن يجلس فيها!؟

فقال الحسين: أظنّ أنَّ طاغيتهم قد هلك، فبعث إلينا ليأخذنا بالبيعة قبل أن يفشو في الناس الخبر.

فقال: وأنا ماأظنّ غيره، فما تريد أن تصنع؟

قال الحسين: أجمع فتياني الساعة، ثمّ أمشي إليه، وأجلسهم علىٰ الباب وأدخل عليه.

فقال: فإنّي أخافه عليك إذا دخلت!

فقال: لاآتيه إلاّ وأنا قادر على الإمتناع».[1]

وفي رواية أخرى أنّ ابن الزبير قال للإمام الحسين عليه السلام:

«ظَنٌّ يا أباعبدالله فيما أرسل إلينا!؟».

فقال الحسين: لم يرسل إلينا إلاّ للبيعة.

فقال؟ فما ترى؟

قال: آتيه، فإن أراد تلك امتنعت عليه».[2]

ويلاحظ في محاورة الإمام عليه السلام مع ابن الزبير أنّ الإمام عليه السلام كان واضحاً تمام الوضوح في موقفه وفيما يريد أن يفعله، ولم يكتم شيئاً عن ابن الزبير في معرض الإستشارة، غير أنّ ابن الزبير كان على عكس ذلك، فلم يكن همّه إلاّ معرفة ما سيفعله الإمام عليه السلام، ولم يفصح بشيءٍ عمّا يريد هو أن يقوم به ويفعله!

وفي كتاب الفتوح عرض لهذا المقطع من القصّة لايمكننا الإعراض عنه لما فيه من تفصيلات مهمّة لم تأت فيما ذكره ابن الأثير والطبري وابن قتيبة، فلنقرأ رواية هذا المقطع في الفتوح على ترتيبه:

قال ابن أعثم: «فلمّا ورد كتاب يزيد على الوليد. بن عتبة وقرأه قال:

إنّا للّه وإنّا إليه راجعون، يا ويح الوليد بن عتبة، من أدخله في هذه الإمارة؟ ما لي وللحسين بن فاطمة!؟

...ثمّ بعث إلى مروان بن الحكم، فأراه الكتاب فقرأه واسترجع، ثمّ... قال: يرحم الله أمير المؤمنين معاوية!

---

(١) الكامل في التأريخ، ٤: ١٤ ـ ١٥؛ وتاريخ الطبري، ٤: ٢٥٠ ـ ٢٥١ بتفاوت.

(٢) الإمامة والسياسة، ١:٢٠٦.

فقال الوليد: أشر عليّ برأيك في هٰؤلاء القوم، كيف ترىٰ أن أصنع!؟

فقال مروان: إبعث إليهم في هٰذه الساعة فتدعوهم إلىٰ البيعة والدخول في طاعة يزيد، فإن فعلوا قبلت ذٰلك منهم، وإن أَبَوا قدّمهم واضرب أعناقهم قبل أن يدروا بموت معاوية، فإنّهم إن علموا ذٰلك وثب كلّ رجل منهم فأظهر الخلاف ودعا إلىٰ نفسه، فعند ذٰلك أخاف أن يأتيك من قبلهم ما لا قبل لك به وما لايقوم له، إلاّ عبدالله بن عمر فإنّي لاأراه ينازع في هٰذا الأمر أحداً إلاّ أن تأتيه الخلافة فيأخذها عفواً، فذر عنك ابن عمر.[1]

وابعث إلىٰ الحسين بن علي، وعبدالرحمٰن بن أبيبكر، وعبدالله بن الزبير فادعهم إلىٰ البيعة، مع أنّي أعلم أنّ الحسين بن علي خاصّة لايجيبك إلىٰ بيعة يزيد أبداً ولايرىٰ له عليه طاعة، ووالله إن لو كنتُ في موضعك لمأراجع الحسين بكلمة واحدة حتّىٰ أضرب رقبته كائناً في ذٰلك ما كان.

...فأطرق الوليد بن عتبة إلىٰ الأرض ساعة ثمّ رفع رأسه...

وقال: يا ليت الوليد لميولد ولميكن شيئاً مذكوراً!

...ثمّ دمعت عيناه...

فقال له عدوّالله مروان: أوّه أيّها الأمير! لاتجزع ممّا قلتُ لك، فإنّ آل أبي تراب هم الأعداء في قديم الدهر ولميزالوا، وهم الذين قتلوا الخليفة عثمان بن عفّان، ثمّ

(١) فإذا كان ابن عمر كذلك وهٰذا ما اتّفق عليه جلّ المؤرخين ـ فكيف دخل في هٰذه الروايات كرأس من رؤوس المعارضة!؟ ثمّ متىٰ عارض ابن عمر!؟ إنّ المتأمّل في محاوراته مع الإمام الحسينعليه السلام يجد ابن عمر لساناً من الألسنة التي تخدم الحكم الأمويّ، وقد مرّ في رواية (أمالي الصدوق: ١٢٩، م٣٠، حديث ١) أنّ معاوية قال ليزيد في وصيّته إليه:

«فأمّا عبدالله بن عمر فهو معك فالزمه ولاتدعه...»!!

ساروا إلىٰ أميرالمؤمنين فحاربوه، وبعدُ فإنّي لستُ آمن أيّها الأمير! أنّك إن لم تعاجل الحسين بن علي خاصّة أن تسقط منزلتك عند أمير المؤمنين يزيد.

فقال له الوليد بن عتبة: مهلاً! ويحك يا مروان عن كلامك هٰذا، وأحسن القول في ابن فاطمة فإنّه بقيّة ولد النبيّين.

...ثمّ بعث الوليد بن عتبة إلىٰ الحسين بن علي وعبدالرحمٰن ابن أبي‌بكر[1] وعبد الله بن عمر وعبدالله بن الزبير فدعاهم، فأقبل إليهم الرسول، والرسول عبدالله بن عمرو بن عثمان بن عفّان، لم‌يُصب القوم في منازلهم، فمضىٰ نحو المسجد فإذا القوم عند قبر النبيّ صلى الله عليه وآله، فسلّم عليهم ثمّ قام وقال: أجيبوا الأمير!

فقال الحسين: يفعل الله ذٰلك إذا نحن فرغنا عن مجلسنا هٰذا إن شاء الله.

...فانصرف الرسول إلىٰ الوليد فأخبره بذٰلك.

وأقبل عبدالله بن الزبير علىٰ الحسين بن عليّ وقال: يا أباعبدالله، إنّ هٰذه ساعة لم‌يكن الوليد بن عتبة يجلس فيها للناس، وإنّي قد أنكرتُ ذٰلك وبعثَه في هٰذا الساعة إلينا ودعاءه إيّانا لمثل هٰذا الوقت، أتُرىٰ في أيٍّ طلبنا!؟

فقال له الحسين: إذاً أُخبرك أبابكر، إنّي أظنّ بأنّ معاوية قد مات، وذٰلك إنّي رأيت البارحة في منامي كأنّ منبر معاوية منكوس، ورأيت داره تشتعل ناراً، فأوّلتُ ذٰلك في نفسي أنّه مات.

فقال له ابن الزبير: فاعلم يا ابن عليّ أنّ ذٰلك كذلك، فما ترىٰ أن تصنع إن دعيتَ إلىٰ بيعة يزيد أباعبدالله!؟

---

(١) سبق أن نبهنا إلىٰ أنّ عبدالرحمٰن أبي‌بكر قد توفّي في حياة معاوية. كما أنّ من الملفت للإنتباه أيضاً أنّه لا وجود له في هٰذه القضيّة إلاّ في كونه من المدعوّين.

قال: أصنع أنّي لاأُبايع له أبداً، لأنّ الأمر إنّما كان لي من بعد أخي الحسن، فصنع معاوية ما صنع، وحلف لأخي الحسن أنّه لايجعل الخلافة لأحدٍ من بعده من ولده، وأن يردّها إليّ إن كنتُ حيّاً، فإن كان معاوية قد خرج من دنياه ولم يفِ لي ولا لأخي الحسن بماكان ضمن فقد والله أتانا ما لا قوام لنا به.

أنظر أبابكر، أنّىٰ أبايع ليزيد!؟ ويزيد رجل فاسق معلنٌ الفسق، يشرب الخمر، ويلعب بالكلاب والفهود، ويبغض بقيّة آل الرسول! لا والله لايكون ذٰلك أبداً.

...فبينما هما كذٰلك في هٰذا المحاورة إذ رجع إليهما الرسول...[1]

فقال: أباعبدالله، إنّ الأمير قاعد لكما خاصّة فقوما إليه.

...فزبره الحسين بن علي، ثمّ قال: إنطلق إلىٰ أميرك لا أمّ لك، فمن أحبَّ أن يصير إليه منّا فإنّه صائرٌ إليه، وأمّا أنا فإنّي أصير إليه الساعة إن شاء الله تعالىٰ.

...فرجع الرسول أيضاً إلىٰ الوليد بن عتبة فقال: أصلح الله الأمير، أمّا الحسين بن علي خاصّة فقد أجاب، وهاهو صائرٌ إليك في أثري.

فقال مروان بن الحكم: غدر والله الحسين!

فقال الوليد: مهلاً! فليس مثل الحسين يغدر، ولايقول شيئاً ثمّ لايفعل.

... ثمّ أقبل الحسين علىٰ من بحضرته فقال: قوموا إلىٰ منازلكم فإنّي صائرٌ إلىٰ هٰذا الرجل فأنظرُ ما عنده وما يريد.

فقال له ابن الزبير: جعلت فداك يا ابن بنت رسول الله صلّى الله عليه وآله، إنّي خائف عليك

---

(١) تأمّل كيف يختفي هنا وجود عبدالرحمٰن بن أبي‌بكر وعبدالله بن عمر حيث ينبغي أن يكونا موجودَين حسب سياق القصّة!!

أن يحبسوك عندهم فلايفارقونك أبداً دون أن تبايع أو تقتل.

فقال الحسين : إنّي لستُ أدخل عليه وحدي، ولكن أجمع أصحابي إليّ وخدمي وأنصاري وأهل الحقّ من شيعتي، ثمّ آمرهم أن يأخذ كلّ واحد سيفه مسلولاً تحت ثيابه، ثمّ يصيروا بإزائي، فإذا أنا أومأتُ إليهم، وقلتُ: يا آل الرسول ادخلوا، دخلوا وفعلوا ما أمرتهم به، فأكون على الإمتناع، ولاأُعطي المقادة والمذلّة من نفسي، فقد علمتُ والله أنّه جاء من الأمر ما لا قوام به، ولكنّ قضاء الله ماضٍ فيّ، وهوالذي يفعل في بيت رسولهعليه السلام ما يشاء ويرضى».[١]

❑لقاء المناورة وإعلان رفض البيعة:

نعود إلى متابعة القصّة وكيف تمّ اللقاء بين الإمامعليه السلام وبين الوليد.

يتابع ابن أعثم روايته قائلاً:

«ثمّ صار الحسين بن علي إلى منزله، ثمّ دعا بماء، فلبس وتطهّر بالماء، وقام فصلّى ركعتين، ودعا ربّه بما أحبّ في صلاته، فلمّا فرغ من ذلك أرسل إلى فتيانه وعشيرته ومواليه وأهل بيته وأعلمهم بشأنه، ثمّ قال:

«كونوا بباب هذا الرجل فإنّي ماضٍ إليه ومكلّمه، فإن سمعتم أنّ صوتي قد علا وسمعتم كلامي وصحتُ بكم، فادخلوا يا آل الرسول واقتحموا من غير إذنٍ، ثمّ اشهروا السيوف ولاتعجلوا، فإن رأيتم ما تكرهون فضعوا سيوفكم ثمّ اقتلوا من يريد قتلي.

ثمّ خرج الحسينعليه السلام من منزله وفي يده قضيب رسول اللهصلى الله عليه وآله، وهو في

(١) الفتوح، ٥: ١٠ ـ ١٣.

ثلاثين رجلاً من أهل بيته ومواليه وشيعته، حتّىٰ أوقفهم علىٰ باب الوليد بن عتبة، ثمّ قال: أنظروا ماذا أوصيتكم فلاتتعدّوه، وأنا أرجو أن أخرج إليكم سالماً إن شاءالله».[1]

أمّا الشيخ المفيد رحمه الله قد روىٰ أنّ الإمام عليه السلام قال لهم:

«إنّ الوليد قد استدعاني في هٰذا الوقت، ولستُ آمن أن يكلّفني فيه أمراً لاأجيب إليه، وهو غير مأمون، فكونوا معي، فإذا دخلت إليه فاجلسوا علىٰ الباب، فإن سمعتم صوتي قد علا فادخلوا عليه لتمنعوه عنّي».[2]

لنعد إلىٰ رواية ابن أعثم حيث قال:

«ثمّ دخل الحسين علىٰ الوليد بن عتبة فسلّم عليه، فردّ عليه ردّاً حسناً ثمّ أدناه وقرّبه... ومروان بن الحكم هناك جالس في مجلس الوليد، وقد كان بين مروان وبين الوليد منافرة ومفاوضة».

فأقبل الحسين علىٰ الوليد فقال: أصلح الله الأمير، والصلاح خير من الفساد، والصلة خير من الخشناء والشحناء،[3] وقد آن لكما أن تجمتعا، فالحمد لله الذي ألّف بينكما.

...فلم يجيباه في هٰذا بشيءٍ...

فقال الحسين: هل أتاكم من معاوية كائنة خبر، فإنّه كان عليلاً وقد طالت علّته، فكيف حاله الآن؟

---

(١) الفتوح: ٥: ١٣.

(٢) الإرشاد: ٢٢١.

(٣) وفي تاريخ الطبري، ٤: ٢٥١: «والصلة خير من القطيعة».

... فتأوّه الوليد وتنفّس الصعداء وقال: أباعبدالله، آجرك الله في معاوية، فقد كان لك عمّ صدقٍ، وقد ذاق الموت، وهٰذا كتاب أميرالمؤمنين يزيد.

فقال الحسين: إنّا للّٰه وإنّا إليه راجعون، وعظّم الله لك الأجر أيّها الأمير، ولكن لماذا دعوتني!؟

فقال: دعوتك للبيعة، فقد اجتمع عليه الناس.

فقال الحسين: إنّ مثلي لايعطي بيعته سرّاً،[١] وإنّما أُحبّ أن تكون البيعة علانية بحضرة الجماعة، ولكن إذا كان من الغد ودعوتَ الناس إلىٰ البيعة دعوتنا معهم فيكون أمرنا واحداً.

فقال له الوليد: أباعبدالله، لقد قلت فأحسنت في القول، وأحببت جواب مثلك، وكذا ظنيّ بك، فانصرف راشداً على بركة الله حتّىٰ تأتينى غداً مع الناس.

فقال مروان بن الحكم: أيّها الأمير، إنّه إذا فارقك في هٰذه الساعة لم يبايع فإنّك لن تقدر منه ولاتقدر علىٰ مثلها، فاحبسه عندك فلاتدعه يخرج أو يبايع وإلاّ فاضرب عنقه.

...فالتفت إليه الحسين وقال: ويلي عليك يا ابن الزرقاء! أتأمر بضرب عنقي!؟ كذبت والله، والله لو رام ذٰلك أحدٌ من الناس لسقيتُ الأرض من دمه قبل ذٰلك، وإن شئت ذٰلك فرُم ضرب عنقي إن كنت صادقاً.

---

(١) وفي تاريخ الطبري، ٤: ٢٥١: «ولاأراك تجتزيء بها منّي سرّاً دون أن نظهرها علىٰ رؤوس الناس علانية، قال: أجل»؛ وفي الإمامة والسياسة، ١: ٢٠٦ «لا خير في بيعة سرّ، والظاهرة خير، فإذا حضر الناس كان أمراً واحداً»؛ وفي الإرشاد: ٢٢١ «إنّي لاأراك تقنع ببيعتي ليزيد سرّاً حتّىٰ أبايعه جهراً فيعرف ذٰلك الناس».

ثمّ أقبل الحسين على الوليد بن عتبة وقال: أيّها الأمير، إنّا أهل بيت النبوّة، ومعدن الرسالة، ومختلف الملائكة، ومحلّ الرحمة، وبنا فتح الله وبنا ختم، ويزيد رجل فاسق، شارب الخمر، قاتل النفس المحرّمة، معلنٌ بالفسق، مثلي لايبايع لمثله، ولكن نصبح وتصبحون، وننظر وتنظرون أيّنا أحقّ بالخلافة والبيعة.

...وسمع من بالباب الحسين فهمّوا بفتح الباب وإشهار السيوف، فخرج إليهم الحسين سريعاً فأمرهم بالإنصراف إلىٰ منازلهم، وأقبل الحسين إلىٰ منزله.[١]

فقال مروان بن الحكم للوليد بن عتبة: عصيتني حتّىٰ انفلت الحسين من يدك، أما والله لاتقدر علىٰ مثلها أبداً، ووالله ليخرجنّ عليك وعلىٰ أمير المؤمنين فاعلم ذٰلك.[٢]

فقال له الوليد بن عتبة: ويحك! أشرتَ عليّ بقتل الحسين، وفي قتله ذهاب ديني ودنياي، والله ما أحبّ أن أملك الدنيا بأسرها وأنّي قتلت الحسين بن عليّ، إبن فاطمة الزهراء، والله ما أظنّ أحداً يلقىٰ الله بقتل الحسين إلاّ وهو خفيف الميزان عندالله يوم القيامة لاينظر إليه ولايزكّيه وله عذاب أليم.

...فسكت مروان!!»[٣]

---

(١) وفي تاريخ الطبري، ٤: ٢٥٢: «ثمّ خرج فمرّ بأصحابه فخرجوا معه حتّىٰ أتىٰ منزله».

(٢) وفي الإرشاد: ٢٢١ ـ ٢٢٢: «قال له مروان: والله لئن فارقك الحسين الساعة ولم يبايع لا قدرت منه علىٰ مثلها أبداً حتّىٰ تكثر القتلىٰ بينكم وبينه. إحبس الرجل فلايخرج من عندك حتّىٰ يبايع أو تضرب عنقه. فوثب الحسين عليه السلام عند ذٰلك وقال: أنت يا ابن الزرقاء تقتلني أم هو!؟ كذبت والله وأثمت...».

(٣) الفتوح، ٥: ١٣ ـ ١٤.

تأمّلٌ وملاحظات

إنّ التأمّل في حوار الإستشارة بين الوليد بن عتبة وبين مروان بن الحكم قبل اللقاء بالإمام عليه السلام، وفي وقائع اللقاء بين الإمام عليه السلام وبين والي المدينة الوليد بحضور الشيطان المريد مروان بن الحكم يؤدّي إلىٰ عدّة ملاحظات أهمّها:

١) ـ **الخطّة العسكريّة للحفاظ علىٰ حياة الإمام عليه السلام**: لقد احتاط الإمام عليه السلام في توجّهه إلىٰ لقاء الوليد بن عتبة بمجموعة كافية من رجاله المسلّحين (في ثلاثين رجلاً من أهل بيته ومواليه وشيعته: علىٰ ما في رواية الفتوح) تحسّباً لمحاولة اغتياله من قبل السلطة الأمويّة في مقرّ والي المدينة الوليد بن عتبة الذي وصفه الإمام عليه السلام علىٰ ما في رواية الشيخ المفيد رحمه الله بأنّه (غير مأمون)، خاصّة وأنّ الأمويّين يعلمون أنّ الإمام الحسين عليه السلام يتربّص بهم الظرف المناسب للخروج والثورة عليهم،[١] وأنّه إنّما آثر المتاركة المؤقّتة بينه وبينهم لبقاء معاوية في الحياة، لأسباب تتعلّق بشخصيّة معاوية، كنّا قد فصّلنا القول فيها من قبل.

وقد كشف مروان بن الحكم في هٰذا اللقاء عن هٰذا العلم وهٰذه القناعة بقوله علىٰ ما في رواية الفتوح: «و والله ليخرجنّ عليك وعلىٰ أمير المؤمنين» وقوله علىٰ ما في رواية الإرشاد: «والله لئن فارقك الحسين الساعة ولم يبايع لا قدرت منه علىٰ

---

(١) كنّا قد بيّنّا في الفصل الأوّل تحت عنوان (الإخبار بمقتله عليه السلام) أنّه قد شاع آنذاك نتيجة أخبار الملاحم والفتن التي تناقلتها الأمّة عن النبي صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام والإمام الحسين نفسه أنّه عليه السلام سوف يقتل مع كوكبة من أنصاره في كربلاء من أرض العراق، وأنّ قاتله يزيد. بل كان أصحاب عليّ عليه السلام يشيرون إلىٰ عمر بن سعد إذا دخل المسجد قائلين: هٰذا قاتل حسين بن علي عليهما السلام. حتّىٰ شكا عمر ذٰلك إلىٰ الإمام الحسين عليه السلام نفسه! والمتتبّع يعلم أنّ الأمويّين كفصيل من حركة النفاق كانت لهم عناية فائقة بتلكم الأخبار.

مثلها أبداً حتّىٰ تكثر القتلىٰ بينكم وبينه...»

من هنا، كان الإحتمال قويّاً في أن تقدم السلطة الأمويّة علىٰ اغتيال الإمام عليه السلام إجهاضاً لحركة الثورة قبل اندلاعها والإعلان عنها، وقد سعت السلطة الأمويّة إلىٰ تنفيذ هٰذه المحاولة بعد ذٰلك في المدينة وفي مكّة كما سيأتي في ثنايا هٰذا البحث.

وبعد قتل الإمام عليه السلام في مقرّ الوالي في الظلام بعد منتصف الليل ـ علىٰ فرض نجاح عمليّة الاغتيال ـ فإنّ السلطة الأمويّة تستطيع أن تفتعل قصّة مكذوبة لقتله تتّهم بها بريئاً لتضليل بني هاشم خاصّة والأُمّة عامّة، ثمّ تقوم هي بقتل ذٰلك البريء في إطار مطاردة مسرحيّة مفتعلة، وتخرج منها السلطة الأمويّة وكأنّها المطالب بدم الإمام عليه السلام والآخذ بثأره، وفي الوقت نفسه تكون قد قضت علىٰ قائد الثورة قبل اندلاعها والإعلان عنها.

لذا فقد أراد الإمام عليه السلام أن يفوّت هٰذه الفرصة المحتملة علىٰ السلطة الأمويّة بإعداد قوّة عسكريّة مكوّنة من ثلاثين من أهل بيته وشيعته ومواليه شاكين بالسلاح ليكونوا علىٰ الباب بانتظار الإشارة منه للتدخل في اللحظة المناسبة، وبذٰلك يكون الإمام عليه السلام قادراً علىٰ الإمتناع علىٰ أيّ محتمل من محتملات السوء في لقاء تلك الليلة مع الوليد.

٢) ـ لماذا طلب الإمام عليه السلام أن يدعىٰ إلىٰ البيعة علناً مع الناس!؟: ويلاحظ أيضاً في هٰذا اللقاء أنّ الإمام عليه السلام بأسلوب الحكيم الواثق المطمئن قد أجاب الوالي حين طلب منه البيعة ليزيد قائلاً ـ علىٰ ما في رواية الفتوح ـ:

«إنّ مثلي لايعطي بيعته سرّاً، وإنّما أحبّ أن تكون البيعة علانية بحضرة الجماعة، ولكن إذا كان من الغد ودعوتَ الناس إلىٰ البيعة دعوتنا معهم فيكون أمرنا واحداً»، ولا شك أن أيّ مطّلع يقطع بأنّ الإمام الحسين عليه السلام لايبايع يزيد وإن

حضر اجتماع الناس في المسجد للبيعة، أليس هو القائل لأخيه محمّد بن الحنفيّة:

«يا أخي، والله لو لم يكن في الدنيا ملجأ ولا مأوىٰ لما بايعت يزيد بن معاوية؟».

إذن ما هو الهدف المنشود من وراء هٰذا الطلب الذي عرضه الإمام عليه السلام؟ هل كان السبب وراء هٰذا الطلب هو أنّ الإمام عليه السلام أراد أن يتخلّص من ضغط الإحراج في دعوة الوالي إيّاه لبيعة يزيد في هٰذا اللقاء، فسعىٰ إلىٰ تأجيل ذٰلك رغبة في الحصول علىٰ مهلة أوسع للتخلّص من هٰذه الورطة!؟

إذا تذكّرنا أوّلاً: أنّ الإمام عليه السلام لايبايع يزيد لا سرّاً ولا علناً، وثانياً: أنّه عليه السلام قد احتاط لكلّ مكروه محتمل في هٰذا اللقاء وللإمتناع علىٰ أيّ قهرٍ فيه بقوّة عسكريّة كافية لدىٰ الباب، وثالثاً: أنّه عليه السلام في ختام هٰذا اللقاء كان قد أعلن عن استحالة مبايعته ليزيد «مثلي لايبايع مثله»، بل أعلن عن خروجه وقيامه في نفس هٰذا اللقاء حين قال: «ولكنّ نصبح وتصبحون، وننظر وتنظرون أيّنا أحقّ بالخلافة والبيعة»، علمنا أنّ التأجيل رغبة في الحصول علىٰ مهلة أوسع للتخلّص من ورطة إحراج المطالبة بالبيعة لم يكن السبب وراء هٰذا الطلب.

إنّ ما أوصلنا إليه التأمّل في هٰذه المسألة هو: أنّ الإمام الحسين عليه السلام أراد في إجابته علىٰ طلب الوالي منه البيعة ليزيد بأن يُدعىٰ إليها علناً مع الناس: إستثمار قوّة وسعة تأثير العامل الإعلامي والتبليغي في الإجتماع الجماهيري العام الذي تدعىٰ إليه الأمّة في المدينة للبيعة عادة، ذٰلك لأنّه عليه السلام لو أعلن عن رفضه البيعة ليزيد أمام جماهير أهل المدينة، وفضح أمام هٰذه الجموع الحاشدة حقيقة يزيد في فسقه واستهتاره، وحرّضهم علىٰ رفض البيعة له، واستنهضهم للثّورة ضدّه، وأعلن أمامهم عن قيامه هو عليه السلام، وبيّن لهم ما هو عازم علىٰ النهوض به، ودعاهم

بما هو مأثور وشائع من الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وآله في حقّه إلىٰ تأييده ونصرته والخروج معه، لكان لهٰذا العمل أثرٌ كبيرٌ جدّاً علىٰ أهل المدينة باتّجاه تعبئتهم لرفض البيعة ليزيد ولنصرة الإمام عليه السلام، لوكان قد تحقّق للإمام عليه السلام بالفعل ما كان يرجوه من وراء هٰذا الطلب.

ولكنّ مروان الخبيث كان قد فطن إلىٰ خطورة نتائج هٰذا الطلب، فتدخّل ليحول دون نجاحه حيث طلب من الوليد أن يحبس الإمام عليه السلام عنده حتّىٰ يبايع أو يضرب عنقه، فاضطرّ الإمام عليه السلام إلىٰ التعجيل بالكشف عن موقفه صراحة في رفض البيعة ليزيد، والإعلان عن ذٰلك في نفس اللقاء متخلّياً عمّا كان يرجوه في الإجتماع العامّ من أثر العامل الإعلاميّ والتبليغيّ في كسب التأييد الجماهيري لنصرة قيامه عليه السلام.

٣) ـ **مروان... والغرض المزدوج**: كان مروان بن الحكم في محاورة الإستشارة قبل اللقاء وفي محاورة اللقاء شيطاناً يسعىٰ إلىٰ ضرب عصفورين بحجرٍ واحد، إذ هو يتمنّىٰ قتل الإمام الحسين عليه السلام بغضاً وعداوة لأهل البيت عليهم السلام، ويتمنّىٰ أن يرتكب الوليد هٰذه الجريمة لتشتعل فتنة كبرىٰ في المدينة خاصّة وفي سائر بلاد الإسلام عامّة تكون أقلّ نتائجها عزل الوليد عن منصب الولاية في المدينة، كلّ ذٰلك حسداً وحنقاً علىٰ الوليد الذي شغل منصب الولاية بدلاً منه.

ولايعني هٰذا أنّ مروان قد خرج بهٰذا عن ولائه الأمويّ، بل هو يرى أنّ هاتين الأُمنيّتين تصبّان في مجرىٰ مصلحة الحكم الأمويّ، إذ إنّ إحداهما تخلّص الأمويّين من أقوى أعدائهم وهو الإمام الحسين عليه السلام، والثانية تخلّصهم من أمويٍّ ضعيف يفتقر إلىٰ الحزم المطلوب في نظر مروان.

وقد أكدّ مروان ثباته علىٰ ولائه الأمويّ في لقائه مع الإمام الحسين عليه السلام في

صباح اليوم التالي حيث عاود مطالبة الإمامعليه السلام بالبيعة ليزيد، كما عاود تهديد الإمامعليه السلام إن لم يبايع.

تقول الرواية: «وأصبح الحسين من الغد خرج من منزله ليستمع الأخبار، فإذا هو بمروان بن الحكم قد عارضه في طريقه.

فقال: أباعبدالله، إنّي لك ناصح، فأطعني ترشدْ وتسدّدْ!!

فقال الحسين: وما ذلك!؟ قل حتّىٰ أسمع!

فقال مروان: أقول إنّي آمرك ببيعة أمير المؤمنين يزيد فإنّه خَوَلُك في دينك ودنياك!!

فاسترجع الحسين وقال: إنّا للّٰه وإنّا إليه راجعون، وعلىٰ الإسلام السلام إذ قد بليت الأمّة براعٍ مثل يزيد!

ثمّ أقبل الحسين علىٰ مروان وقال: ويحك! أتأمرني ببيعة يزيد!؟ وهو رجل فاسق! لقد قلت شططاً من القول يا عظيم الزلل! لاألومك علىٰ قولك لأنّك اللعين الذي لعنك رسول اللهصلى الله عليه وآله وأنت في صلب أبيك الحكم بن أبيالعاص، فإنّ من لعنه رسول اللهصلى الله عليه وآله لايمكن له ولا منه إلاّ أن يدعو إلىٰ بيعة يزيد.

ثمّ قال: إليك عنّي يا عدوّ الله، فإنّا أهل بيت رسول اللهصلى الله عليه وآله، والحقّ فينا وبالحقّ تنطق ألسنتنا وقد سمعت رسول اللهصلى الله عليه وآله يقول: «الخلافة محرّمة علىٰ آل أبيسفيان وعلىٰ الطلقاء أبناء الطلقاء، فإذا رأيتم معاوية علىٰ منبري فابقروا بطنه»، فوالله لقد رآه أهل المدينة علىٰ منبر جدّي فلم يفعلوا ما أُمروا به فابتلاهم الله بابنه يزيد زاده الله في النار عذاباً.

... فغضب مروان بن الحكم من كلام الحسين.

ثمّ قال: والله لاتفارقني أو تبايع ليزيد بن معاوية صاغراً، فإنّكم آل أبي تراب قد ملئتم كلاماً وأُشربتم بغض آل بني سفيان، وحقّ عليكم أن تبغضوهم وحقّ عليهم أن يبغضوكم.

فقال له الحسين عليه السلام: ويلك يا مروان! إليك عنّي فإنّك رجسٌ، وإنّا أهل بيت الطهارة الذين أنزل الله عزّ وجلّ علىٰ نبيّه محمّد صلى الله عليه وآله فقال:

«إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً».

...فنكس مروان رأسه لاينطق بشيءٍ...

فقال له الحسين عليه السلام: أبشر يا ابن الزرقاء بكلّ ما تكره من الرسول عليه السلام يوم تقدم علىٰ ربّك فيسألك جدّي عن حقّي وحقّ يزيد.

...فمضىٰ مروان مغضباً حتّىٰ دخل علىٰ الوليد بن عتبة فخبّره بما سمع من الحسين بن علي». [1]

٤) ـ **شخصيّة الوليد بن عتبة**: وقد يلاحظ أيضاً في ظاهر حوار الإستشارة بين الوليد بن عتبة وبين مروان ابن الحكم قبل الإجتماع مع الإمام عليه السلام، وفي حوار الوليد مع الإمام عليه السلام أثناء اللقاء، أنّ الوليد بن عتبة شخصيّة أمويّة متميّزة تُكنُّ الحبَّ للإمام الحسين عليه السلام خاصّة ولأهل البيت عليهم السلام عامّة!!

فقوله يخاطب نفسه بعد ما قرأ كتاب يزيد الأوّل الذي أمره فيه بأخذ الإمام عليه السلام أخذاً شديداً لا رخصة فيه بالبيعة: «إنّا للّه وإنّا إليه راجعون، يا ويح الوليد ابن عتبة، من أدخله في هٰذه الإمارة!؟ مالي وللحسين بن فاطمة!؟» وقوله أمام مروان: «يا ليت الوليد لم يولد ولو يكن شيئاً مذكوراً!» وقوله لمروان: «فليس

(١) الفتوح، ٥: ١٦ ـ ١٧.

مثل الحسين يغدر، ولايقول شيئاً ثمّ لايفعل». وقوله له أيضاً: «ويحك، أشرت عليّ بقتل الحسين، وفي قتله ذهاب ديني ودنياي، والله ماأحبّ أن أملك الدنيا بأسرها وأنّي قتلتُ الحسين بن علي، إبن فاطمة الزهراء، والله ماأظنّ أحداً يلقىٰ الله بقتل الحسين إلاّ وهو خفيف الميزان عندالله يوم القيامة لاينظر إليه ولايزكّيه وله عذاب أليم». وقوله لمّا ورد عليه كتاب يزيد الثاني الذي أمره فيه أن يبعث إليه برأس الإمام عليه السلام مع الجواب: «لا والله، لايراني الله قاتل الحسين بن عليّ ، وأنا لاأقتل ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله ولو أعطاني يزيد الدنيا بحذافيرها».[١] وقوله لمّا ظنّ أنّ الإمام عليه السلام خرج من المدينة: «الحمدلله الذي لم يطالبني الله عزّ وجلّ بدمه».[٢]

كلّ هٰذه الأقوال وأخرىٰ نظائرها تدلّ في ظاهرها علىٰ أنّ عند الوليد بن عتبة معرفة بالإمام الحسين عليه السلام ومحبّة له، وتوحي أنّ ثمّة مسحة من التديّن في قلبه، كانت السبب في الصراع الباطني في أعماقه بين خوفه من الله وحبّه لأهل البيت عليهم السلام وبين أن يمتثل لأوامر يزيد التي فيها ذهاب دينه ودنياه على حدّ قوله.

لكنّ هناك نصوصاً أخرىٰ تدلّ دلالة مغايرة، وتؤكّد علىٰ أنّ الوليد بن عتبة يخدم الحكم الأمويّ بتمام الإخلاص له، حتّىٰ لو فرضت عليه هٰذه الخدمة أن يُغلظ في القول للإمام الحسين عليه السلام ويُسيء إليه «وقد كان الوليد أغلظ للحسين...».[٣] أو فرضت عليه هٰذه الخدمة أن يهدّد الإمام الحسين عليه السلام بالقتل، كما حصل بالفعل حين منع الوليد أهل العراق عن لقاء الإمام عليه السلام فوبّخه الإمام عليه السلام قائلاً: «يا ظالماً لنفسه، عاصياً لربّه، علامَ تحول بيني وبين قوم عرفوا من حقّي ما

---

(١) الفتوح، ٥: ١٨.

(٢) نفس المصدر، ٥: ١٨.

(٣) تاريخ ابن عساكر (ترجمة الإمام الحسين عليه السلام) تحقيق المحمودي: ٢٠٠، حديث ٢٥٥.

جهلته أنت وعمُك!؟». فقال الوليد: «ليت حلمنا عنك لايدعو جهل غيرنا إليك، فجناية لسانك مغفورة لك ما سكنت يدك، فلاتخطر بها فتخطر بك، ولو علمت ما يكون بعدنا لأحببتنا كما أبغضتنا».[١]

ومن كلّ ما تقدّم، ومن مجموع سيرة الوليد في منصب ولاية المدينة، يمكن أن نخلص إلىٰ نتيجة عامّة هي: أنّ الوليد بن عتبة أمويٌّ مخلصٌ كلَّ الإخلاص للحكم الأمويّ عن وعيٍ تام لانتمائه القبلي وحرص بالغ علىٰ تقديم بني أميّة علىٰ من سواهم، وهٰذا لاينافي أنّه يرىٰ لأهل البيت عليهم السلام منزلة خاصّة عند الله تعالىٰ، ففي الأمويّين أفراد من هٰذه الشاكلة، ممّن يحرص علىٰ تقديم آل اميّة ويخدم مصلحة هٰذا الإنتماء، وفي نفس الوقت يتمنّىٰ ألاّ يصطدم مع بني هاشم عامّة وأهل البيت عليهم السلام خاصّة، ويطلب العافية من ذٰلك ويرجوها، والوليد من هٰذا النوع.

لكنّ هٰذه الشاكلة من الرجال تبقىٰ غير مأمونة في لحظات الحرج الشديد، فقد تقدم علىٰ تنفيذ أبشع الجرائم امتثالاً لأوامر الحاكم الطاغية في حالة من حالات الضعف النفسي وطغيان حالة الإزدواجية.

ولذا نجد الإمام عليه السلام يصف الوليد بن عتبة بأنّه (غير مأمون) لرجاله الذين أوقفهم عند باب الوليد ليتدخّلوا إذا اقتضىٰ الأمر قائلاً: «إنّ الوليد قد استدعاني في هٰذا الوقت، ولست آمن أن يكلّفني فيه أمراً لاأجيب إليه، وهو غير مأمون...».[٢]

هٰذا ويمكن القول أيضاً: إنّ الوليد لم يعانِ من مشكلة عمليّة تذكر في منصب الولاية أيّام معاوية، لأنّ معاوية كما الوليد كان يحبّذ معالجة الأمور المستعصية

---

(١) أنساب الأشراف، ٣: ١٥٦، حديث ١٥.

(٢) الإرشاد: ٢٢١.

بالمرونة واللين والدهاء أوّلاً وبالصبر عليها إذا اقتضى العلاج الصبر، لكنّ الوليد بعد موت معاوية مباشرة أصبح أمام مشكلة أساسيّة كبيرة في إدارة الأمور، وهي أنّ أوامر يزيد وطريقة معالجته الأمور، تتّسم بالعجلة والإعتساف والشدّة وعدم التروّي خلافاً لسنن النجاح في الإدارة والحكم، الأمر الذي أحرج الوليد إحراجاً شديداً في تنفيذ الأوامر المتشدّدة الصادرة إليه، وخصوصاً في أصعب القضايا وهي أخذ البيعة من الإمام الحسين عليه السلام.

والظاهر من المتون التأريخيّة أن الوليد عالج المشكلة على طريقته التي يراها بلون من الرفق والمرونة والدهاء ـ لا كما أراد يزيد ـ فلم يشدّد على الإمام عليه السلام، كما احتال لإخفاء خبر موت معاوية عن عموم أهل المدينة حتّى خروج الإمام عليه السلام منها في خطوة لعزل الأمّة عن الإمام عليه السلام، إذ لم يحدّثنا التأريخ المعتبر أنّه عقد اجتماعاً عامّاً للبيعة في المدينة قبل خروج الإمام عليه السلام منها كما بيّنا ذلك من قبل، وهذه الطريقة التي سلكها الوليد خلافاً للأوامر المحدّدة الشديدة التي أمره بها يزيد هي التي أثارت حنق يزيد عليه إذ سرعان ما عزله عن ولاية المدينة بعد خروج الإمام الحسين عليه السلام منها، واستعمل عليها عمرو بن سعيد الأشدق بدلاً منه.

وهنا لابدّ من تسجيل هذه الملاحظة التأريخيّة المهمّة وهي:

أنّ طابع المرونة والرفق في تعامل الوليد مع الإمام الحسين عليه السلام وتباعده عن إحراجه والتشدّد معه كان من الأسباب التي ساعدت الإمام عليه السلام على الخروج من المدينة في ركب من عياله وأهل بيته وبعض أصحابه دونما أيّة ممانعة أو مضايقة أو خطورة تذكر، فلو كان الوالي هو مروان بن الحكم مثلاً لكان من المحتمل والمتوقّع بدرجة كبيرة أن يُقتل الإمام عليه السلام غيلة أو لا أقلّ من أن تفرض عليه إقامة جبريّة في المدينة ويمنع من مغادرتها، حيث تأخذ السلطة لذلك كلّ الإحتياطات

والإستعدادات اللازمة، فلا يتسنّىٰ للإمام عليه السلام الإنفلات من طوق الحصار، ولاتسنح له فرصة الخروج بالثورة إلىٰ رحاب أوسع، فتختنق في مهدها، ويُلقىٰ عليها ألف حجاب وحجاب من أباطيل الإعلام الأمويّ ودعاياته الكاذبة!

لقد كان وجود الوليد بن عتبة والياً علىٰ المدينة آنذاك من الفرص السانحة التي ساعدت الثورة الحسينيّة علىٰ الإنفلات من طوق الرصد الأمويّ الذي كان يتوقّعها منذ موت الحسن عليه السلام ليخنقها في مهد انبعاثها.

٥) ـ **مع العامل الأوّل من عوامل الثورة الحسينيّة:** كان العامل الأوّل من العوامل المؤثّرة في قيام الثورة الحسينيّة المقدّسة وهو عامل رفض البيعة ليزيد قد أعلنه الإمام الحسين عليه السلام في زمن معاوية أيّام سعيه إلىٰ أخذ الأمّة بالبيعة ليزيد بولاية العهد.

وكانت قاطعيّة الإمام عليه السلام في رفض البيعة ليزيد منذ تلك الأيّام وإلىٰ أن صار يزيد حاكماً هي هي لم‌تتذبذب ولم‌يعتورها ضعف أو فتور.

وكان معاوية قد أغمض عن موقف الإمام عليه السلام الصارم في رفض البيعة ليزيد لأنّه كان يؤثّر الحفاظ علىٰ حالة المتاركة مع الإمام عليه السلام ويحرص علىٰ عدم التحرّش به وإثارته لأسباب كنّا قد قدّمنا التفصيل فيها قبل ذٰلك.

ومع أنّ الإمام عليه السلام كان قد أعلن عن رفضه القاطع للبيعة بولاية العهد ليزيد في زمن معاوية، فإنّ عامل رفض البيعة لم‌يُشعل فتيل الثورة الحسينيّة أيّام معاوية لأنّ الإمام عليه السلام كان بدوره أيضاً يؤثر آنذاك الصبر علىٰ حالة المتاركة مع معاوية وعدم القيام مادام معاوية حيّاً لأسباب قدّمنا التفصيل فيها أيضاً فيما مضىٰ تحت عنوان: «لماذا لم‌يثر الإمام الحسين عليه السلام علىٰ معاوية!؟»، ولأنّ يزيد آنذاك لم‌يكن قد صار بالفعل حاكماً بعد أبيه.

على هذا، فالمواجهة بين الإمام الحسين عليه السلام وبين الحكم الأمويّ كانت معلنة من قبل الإمام عليه السلام منذ ذلك الوقت، لكنّها كانت مؤجّلة مادام معاوية في الحياة، ومادام يزيد لم يصبح حاكماً بعده بالفعل.

وهنا قد يُثار هذا السؤال وهو:

لو أنّ يزيد بعد أن أصبح حاكماً بعد أبيه بالفعل لم يكن قد طلب البيعة من الإمام الحسين عليه السلام، وترك الإمام الحسين عليه السلام وشأنه، هل كان الإمام عليه السلام سيسكت عن حكومة يزيد، ويؤثر القعود والمتاركة وعدم القيام!؟

وفي الإجابة عن هذا السؤال لابدّ من التذكير بهذه الحقيقة وهي:

أنّ التفكيك بين عامل رفض البيعة ليزيد وبين عامل طلب الإصلاح في الأمّة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تفكيك إعتباريّ غير حقيقيّ، هذا التفكيك نتعاطاه في الذهن ولا حقيقة له في الخارج، إذ إنّ هذين العاملين ممتزجان في الحقيقة منذ البدء، فما رَفْضُ الإمام عليه السلام لهذه البيعة إلاّ كي لاتتحقّق المفسدة ويُقضى على الصلاح ويتلاشى المعروف ويستحكم المنكر، وما طلب الإمام عليه السلام الإصلاح والتغيير في أمّة جدّه والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلاّ كي يقضي على الفساد والمنكر الذي من أهمّ مصاديقه الحكومة الفاسدة التي على رأسها رجل متهتّك مثل يزيد.

والمتأمّل في البيانات الأولى التي صرّح بها الإمام عليه السلام يكتشف بوضوح حقيقة الإمتزاج الذي لايقبل التفكيك بين هذين العاملين، إنّ رفض الإمام عليه السلام البيعة ليزيد في مجلس والي المدينة آنئذٍ الوليد بن عتبة كان قد امتزج منذ اللحظات الأولى بعامل طلب الإصلاح في الأمّة وإقامة الخلافة الحقّة في احتجاجه عليه السلام حين قال للوليد بن عتبة:

«أيّها الأمير، إنّا أهل بيت النبوّة، ومعدن الرسالة، ومختلف الملائكة، ومحلّ الرحمة، وبنا فتح الله وبنا ختم، ويزيد رجل فاسق، شارب خمر، قاتل النفس المحرّمة، ملعنٌ بالفسق، ومثلي لايبايع مثله، ولكنّ نصبح وتصبحون، وننظر وتنظرون أيّنا أحقّ بالخلافة والبيعة».[1]

كما يلحظ المتأمّل أيضاً حقيقة الإمتزاج بين هذين العاملين في احتجاجات الإمام الحسين عليه السلام علىٰ معاوية في قضيّة البيعة ليزيد بولاية العهد.

وامتزاج عامل رفض البيعة بعامل طلب الإصلاح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يعني أنّ الأمويّين لو تركوا الإمام الحسين عليه السلام وشأنه، ولم يطالبوه بالبيعة لماتركهم وشأنهم ولماكفّ عنهم.

ولايخفىٰ أنّ قاطعيّة الإمام الحسين عليه السلام في رفض البيعة ليزيد، والتي عبّر عنها الإمام عليه السلام بقوله لأخيه محمّد بن الحنفيّة قائلاً:

«يا أخي والله لو لم‌يكن في الدنيا ملجأ ولا مأوى لمابايعتُ والله يزيد بن معاوية أبداً»،[2] لم‌تنشأ عن سبب شخصيٍّ، بل عن سبب مبدئيٍّ.

لقد آثر الإمام الحسين عليه السلام أن يقتل ولايقبل بالبيعة ليزيد لأنّ خطر مبايعة يزيد كان موجّهاً للإسلام وليس لشخص الإمام عليه السلام، أي أنّ هٰذا الخطر كان يهدّد النظام الكليّ للإسلام وفلسفة قيام الحكم الإسلامي، وهي ليست مسألة جزئيّة أو فرعيّة تتحمّل التقيّة.

كانت بيعة الإمام عليه السلام ليزيد تعني إضفاء المشروعيّة والمصادقة علىٰ تحوّل

---

(١) الفتوح، ٥: ١٤.

(٢) الفتوح، ٥: ٢١.

شكل الحكم الإسلامي إلىٰ ملك وراثيّ عضوض، وهٰذا يعني في جملة ما يعنيه بقاء الحكم والسلطة في البيت الأمويّ، الأمر الذي يعني بدوره أيضاً بقاء الحكم والسلطة في يد أخطر فصيل من فصائل حركة النفاق التي دأبت تسعىٰ ـ منذ رحلة النبيّ صلى الله عليه وآله ـ إلىٰ القضاء التدريجي علىٰ الإسلام المحمّديّ الخالص.

ولمّا انتهىٰ الأمر إلىٰ معاوية بن أبي سفيان، تمكّن هٰذا الرجل الداهية مع طول المدّة وعمق الحيلة وتعدّد الأساليب من أن يخدع جلّ هٰذه الأمّة الإسلاميّة علىٰ كلّ الأصعدة، فلم يعد أكثر هٰذه الأمّة يرىٰ إلاّ ما يطرحه الأمويّون تحت عنوان الإسلام أو يرتضونه من الإسلام علىٰ صعيد الإعتقاد والتشريع والأخلاق، حتّىٰ صار أكثر الناس لايعرفون إلاّ (الإسلام الأمويّ)، ولايرون فصلاً بين الأمويّة والإسلام، ولايدرون أنّ الحقيقة شيءٌ آخر غير هٰذا!!!

فلو أنّ الإمام الحسين عليه السلام كان قد بايع يزيد، لكان بذٰلك قد صادق علىٰ أُكذوبة عدم الفصل بين الأمويّة والإسلام، وصادق علىٰ مشروعيّة وحقّانيّة (الإسلام الأمويّ)، وصادق علىٰ مشروعيّة كلّ مبتدعات حركة النفاق، ووقّع معترفاً بصحّة الإنحراف وبمشروعيّة استمراره... وهٰذا لايعني إلاّ المصادقة علىٰ القضاء التامّ علىٰ الإسلام المحمّدي الخالص.

من هنا أكّد الإمام الحسين عليه السلام على أنّ مبايعته ليزيد هي القضاء علىٰ الإسلام حين قال لمروان بن الحكم:

«إنّا للّه وإنّا إليه راجعون، وعلىٰ الإسلام السلام إذ قد بُلِيت الأمّة براعٍ مثل يزيد».[١]

---

(١) الفتوح، ٥: ١٧.

ومن نافلة القول بعد هٰذا أن نذكّر بأنّ مبايعة الإمام الحسين عليه السلام ليزيد كانت تعني أيضاً ـ فضلاً عن القضاء التامّ علىٰ الإسلام ـ إضفاء المشروعيّة والمصادقة علىٰ كلّ سوءات ومساءات الحكم الأمويّ، ومنها سبّ الإمام عليٍّ عليه السلام ولعنه، وهو ما كان قد شرع به في زمن معاوية.



الفصل الرابع

☑ بداية رحلة الفتح بالشهادة

الفصل الرابع

بداية رحلة الفتح بالشهادة

□ لماذا لم يبق الإمام عليه السلام في المدينة المنوّرة؟

لماذا عزم الإمام الحسين عليه السلام على ترك المدينة المنوّرة وآثر الخروج منها؟

ألم يكن له فيها مأمنٌ مع كثرة من فيها من بني هاشم والصحابة من مهاجرين وأنصار وكثرة من فيها من التابعين!؟

هل كان هناك من يستطيع أن يجسر على قتال الإمام الحسين عليه السلام في المدينة ومواجهته فيها مواجهة عسكريّة علنيّة مع ما كان يتمتّع به الإمام عليه السلام من قدسيّة خاصّة ومنزلة سامية وشأن رفيع في قلوب أهل المدينة!؟

هل كان ثَمَّ احتمال لاغتيال الإمام عليه السلام في المدينة!؟

وهل كان خروج الإمام عليه السلام «**خائفاً يترقّب**» خشية من تحقّق هٰذا الأمر خوفاً على نفسه الشريفة وعلى صفوة أنصاره من أهل بيته وأصحابه!؟

أم أنّ الإمام عليه السلام أراد من وراء كلّ ذٰلك أمراً آخر؟

لايخفى على متأمّل أنّ احتمال وقوع مواجهة عسكريّة في المدينة بين الإمام عليه السلام وأنصاره من جهة وبين قوّات السلطة الأمويّة من جهة أخرى كان احتمالاً قويّاً بسبب رعونة يزيد بن معاوية التي تجسّدت في أوامره المشدّدة لوالي المدينة آنئذٍ الوليد بن عتبة بقتل الإمام الحسين عليه السلام في حال رفضه البيعة،

خصوصاً في رسالته الأخيرة إلى الوليد الذي ذكر له في رسالة بعد لقائه بالإمام عليه السلام وإعلان الإمام عليه السلام رفضه المبايعة: «أنّه ليس يرى لنا عليه طاعة ولا بيعة»،[١] حيث غضب يزيد لذلك غضباً شديداً، وكان إذا غضب انقلبت عيناه فعاد أحول، وكتب إلى الوليد قائلاً: «من عبدالله يزيد أمير المؤمنين إلى الوليد بن عتبة. أمّا بعدُ: فإذا ورد عليك كتابي هذا، فخذ البيعة ثانياً على أهل المدينة بتوكيد منك عليهم، وذر عبدالله بن الزبير فإنّه لن يفوتنا ولن ينجو منّا أبداً مادام حيّاً، وليكن مع جوابك إليَّ رأس الحسين بن عليّ، فإذا فعلت ذلك فقد جعلت لك أعنّة الخيل، ولك عندي الجائزة والحظّ الأوفر والنعمة واحدة، والسلام».[٢]

وعلى فرض أنّ والي المدينة الوليد بن عتبة لم يكن ليمتثل لأمر يزيد بقتل الإمام عليه السلام، حيث يروي التأريخ أنّه لمّا ورد عليه كتاب يزيد قال: «لا والله لا يراني الله قاتل الحسين بن عليّ، وأنا لا أقتل ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله ولو أعطاني يزيد الدنيا بحذافيرها»،[٣] فإن يزيد لن يُعدم أمويّين آخرين يُسارعون إلى تنفيذ أوامره بقتل الإمام عليه السلام، من أمثال مروان بن الحكم وأضرابه، وحادثة المواجهة المسلّحة التي كادت أن تقع بين الأمويّين بقيادة مروان بن الحكم وبين بني هاشم في يوم دفن الإمام الحسن عليه السلام خير شاهد على ذلك.

لكنّ المتأمّل يجد أنّ الأمويّين أنفسهم لا يرون هذا الإختيار أفضل من اختيار اغتيال الإمام الحسين عليه السلام في صورة غامضة يمكنهم فيها الظهور بمظهر البُرآء من دمه، بل ويمكنهم فيها تمثيل دور المطالب بدمه، فيتقرّبون بذلك إلى قلوب الأمّة

---

(١) الفتوح، ٥: ١٨.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

ويفوزون بميلها إليهم.

إنّ من الأمويّين نخبة من أهل الدهاء والتخطيط والتدبير، كما إنّ فيهم جماعة من الحمقىٰ وذوي الخرق والإعتساف، ولا شك أنّ أهل الدهاء ـ علىٰ منهج معاوية في التخلّص من أعدائه ـ يرجّحون أسلوب الإغتيال علىٰ أسلوب المواجهة المسلّحة المكشوفة.

لقد كان احتمال الإغتيال هو الإحتمال الأكبر، وقد حسب له الإمام الحسين عليه السلام حسابه الواقعي فاستبق الأحداث زمنياً تحسّباً من تحقّقه وخرج من المدينة.

وكفى برسائل يزيد إلىٰ الوليد بن عتبة دليلاً علىٰ عزم يزيد وتصميمه علىٰ اغتيال الإمام عليه السلام بشكل غامض أو صريح، غير أنّ من الدلائل التأريخيّة الأخرىٰ علىٰ ذٰلك ما ورد في رسالة ابن عبّاس إلىٰ يزيد حيث خاطبه فيها قائلاً: «... وما أنسَ من الأشياء، فلستُ بناس اطّرادك الحسين بن علي من حرم رسول‌الله إلىٰ حرم الله، ودسّك عليه الرجال تغتاله، فأشخصته من حرم الله إلىٰ الكوفة، فخرج منها خائفاً يترقّب، وقد كان أعزّ أهل البطحاء بالبطحاء قديماً، وأعزّ أهلها بها حديثاً، وأطوع أهل الحرمين بالحرمين لوتبوّأ بها مقاماً واستحلّ بها قتالاً، ولكن كره أن يكون هو الذي يستحلّ حرمة البيت وحرمة رسول‌الله، فأكبر من ذٰلك ما لم تكبر حيث دسست عليه الرجال فيها ليقاتل في الحرم...»،[1] فهذا المقطع من رسالة ابن عبّاس كاشف عن أنّ يزيد سعىٰ إلىٰ اغتيال الإمام عليه السلام في المدينة كما سعىٰ إلىٰ ذٰلك في مكّة المكرّمة.

واستباقاً لما هو متوقّع الحدوث، فقد خرج الإمام عليه السلام بركبه من المدينة، إذ

---

(١) تأريخ اليعقوبي، ٢: ٢٤٨ ـ ٢٤٩.

لم تعد مدينة رسول الله صلى الله عليه وآله مأمناً لابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله!!

وصحيح أنّه عليه السلام كان قد خرج من المدينة خشية الإغتيال خوفاً علىٰ نفسه الشريفة، وخوفاً من أن تهتك حرمة حرم رسول الله صلى الله عليه وآله بقتله غيلة أو في مواجهة مسلّحة، لكنّ الصحيح في العمق أيضاً أنّ هٰذا الخوف كان يقع ضمن إطار خوفٍ أكبر، وهو خوفه عليه السلام من أن تخنق ثورته المقدّسة قبل اشتعالها بقتله غيلة في المدينة في ظروف زمانيّة ومكانيّة وملابسات مفتعلة يقوم بإعدادها وإخراجها الأمويّون أنفسهم، يستطيعون من خلالها الإستفادة حتّىٰ من حادثة قتله لصالحهم إعلامياً فتبقىٰ مأساة الإسلام علىٰ ما هي عليه، بل تترسّخ المصيبة وتشتدّ!!

كان الإمام عليه السلام حريصاً علىٰ أن يتحقّق مصرعه ـ الذي كان لابدّ منه ما لم يبايع ـ في ظروف زمانيّة ومكانيّة يختارها هو عليه السلام، لايتمكّن العدوّ فيها أن يعتمّ علىٰ مصرعه، أو أن يستفيد من واقعة قتله لصالحه، فتختنق الأهداف المنشودة من وراء هٰذا المصرع الذي أراد منه عليه السلام أن تهتزّ أعماق وجدان الأمّة لتتحرّك بالإتّجاه الصحيح الذي أراده عليه السلام لها.

فكان خروجه عليه السلام من المدينة ـ وكذلك من مكّة ـ في الأصل انفلاتاً بالثورة المقدّسة من طوق الحصار والتعتيم الأمويّ، إضافة إلىٰ خوفه عليه السلام من أن تهتك حرمة أحد الحرمين الشريفين بقتله.

❑ الليلة أو الليلتان الأخيرتان في المدينة:

لنعد إلىٰ مجرىٰ أحداث القصّة في المدينة المنوّرة بعد لقاء الإمام الحسين عليه السلام بوالي المدينة الوليد بن عتبة، ذلك اللقاء الذي أعلن عليه السلام فيه رفضه للبيعة، كما أعلن فيه أنّه أحقّ الناس بالخلافة.

وقد يتساءل المتابع قائلاً: كم بقي الإمام الحسين عليه السلام في المدينة المنوّرة بعد ذلك اللقاء الساخن المشحون بالتوتّر؟

ولايقع المتابع في هذه المسألة على جواب تأريخيّ واحد، لأنّ المصادر التأريخيّة قد اختلفت في الإجابة عن هذا السؤال، فالسيّد بن طاووس رحمه الله في كتابه اللهوف، يقول: «قال رواة حديث الحسين عليه السلام مع الوليد بن عتبة ومروان: فلمّا كان الغداة توجّه الحسين عليه السلام إلى مكّة لثلاث مضين من شعبان سنة ستّين...».[1] وهذا يعني أنّ الإمام عليه السلام لم يبق بعد ذلك اللقاء إلاّ سواد تلك الليلة نفسها حيث خرج أوّل صبحها من المدينة!! وهذا لاينسجم ـ من حيث سعة الوقت ـ مع الأخبار التي تتحدّث عن ذهابه إلى زيارة قبر جدّه صلى الله عليه وآله مرّتين، وذهابه إلى زيارة قبر أمّه وأخيه عليهما السلام، ولقائه مع كلٍّ من أمّ سلمة رضى الله عنها ومحمّد بن الحنفيّة رضي الله عنه، وعمر الأطرف، ونساء بني هاشم، ومروان بن الحكم وغيرهم... فسواد تلك الليلة لايتّسع لكلّ ذلك، فضلاً عن الوقت الذي يستلزمه الإعداد للرّحيل، فضلاً عن أنّ لقاءه عليه السلام مع الوليد بن عتبة كان في ساعة متأخّرة من تلكم الليلة.

وتقول بعض المصادر الأخرى: «وخرج الحسين في الليلة الآتية بأهله وفتيانه، وقد اشتغلوا عنه بابن الزبير، فلحق بمكّة».[2]

---

(١) اللهوف: ١٣.

(٢) تذكرة الخواصّ: ٢١٤؛ وهذا يوافق ما في إرشاد المفيد رحمه الله: ٢٢٢ حيث يقول: «فأقام الحسين عليه السلام في منزله تلك الليلة (يعني ليلة لقاء الوالي) وهي ليلة السبت لثلاثٍ بقين من رجب سنة ستّين من الهجرة... فكفّوا تلك الليلة عنه ولم يلّحوا عليه، فخرج الحسين عليه السلام من تحت ليلته وهي ليلة الأحد ليومين بقيا من رجب متوجّهاً نحو مكّة...».

وهٰذا يعني أنّ الإمامعليه السلام قد خرج في الليلة التي تلت ليلة اللقاء مع الوالي، لكنّ هٰذا المصدر التأريخي نفسه (تذكرة الخواصّ) ينقل بعد ذٰلك مباشرة هٰذا الخبر: «وقال أبوسعيد المقري: سمعت الحسينعليه السلام يتمثّل تلك الليلة وهو خارج من المسجد بقول ابن مفرغ:[1]

لا ذعــرت الســوام في غسـق الصبح مـــغيراً ولا دعـــوت يـــزيدا

يــوم أُعــطي مـــن المــهانة ضـيماً والمــــنايا يـــرصدنني أن أَحـــيدا

قال: فقلت في نفسي ما تمثّل بهذين البيتين إلاّ لشيءٍ يريده، فخرج بعد ليلتين إلىٰ مكّة».[2]

ويستفاد من هٰذا الخبر أنّ الإمامعليه السلام قد خرج بعد ليلتين من ليلة اللقاء بالوليد بن عتبة، كما يستفاد منه أيضاً أنّهعليه السلام زار قبر جدّهصلى الله عليه وآله زيارته الأولىٰ في نفس ليلة اللقاء[3] في الساعات الأخيرة منها.

وهٰذا عموماً يوافق المستفاد أيضاً من سرد ابـن أعـثم الكـوفي لـمجريات أحداث القصّة في كتابه الفتوح.[4]

يقول التأريخ:

«وخرج حسين بن عليّ من منزله ذات ليلة (وهي ذات ليلة اللقاء بالوليد بن

(١) هو يزيد بن مفرغ الشاعر المشهور، وقد روي البيت في مصادر أُخرى بتفاوت يسير.

(٢) تذكرة الخواصّ: ٢١٤.

(٣) كما رجّح ذٰلك السيّد المقرّم في كتابه المقتل: ١٣١؛ حيث يقول: «وفي هٰذه الليلة زار الحسين قبر جدّهصلى الله عليه وآله فسطع له نور من القبر...».

(٤) راجع الفتوح، ٥: ١٦ ـ ٢٢.

عتبة كما بيّنّا)، وأتىٰ إلىٰ قبر جدّه صلّى الله عليه وآله فقال:

السلام عليك يا رسول الله، أنا الحسين بن فاطمة، أنا فرخك وابن فرختك، وسبطك في الخلف الذي خلّفت علىٰ أمّتك، فاشهد عليهم يا نبيّ الله أنّهم قد خذلوني وضيّعوني، وأنّهم لم يحفظوني، وهٰذه شكواي اليك حتّىٰ ألقاك صلّىٰ الله عليك وسلّم.

ثمّ وثب قائماً وصفّ قدميه، ولم يزل راكعاً وساجداً...

قال: وأرسل الوليد بن عتبة إلىٰ منزل الحسين لينظر هل خرج من المدينة أم لا، فلم يصبه في منزله فقال: الحمدلله الذي لم يطالبني الله عزّ وجلّ بدمه، وظنّ أنّه خرج من المدينة.

قال: ورجع الحسين إلىٰ منزله مع الصبح!»[1]

«قال: وأصبح الحسين من الغد، خرج من منزله ليستمع الأخبار، فإذا هو بمروان بن الحكم قد عارضه في طريقه...».[2]

لنتابع ما حدث في الليلة الثانية...

يقول صاحب الفتوح: «... فلمّا كانت الليلة الثانية خرج إلىٰ القبر أيضاً فصلّىٰ ركعتين، فلمّا فرغ من صلاته جعل يقول:

ألّلهمّ، هٰذا قبر نبيّك محمّد، وأنا ابن بنت محمّد وقد حضرني من الأمر ما قد علمت، ألّلهمّ وإنّي أحبّ المعروف وأكره المنكر، وأنا أسألك يا ذا الجلال

---

(١) الفتوح، ٥: ١٨؛ وفي بحار الانوار، ٤٤: ٣٢٧ ـ ٣٢٨ بتفاوت يسير.

(٢) الفتوح، ٥: ١٦ ـ ١٧ وقد ذكرنا تفصيل هٰذه اللقاء بين الإمام عليه السلام وبين مروان في الفصل الثالث تحت عنوان: (مروان... والغرض المزدوج)، فراجع.

والإكرام بحقّ هٰذا القبر ومن فيه إلاّ ما اخترت من أمري هٰذا ما هو لك رضىً.

قال: ثمّ جعل الحسين عليه السلام يبكي، حتّىٰ إذا كان في بياض الصبح وضع رأسه علىٰ القبر فأغفىٰ ساعة، فرأىٰ النبيّ صلى الله عليه وآله قد أقبل في كبكبة من الملائكة عن يمينه وعن شماله ومن بين يديه ومن خلفه حتّىٰ ضمّ الحسين إلىٰ صدره وقبّل بين عينيه.

وقال: يا بنيّ يا حسين، كأنّك عن قريب أراك مقتولاً مذبوحاً بأرض كرب وبلاء من عصابة من أمّتي، وأنت في ذٰلك عطشان لاتُسقىٰ، وظمآن لاتروىٰ، وهم مع ذٰلك يرجون شفاعتي، ما لهم!، لاأنالهم الله شفاعتي يوم القيامة! فما لهم عندالله من خلاق. حبيبي يا حسين، إنّ أباك وأمّك وأخاك قد قدموا عليّ، وهم إليك مشتاقون. وإنّ لك في الجنّة درجات لن تنالها إلاّ بالشهادة.

قال: فجعل الحسين ينظر في منامه إلىٰ جدّه صلى الله عليه وآله ويسمع كلامه..

وهو يقول: يا جدّاه، لا حاجة لي في الرجوع إلىٰ الدنيا أبداً، فخذني إليك، واجعلني معك إلىٰ منزلك.

قال: فقال له النبيّ صلى الله عليه وآله: **يا حسين، إنّه لابدّ لك من الرجوع إلىٰ الدنيا حتّىٰ ترزق الشهادة وما كتب الله لك فيها من الثواب العظيم، فإنّك وأباك وأخاك وعمّك وعمّ أبيك تحشرون يوم القيامة في زمرة واحدة حتّىٰ تدخلوا الجنّة».**[1]

... وانتبه الإمام عليه السلام وقصّ رؤياه علىٰ أهل بيته وبني عبدالمطّلب «فلم يكن ذٰلك اليوم

---

(١) الفتوح، ٥: ١٨ ـ ١٩: و ورد في الهامش: «قال الحدّادي: فرفع النبي صلى الله عليه وآله يده ورأسه إلىٰ السماء فقال: أللّهمّ أفرغ علىٰ حبيبي الصبر وأعظم له الأجر. (عن هامش المقتل)».

في شرق ولا غرب أشدّ غمّاً من أهل بيت الرسول صلى الله عليه وآله ولا أكثر منه باكياً ولا باكية.»[١]

ويقول صاحب الفتوح: «وتهيّأ الحسين بن علي عليه السلام وعزم على الخروج من المدينة ومضىٰ في جوف الليل إلىٰ قبر أمّه فصلّىٰ عند قبرها وودّعها ثمّ قام عن قبرها وصار إلى قبر أخيه الحسن عليه السلام ففعل مثل ذٰلك، ثمّ رجع إلىٰ منزله. وفي وقت الصبح أقبل أخوه محمّد بن الحنفية».[٢]

ومع أنّ ابن أعثم لم يحدّد أيّة ليلة كانت تلك الليلة التي زار فيها الإمام عليه السلام قبر أمّه وقبر أخيه عليهما السلام، إلاّ أنّ القرينة في قوله: «وفي وقت الصبح أقبل إليه أخوه محمّد» كاشفة عن أنّ تلك الليلة هي الليلة التي سبقت ليلة السفر إلىٰ مكّة، لأنّ لقاء أخيه محمّد معه عليه السلام كان في آخر نهار له عليه السلام في المدينة (علىٰ ما في الفتوح) كما سيأتي.

❏لقاءات الوداع في المدينة

وفي غضون هٰذه الفترة الوجيزة هرع إلىٰ الإمام عليه السلام رجال ونساء من بني‌هاشم ومن غيرهم يودّعونه ويتزوّدون من رؤيته قبل الفراق، وقد سجّل لنا التأريخ بعض هٰذه اللقاءات المشحونة بالحزن والأسىٰ والقلق والخوف علىٰ الإمام عليه السلام.

---

(١) الفتوح، ٥: ١٨ ـ ١٩ وممّا يؤسف له أنّ ابن أعثم الكوفي في هٰذا الخبر يقع في الغفلة أو الجهل (وأخذ عنه ذٰلك مؤرّخون آخرون) حيث يقول: «فانتبه الحسين من نومه فزعاً مذعوراً فقصّ رؤياه...»!! ترىٰ هل يمكن أن يفزع سيّد الشهداء عليه السلام ويذعر من بشرىٰ الشهادة والدرجة الرفيعة!؟ أم يزداد سروراً وأنساً؟ وهو الذي كان يترقّب هٰذه الشهادة ويخبر الناس عنها منذ طفولته!!

(٢) الفتوح، ٥: ١٩ ـ ٢٠.

ونحن نذكر هنا من هٰذه اللقاءات ما هو متيقّن الحدوث في المدينة، وأمّا ما لم نقطع تحقيقاً بحدوثه في المدينة، أو في مكّة، فسوف نذكره ضمن لقاءات الإمام عليه السلام في مكّة لوجود قرينة تجعله مظنون الحدوث في مكّة.

عزاء نساء بني عبدالمطّلب

عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال: «لمّا همّ الحسين عليه السلام بالشخوص عن المدينة أقبلت نساء بني عبدالمطّلب، فاجتمعن للنياحة حتّىٰ مشىٰ فيهنّ الحسين عليه السلام فقال: أُنشدكنّ الله أن تُبدين هٰذا الأمر معصية لله ولرسوله.

قالت له نساء بني عبدالمطّلب: فَلِمَ نستبقي هٰذه النياحة والبكاء؟ فهو عندنا كيومٍ مات فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وعليّ عليه السلام وفاطمة عليها السلام ورقيّة وزينب وأمّ كلثوم، فننشدك الله، جعلنا الله فداك من الموت، فيا حبيب الأبرار من أهل القبور.

وأقبلت بعض عمّاته تبكي وتقول: أشهد يا حسين لقد سمعت الجنّ ناحت بنوحك، وهم يقولون:

وإنّ قتيل الطفّ من آل هاشمٍ ... أذلّ رقاباً من قريشٍ فذلّتِ
حبيب رسول الله، لم يك فاحشاً ... أبانت مصيبتك الأنوف وَجَلَّتِ

وقلن أيضاً:

بكّوا حسيناً سيّداً ولقتله شاب الشَّعَر ... ولقتله زُلزلتمُ ولقتله انكسف القمر
واحمرّت آفاق السماء من العشيّة والسحر ... وتغيّرت شمس البلاد بهم وأظلمت الكُوَر
ذاك ابن فاطمة المصاب به الخلائق والبشر ... أورثتنا ذُلّاً به جَدْعُ الأُنوف مع الغرر[1]

(١) كامل الزيارات: ٩٦.

وقد ذكر صاحب كتاب معالي السبطين: «ثمّ إنّ نساء بني هاشم أقبلن إلىٰ أمّهاني عمّة الحسين عليه السلام وقلن لها: يا أمّ هاني، أنت جالسة والحسين عليه السلام مع عياله عازم علىٰ الخروج!؟

فأقبلت أمّهاني، فلمّا رآها الحسين عليه السلام قال: أما هٰذه عمّتي أمّهاني؟

قيل نعم.

فقال: يا عمّة، ما الذي جاء بك وأنت علىٰ هٰذه الحالة!؟

فقالت: وكيف لاآتي، وقد بلغني أنّ كفيل الأرامل ذاهب عنّي!؟

ثمّ إنّها انتحبت باكية، وتمثّلت بأبيات أبيها أبي طالب عليه السلام:

وأبيض يستسقىٰ الغمام بوجهه ... ثمال اليتامىٰ عصمة للأرامل
تطوف به الهلّاك من آل هاشم ... فهم عنده في نعمة وفواضل

ثمّ قالت: سيّدي وأنا متطيّرة عليك من هٰذا المسير لهاتف سمعتُ البارحة يقول:

وإنّ قتيل الطفّ من آل هاشم ... أَذلَّ رقاباً من قريش فذلّتِ
حبيب رسول الله، لم يك فاحشاً ... أبانت مصيبته الأنوف وجلّتِ

فقال لها الحسين عليه السلام: يا عمّة لاتقولي من قريش، ولكن قولي «أذلّ رقاب المسلمين فذلّت».

ثمّ قال: يا عمّة، كلُّ الذي مقدّر فهو كائن لامحالة.

وقال عليه السلام:

وما هم بقومٍ يغلبون ابن غالب ... ولكن بعلم الغيب قد قُدِّرَ الأمرُ

فخرجت أمّ هاني من عنده باكية وهي تقول:

وما أمُّ هاني وحدها ساء حالَها خروج حسينٍ عن مدينة جدّه
ولكنّما القبرُ الشريف ومن به ومنبره يبكون من أجله فقده[1]

عزاء أمّ المؤمنين أمّ سلمة (رض):

وروي أنّه: «لمّا عزم على الخروج من المدينة أتته أمّ سلمة رضي الله عنها فقالت: يا بنيّ لاتحزنّي بخروجك إلىٰ العراق، فإنّي سمعت جدّك يقول: يُقتل ولدي الحسين بأرض العراق في أرض يُقال لها كربلا.

فقال لها: يا أمّاه، وأنا والله أعلم ذٰلك، وإنّي مقتول لامحالة، وليس لي من هٰذا بدٌّ، وإنّي والله لأعرف اليوم الذي أقتل فيه، وأعرف من يقتلني، وأعرف البقعة التي أُدفن فيها، وإنّي أعرف من يُقتل من أهل بيتي وقرابتي وشيعتي، وإن أردت يا أمّاه أُريك حفرتي ومضجعي.

ثمّ أشار إلىٰ جهة كربلاء فانخفضت الأرض حتّىٰ أراها مضجعه ومدفنه وموضع عسكره، وموقفه ومشهده.

فعند ذٰلك بكت أمُّ سلمة بكاءً شديداً، وسلّمت أمره إلىٰ الله...

فقال لها: يا أمّاه، قد شاء الله عزّ وجلّ أن يراني مقتولاً مذبوحاً ظلماً وعدواناً، وقد شاء أن يرىٰ حرمي ورهطي ونسائي مُشرَّدين، وأطفالي مذبوحين مظلومين، مأسورين مقيّدين وهم يستغيثون فلايجدون ناصراً ولا معيناً.

وفي رواية أخرىٰ:

---

(١) معالي السبطين، ١: ٢١٤ ـ ٢١٥ ولم يذكر المصدر الذي أخذ عنه هٰذا التفصيل.

قالت أمّ سلمة: وعندي تربة دفعها إليّ جدُّك في قارورة.

فقال: والله إنّي مقتول كذلك، وإن لم أخرج إلىٰ العراق يقتلونني أيضاً. ثمّ أخذ تربة فجعلها في قارورة، وأعطاها إيّاها.

وقال: إجعليها مع قارورة جدّي، فإذا فاضتا دماً فاعلمي أنّي قد قُتلت».[١]

أمّ سلمة (رض) والودائع

وروي أنّه «لمّا توجّه الحسين عليه السلام إلىٰ العراق دفع إلىٰ أمّ سلمة رضي الله عنها زوج النبيّ صلى الله عليه وآله الوصيّة والكتب وغير ذٰلك، وقال لها: إذا أتاك أكبر ولدي فادفعي إليه ما قد دفعت إليك.

فلمّا قُتل الحسين عليه السلام أتىٰ علي بن الحسين عليه السلام أمّ سلمة رضي الله عنها فدفعت إليه كلّ شئ أعطاها الحسين عليه السلام».[٢]

وفي رواية أخرىٰ: «وكتب الحسين عليه السلام وصيّة، وأودعها أمّ سلمة، وجعل طلبها منها علامةً علىٰ إمامة الطالب لها من الأنام، فطلبها زين العابدين عليه السلام».[٣]

وهٰذا كاشف عن صدق ايمان أمّ المؤمنين (أمّ سلمة رضوان الله تعالىٰ عليها) وجلالة شأنها ومنزلتها الخاصّة عند أهل البيت عليهم السلام.

عمر الأطرف ومنطق المداهنة وحبّ السلامة!!

وروي عن عمر الأطرف بن الإمام عليّ عليه السلام أنّه قال: «لمّا امتنع أخي

(١) بحار الأنوار، ٤٤: ٣٣١ ـ ٣٣٢، باب ٣٧؛ وفي الخرائج والجرائح، ١: ٢٥٣ـ٢٥٤، باب ٤، حديث ٧، مثلها بتفاوت.

(٢) الغيبة للشيخ الطوسي: ١٩٥، حديث ١٠٩.

(٣) الصراط المستقيم: ١٦١ (النصّ علىٰ زين العابدين عليه السلام).

الحسين عليه السلام عن البيعة ليزيد بالمدينة دخلت عليه فوجدته خالياً.

فقلت له: جُعلت فداك يا أباعبدالله، حدّثني أخوك أبومحمّد الحسن عن أبيه عليهما السلام ...

ثمّ سبقتني الدمعة، وعلا شهيقي، فضمّني إليه.

وقال: حدّثك أنّي مقتول؟

فقلت: حوشيتَ يا ابن رسول الله!

فقال: سألتك بحقّ أبيك، بقتلي خبّرك؟

فقلت: نعم، فلو لا ناولت وبايعت!!

فقال: حدّثني أبي أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أخبره بقتله وقتلي، وأنّ تربتي تكون بقرب تربته، فتظنُّ أنّك علمت ما لم أعلمه!؟ وإنّه لا أعطي الدنيّة من نفسي أبداً، ولتلقينّ فاطمة أباها شاكية ما لقيت ذرّيتها من أمّته، ولا يدخل الجنّة أحدٌ آذاها في ذرّيتها!!».[1]

---

(١) اللهوف: ١١ ـ ١٢؛ وعمر الأطرف: هو عمر بن الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وهو آخر من ولد له من الذكور، وأمّه الصهباء التغلبيّة، ولدته مع رقيّة بنت أمير المؤمنين عليه السلام توأماً، ومات عمر بينبع وهو ابن سبع وسبعين سنة، وقيل خمس وسبعين (راجع سفينة البحار، ٢: ٢٧٢)؛ وهو ممّن تخلّف عن نصرة الإمام الحسين عليه السلام ولم يذكر التأريخ له عذراً في ذلك. وكان قد خاصم الإمام السجّاد عليه السلام في صدقات النبيّ وأمير المؤمنين عليه السلام وآذاه لكنّ ذلك لم يمنع السجاد عليه السلام من مقابلة القطيعة بالصلة فزوّج ابنه محمّد بن عمر من ابنته خديجة بنت عليّ عليه السلام (راجع البحار، ٤٢: ٩٣، باب ١٢٠، حديث ٢٠)؛ وقيل إنّ عمر أتىٰ المختار من الحجاز فسأله المختار: هل معك كتاب محمّد بن الحنفيّة؟ فقال عمر: لا. فطرده المختار، وسار إلىٰ مصعب بن الزبير، فاستقبله في بعض الطريق، فوصله بمائة ألف درهم، وأقبل مع مصعب حتّىٰ حضر الوقعة فقُتِلَ فيمن قُتل من الناس.

محمّد بن الحنفيّة... النصيحة والوصيّة

في صباح آخر نهار للإمام الحسين عليه السلام في المدينة أقبل إليه أخوه محمّد بن الحنفيّة رضي الله عنه، وقد غلبه الأسىٰ والحزن، وطغىٰ عليه القلق والخوف علىٰ حياة الإمام عليه السلام، وقد قلّب أوجه التفكير في الأمر، ورأىٰ أن يقدّم النصيحة بين يدي أخيه عليه السلام، فلمّا استقرّ به المقام:

قال: «يا أخي أنت أحبُّ الناس إليّ، وأعزّهم عليّ، ولستُ أدّخر النصيحة لأحد من الخلق إلاّ لك، وأنت أحقّ بها، تنحَّ ببيعتك عن يزيد بن معاوية وعن الأمصار ما استطعت، ثمّ ابعث رسلك إلىٰ الناس فادعهم إلىٰ نفسك، فإن بايعك الناس وبايعوا لك حمدت الله علىٰ ذٰلك، وإن اجتمع الناس علىٰ غيرك لن يُنقص الله بذٰلك دينك ولا عقلك ولاتذهب به مروّتك ولا فضلك، إنّي أخاف عليك أن تدخل مصراً من هٰذه الأمصار، فيختلف الناس بينهم، فمنهم طائفة معك، وأخرىٰ عليك، فيقتتلون، فتكون لأوّل الأسنّة غرضاً، فإذا خير هٰذه الأمّة كلّها نفساً وأباً وأمّاً أضيعها دماً وأذلّها أهلاً!!

فقال له الحسين عليه السلام: فأين أذهب يا أخي؟

قال: إنزل مكّة، فإن اطمأنّت بك الدار بها فسبيل ذٰلك، وإن نبت بك لحقت بالرمال وشعف الجبال، وخرجت من بلد إلىٰ بلد، حتّىٰ تنظر إلىٰ ما يصير أمر الناس إليه، فإنّك أصوب ما تكون رأياً حين تستقبل الأمر استقبالاً.

فقال: يا أخي، قد نصحت وأشفقت، وأرجو أن يكون رأيك سديداً موفّقاً.[1]

⇨ (راجع: الأخبار الطوال: ٣٠٦ ـ ٣٠٧).

(١) الإرشاد: ٢٢٢ ـ ٢٢٣؛ ومحمّد بن الحنفيّة: هو محمّد بن الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام: والحنفيّة لقب أمّه، وهي خولة بنت جعفر بن قيس بن سلمة بن ثعلبة بن الدول بن حنيفة، وهي من

وفي رواية الفتوح: أخرج إلىٰ مكّة، فإن اطمأنّت بك الدار فذاك الذي تحبُّ وأُحبُّ، وإن تكن الأخرىٰ خرجت إلىٰ بلاد اليمن، فإنّهم أنصار جدّك وأخيك وأبيك، وهم أرأف الناس وأرقّهم قلوباً، وأوسع الناس بلاداً، وأرجحهم عقولاً،

⇦ سبي اليمامة الذين سبوا لولاية أمير المؤمنين عليه السلام وأرادوا بيعها فتزوّجها أمير المؤمنين عليه السلام، وكان محمّد رضي الله عنه يتولّىٰ الحسين عليه السلام ويتولّىٰ عليّ بن الحسين عليه السلام بعد ما نطق له الحجر الأسود شاهداً بإمامته.

وكان أمير المؤمنين عليه السلام يقذف محمّداً رضي الله عنه في لهوات الحروب ولايسمح في ذٰلك بالحسنين عليهما السلام: وكان يقول: هو ولدي، وهما إبنا رسول الله صلى الله عليه وآله: وقال بعض الخوارج لمحمّد بن الحنفيّة رضي الله عنه: كيف يسمح أبوك بك في الحروب ويبخل بهما!؟ فقال: أنا يمينه وهما عيناه، فهو يدفع عن عينيه بيمينه. (راجع تنقيح المقال، ٣: ١١١ ـ ١١٢)؛ وتوفّي محمّد بن الحنفيّة سنة ثمانين أو إحدىٰ وثمانين (علىٰ ما في تنقيح المقال) أو سنة أربع وثمانين (علىٰ ما في كمال الدين وتمام النعمة، ١: ٣٦)؛ وأمّا تخلّفه عن الإلتحاق بركب الإمام الحسين عليه السلام فالمشهور أنّ ذٰلك بسبب مرضٍ كان قد ألمّ به، وقد قال العلاّمة الحلّي في ذٰلك: «وأمّا تخلّفه عن نصرة الحسين عليه السلام فقد نقل أنّه كان مريضاً، ويحتمل في غيره عدم العلم بما وقع على الحسين عليه السلام من القتل وغيره...» (البحار، ٤٢: ١١٠).

لكنّ احتمال عدم علمه بمصير الإمام عليه السلام مستبعدٌ جدّاً لوجود روايات الإخبارات الكثيرة بمقتل الحسين عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله وعن أمير المؤمنين عليه السلام وعن الحسين عليه السلام نفسه، ولا يحتمل أنّ محمّد بن الحنفيّة رضي الله عنه لم يكن علىٰ علمٍ ببعضها علىٰ الأقلّ!، كيف وقد روي عن محمّد نفسه حول أصحاب الإمام الحسين عليه السلام قوله: «وإنّ أصحابه عندنا لمكتوبون بأسمائهم وأسماء آبائهم!!» (مناقب آل أبي طالب، ٤: ٥٣)؛ هٰذا فضلاً عن الروايات التي تقول إنّ الإمام الحسين عليه السلام كان قد أخبر أخاه محمّداً بأنّه سوف يستشهد في مسيره هٰذا: ومنها الرواية الصحيحة (أو الموثّقة علىٰ الأقلّ) والتي تخبر أنّ الإمام عليه السلام بعث برسالة إلىٰ محمّد بن الحنفيّة وبني هاشم يقول فيها: «... من لحق بي أستشهد...» (كامل الزيارات: ٧٥، باب ٢٤، حديث ١٠)، والرواية الأخرىٰ المرويّة بأسانيد والتي تقول إنّ الإمام عليه السلام قال لمحمّد رضي الله عنه: «والله يا أخي لو كنت في جحر هامّة من هوامّ الأرض لاستخرجوني منه حتّىٰ يقتلوني» (البحار، ٤٥: ٩٩، باب ٣٧).

فإن إطمأنّت بك أرض اليمن وإلاّ لحقت بالرمال وشعوب الجبال، وصرت من بلد إلىٰ بلد، لتنظر ما يؤول إليه أمر الناس ويحكم بينك وبين القوم الفاسقين.

فقال له الحسين عليه السلام: يا أخي، والله لو لم يكن في الدنيا ملجأ ولا مأوىٰ لما بايعتُ والله يزيد بن معاوية أبداً، وقد قال صلى الله عليه وآله: «أللّهمّ لاتبارك في يزيد».

قال: فقطع عليه محمّد بن الحنفيّة الكلام وبكىٰ، فبكىٰ معه الحسين ساعة..

ثمّ قال: «جزاك الله يا أخي عنّي خيراً، ولقد نصحت وأشرتَ بالصواب، وأنا أرجو أن يكون إن شاء الله رأيك موفّقاً مسدّداً، وإنّي قد عزمت علىٰ الخروج إلىٰ مكّة، وقد تهيّأتُ لذٰلك أنا وإخوتي وبنو إخوتي وشيعتي، وأمرهم أمري ورأيهم رأيي. وأمّا أنت يا أخي فلا عليك أن تقيم بالمدينة فتكون لي عيناً عليهم، ولاتخف عليّ شيئاً من أمورهم».[1]

«ثمّ دعا الحسين عليه السلام بدواة وبياض وكتب هٰذه الوصيّة لأخيه محمّد:

بسم الله الرحمٰن الرحيم

هٰذا ما أوصىٰ به الحسين بن عليّ بن أبي‌طالب إلىٰ أخيه محمّد المعروف بابن الحنفيّة: أنّ الحسين يشهد أن لاإله إلاّالله وحده لا شريك له، وأنّ محمّداً عبده ورسوله، جاء بالحقّ من عند الحقّ، وأنّ الجنّة والنار حقّ، وأنّ الساعة آتية لا ريب فيها، وأنّ الله يبعث من في القبور، وإنّي لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً وإنّما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدّي صلى الله عليه وآله، أريد أن آمر بالمعروف وأنهىٰ عن المنكر، وأسير بسيرة جدّي وأبي عليّ بن أبي‌طالب عليه السلام، فمن قبلني بقبول الحقّ فالله أولىٰ بالحقّ، ومن ردَّ عليَّ هٰذا أصبر حتّىٰ يقضي الله بيني وبين

(١) الفتوح، ٥: ٢٠ ـ ٢١.

القوم بالحقّ وهو خير الحاكمين، وهٰذه وصيّتي يا أخي إليك وما توفيقي إلاّ بالله عليه توكّلت وإليه أُنيب.

قال: ثمّ طوىٰ الحسين الكتاب وختمه بخاتمه، ودفعه إلىٰ أخيه محمّد، ثمّ ودّعه وخرج في جوف الليل». [١]

❑ تأمّل وملاحظات

الإمام عليه السلام في المدينة يتحدّث عن مصرعه في العراق!!

ملفتٌ للإنتباه أنّ الإمام الحسين عليه السلام مع قصده المرحلي في الخروج من المدينة إلىٰ مكّة المكرّمة كان قد أعلن لأهل بيته وشيعته عن قصده النهائي في الخروج إلىٰ أرض العراق وهو في المدينة لمّا يخرج عنها بعدُ، فها هي أمّ سلمة رضي الله عنها تقول له: «يا بنيّ لاتحزنّي بخروجك إلىٰ العراق، فإنّي سمعتُ جدّك يقول: يُقتل ولدي الحسين بأرض العراق في أرض يُقال لها كربلاء» فيقول عليه السلام: «يا أمّاه،وأنا والله أعلم ذٰلك، وإنّي مقتول لامحالة...»، ويقول عليه السلام لأخيه عمر الأطرف: «حدّثني أبي أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أخبره بقتله وقتلي، وأنّ تربتي تكون بقرب تربته...»، وهناك نصوص أخرىٰ تؤكّد هٰذه الحقيقة.

ويستفاد من هٰذه الحقيقة علىٰ صعيد التحليل التأريخي ـ إضافة إلىٰ البعد الإعتقادي الحاكي عن أنّ الإمام الحسين عليه السلام كان يعلم بكلّ تفاصيل ما يجري عليه بعلمٍ إلهي موهبيّ لكونه إماماً ـ أنّ الإمام الحسين عليه السلام علىٰ ضوء درايته السياسيّة الاجتماعيّة كان يرىٰ أنّ العراق أفضل أرض يختارها مسرحاً للمواجهة

---

(١) البحار، ٤٤: ٣٢٩ ـ ٣٣٠، باب ٣٧ نقلاً عن كتاب المقتل للسيّد محمّد بن أبي طالب.

وللمعركة الفاصلة بينه وبين السلطة الأمويّة، وأنّ العراق أفضل بقعة يختارها للمصرع المحتوم «وإنّي مقتولٌ لامحالة»، وذلك لما في العراق من كمٍّ شيعيّ كبير، أَو قُل كمّ كبير محبّ لأهل البيتعليهم السلام، برغم ما في هٰذا الكمّ الكبير من مرض الإزدواجيّة في الشخصيّة «قلوبهم معك وسيوفهم عليك»، ولأنّ العراق لم ينغلق لصالح الأمويّين كما انغلقت الشام تماماً، الأمر الذي يجعل أرض العراق أفضل البقاع للتأثّر بإشعاعات الثورة الحسينيّة وفاجعة الطفّ.

ويؤكّد التأريخ في نصوص كثيرة أنّ الشيعة في العراق كانوا علىٰ اتّصال دائم بالإمام الحسينعليه السلام في زمن معاوية منذ عهد الإمام الحسنعليه السلام، وكانوا يسألونه القيام والخروج علىٰ الحكم الأمويّ، ويبدون استعدادهم للنصرة والتضحية، غير أنّ الإمام الحسينعليه السلام كان يأمرهم بالصبر والإحتراس والترقّب مادام معاوية حيّاً.

من هنا يستفاد أنّ نيّة التوجّه إلىٰ العراق كانت منعقدة عند الإمامعليه السلام منذ البدء علىٰ ضوء درايته السياسيّة الإجتماعيّة وعلىٰ ضوء صلته وارتباطه بأهل العراق.

أي أنّ نيّة التوجّه إلىٰ العراق لم تنعقد عند الإمامعليه السلام بسبب رسائل أهل الكوفة بعد موت معاوية، بل كانت هٰذه النيّة وهٰذا العزم عند الإمامعليه السلام قبل هٰذه الرسائل، علىٰ أساس منطق الشهيد الباحث عن أفضل أرض مختارة لمصرعه المحتوم، وما شكّلت رسائل أهل الكوفة إلاّ حجّة ظاهرة لتأكيد هٰذه النيّة وذٰلك التصميم.

مع العامل الأهمّ من عوامل الثورة الحسينيّة

في لقائهعليه السلام مع أخيه عمر الأطرف الذي قال للإمامعليه السلام «فلولا ناولتَ وبايعتَ!» جدّد الإمامعليه السلام رفضه القاطع لمبايعة يزيد قائلاً: «لاأُعطي الدنيّة من

نفسي أبداً»، وأكّدعليه السلام لأخيه محمد بن الحنفيةرضي الله عنه أيضاً على هذه القاطعية في رفض البيعة حيث قال: «يا أخي، والله لو لم يكن في الدنيا ملجأ ولا مأوىٰ لما بايعتُ والله يزيد بن معاوية أبداً...».

وهٰذا الرفض القاطع لبيعة يزيد ـ وهو العامل الأوّل من العوامل المؤثّرة في النهضة الحسينيّة ـ لو كان منبعثاً من سبب شخصي لكان الإمامعليه السلام قد سكت عن الحكم الأمويّ في حال سكوت هٰذا الحكم عن مطالبة الإمامعليه السلام بالبيعة، ولكانت مشكلة هٰذا الحكم مع الإمامعليه السلام قد انتهت عند هٰذه الحدّ!!.

لكنّ عامل رفض البيعة عند الإمامعليه السلام كان منبعثاً من سبب مبدئي تمثل في الخطر الماحق الذي يهدّد الإسلام في حال سكوت الإمامعليه السلام عن حاكم مثل يزيد بن معاوية: «وعلىٰ الإسلام السلام إذ بُليت الأمّة براعٍ مثل يزيد»، وهٰذا السبب نفسه هو الذي جعل الإمامعليه السلام وجهاً لوجه أمام مسؤوليّة التحرّك والنهوض لطلب الإصلاح في أمّة جدّهصلى الله عليه وآله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وهٰذا السبب المبدئي المشترك هو الذي مزج في الحقيقة بين عامل رفض البيعة وعامل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وما التفكيك بينهما في الحديث عنهما إلاّ تفكيك إعتباري.

ونتيجة لهٰذا الإمتزاج في الحقيقة، كان عامل رفض البيعة قد استمدّ أهميّته الكبيرة الناشئة عن الأهمّية العليا التي يختصّ بها عامل الإصلاح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإلاّ لكان من المحتمل أن ينتهي الأمر بسكوت الإمامعليه السلام ـ حاشاه ـ عن يزيد بسكوت يزيد عن مطالبته بالبيعة!!

فعامل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إذن هوالعامل الأهمّ في مجموعة العوامل المؤثّرة في النهضة الحسينيّة المقدّسة.

وفي الوصيّة التي أوصىٰ بها الإمام الحسين عليه السلام إلىٰ أخيه محمّد بن الحنفيّة رضي الله عنه نجدُ الإمام عليه السلام يحصر العلّة في خروجه بهٰذا العامل وحده، إنّه عليه السلام لايعلّل الخروج في هٰذه الوصيّة بعامل رفض البيعة ولايتحدّث عنه فيها، كما لايعلّله بعاملٍ آخر من العوامل الأخرىٰ المؤثّرة في نهضته المقدّسة كعامل رسائل أهل الكوفة مثلاً، إنّه عليه السلام في هٰذه الوصيّة يتحدّث فقط عن طلب الإصلاح وضرورة تغيير الأوضاع الفاسدة من خلال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهٰذا دليل واضح وقاطع علىٰ الأهمّية العليا لعامل الإصلاح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكأنّ هٰذه الوصيّة تتحدّث عن ظهور التأثير المستقلّ لهٰذا العامل الأهمّ.

في إطار عامل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر نجدُ الإمام عليه السلام هوالذي يقرّر المواجهة مع الحكم الأمويّ ابتداءً، لا أنّ دعوة أهل الكوفة هي التي دفعته إلىٰ المواجهة، ولا مطالبة الحكم الأمويّ إيّاه بالبيعة ورفضه عليه السلام لهٰذه البيعة هوالذي دفعه إلىٰ المواجهة، بل لأنّ تحوّل الحرام إلىٰ حلال والحلال إلىٰ حرام وتفشّي الفساد في حياة الأمّة هو الذي وضع الإمام عليه السلام أمام ضرورة المواجهة ووجوب القيام والنهضة.

ولايعني هٰذا أنّ الإمام عليه السلام كان قد ترك أو تهاون في واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وطلب الإصلاح في الأمّة في زمن معاوية، بل قد كان عليه السلام ينهض في زمن معاوية بأعباء هٰذا الواجب المقدّس بأشكال مختلفة ومناسبات متوالية، لكنّ أداء هٰذا الواجب في إطار النظر إلىٰ الآثار وحساب النتائج المترتّبة علىٰ ذٰلك آنئذٍ (عدم احتمال حصول النتائج المرجوّة) كان يقف دون حدّ الخروج علىٰ معاوية مادام حيّاً.

وإذا كانت العوامل المؤثّرة في أيّة نهضة هي التي تمنحها القيمة والأهمّية

الجديرة بها، فإنّ عامل الإصلاح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قد منح الثورة الحسينيّة قيمة أعلىٰ بكثير ممّا منحتها العوامل الأخرىٰ المؤثّرة فيها، كعامل رفض البيعة، وعامل رسائل أهل الكوفة مثلاً، فلقد تمكّنت هٰذه الثورة المقدّسة استناداً إلىٰ عامل طلب الإصلاح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أن تكون جديرة بالخلود والحياة، وأن تكون الثورة الأسوة.

وكما أنّ عامل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قد رفع من قيمة وأهمّية الثورة الحسينيّة، فإنّ هٰذه الثورة المقدّسة بالمقابل قد رفعت من قيمة وأهمّية مبدأ وأصل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إثباتاً لا ثبوتاً.

وتوضيح ذٰلك: هوأنّ لمبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قيمة محدّدة وأهميّة معيّنة ثبوتاً، أي في واقع الأمر، أو في نفس الأمر، أو في متن الإسلام، هٰذه القيمة حدّدها الله تبارك وتعالىٰ في متن التشريع الإسلامي، ويعلمها كما هي في الواقع الله تبارك وتعالىٰ والراسخون في العلم محمّد وأهل بيته المعصومون صلوات الله عليهم أجمعين.

وهٰذا الأمر ينطبق علىٰ كلّ الأصول والمبادئ الإسلاميّة، فلكلٍّ منها حدٌّ معيّن ومقام معلوم وأهمّية محدّدة في متن الإسلام في مقام الثبوت أي في الواقع أو في مقام الشئ بذاته.

وهٰذا غير مقام الإثبات، أي مقام الشيء بالنسبة إلينا، حيث يمكن في هٰذا المقام أن نُخطئ في النظر والتأمّل والإستنتاج، فنقيّم الشئ تقييماً نبخسه فيه حقّه من القيمة والأهمية، أو نمنحه فوق ما يستحقّ منها.

إذن فمقام الإثبات يختلف عن مقام الثبوت، إذ إنّ هناك فرقاً بين ما هو منظور بالنسبة إلينا وبين ما هو واقع الشيء بنفسه.

وفي مقام الإثبات يلاحظ المتأمّل أنّ علماء الإسلام مع إقرارهم بأنّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أسمىٰ الواجبات الدينيّة وأعظمها، لكنّ قيمة هٰذا المبدأ ودرجة أهمية هٰذا الأصل الإسلامي والأولويّة الممنوحة له قضيّة تفاوتت فيها نظراتهم في تفصيلات الأحكام المستنبطة في إطار مبحث هٰذا الأصل خصوصاً بلحاظ قضيّة الضرر (المتيقّن أو المظنون أو المحتمل احتمالاً يُعتدُّ به) المترتّب علىٰ القيام بهٰذا الواجب.

فتتصاعد القيمة والأهمية والأولويّة التي يتمتّع بها هٰذا الأصل الإسلامي في عالم الإستنباط: من النظرة الإجتهاديّة التي ترىٰ أنّ من شرائط القيام بهٰذا الواجب: «أن لايلزم من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ضررٌ في النفس أو في العرض أو في المال، علىٰ الآمر أو علىٰ غيره من المسلمين، فإذا لزم الضرر عليه أو علىٰ غيره لم‌يجب شيء...»،[1] ثمّ لم‌تتحدّث عن أكثر من ذٰلك!.

إلىٰ النظرة الأخرىٰ التي تضيف إلىٰ ما سبق فتقول: «...هٰذا فيما إذا لم‌يحرز تأثير الأمر أو النهي، وأمّا إذا أُحرز ذٰلك فلابدّ من رعاية الأهمية، فقد يجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع العلم بترتّب الضرر أيضاً، فضلاً عن الظنّ به أو احتماله».[2]

إلى النظرة الأخرىٰ التي تعتمد في شرائط هٰذا الواجب شرط عدم حصول المفسدة، وترىٰ في جملة ما ترىٰ في إطار هٰذا المبحث:

«□: لو وقعت بدعة في الإسلام، وكان سكوت علماء الدين ورؤساء المذهب أعلىٰ الله كلمتهم موجباً لهتك الإسلام وضعف عقائد المسلمين يجب عليهم

(١) منهاج الصالحين (آية الله العظمىٰ السيّد المحسن الحكيم)، ١: ٤٨٩.

(٢) منهاج الصالحين (آية الله العظمىٰ السيّد أبوالقاسم الخوئي)، ١: ٣٥٢.

الإنكار بأيّة وسيلة ممكنة، سواء كان الإنكار مؤثّراً في قلع الفساد أم لا، وكذا لو كان سكوتهم عن إنكار المنكرات موجباً لذلك، ولا يلاحظ الضرر والحرج بل تلاحظ الأهمية.

□: لوكان في سكوت علماء الدين ورؤساء المذهب أعلى الله كلمتهم خوف أن يصير المنكر معروفاً أو المعروف منكراً يجب عليهم إظهار علمهم، ولا يجوز السكوت ولو علموا عدم تأثير إنكارهم في ترك الفاعل، ولا يلاحظ الضرر والحرج مع كون الحكم ممّا يهتمّ به الشارع الأقدس جدّاً.

□: لوكان في سكوت علماء الدين ورؤساء المذهب أعلى الله كلمتهم تقوية للظالم وتأييد له والعياذ بالله يحرم عليهم السكوت، ويجب عليهم الإظهار ولو لم يكن مؤثّراً في رفع ظلمه».[1]

هذه النماذج التي أوردناها ـ على سبيل المثال لا الحصر ـ شاهدٌ على تفاوت النظر الإجتهادي في إطار مبحث الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وفي صدد ما نحن فيه: فليس قصدنا أنّ ثورة الإمام الحسين عليه السلام قد غيّرت أو رفعت من القيمة والأهمية الواقعيّة الموضوعة في متن الإسلام لأصل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أي أهميته في مقام الثبوت.

يقول الشهيد آية الله الشيخ مرتضى مطهري في هذه النقطة:

«ما أقصده هو أنّ النهضة الحسينيّة إنّما رفعت من إمكانيّات الإستنباط والإجتهاد لعلماء الإسلام والمسلمين، بشكلٍ عامٍّ، في دائرة أصل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

---

(١) تحرير الوسيلة (آية الله العظمى الإمام الخميني)، ١: ٤٧٣، المسائل: ٧ و ٨ و ٩.

وعليه، فإنّني عندما أقول بأنّ الحسين بن علي عليه السلام قد رفع من قيمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإنّ قصدي هو القول بأنّه عليه السلام قد رفع هٰذه القيمة في عالم الإسلام، وليس في الإسلام.

ذٰلك أنّ الحسين بن علي عليهما السلام قد بيّن للعالم أجمع أنّ مسألة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قد تصل إلىٰ درجة يتطلّب فيها من الإنسان أن يضحّي بنفسه وماله وكلّ ما يملك في سبيل هٰذا الأصل، ويتحمّل في سبيل ذٰلك كلّ أنواع اللوم والإنتقاد، كما فعل الحسين نفسه.

فهل هناك أحد في الدنيا منح قيمةً لأصل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بمقدار ما أعطاه الحسين بن علي عليهما السلام!؟

إنّ معنى النهضة الحسينيّة يفيد بأنّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالغ القيمة إلىٰ الحدّ الذي يمكن فيه للمرء أن يضحّي في سبيله بكلّ شيء».[1]

سيرة الإصلاح

في النصّ الذي نقله ابن شهر آشوب رحمه الله لبعض الوصيّة التي كتبها الإمام الحسين عليه السلام لأخيه محمّد بن الحنفيّة رضي الله عنه،[2] وكذلك في نصّها الذي نقله العلاّمة المجلسي رحمه الله عن كتاب المقتل للسيّد محمّد بن أبي‌طالب الموسوي، والذي أوردناه من قبل، نجدُ الإمام عليه السلام في تعليله لخروجه علىٰ الحكم الأمويّ يقرن مع طلب الإصلاح في الأمّة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قوله: «وأسير بسيرة جدّي وأبي عليّ بن أبي‌طالب عليهما السلام».

(١) الملحمة الحسينيّة، ٢: ١٠٦ و١٠٧ و١١٥.

(٢) مناقب آل أبي طالب، ٤: ٨٩.

وممّا يستفاد من هٰذا الإقتران وهٰذا الحصر بهاتين السيرتين المقدّستين أمران:

الأوّل: هو أنّ الإصلاح العملي في الأمّة من خلال تقديم الصورة الحيّة المثلىٰ لهٰذا الصلاح، والدعوة العمليّة إلىٰ كلّ معروف والنهي العملي عن كلّ منكر، إنّما يتحقّقان بالسير بهاتين السيرتين المقدّستين.

والثاني: هو أنّ الإمام عليه السلام بذكره هاتين السيرتين فقط قد أعلن عن إدانته للسِّيَر الأخرىٰ التي حكمت حياة المسلمين بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، وكانت السبب في مناشيء الإنحراف الذي تعاظم حتّىٰ آلت الأمور إلىٰ حاكم مثل يزيد بن معاوية!.

ومعنىٰ هٰذا أنّ الإصلاح في الأمّة وتطبيق مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تحقيقاً لحياة يحكمها الإسلام المحمّدي الخالص لايكون إلاّ بالإعراض عن تلك السِّيَر الأخرىٰ ورفضها.

ويبدو أنّ بعض الأقلام التي دوّنت سيرة الإمام الحسين عليه السلام أو التي استنسخت بعض كتب التأريخ قد انتبهت إلىٰ قوّة إدانة الإمام عليه السلام لهٰذه السير الأخرىٰ في قوله: «**وأسير بسيرة جدّي وأبي عليّ بن أبي طالب عليهما السلام**» فقط، فأضافت إليها عبارة «وسيرة الخلفاء الراشدين المهديين رضي الله عنهم» رفعاً لهٰذه الإدانة الحسينيّة لتلكم السير الأخرىٰ.

يقول السيّد مرتضى العسكري وهو محقّق مرموق «إنّ الراشدين اصطلاح تأخّر استعماله عن عصر الخلافة الأمويّة، ولم يرد في نصٍّ ثبت وجوده قبل ذٰلك، ويُقصد بالراشدين الذين أتوا إلىٰ الحكم بعد رسول الله صلى الله عليه وآله متوالياً، من ضمنهم الإمام علي عليه السلام، فلايصحّ أن يعطف الراشدين علىٰ اسم الإمام، كلّ هٰذا يدلّنا علىٰ

أن الجملة أُدخلت في لفظ الإمام الحسين عليه السلام».[1]

ولقد وردت هٰذه الإضافة في نصّ الوصيّة في رواية كتاب الفتوح لابن أعثم الكوفي وفي كتاب مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي نقلاً عن الفتوح.

لماذا الخروج من المدينة ليلاً!!؟

تكاد المصادر التأريخيّة تجمع علىٰ أنّ الركب الحسينيّ خرج من المدينة في جوف الليل، وإن كانت هٰذه المصادر قد إختلفت في الليلة التي كان الخروج فيها.

والظاهر من متون بعض الروايات أنّ ساعة الخروج من المدينة كانت من ساعات الليل المتأخّرة، ممّا يوحي بأنّ الخروج كان بصورة سريّة وعلىٰ خوف من طلب السلطة، خصوصاً وأنّ الروايات تحدّثت أنّ الإمام عليه السلام قد خرج وهو يقرأ قوله تعالىٰ: **«فخرج منها خائفاً يترقّب قال ربّ نجّني من القوم الظالمين»**.

وظاهر أجواء وقائع ما بعد لقاء الإمام عليه السلام بوالي المدينة يثير مثل هٰذا التصوّر ولاينفيه، خصوصاً وأنّ الإمام عليه السلام كان حريصاً علىٰ أن لايُقتل غيلة في المدينة، أو تقع مواجهة مسلّحة في المدينة، فتُهتك بذٰلك حرمة حرم رسول الله صلى الله عليه وآله، فاستبق عليه السلام الزمن والأحداث كي لايقع كلّ ذٰلك المحذور، وخرج ليلاً بتلك الصورة السريّة!

وقد تكرّر الأمر نفسه مع الإمام عليه السلام في مكّة المكرّمة أيضاً، فخرج عليه السلام منها مستبقاً الزمن والأحداث كي لايقع ذٰلك المحذور أيضاً فتُهتك بذٰلك حرمة البيت، وكان عليه السلام قد خرج منها في السحر أو في أوائل الفجر كما في الروايات.

فيكون الدافع واحداً في المرّتين (مع أنّنا قدّمنا من قبل أنّ هٰذا المحذور يقع

---

(١) معالم المدرستين، ٣: ٦١.

عند الإمامعليه السلام في إطار خوف أكبر، وهو خوفه من أن تخنق ثورته في مهدها، سواء في المدينة أو في مكّة...).

غير أنّ ما يُلفت الإنتباه ويثير التأمّل هو أنّ الإمامعليه السلام قبل خروجه من مكّة قام خطيباً وأعلن في خطبته عن موعد خروجه منها حيث قال فيما قال في تلك الخطبة:

«... من كان باذلاً فينا مهجته، وموطّناً علىٰ لقاء الله نفسه فليرحل معنا فإنّي راحلٌ مصبحاً إن شاء الله تعالىٰ»[1]

وبهٰذا يكون الإمامعليه السلام قد كشف عن موعد ارتحاله أوائل الصباح كما في هٰذه الرواية، أي في الوقت الذي يعتبر أواخر الليل وتكون فيه بعدُ بقيّة من ظلام تصلح للستر والخفاء.

لكنّ كشفهعليه السلام عن موعد ارتحاله في تلك الساعة ينفي التعليل بأنّهعليه السلام خرج في ظلام السحر أو في بقيّة ظلام أوائل الصبح تستّراً من رقابة السلطة الحاكمة كي لايدركهُ الطلب!

هٰذا فضلاً عن أنّه من المستبعد أن يخفىٰ علىٰ السلطة خروج الركب الحسينيّ ساعة خروجه من المدينة (وهو ركب كبير نسبيّاً) أو ساعة خروجه من مكّة (وقد كان أكبر)، إذا حرصت هٰذه السلطة علىٰ أن تعلم متىٰ يخرج هذا الركب، خصوصاً والمدن آنئذٍ تعتبر مدناً صغيرة قياساً إلىٰ المدن المعروفة اليوم.

وهٰذا فضلاً عن أنّ والي المدينة آنئذٍ الوليد بن عتبة كان متراخياً في الضّغط علىٰ الإمامعليه السلام، وكان يتمنّىٰ خروجه من المدينة وألاّ يُبتلىٰ بدمه! وهٰذا ليس

---

(١) اللهوف: ٢٦.

بخافٍ على الإمام عليه السلام ـ كما هو اعتقادنا ـ وكما تشير إلى ذلك أدلّة تأريخيّة.

إنّ التعليل الذي أَطمئنُّ له في هذه المسألة هو أنّ الإمام عليه السلام لم يخرج في الظلام من المدينة أو من مكّة حذراً من أعين السلطة وخوف الطلب، بل خرج في الظلام من كلتا المدينتين وليس في النهار كي لاتتصفّح أعين الناس فيهما النساء في الركب الحسيني، أو تنظر الأعين عن قربٍ كيف يركبن المطايا، الأمر الذي تأباه الغيرة الحسينيّة الهاشميّة!

ولو لم يكن هذا الأمر هو العلّة التامّة لخروج الركب الحسينيّ في جوف الليل، فلاأقلّ من أن يكون العلّة المهمّة جدّاً في مجموعة العلل الأخرى التي شكّلت العلّة التامّة لهذا الخروج في ظلمة الليل.

الإصرار على الطريق الأعظم!

وتقول الرواية التأريخيّة وهي تصف الجادة التي سلكها الركب الحسينيّ بقيادة الإمام الحسين عليه السلام عند خروجه من المدينة إلى مكّة المكرّمة:

«فسار الحسين عليه السلام إلى مكّة وهو يقرأ: (**فخرج منها خائفاً يترقّب قال ربّ نجّني من القوم الظالمين**)، ولزم الطريق الأعظم.

فقال له أهل بيته: لو تنكّبت الطريق الأعظم كما فعل ابن الزبير كي لايلحقك الطلب.

فقال: «**والله، لاأفارقه حتّىٰ يقضي الله ما هو قاض!**»[1]

وفي رواية الفتوح:

«فقال له ابن عمّه مسلم بن عقيل بن أبي‌طالب: يا ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، لو

---

(١) الإرشاد: ٢٢٣.

عدلنا عن الطريق وسلكنا غير الجادّة كما فعل عبدالله بن الزبير كان عندي الرأي، فإنّا نخاف أن يلحقنا الطلب!

فقال له الحسين عليه السلام: **«لا والله يا ابن عمّي، لا فارقت هٰذا الطريق أبداً أو أنظر إلىٰ أبيات مكّة، أو يقضي الله في ذٰلك ما يحبّ ويرضىٰ»**.

ثمّ جعل الحسين يتمثّل بشعر يزيد بن مفرغ الحميري وهو يقول:

لا سهرت السوام في فلق الصبـ ـح مضيئاً ولا دُعيتُ يزيدا

يوم أُعطي من المخافة ضيماً والمنايا يرصدنني أن أحيدا[1]

وهنا قد يتساءل المتأمّل عن سبب إصرار الإمام عليه السلام عن سلوك الطريق الأعظم إصرار من يرضىٰ بمواجهة كلّ خطر محتسب وغير محتسب ولايرضىٰ بالتخلّي عن سلوك هٰذا الطريق الرئيس!؟

هل هي الشجاعة الحسينيّة من وراء كلّ هٰذا الإصرار؟

أم أنّ الإمام عليه السلام أراد من وراء ذٰلك أمراً إعلامياً وتبليغياً للتعريف بقيامه ونهضته من خلال التقاء الركب الحسينيّ القاصد إلىٰ مكّة بكلّ المارّة والقوافل علىٰ الطريق الأعظم، لأنّهم سيتساءلون عن سبب خروج الإمام عليه السلام من مدينة جدّه صلى الله عليه وآله مع جلّ بني هاشم ومَن معهم مِن أنصاره، ويتعرّفون من الإمام عليه السلام مباشرة علىٰ أهدافه التي نهض من أجلها، فينضمُّ إليه من يوفّقه الله تعالىٰ إلىٰ نصرته، وينتشر أمر هٰذا القيام المقدّس بين الناس في مناطق عديدة، فيتحقّق بذٰلك عملٌ إعلامي وتبليغي ضروري لتوسيع رقعة هٰذا القيام المبارك وكسب الأنصار له؟

---

(١) الفتوح، ٥: ٢٢.

لاشك أنّ تعليل إصراره عليه السلام على لزوم الطريق الأعظم بالشجاعة الحسينيّة تعليلٌ صحيحٌ في نفسه، وكذلك تعليله بالهدف الإعلامي والتبليغي للتعريف بقيام الإمام عليه السلام ونهضته، ولا منافاة بين هذين التعليلين.

ولعل التعليل الأهمّ الذي يمكن أن يُضاف إليهما، هو أنّ الإمام الحسين عليه السلام في إصراره على لزوم الطريق الأعظم أراد أن يُعلن للأمّة أنّه ليس من العصاة البغاة الخارجين على حكومة شرعيّة كانوا قد اعترفوا بها ثمّ تمرّدوا عليها، أولئك الذين يلوذون بالطرق الفرعيّة خوفاً من رصد الحكّام وفراراً من قبضتهم.

أراد عليه السلام أن يُعلن للأمّة أنّه هو ممثّل الشرعيّة لا الحكم الأمويّ، وأنّه هو صاحب الحقّ بالطريق الأعظم، وبالخلافة، وبكلّ شؤون الأمّة، وأنّه هو الأصل الشرعي، وأنّ يزيد هو الشذوذ والخلاف والإنحراف والمتمرّد على الشرعيّة.

وهذا البعد بعدٌ تبليغي وإعلامي ثابت في حركة الإمام الحسين عليه السلام، وهو مفسّرٌ عامٌّ لجميع تفاصيل حركة نهضته المقدّسة منذ حين قال لوالي المدينة: «**أيّها الأمير، إنّا أهل بيت النبوّة، ومعدن الرسالة، ومختلف الملائكة، ومحلّ الرحمة، وبنا فتح الله وبنا ختم، ويزيد رجل فاسق، شارب خمر، قاتل النفس المحرّمة، معلن بالفسق، مثلي لايبايع لمثله، ولكن نصبح وتصبحون، وننتظر وتنتظرون أيّنا أحقّ بالخلافة.**»[1] إلى ساعة استشهاده عليه السلام في كربلاء.

---

(١) الفتوح، ٥: ١٤.

□الركب الحسينيّ الخارج من المدينة

بنو هاشم:

لم يرد في الكتب التأريخيّة ذكر تفصيليّ لأسماء الهاشميّين في الركب الحسينيّ القاصد من المدينة إلىٰ مكّة المكرّمة، بل ورد في أغلب هٰذه الكتب ذكر إجمالي لمن خرج من الهاشميّين مع الإمام عليه السلام من المدينة، كمثل قول الشيخ المفيد رحمه الله: «فخرج الحسين عليه السلام من تحت ليلته وهي ليلة الأحد ليومين بقيا من رجب متوجّهاً نحو مكّة ومعه بنوه وبنو أخيه وإخوته وجلّ أهل بيته إلاّ محمّد بن الحنفيّة...».[1]

وقال الدينوري: «فلمّا أمسوا وأظلم الليل مضىٰ الحسين رضي الله عنه أيضاً نحو مكّة، ومعه أختاه: أمّ كلثوم، وزينب، وولد أخيه، وإخوته أبوبكر وجعفر والعبّاس، وعامّة من كان بالمدينة من أهل بيته إلاّ أخاه محمّد بن الحنفيّة...».[2]

وقال ابن أعثم الكوفي: «وخرج في جوف الليل يريد مكّة بجميع أهله».[3]

وقال الطبري: «وأمّا الحسين فإنّه خرج ببنيه وإخوته وبني أخيه وجلّ أهل بيته إلاّ محمّد بن الحنفيّة».[4]

كما أشارت بعض المصادر التأريخيّة الأخرىٰ إلىٰ أنّ الإمام عليه السلام بعث إلىٰ المدينة (وهوفي مكّة) يستقدم إليه من خفّ من بني هاشم، فخفّ إليه جماعة

---

(١) الإرشاد: ٢٢٢.

(٢) الأخبار الطوال: ٢٢٨.

(٣) الفتوح، ٥: ٢١.

(٤) تاريخ الطبري، ٤: ٢٥٣.

منهم، وتبعهم إليه محمّد بن الحنفيّة، ولكنّها لم تحدّد من هٰؤلاء![1]

وعلىٰ هٰذه الإجمال جرت المصادر التأريخيّة الأخرىٰ التي تعرّضت لهٰذا الحدث، ولم أعثر علىٰ رواية تتحدّث في تفصيلات قضايا هٰذا الركب وفي أشخاصه إلّا ما ورد في كتاب «أسرار الشهادة» في رواية ضعيفة جدّاً: (عن عبدالله بن سنان الكوفي، عن أبيه، عن جدّه) يصف فيها كيف أركب بعض بني هاشم محارمهم من النساء من عيالات أبي عبدالله الحسين عليه السلام علىٰ محامل الإبل، ثمّ كيف ركب بنو هاشم والإمام عليه السلام. والرواية مصوغة بأسلوب هو أقرب إلىٰ الأسلوب المنبري المعتمد علىٰ الإثارة العاطفيّة في الوصف، ومع هٰذا فالرواية غلب عليها الإجمال في ذكر من هم (بنو هاشم) في الركب، وكم كان عددهم.[2]

نعم، تشير الدلائل التأريخيّة إلىٰ أنّ محمّد بن الحنفيّة، وعمر الأطرف، وعبدالله بن جعفر، وعبدالله بن عبّاس لم يكونوا مع الركب الحسينيّ الخارج من المدينة.

وتشير أيضاً إلىٰ أنّ الإمام عليه السلام قد خرج بجميع أبنائه، وجميع أبناء أخيه الإمام الحسن عليه السلام، وجميع بقيّة إخوته لأبيه عليه وعليهم السلام.

ومن المتيقّن أيضاً أنّ مسلم بن عقيل عليه السلام كان قد خرج معه، أمّا ولداه عبدالله ومحمّد فالأظهر أنّهما كانا مع أبيهما مسلم في الخروج مع الإمام الحسين عليه السلام.

وأمّا ولدا عبدالله بن جعفر، وهما عون ومحمّد، فإنّ ظاهر القرائن التأريخيّة يفيد أنّهما كانا مع أبيهما، ثمّ التحقا بالإمام عليه السلام وانضما إليه بعد خروجه من مكّة،

---

(١) راجع: البداية والنهاية، ٨: ١٧٨؛ وتأريخ ابن عساكر (ترجمة الإمام الحسين عليه السلام) تحقيق المحمودي: ٢٩٨، حديث ٢٥٦.

(٢) راجع: أسرار الشهادة: ٣٦٧.

ويبقىٰ الإحتمال وارداً أنهما خرجاً مع الإمامعليه السلام، ثمّ صارا مع أبيهما في مكّة، ثمّ عادا فالتحقا.

أمّا بقية الأنصار من آل عقيل فالقرائن التأريخيّة لاتفيد القطع في معرفة من منهم خرج مع الإمامعليه السلام من المدينة، أو من منهم التحق به بعد ذٰلك.

الأنصار الآخرون

أمّا الأنصار الآخرون غير الهاشميّين الذين خرجوا مع الإمامعليه السلام من المدينة فقد لايجد المتتبّع تلك الصعوبة في معرفتهم، وقد أثبت التأريخ الأسماء التالية:

١) ـ **عبدالله بن يقطر الحميري**: كانت أمّه حاضنة للامام الحسينعليه السلام، ولم يكن رضع عندها، لأنّه صحّ في الأخبار أنّ الحسينعليه السلام لم يرضع إلاّ من صدر فاطمةعليها السلام ومن إبهام رسول اللهصلى الله عليه وآله وريقه، لكنّ عبدالله اشتهر في أنّه أخو الحسينعليه السلام من الرضاعة.

وقال ابن حجر في الإصابة: إنّه كان صحابيّاً لأنّه لدة الحسينعليه السلام. وكان الإمامعليه السلام قد سرّحه إلىٰ مسلم بن عقيل بعد خروجه من مكّة في جواب كتاب مسلم إلىٰ الحسينعليه السلام، فقبض عليه الحصين بن تميم بالقادسيّة، وأرسله إلىٰ عبيدالله بن زياد، فسأله عن حاله فلم يخبره، فقال له: إصعد القصر والعن الكذّاب بن الكذّاب ثمّ انزل حتّىٰ أرىٰ فيك رأيي. فصعد القصر فلمّا أشرف علىٰ الناس قال: أيّها الناس، أنا رسول الحسين بن فاطمة بنت رسول اللهصلى الله عليه وآله إليكم لتنصروه وتوازروه علىٰ ابن مرجانة وابن سميّة الدعيّ بن الدعي، فأمر به عبيدالله فأُلقي من فوق القصر إلىٰ الأرض، فتكسّرت عظامه، وبقي به رمق فأتاه عبدالملك بن عمير

اللخمي قاضي الكوفة وفقيهها فذبحه، فلمّا عيب عليه، قال إنّي أردت أن أريحه!![1]

٢) ـ سليمان بن رزين مولىٰ الحسين عليه السلام: وهو الذي أرسله الإمام الحسين عليه السلام بكتاب إلىٰ رؤوس الأخماس وإلىٰ الأشراف بالبصرة حين كان بمكّة، ومنهم المنذر بن الجارود، وكانت بحرية بنت الجارود زوجة لعبيدالله بن زياد، فأخذ المنذر سليمان بن رزين والكتاب وقدّمهما إلىٰ عبيدالله بن زياد، فلمّا قرأ الكتاب قتل سليمان، فكان من أنصار الحسين عليه السلام الذين قتلوا في البصرة.[2]

٣) ـ أسلم بن عمرو مولىٰ الحسين عليه السلام: من شهداء الطف، وقد ذكر أهل السير والمقاتل أنّ الإمام الحسين عليه السلام اشتراه بعد وفاة أخيه الحسن عليه السلام ووهبه لابنه علي بن الحسين عليهما السلام، وكان أبوه تركيّاً، وكان أسلم كاتباً عند الحسين عليه السلام في بعض حوائجه، فلمّا خرج الحسين عليه السلام من المدينة إلىٰ مكّة كان أسلم ملازماً له حتّىٰ أتىٰ معه كربلاء، فلمّا كان يوم العاشر وشبّ القتال استأذن الإمام عليه السلام، وكان قارئاً للقرآن، فأذن له، فجعل يقاتل ويرتجز حتّىٰ قتل من القوم جمعاً كثيراً، ثمّ سقط صريعاً، فمشىٰ إليه الحسين عليه السلام فرآه وبه رمق وهو يومئ إلىٰ الحسين عليه السلام، فاعتنقه الحسين عليه السلام ووضع خدّه علىٰ خدّه، ففتح عينيه فتبسّم وقال: من مثلي وابن رسول‌الله واضع خدّه علىٰ خدّي، ثمّ فاضت نفسه رضي الله عنه.[3]

٤) ـ قارب بن عبدالله الدئلي مولىٰ الحسين عليه السلام: أمّه جارية للحسين عليه السلام، واسمها فكيهة، كانت تخدم في بيت الرباب زوجة الإمام عليه السلام، تزوّجها عبدالله الدئلي فولدت منه قارباً، فهو مولىٰ للحسين عليه السلام، خرج معه من المدينة إلىٰ مكّة،

---

(١) راجع: إبصار العين في أنصار الحسين عليه السلام: ٩٣.

(٢) راجع: إبصار العين في أنصار الحسين عليه السلام: ٩٤ ـ ٩٥.

(٣) راجع: تنقيح المقال، ١: ١٢٥.

ثمّ إلىٰ كربلاء، وقتل في الحملة الأولىٰ التي هي قبل الظهر بساعة.[١]

٥) ـ منجح بن سهم مولىٰ الحسين عليه السلام: «حكي عن ربيع الأبرار للزّمخشري أنّه قال: حسينيّة كانت جارية للحسين عليه السلام اشتراها من نوفل بن الحارث بن عبدالمطّلب، ثمّ تزوّجها سهم فولدت منه منجحاً فهو مولىٰ للحسين عليه السلام. (انتهى).

وقد كانت في بيت السجاد عليه السلام، فلمّا خرج الحسين عليه السلام إلىٰ العراق خرجت معه ومعها آبنها منجح حتّىٰ أتوا كربلاء، ولمّا تبارز الفريقان يوم الطفّ قاتل القوم قتال الأبطال، وقُتل في أوائل القتال رضوان الله عليه.[٢] وقيل: «كان منجح من موالي الحسن عليه السلام، خرج من المدينة مع ولد الحسن عليه السلام في صحبة الحسين عليه السلام فأنجح سهمه بالسعادة وفاز بالشهادة».[٣]

٦) ـ سعد بن الحرث الخزاعي مولىٰ علي عليه السلام: «كان سعد مولىٰ لعليّ عليه السلام فانضمّ بعده إلىٰ الحسن عليه السلام، ثمّ إلىٰ الحسين عليه السلام، فلمّا خرج من المدينة خرج معه إلىٰ مكّة ثمّ إلىٰ كربلاء، فقتل بها في الحملة الأولىٰ»،[٤] وقيل: «له إدراك صحبة النبيّ صلّى الله عليه وآله، وكان علىٰ شرطة أمير المؤمنين عليه السلام بالكوفة، وولاّه آذربيجان...».[٥]

٧) ـ نصر بن أبي النيزر مولىٰ عليّ عليه السلام: «كان أبونيزر من ولد بعض ملوك العجم أو من ولد النجّاشي. قال المبرّد في الكامل: صحّ عندي أنّه من ولد

---

(١) راجع إبصار العين: ٩٦؛ وتنقيح المقال، ٣: ١٨.

(٢) تنقيح المقال، ٣: ٢٤٧.

(٣) إبصار العين: ٩٦.

(٤) إبصار العين: ٩٦.

(٥) تنقيح المقال، ٢: ٨١.

النجّاشي، رغب في الإسلام صغيراً، فأُتي به رسول الله صلّى الله عليه وآله فأسلم، وربّاه رسول الله صلّى الله عليه وآله، فلمّا توفّي صار مع فاطمة وولدها. وقال غيره: إنّه من أبناء ملوك العجم، أُهدي إلىٰ رسول الله صلّى الله عليه وآله، ثمّ صار إلىٰ أمير المؤمنين عليه السلام، وكان يعمل له في نخله... ونصرُ هٰذا ولده، انضمّ إلىٰ الحسين عليه السلام بعد عليّ والحسن عليهما السلام، خرج معه من المدينة إلىٰ مكّة ثمّ إلىٰ كربلاء، فقتل بها، وكان فارساً فعقرت فرسه، ثمّ قتل في الحملة الأولىٰ رضي الله عنه».[١]

٨) ـ **الحرث بن نبهان مولىٰ حمزة بن عبدالمطّلب عليهما السلام**: «قال أهل السير: إنّ نبهان كان عبداً لحمزة، شجاعاً فارساً، مات بعد شهادة حمزة بسنتين، وانضمّ ابنه الحرث إلىٰ أمير المؤمنين عليه السلام، ثمّ بعده إلىٰ الحسن عليه السلام، ثـمّ إلىٰ الحسين عليه السلام، فلمّا خرج الحسين عليه السلام من المدينة إلىٰ مكّة خرج الحارث معه، ولازمه حتّىٰ وردوا كربلاء، فلمّا شبّ الحرب تقدّم أمام الحسين عليه السلام ففاز بالشهادة رضي الله عنه».[٢]

٩) ـ **جون بن حوي مولىٰ أبي ذرّ الغفّاري رضي الله عنه**: «كان جون منضماً إلىٰ أهل البيت عليهم السلام بعد أبي ذر، فكان مع الحسن عليه السلام ثمّ مع الحسين عليه السلام، وصحبه في سفره من المدينة إلىٰ مكّة ثمّ إلىٰ العراق... فلمّا نشب القتال وقف أمام الحسين عليه السلام يستأذنه في القتال. فقال له الحسين عليه السلام: يا جون أنت في إذن منّي، فإنّما تبعتنا طلباً للعافية، فلاتبتل بطريقتنا. فوقع جون علىٰ قدمَي أبي عبدالله الحسين عليه السلام يقبّلهما ويقول: يا ابن رسول الله صلّى الله عليه وآله، أنا في الرخاء ألحسُ قصاعكم وفي الشدّة أخذلكم! إنّ ريحي لنتن، وإنّ حسبي للئيم، وإنّ لوني لأسود، فتنفّس عليّ في الجنّة ليطيب ريحي ويشرف حسبي ويبيضّ لوني، لا والله لاأفارقكم

(١) إبصار العين: ٩٧ ـ ٩٨.

(٢) تنقيح المقال، ١: ٢٤٨.

حتّىٰ يختلط هٰذا الدم الأسود مع دمائكم. فأذن له الحسين عليه السلام... ثمّ قاتل حتّىٰ قتل... فوقف عليه الحسين عليه السلام وقال: أللّهمّ بيّض وجهه، وطيّب ريحه واحشره مع الأبرار، وعرّف بينه وبين محمّد وآل محمّد صلى الله عليه وآله. وروىٰ علماؤنا عن الباقر عليه السلام، عن أبيه زين العابدين عليه السلام أنّ بني أسد الذين حضروا المعركة ليدفنوا القتلىٰ وجدوا جوناً بعد أيّام تفوح منه رائحة المسك...».[1]

١٠) ـ **عقبة بن سمعان:** كان عقبة بن سمعان مولىٰ للرّباب بنت امرئ القيس الكلبيّة زوجة الإمام الحسين عليه السلام، وكان في الركب الحسينيّ الخارج من المدينة إلىٰ مكّة ثمّ إلىٰ العراق. وقال الطبري في تأريخه: «وأخذ عمر بن سعد عقبة بن سمعان وكان مولىٰ للرّباب بنت امرئ القيس الكلبيّة وهي أمّ سكينة بنت الحسين عليه السلام فقال له: ما أنت؟ قال: أنا عبدٌ مملوك. فخلّىٰ سبيله».[2]

وقد نقل الشيخ عبّاس القمي رحمه الله في نفس المهموم[3] ذٰلك عن الطبري والجزري. وقال المامقاني رحمه الله في تنقيح المقال: «وقد ذكره الطبري وغيره من مؤرّخي الواقعة، ويفهم ممّا ذكروه أنّه كان عبداً لرباب زوجة الحسين عليه السلام، وأنّه كان يتولّىٰ خدمة أفراسه وتقديمها له، فلمّا استشهد الحسين عليه السلام فرّ علىٰ فرس فأخذه أهل الكوفة فزعم أنّه عبد للرّباب بنت أمرئ القيس الكلبيّة زوجة الحسين عليه السلام فأُطلق، وجعل يروي الواقعة كما حدثت، ومنه أُخذت أخبارها...».[4]

لكنّ بعض علمائنا ذهب إلىٰ القول باستشهاد عقبة بن سمعان في زمرة

---

(١) إبصار العين: ١٧٦ ـ ١٧٧.

(٢) تاريخ الطبري، ٤: ٣٤٧؛ والكامل في التأريخ، ٤: ٨٠.

(٣) نفس المهموم: ٢٩٨.

(٤) تنقيح المقال، ٢: ٢٥٤، حديث ٧٩٦٩.

شهداء الطفّ؇ إستناداً إلىٰ ورود التسليم عليه في زيارة الحسين؈ (أوّل يوم من رجب وليلته، وليلة النصف من شعبان)،[1] ومن هؤلاء العلماء السيّد أبو القاسم الخوئي؊ في معجم رجال الحديث حيث قال: «من أصحاب الحسين؈... واستشهد بين يدي الحسين؈، ووقع التسليم عليه في الزيارة الرجبيّة، وعن بعض المؤرّخين من العامّة أنّه فرّ من المعركة ونجا».[2]

ومنهم الشيخ علي النمازي في مستدركات علم رجال الحديث حيث قال: «عقبة بن سمعان... من أصحاب الحسين؈، وكان معه في كربلاء، واستشهد معه يوم عاشوراء كما ذكره السيّد في عداد الشهداء في الزيارة الرجبيّة...».[3]

❑لقاءات في الطريق

ومع أنّ الإمام الحسين؈ لزم الطريق الأعظم من المدينة إلىٰ مكّة المكرّمة لكنّ الرواية التأريخيّة لم تحدّثنا عن كثير من تفاصيل هٰذا السفر، بل لعلّ ما ورد في التأريخ من ذٰلك يعتبر نزراً قليلاً جدّاً، ومنه:

لقاؤه؈ بأفواج من الملائكة ومؤمني الجنّ

نقل العلاّمة المجلسي؊ في بحاره عن كتاب المقتل للسيّد محمّد بن أبي طالب الموسوي قوله: «وقال شيخنا المفيد بإسناده إلىٰ أبي عبدالله؈ قال: لمّا سار أبو عبدالله من المدينة لقيه أفواج من الملائكة المسوّمة في أيديهم الحراب

---

(١) البحار، ١٠١: ٣٣٦ ـ ٣٤١، حديث ١ نقلاً عن المفيد والسيّد بن طاووس رحمة الله عليهما.

(٢) معجم رجال الحديث، ١١: ١٥٤، حديث ٧٧٢٣.

(٣) مستدركات علم رجال الحديث، ٥: ٢٤٨.

علىٰ نجب من نجب الجنّة، فسلّموا عليه وقالوا: يا حجّة الله علىٰ خلقه بعد جدّه وأبيه وأخيه، إنّ الله سبحانه أمدَّ جدّك بنا في مواطن كثيرة، وإنّ الله أمدّك بنا.

فقال لهم: الموعد حفرتي وبقعتي التي أستشهد فيها وهي كربلاء، فإذا وردتُها فأتوني.

فقالوا: يا حجّة الله، مُرنا نسمع ونطع، فهل تخشىٰ من عدوٍّ يلقاك فنكون معك؟

فقال: لا سبيل لهم عليّ ولايلقوني بكريهة أو أصل إلىٰ بقعتي.

وأتته أفواج مسلمي الجنّ...

فقالوا: يا سيّدنا، نحن شيعتك وأنصارك، فمرنا بأمرك، وما تشاء، فلو أمرتنا بقتل كلّ عدوٍّ لك وأنت بمكانك لكفيناك ذٰلك.

فجزّاهم الحسين خيراً وقال لهم: أَ وَما قرأتم كتاب الله المنزل علىٰ جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله: «**أينما تكونوا يدرككم الموت ولوكنتم في بروجٍ مشيّدة**»، وقال سبحانه: «**لبرز الذين كتب عليهم القتل إلىٰ مضاجعهم**»، وإذا أقمت بمكاني فبماذا يُبتلىٰ هٰذا الخلق المتعوس؟ وبماذا يختبرون؟ ومن ذا يكون ساكن حفرتي بكربلاء؟ وقد اختارها الله يوم دحا الأرض، وجعلها معقلاً لشيعتنا، ويكون لهم أماناً في الدنيا والآخرة؟ ولكنّ تحضرون يوم السبت، وهو يوم عاشوراء الذي في آخره أقتل، ولايبقىٰ بعدي مطلوب من أهلي ونسبي وإخوتي وأهل بيتي، ويُسار برأسي إلىٰ يزيد لعنه الله.

فقالت الجنّ: نحن والله يا حبيب الله وابن حبيبه، لولا أنّ أمرك طاعة وأنّه لايجوز لنا مخالفتك، قتلنا جميع أعدائك قبل أن يصلوا إليك!

فقال صلوات الله عليه لهم: نحن والله أقدر عليهم منكم، ولكن ليهلك من

هلك عن بينّة ويحيىٰ من حيّ عن بيّنة».[١]

«إشارة»:

لنوع المخاطب أثر في نوع خطاب أهل البيت عليهم السلام مع الغير، وهٰذه الحقيقة من الحقائق اللاّزم استذكارها لفهم وإدراك متون خطاباتهم عليهم السلام.

وعلىٰ قدر درجة المخاطب من العقل والإيمان واليقين بهم عليهم السلام والتسليم لهم تكون درجة مخاطبتهم عليهم السلام الغير بصريح القضيّة ومُرّ الحقّ.

---

(١) البحار، ٤٤: ٣٣٠ ـ ٣٣١ باب ٣٧؛ وقد روىٰ السيّد بن طاووس؛ هٰذه الرواية بتفاوت يسير في كتابه اللهوف: ٢٨ ـ ٣٠ عن الشيخ المفيد في كتاب مولد النبي صلى الله عليه وآله ومولد الأوصياء عليهم السلام بإسناده إلىٰ أبي عبدالله الصادق عليه السلام: «قال: لمّا سار أبوعبدالله الحسين بن علي عليهما السلام من مكّة ليدخل المدينة لقيه أفواج...».

والظاهر أنّ ذٰلك من اشتباه النسّاخ، والدليل على ذٰلك:

أوّلاً: أنّ المنازل التي مرّ بها الإمام عليه السلام من مكّة إلىٰ العراق لا تمرّ بالمدينة.

ثانياً: أنّ السيّد بن طاووس رحمه الله في كتابه اللهوف نفسه يقول بعد هٰذه الرواية مباشرة (ص ٣٠): «ثمّ سار حتّىٰ مرّ بالتنعيم» وهٰذا يعارض ما أورده في هٰذه الرواية من أنّه عليه السلام سار من مكّة ليدخل المدينة، لأنّ معنى ذٰلك أنّ الإمام عليه السلام رجع باتّجاه مكّة مرّة أخرىٰ!! هٰذا ما تثبته جغرافيّة هٰذه المنازل، فتأمّل.

ثالثاً: أنّ الرواية نفسها ـ التي في المتن ـ قد أوردها العلاّمة المجلسي رحمه الله عن نفس الشيخ المفيد رحمه الله بإسناده إلىٰ الصادق عليه السلام أيضاً، وفيها «لما سار أبوعبدالله الحسين عليه السلام من المدينة لقيه أفواج...»، وهٰذا دليل على اشتباه نسّاخ اللهوف.

رابعاً: في أكثر كتب التأريخ: أنّه عليه السلام خرج من مكّة إلىٰ الكوفة ولم يعد إلىٰ المدينة، إلاّ ما ورد في كتاب (معالي السبطين، ١: ٢٢٩) عن أبي مخنف، وفي كتاب (أسرار الشهادة: ٢٤٦) عن أبي مخنف أيضاً، أنّه عليه السلام قلق على مصير مسلم بن عقيل قلقاً شديداً فرحل بركبه من مكّة إلىٰ المدينة! وهٰذا خبر شاذّ فضلاً عن مجهوليّة المصدر الذي نقل عنه هٰذان الكتابان.

وفي هٰذه الرواية نجدُ المخاطب من الملائكة ومؤمني الجنّ، من شيعة أهل البيت عليهم السلام ومن أهل الصدق والإخلاص في الأهبة والنصرة، وعلىٰ درجة عالية جدّاً من المعرفة بمنزلة الإمام عليه السلام ومن اليقين والتسليم لأمره، كما هو واضح في متن المحاورة في هٰذه الرواية.

ولذا نجد الإمام عليه السلام يجيبهم بصريح القضيّة ووضوح تام، إنّه عليه السلام في هٰذه المحاورة ـ بمنطق العمق، منطق الشهيد الفاتح ـ يؤكّد أنّه ماضٍ إلىٰ مصرعه المختار (**الموعد حفرتي**) علىٰ الأرض المختارة (**بقعتي التي أستشهد فيها وهي كربلاء**). ويؤكّد عليه السلام أنّ الأمر لابدّ منه تحقيقاً للإرادة الإلهيّة في اختبار (هٰذا الخلق المتعوس) حتّىٰ يتشخّص لهم بوضوح تامّ طريق السعادة من متاهات الشقاء والتعاسة، وليمتاز الحقّ من الباطل تماماً بلا شائبة اختلاط وشبهة، حين يتحقّق بذٰلك المصرع وعلىٰ تلك البقعة فصل الإسلام المحمّدي الخالص عن الأمويّة المتلبّسة بمسوح الإسلام، وهٰذا من أهمّ أبعاد الفتح الحسينيّ المبين، المتواصل على امتداد الزمان، بركة من بركات مصرع (**الذبح العظيم**)، وفيضاً من فيوضات ذٰلك القبر المقدّس الذي اختاره الله يوم دحا الأرض مركزاً لإشعاع ذلك الفتح، ومعقلاً للشيعة الحسينيّين علىٰ مرّ الأيّام وأماناً لهم في الدنيا والآخرة.

ويؤكّد عليه السلام أيضاً أنّ الأمر لابدّ من جريان وقائعه في إطار الأسباب العادية بعيداً عن خوارق العادة من أسباب ما فوق العادة، ولو كانت الغاية نصراً ظاهريّاً عاجلاً ولا سبيل إلىٰ تحقيقه إلاّ بالخوارق فإنّ الإمام عليه السلام بولايته التكوينيّة العامّة بإذن الله تبارك وتعالىٰ أقدر من الملائكة والجنّ علىٰ تحقيق ذٰلك (نحن والله أقدر عليهم منكم، ولكن ليهلك من هلك عن بيّنة ويحيىٰ من حيَّ عن بيّنة...).

أنصار آخرون يلتحقون بالركب من منازل جهينة

ويروي لنا التأريخ من وقائع الطريق من المدينة إلىٰ مكّة أيضاً أنّ جماعة من الأعراب كانوا يلتحقون بالركب الحسيني عند مروره بمنازلهم، ومن تلك المنازل منازل جهينة (مياه جهينة)، وقد التحق بالإمام عليه السلام منها جماعة، منهم ثلاثة رجال لم ينفضّوا عنه فيمن انفضّ من الأعراب عنه بعد ذلك، بل أقاموا معه ولازموه ولم يتخلّوا عنه حتّىٰ فازوا بأسمىٰ مراتب الشرف في الدنيا والآخرة حيث استشهدوا بين يديه في الطفّ يوم عاشوراء، وهم:

١ـ مجمع بن زياد بن عمرو الجُهَني رضي الله عنه.

٢ـ عبّاد بن المهاجر بن أبي المهاجر الجهني رضي الله عنه.

٣ـ عقبة بن الصلت الجهني رضي الله عنه.[١]

هل لقي الإمام عليه السلام ابن عبّاس وابن عمر في الطريق إلىٰ مكّة؟

قال ابن الأثير في الكامل: «وقيل إنّ ابن عمر كان هو وابن عبّاس بمكّة فعادا إلىٰ المدينة، فلقيهما الحسين وابن الزبير فسألاهما: ماوراء كما!؟

فقالا: موت معاوية وبيعة يزيد!

فقال ابن عمر: لاتفرّقا جماعة المسلمين».[٢]

أما الطبري فقال: «فزعم الواقدي أنّ ابن عمر لم يكن بالمدينة حين ورود نعي معاوية وبيعة يزيد علىٰ الوليد، وأنّ ابن الزبير والحسين لمّا دعيا إلىٰ البيعة ليزيد أبيا، وخرجا من ليلتهما إلىٰ مكّة، فلقيهما ابن عبّاس وابن عمر جائيين من مكّة

---

(١) راجع: كتاب إبصار العين في أنصار الحسين عليه السلام: ٢٠١ ـ ٢٠٢.

(٢) الكامل في التأريخ، ٤: ١٧.

فسألاهما: ما وراءكما...»[١] إلىٰ آخر خبر ابن الأثير بتفاوت يسير.

وأمّا ابن كثير في تأريخه[٢] فقال: «وقال الواقدي...» ثمّ أورد نفس رواية الطبري بتفاوت يسير.

والظاهر أنّ هٰذه الرواية لم يروها أحدٌ من المؤرّخين غير هٰؤلاء الثلاثة إضافة إلىٰ الواقدي الذي نسبها إليه إثنان منهما!

وقول ابن الأثير في تصدير الرواية: «وقيل»، وقول الطبري: «فزعم الواقدي»، يشعران بعدم اطمئنانهما إلىٰ هٰذا الزعم وبضعف هٰذه الرواية، خاصّة وأنّهما قد رويا في تأريخيهما أنّ عبدالله بن عمر كان في المدينة حينما كان الإمام الحسين عليه السلام فيها قبل خروجه منها.[٣] كما أنّ هٰذه الرواية مخالفة لما هو مشهور من أنّ عبدالله بن عبّاس خاصّة كان في مكّة حينما دخلها الإمام الحسين عليه السلام، ومن روايات هٰذا المشهور قول الدينوري في الأخبار الطوال: «وأمّا عبدالله بن عبّاس فقد كان خرج قبل ذٰلك بأيّام إلىٰ مكّة»،[٤] وقول ابن أعثم الكوفي وقد نقله عنه الخوارزمي: «وأقام الحسين بمكّة باقي شهر شعبان، وشهر رمضان، وشوّال، وذي القعدة، وبمكّة يومئذٍ عبدالله بن عبّاس وعبدالله بن عمر بن الخطّاب...».[٥]

هٰذا فضلاً عن أنّ هٰذه الرواية مخالفة لما ذهب إليه جلّ المؤرّخين من

---

(١) تاريخ الطبري، ٤: ٢٥٤.

(٢) البداية والنهاية، ٨: ١٥٨.

(٣) الكامل في التأريخ، ٤: ١٧؛ وتاريخ الطبري، ٤: ٢٥٣ ـ ٢٥٤.

(٤) الأخبار الطوال: ٢٢٨.

(٥) مقتل الحسين عليه السلام (للخوارزمي)، ١: ١٩٠.

الفريقين من أن عبدالله بن الزبير خرج إلىٰ مكّة قبل الإمام الحسين عليه السلام، إذ خرج ابن الزبير في سواد نفس الليلة التي استدعاه إلىٰ البيعة فيها الوليد بن عتبة، فيكون الفارق الزمني بين مسيره إلىٰ مكّة ومسير الإمام عليه السلام ليلتين أو ليلة علىٰ الأقلّ، هٰذا فضلاً عن أنّ ابن الزبير تنكّب عن الطريق الأعظم الذي أصرّ الإمام الحسين عليه السلام علىٰ السير عليه، ممّا يدلّ علىٰ أنّهما لم يجمعهما منزل من منازل الطريق، خصوصاً وأنّ ابن الزبير قد جدّ في السير إلىٰ مكّة كما يجدّ الهارب حتّىٰ أنّ واحداً وثمانين راكباً من موالي بني أميّة طلبوه فلم يدركوه ورجعوا.[1]

إذن فكيف يصحّ ما في هٰذه الرواية من أنّهما كانا معاً حتّىٰ لقيهما ابن عبّاس وابن عمر!؟

هٰذه الرواية إذن مخالفة للحقيقة التأريخيّة فضلاً عن إرسالها وضعفها.[2] أمّا ماروواه ابن عساكر في تأريخه حيث قال: «وخرج الحسين وعبدالله بن الزبير من ليلتهما إلىٰ مكّة، وأصبح الناس وغدوا إلىٰ البيعة ليزيد وطُلب الحسين وابن الزبير فلم يوجدا... ولقيهما عبدالله بن عمر، وعبدالله بن عيّاش بن أبي ربيعة بالأبواء منصرفين من العمرة، فقال لهما ابن عمر: أذكّركما الله إلاّ رجعتما فدخلتما في صالح ما يدخل فيه الناس، وتنظرا، فإن اجتمع الناس عليه لم تشذّا عنهم، وإن افترق الناس عليه كان الذي تريدان... وقال له ابن عيّاش:[3] أين تريد يا ابن

(١) راجع الإرشاد: ٢٢٢.

(٢) لقد ضعّف رجاليّو السنّة الواقدي أشدّ التضعيف، راجع: سير أعلام النبلاء للذّهبي، ٩: ٤٥٤ ـ ٤٦٩ رقم الترجمة ١٧٢.

(٣) قال المحمودي في حاشية الصفحة ٢٠١: هٰذا هو الصواب المذكور في الطبقات الكبرىٰ، وفي أصْلَيْ كليهما من تأريخ دمشق: «وقال له ابن عبّاس...»

فاطمة!؟ قال: العراق وشيعتي. فقال: إنّي لكاره لوجهك هٰذا، أتخرج إلىٰ قوم قتلوا أباك، وطعنوا أخاك حتّىٰ تركهم سخطة ومَلَّةً لهم!؟ أذكّرك الله أن تغرر بنفسك...».[١]

فهٰذه الرواية كتلك مخالفة للحقيقة التأريخيّة أيضاً علىٰ ضوء المناقشة التأريخيّة التي قدّمناها في ردّ الرواية الأولىٰ، هٰذا فضلاً عن ضعفها سنداً[٢] علىٰ الأقلّ بجويرية بن أسماء الذي قال فيه الإمام الصادق عليه السلام: «وأمّا جويريّة فزنديق لايفلح أبداً».[٣]

ولو فرضنا صحّة وقوع المحاورة الأخيرة في رواية ابن عساكر بين ابن عيّاش وبين الإمام عليه السلام، فإنّ الدلائل التأريخيّة تشير إلىٰ أنّ مثل هٰذه المحاورات التي تحدّث فيها الإمام عليه السلام بصراحة عن توجّهه إلىٰ العراق وشيعته هناك لم تقع إلاّ في مكّة أثناء إقامته فيها أو قبيل خروجه منها، لأنّ الإمام عليه السلام لم يكشف عن نيّة عزمه علىٰ التوجّه إلىٰ العراق لكلّ محاور إلاّ في مكّة، وأمّا في المدينة وفي الطريق منها إلىٰ مكّة فلم يكشف الإمام عليه السلام عن هٰذه النيّة إلاّ لمن يثق بهم كأمّ سلمة رضي الله عنها ومحمّد بن الحنفيّة رضي الله عنه مثلاً، أمّا عبدالله بن مطيع العدوي وأمثاله فكان عليه السلام لايكشف لهم إلاّ عن توجّهه إلىٰ مكّة.

وعبدالله بن عيّاش[٤] هٰذا لم يعرف له قرب من أهل البيت: أو ولاء لهم، بل

---

(١) تأريخ ابن عساكر (ترجمة الإمام الحسين عليه السلام) تحقيق المحمودي: ١٩٨ـ٢٠١، الحديث ٢٢٥.

(٢) وسندها هو: قال ابن سعد: وأنبأنا عليّ بن محمّد، عن جويريّة بن أسماء، عن مسافع بن شيبة قال:

(٣) اختيار معرفة الرجال (رجال الكشّي)، ٢: ٧٠٠، حديث ٧٤٢.

(٤) هو عبدالله بن عيّاش بن أبي ربيعة المخزومي: قيل: كان أبوه قديم الإسلام فهاجر إلىٰ الحبشة فولد له عبدالله فيها، وقيل: إنّ عبدالله هٰذا أدرك من حياة النبي صلى الله عليه وآله ثماني سنين، وقيل: مات حين

الظاهر من نصّ هٰذه المحاورة التي رواها ابن عساكر هو أنّ عبدالله هٰذا ـ علىٰ فرض حصول هٰذه المحاورة ـ لم يكن يُحسن حتّىٰ مراعاة الأدب مع الإمام عليه السلام فضلاً عن معرفة إمامته إذ يقول له: «أذكّرك الله أن تغرر بنفسك!»، فهو من نوع عبدالله بن مطيع العدوي بل هو أسوأ منه لأنّ هٰذا الأخير علىٰ الأقلّ كان يحسن مراعاة الأدب مع الإمام عليه السلام والتودّد إليه في محاوراته معه.

لقاؤه عليه السلام مع عبدالله بن مطيع العدوي

يروي لنا التأريخ لقائين لعبدالله بن مطيع العدوي مع الإمام الحسين عليه السلام، الأوّل في الطريق من المدينة إلىٰ مكّة، والثاني علىٰ ما في رواية المفيد في الإرشاد لمّا أقبل الإمام الحسين عليه السلام من الحاجز يسير نحو العراق فانتهىٰ إلىٰ ماء من مياه العرب.[1]

وتهمّنا في هٰذا المقطع من تأريخ حركة الركب الحسينيّ قصّة اللقاء الأوّل، تقول الرواية التأريخيّة في متابعتها حركة الإمام الحسين عليه السلام علىٰ الطريق من المدينة إلىٰ مكّة: «فبينما الحسين كذٰلك بين المدينة ومكّة إذ استقبله عبدالله بن مطيع العدوي، فقال: أين تريد أباعبدالله جعلني الله فداك؟

قال: أمّا في وقتي هٰذا أريد مكّة فإذا صرتُ إليها استخرتُ الله تعالىٰ في أمري بعد ذٰلك.

فقال له عبدالله بن مطيع: خار الله لك يا ابن بنت رسول‌الله فيما قد عزمت عليه، غير أنّي أشير عليك بمشورة فاقبلها منّي!

⇦ جاء نعي يزيد بن معاوية سنة أربع وستّين. راجع: الإصابة في تمييز الصحابة، ٢: ٣٤٨، حديث ٤٨٧٧.

(١) الإرشاد: ٢٤٥.

فقال له الحسين: وما هي يا ابن مطيع؟

قال: إذا أتيتَ مكّة فاحذر أن يغرّك أهل الكوفة، فيها قُتل أبوك، وأخوك بطعنة طعنوه كادت أن تأتي على نفسه، فالزم الحرم فأنت سيّد العرب في دهرك هٰذا، فوالله لئن هلكتَ ليهلكنّ أهل بيتك بهلاكك، والسلام.

قال فودّعه الحسين ودعا له بخير».[1]

وفي رواية الدينوري في الأخبار الطوال أنّ ابن مطيع قال للإمام عليه السلام: «إذا أتيت مكّة فأردت الخروج منها إلى بلد من البلدان فإيّاك والكوفة، فإنّها بلدة مشؤومة، بها قتل أبوك، وبها خذل أخوك، واغتيل بطعنة كادت تأتي على نفسه، بل الزم الحرم، فإنّ أهل الحجاز لايعدلون بك أحداً، ثمّ آدع اليك شيعتك من كلّ أرض فسيأتونك جميعاً.

قال له الحسين عليه السلام: يقضي الله ما أَحبَّ.[2]

أمّا ابن عساكر فروىٰ قصّة هٰذا اللقاء علىٰ النحو التالي:

«لمّا خرج الحسين بن عليّ عليهما السلام من المدينة يريد مكّة مرّ بابن مطيع وهو يحفر بئره، فقال له: أين فداك أبي وأمّي؟

قال: أردت مكّة.

قال وذكر له أنّه كتب إليه شيعته بها.

فقال له ابن مطيع: أين فداك أبي وأمّي؟ متّعنا بنفسك ولاتسر إليهم! فأبىٰ الحسين عليه السلام، فقال له ابن مطيع: إنّ بئري هٰذه قد رشحتها، وهٰذا اليوم أوان ما

(١) الفتوح، ٥: ٢٢ ـ ٢٣.

(٢) الأخبار الطوال: ٢٢٨ ـ ٢٢٩.

خرج إلينا في الدلو شيئ من ماء، فلو دعوت الله لنا فيها بالبركة!

قال: هاتِ من مائها.

فأتىٰ من مائها في الدلو، فشرب منه، ثمّ تمضمض، ثمّ ردّه في البئر، فأعذب وأمهىٰ».[1]

من هو عبدالله بن مطيع العدوي؟

ها نحن في محضر الإمام الحسينعليه السلام في الطريق إلىٰ مكّة مع مخاطبٍ آخر من نوع آخر، هو عبدالله بن مطيع العدوي، رجل من قريش، همّه العافية والمنفعة الذاتية، وحرصه علىٰ مكانة قريش والعرب أكبر من حرصه علىٰ الإسلام، وهو ليس من طلاّب الحقّ ولا من أهل نصرته والدفاع عنه، وكاذب في دعوىٰ مودّة أهل البيتعليهم السلام مع معرفته بمنزلتهم الخاصّة عندالله تبارك وتعالىٰ، والإمام الحسينعليه السلام يعرفه تمام المعرفة!

ولذا نراهعليه السلام يمرُّ به مرور الكرام ولايعبأُ به، ولا يحدّثه بصريح قضيّة النهضة ولايكشف له عن تفاصيل مستقبلها كما حدّث بذٰلك أمّ سلمة رضي الله عنها ومحمّد بن الحنفيّة،رضي الله عنه والملائكة، ومؤمني الجنّ مثلاً، بل حدّثه فقط عن مقصده المرحليّ «مكّة»، ولم يكشف له عن شئ بعد ذٰلك إلاّ «**فإذا صرتُ إليها استخرتُ الله تعالىٰ في أمري بعد ذٰلك!**»، أو «**يقضي الله ما أَحبَّ!**».

في محاورته مع الإمامعليه السلام في لقائه الثاني به (علىٰ ما في رواية الإرشاد) نجد أكبر همّ ابن مطيع هو ألاّ تنهتك «حرمة العرب وحرمة قريش»، ونجده هنا أيضاً يخاطب الإمامعليه السلام قائلاً: «فأنت سيّد العرب في دهرك هٰذا!» ممّا يكشف عن قوّة

---

(١) تأريخ ابن عساكر (ترجمة الإمام الحسينعليه السلام) تحقيق المحمودي: ٢٢٢، حديث ٢٠٣.

النزعة العرقيّة (القوميّة) في عقله ونفسيته!

ونراه مع معرفته بمنزلة الإمامعليه السلام في الإسلام وفي الأمّة، ومع علمه بحقّانيّة خروج الإمامعليه السلام لايندفع إلىٰ نصرة الإمامعليه السلام والإنضمام إليه، بل يبقىٰ همّه في ماء بئره كيف يكثر ويحلو! وببركة الإمامعليه السلام!!

لقد فوّت عليه حبّ العافية والمنفعة الذاتيّة فرصة العمر النادرة بمرور الإمامعليه السلام به في عدم اغتنامها بنصرته والإلتحاق به والفوز بشرف الدنيا والآخرة في الإستشهاد بين يديه، وتسافل بهمّه إلىٰ درجة أن انحصر في كثرة ماء البئر وعذوبته!

ونرىٰ ابن مطيع هٰذا يكشف عن كذبه في دعوىٰ حبّه للإمامعليه السلام بعد مقتل الإمامعليه السلام، حين انضمّ إلىٰ ابن الزبير، وصار عاملاً له علىٰ الكوفة، «فجعل يطلب الشيعة ويخيفهم»،[1] وقاتلهم في مواجهته لحركة المختار، واستعان عليهم بقتلة الإمام الحسينعليه السلام أنفسهم، أمثال شمر بن ذي الجوشن وشبث بن ربعي وغيرهم!![2]

وفي أوّل خطبة له في الكوفة أعلن عن عزمه علىٰ تنفيذ أمر ابن الزبير في السير بأهل الكوفة بسيرة عمر بن الخطّاب وسيرة عثمان بن عفّان، لكنّه فوجئ بحنين أهل الكوفة إلىٰ سيرة عليّعليه السلام ورفضهم للسِّيَر الأخرىٰ، حين قام إليه السائب بن مالك الأشعري فقال له: «أمّا حملُ فيئنا برضانا فإنّا نشهد أنّا لانرضىٰ أن يُحمل عنّا فضلُه، وأن لايُقَسَّم إلاّ فينا، وألاّ يُسار فينا إلاّ بسيرة عليّ بن أبي طالبعليه السلام التي سار بها في بلادنا هٰذه حتّىٰ هلك، ولا حاجة لنا في سيرة

---

(١) تأريخ اليعقوبي، ٢: ٢٥٨.

(٢) راجع: الكامل في التأريخ، ٤: ٢١٦ ـ ٢١٧.

عثمان في فيئنا ولا في أنفسنا، ولا في سيرة عمر بن الخطّاب فينا، وإن كانت أهون السيرتين علينا...».[١]

هل وصلت إلىٰ الإمام عليه السلام رسائل قُبَيْلَ رحيله عن المدينة؟

من الطبيعي أن تكون للإمام الحسين عليه السلام في زمن معاوية مراسلات بينه وبين شيعته في العراق والحجاز وباقي مناطق العالم الإسلامي آنئذٍ.

لكنّ سؤالنا التحقيقي في هذا المجال حول ما إذا كانت هناك رسائل قد وصلت إلىٰ الإمام عليه السلام في غضون اليومين أو الثلاثة قبيل سفره عن المدينة، أي منذ أن جاء نبأ موت معاوية، وطلب منه أن يبايع يزيد، وإلىٰ أن ارتحل عليه السلام عن المدينة المنوّرة.

هناك ثلاث روايات يوحي ظاهرها بحصول هٰذا الأمر:

الأولىٰ: وهي الرواية التي مرّت بنا ـ عن ابن عساكر ـ في قصّة اللقاء الأول لعبدالله بن مطيع مع الإمام عليه السلام، حيث ورد فيها بعد أن أجاب الإمام عليه السلام ابن مطيع أنّه يريد مكّة قول الراوي إنّ الإمام عليه السلام (ذكر له أنّه كتب إليه شيعته بها).

والمتبادر من ظاهرها أنّ للإمام الحسين عليه السلام شيعة في مكّة قد كتبوا إليه! وهٰذا ممكن إذا كانت هٰذه الرسائل قد كتبت وأرسلت قبل يوم وصول نبأ موت معاوية إلىٰ المدينة بأيّام، فوصلت إليه عليه السلام في غضون اليومين أو الثلاثة أيّام قبيل سفره عن المدينة، لأنّ المسافة بين مكّة والمدينة في السفر العاجل تقتضي زمانيّاً ثلاثة أيّام علىٰ الأقلّ. وأمّا إذا كانت هٰذه الرسائل قد كتبت وأُرسلت إليه عليه السلام بعد خبر موت معاوية، فلا شك أنّها لا تصل إليه في غضون ما قبيل سفره، بلىٰ، قد تصل إليه

---

(١) الكامل في التأريخ، ٤: ٢١٢ ـ ٢١٣.

وهو في الطريق إلىٰ مكّة وقد فصل بعيداً عن المدينة، هٰذا في أحسن الفروض.

لكنّ المتأمّل في بقيّة الرواية يجد ابن مطيع بعد ذلك مباشرة يقول للإمامعليه السلام: (أين فداك أبي وأمّي؟ متعنّا بنفس ولاتسر إليهم!).

ولا شك أنّ ابن مطيع لم‌ينه الإمامعليه السلام عن مكّة، بل نهاه عن الكوفة! ممّا يدلّ علىٰ أنّ هٰذه الرسائل المذكورة كانت من الكوفة وليست من مكّة! وهنا يظهر لنا الخلط في متن هٰذه الرواية بين لقاء ابن مطيع الأوّل ولقائه الثاني مع الإمامعليه السلام، حيث كان الإمامعليه السلام في اللقاء الثاني قد حدّث ابن مطيع عن رسائل أهل الكوفة، ولم‌يحدّثه عنها في اللقاء الأوّل، لأنها لم تصل إليه إلاّ في مكّة، ولأنه لم يكن قد وصل إلى مكّة بعدُ.

الثانية: وهي أوضح في الخلط بين وقائع اللقائين من رواية ابن عساكر، وقد رواها صاحب العقد الفريد، وجاء فيها: «... ومرَّ حسين حتّىٰ أتىٰ علىٰ عبدالله بن مطيع وهو علىٰ بئر له، فنزل عليه، فقال للحسين: يا أباعبدالله، لا سقانا الله بعدك ماءً طيّباً، أين تريد؟ قال: العراق!. قال: سبحان الله! لِمَ؟ قال: مات معاوية، وجاءني أكثر من حمل صحف. قال: لاتفعل أباعبدالله، فوالله ما حفظوا أباك، وكان خيراً منك، فكيف يحفظونك؟ ووالله لئن قتلت لا بقيت حرمة بعدك إلاّ استحلّت! فخرج حسين حتّىٰ قدم مكّة...».[١]

وهٰذه الرواية مغايرة للرّوايات الكثيرة التي تحدّثت عن وقائع اللقاء الأوّل، لقاء ما بعد المدينة، حيث حكت هٰذه الروايات أنّ الإمامعليه السلام لم‌يصرّح لابن مطيع فيه إلاّ أنّه يريد مكّة، ولم‌يحدّثه أنّه يريد العراق!

---

(١) العقد الفريد، ٤: ٣٥٢، دار إحياء التراث العربي ـ لبنان/ ط ١/ ١٤١٧ هـ ق

ثمّ كيف يُتصوّر أنّ حملاً من الرسائل يصل إلىٰ الإمام وهو في المدينة من أهل الكوفة بعد انتشار نبأ موت معاوية!؟ والثابت تأريخيّاً أنّ أهل الكوفة علموا بموت معاوية بعد وصول الإمام عليه السلام إلىٰ مكّة بفترة، ثمّ كتبوا إليه يدعونه إليهم.

فالرّاوي لهٰذه الرواية ـ علىٰ فرض صحّتها ـ يكون قد خلط بين مجريات اللقائين خلطاً ظاهراً من حيث يعلم أو لايعلم! والمقطوع به تأريخيّاً أنّ رسائل دعوة أهل الكوفة للإمام عليه السلام لم تصل إليه في المدينة، بل في مكّة.

الثالثة: وهي الرواية التي حكاها صاحب (أسرار الشهادة) عن بعض (الثقات الأدباء الشعراء من تلامذتي من العرب) حسب قوله، وأنّ هٰذا الثقة قد ظفر بها في مجموعة كانت تنسب إلىٰ (الفاضل الأديب المقري) فنقلها عنها، وهٰذه الرواية أنّه: «قد روى عبدالله بن سنان الكوفي، عن أبيه، عن جدّه، أنّه قال: خرجت بكتاب من أهل الكوفة إلىٰ الحسين عليه السلام وهو يومئذٍ بالمدينة، فأتيته فقرأه وعرف معناه، فقال: أنظرني إلىٰ ثلاثة أيّام. فبقيت في المدينة، ثمّ تبعته إلىٰ أن صار عزمه بالتوجّه إلىٰ العراق، فقلت في نفسي أمضي وأنظر إلىٰ ملك الحجاز كيف يُركب وكيف جلالته وشأنه...»،[1] ثمّ يصف الراوي كيف أركب الهاشميّون محارمهم من عيالات الإمام الحسين عليه السلام علىٰ محامل الإبل، ثمّ كيف ركب بنوهاشم والإمام عليه السلام.

وهٰذه الرواية ـ علىٰ فرض صحّتها (وهي ليست كذلك)[2] ـ هي الرواية الوحيدة التي تخبر عن وصول رسالة من أهل الكوفة إلىٰ الإمام عليه السلام وهو في المدينة في أيّام ما بعد رفضه البيعة ليزيد بعد موت معاوية، أو قبل ذٰلك بيوم!

ولا شك أن هٰذه الرسالة تعتبر من رسائل أهل الكوفة إلىٰ الإمام عليه السلام في فترة

(١) أسرار الشهادة: ٣٦٧.

(٢) لأنّ صاحب أسرار الشهادة يرويها عن مجهول، وهٰذا ينسبها إلىٰ مجهول أيضاً!!.

ما قبل علم أهل الكوفة بموت معاوية، لأنّ نبأ موت معاوية ـ من قرائن تأريخيّة عديدة ـ لم يصل إلىٰ أهل الكوفة إلاّ بعد وصول الإمام عليه السلام إلىٰ مكّة المكرّمة، أو وهو في الطريق إليها.

من كلّ ما قدّمناه في هٰذه القضيّة نستنتج:

أنّه لم تصل إلىٰ الإمام عليه السلام وهو في المدينة ـ في غضون أيّام إعلانه رفض البيعة ليزيد إلىٰ حين خروجه عنها ـ أيّة رسالة من أهل الكوفة تُنبئ عن علمهم بموت معاوية، وعن دعوتهم الإمام عليه السلام إليهم، ولا من مكّة أيضاً، ولا من سواهما.

علىٰ مشارف مكّة المكرّمة:

وتواصل رواية الفتوح متابعة مسار الإمام الحسين عليه السلام بركب الشهادة من المدينة إلىٰ مكّة حتّىٰ مشارفها من بعيد حيث تبدو جبالها للناظر، فتقول: «وسار حتّىٰ وافىٰ مكّة، فلمّا نظر إلىٰ جبالها من بعيد جعل يتلو هٰذه الآية: (ولمّا توجّه تلقاء مدين قال عسىٰ ربّي أن يهديني سواء السبيل).[1]

وتقول رواية الأخبار الطوال:

«ثمّ أطلق عنانه ومضىٰ حتّىٰ وافىٰ مكّة، فنزل شِعبَ عليٍّ...».[2]

وتقول رواية ابن عساكر:

«فنزل الحسين دار العبّاس بن عبدالمطّلب...».[3]



(١) الفتوح، ٥: ٢٣.

(٢) الأخبار الطوال: ٢٢٩.

(٣) تأريخ ابن عساكر (ترجمة الإمام الحسين عليه السلام) تحقيق المحمودي: ٢٩٣ حديث ٢٥٦.

فهرس الآيات القرآنية



فهرس الأحاديث

ونـلفت الإنـتباه إلى أنّ ضرورة الفـهرس فـرضت عـلينا أن نأتي هـنا حـتى بالأحاديث التي نقطع بأنها مفتراة على رسول الله ﷺ أو الأئمّة عليهم السلام لمعارضتها صريح القرآن أو السنّة الصحيحة أو الإعتقاد الحقّ أو المسلّمات التأريخية وقد وضعنا الحرف (م) قبل كلّ منها رمزاً للكلمة (مفترىٰ).

رسول الله محمد ﷺ:

الحديث	الصفحة
(م) رحمه الله أذكرني كذا وكذا آية أسقطتهنّ من سورة كذا وكذا	٥١
سيُقتل بعذراء أناسٌ يغضب الله لهم	٢٦٦
كيف بكم إذا فسدت نساؤكم وفسق	٩٩
لا يُقتل بين ظهرانيّ قوم فلا يمنعونه	١٣٤
مالي وليزيد، لا بارك الله فيه	٢٠٢
مروهم فليرجعوا، فإنّا لا نستعين بالمشركين	٧٠
من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً	٢٧، ١٦٤
النجوم أمان لأهل السماء وأهل بيتي أمان لأهل الأرض	٤٩
(م) وصاحب سرّي معاوية بن أبي سفيان	١٢٢
والذي نفسي بيده لو أصبح فيكم موسى فاتبعتموه	٤١
ولن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض	١٨
(م) ومعاوية بن أبي سفيان أحلم أمّتي	١٢٢
ومن ذرّية هذا، وأشار إلى الحسين	١٨٧
هذا جبرئيل يخبرني عن أرض بشطّ الفرات	٢٠١
هلُمَّ ابني ياأسماء	٢٠٠
يا أبابكر لعلّك أغضبتهم ؟ لئن كنت	٧٧
يابنيّ ياحسين، كأنّك عن قريب أراك مقتولاً	٣٨٠
ياحسين، لابدّ من الرجوع إلى الدنيا حتى	٣٨٠
ياعائشة إنّ جبرئيل أخبرني أنّ حسيناً مقتول	٢٠٢
(م) يامحمّد أقريء معاوية السلام واستوص به خيراً	١٢٢، ١٢٣
يُقتل الحسين بأرض بابل	١٥٣
يُقتل الحسين رأس ستين من مهاجري	٢٠٢

الحديث | الصفحة

الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام

فاطمة الزهراء عليها السلام:

الحديث	الصفحة

الإمام الحسن عليه السلام:

الإمام الحسين عليه السلام:

الحديث	الصفحة
أصلح الله الأمير، والصلاح خير من الفساد	٣٥٣
أصنعُ أنّي لا أبايع أبداً	٣٥١
أظنُّ أنّ طاغيتهم قد هلك	٣٤٧
إعتبروا أيها الناس بما وعظ الله به أولياءه	٢٦٣
(م) أعيذك بالله أن تكذّب عليّاً في قبره	٢٢١
أُفٍّ لهذا الكلام أبداً ما دامت السماوات والأرض	١٤٩
الله الله لا تفعلوا فتضيعوا وصيّة أخي	٢١٠
أللّهمَّ بيض وجهه وطيّب ريحه	٤١٠
أللّهمَّ هذا قبر نبيّك محمد، وأنا ابن بنت	٣٧٩
إليَّ يا ابن الأزرق المتورّط في الضلالة	٢٥٥
أما إذا رغبت بنفسك عنّا فلا حاجة	١٣٥
أما قرأتم كتاب الله المنزل على جدّي	١٦٦
أما من مغيث يغيثنا، أما من ذابّ	٣٢
أما والله لا تذهب الدنيا حتى يبعث الله مني رجلاً	٢٥٤
أما هذه عمّتي أمُّ هاني	٣٨٣
أمّا بعدُ، فإنّ عيراً مرّت بنا من اليمن	٢٣٠
أمّا بعدُ، فإنّ من لحق بي استشهد	١٧١
أمّا بعدُ، فإنّ هذا الطاغية قد فعل بنا	٢٥٨
أمّا بعدُ، فبلغني كتابك وتعييرك إيّاي	٢٢٦
أمّا بعدُ، فقد بلغني كتابك تذكر أنه قد بلغك	٢٦٥، ٢٩٤
أمّا بعدُ يامعاوية فلن يؤدي القائل وإن أطنب	٢٩٧
أمّا في وقتي هذا أريدُ مكّة فإذا صرتُ إليها	١٥١، ٤١٩، ٤٢١

الحديث	الصفحة
أنا ابن ماء السماء وعروق الثرى	٢٤٩
أنت ياابن الزرقاء تقتلني أم هو؟	٣٥٥
(م) أنشدك الله أن تكون أوّل من عاب أباك	٢٢١
أنشدكم الله أتعلمون أنّ عليّ بن أبي طالب كان	٢٥٩
أنشدكم الله إلاّ حدّثتم به من تثقون	٢٥٨
أنشدكم بالله إلا صدّقتموني إنْ صدقت	٢٧٣
أنشدكنَّ الله أن تُبدين هذا الأمر معصية	٣٨٢
أنظرني إلى ثلاثة أيّام	٤٢٥
إنْ علم منّي ما أعلمه منه أنا فليقل	٣٠٠
إنّا قد بايعنا وعاهدنا، ولا سبيل لنقض	٢١٨
إنّا قد بايعنا وليس إلى ما ذكرت سبيل	٢١٩
إنّ الكريم إذا تكلّم بكلام ينبغي أن يصدّقه	٢٨٨
إنّ الوليد قد استدعاني في هذا الوقت، ولستُ	٣٥٣، ٣٦٣
إنّ بيني وبين القوم موعداً أكره أن	١٦٠
إنّما تصدّق بها أبي ليقي الله به وجهه	٢٧٣
إنّ مثلي لايعطي بيعته سرّاً	٣٤٢، ٣٥٤، ٣٥٧
إنّهم ليسوا بسفهاء، لكنّهم حلماء	٢٠٤
إنّي أجيزكم بأكثر مما يجيزهم	٢٨٤
إنّي كففتُ عن جوابك في قولك الأوّل حلماً	٢٧٦
إنّي لأرجو أن يكون رأي أخي رحمه الله في الموادعة	٢٢١
إنّي مقتولٌ لا محالة	٣٩١
إنّي موجّهك إلى أهل الكوفة، وهذه كتبهم	١٥٨

الحديث	الصفحة
إنّي والله مقتول كذلك، وإن لم أخرج	١٦١
أو ما قرأتم كتاب الله المنزل على جدّي	٤١٢
(م) إي والذي بعث جدّي بالحقّ بشيراً	٣٠٦
أيّها الناسُ إنّ الله جلّ ذكره ما خلق العباد إلاّ	٢٥٧
أيّها الناسُ إنّي لم آتكم حتى أتتني	١٦٠
ثمّ ولّيت ابنك وهو غلام يشرب الشراب	٢٧٢
جزاك الله خيراً ياابن عم فقد والله	١٥٣
جزاك الله وقومك خيراً، إنّه قد كان	١٦٠
جزاك الله ياابن عمّ فقد والله علمتُ أنّك	١٦٨
جزاك الله ياأخي عنّي خيراً، ولقد نصحت	١٦٧
حدّثك أنّي مقتول؟ سألتك بحقّ أبيك	٣٨٦
حدّثني أبي عن رسول الله ﷺ أخبره بقتله وقتلي	٣٨٦، ٣٩٠
حرٌّ أنت أم مملوك؟	٢٨١
خصمك القوم يامعاوية	٢٧٢
خفّض عليك، أستغفر الله لي ولك، إنّك	٢٥٣
خلّو عنه، قد عفوتُ عنك	٢٧٨
رحم الله مسلماً فلقد صار إلى روح الله	١٥٩
السلامُ عليك يارسول الله أنا الحسين بن فاطمة	٣٧٩
شنشنة أعرفها من أخزم، حيّانا الله وإيّاك	٢٥٣
صدق أبومحمد، فليكن كلّ رجل منكم حلساً	٢١٩، ٢٤٣، ٢٨٤
صعدتُ إلى عمر بن الخطّاب فقلت له إنزل	٨١
العراق، مات معاوية وجاءني أكثر من حمل صحف	٤٢٤

الحديث	الصفحة
من الحسين بن علي إلى محمد بن علي ومن قبله من بني هاشم	١٧١
من الحسين بن علي إلى معاوية بن أبي‌سفيان	٢٣٠
من خير لأُمّة محمّد!؟ يزيد الخمور والفجور!؟	٣٠٠
من كان باذلاً فينا مهجته	٤٠٠
من كفل لنا يتيماً قطعته عنّا محنتنا	٢٨٥
منا إثنا عشر مهدياً، أوّلهم أميرالمؤمنين	١٨٧، ٢٥٤
الموعد حفرتي وبقعتي التي أستشهد فيها	١٥٦، ١٦٦، ٤١٢
نحن حزب الله الغالبون، وعترة رسول الله	٢٤٨
نحن وشيعتنا على الفطرة التي بعث الله عليها محمّداًﷺ	٢٨٥
نحن وبنو أميّة اختصمنا في الله عزّوجلّ	٢٥١
نحن والله أقدر عليهم منكم ولكن	٤١٢، ٤١٤
(م) نشدتك الله أن تصدّق أحدوثة معاوية	٢٢٠
نعم سمعت جدّي رسول اللهﷺ يقول: من وجد لقمة	٢٨٠
وأسألكم بحق الله عليكم وحق رسول اللهﷺ وقرابتي	٢٦٢
وأسير بسيرة جدّي وأبي عليّ بن أبي طالب	٣٩٧، ٣٩٨
والله البلاء والفقر والقتل أسرع إلى من أحبّنا	٢٨٥
والله إني مقتول كذلك وإن لم أخرج	٣٨٥
والله لا أفارقه حتى يقضي الله	٤٠١
والله لقد تركت من هو خير منه أباً وأمّاً ونفساً	٢٢٩
والله لقد حدّثت نفسي بإتيان الكوفة	١٥١
والله ليجتمعنّ على قتلي طغاة بني أمية	٢٠٣
وأنا أدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيّهﷺ	١٦٥

الحديث	الصفحة

الحديث	الصفحة
يا أبا هرّة إنّ بني أميّة أخذوا مالي	١٥٠
يا ابا هريرة، وأنت تفعل هذا؟	١٩٥
يا أخا الأنصار صُن وجهك عن بذل المسألة	٢٨١
(م) ياأخي أعيذك بالله من هذا	٢٢٠
ياأخي، سأنظر فيما قلت	١٥١
ياأخي، قد خفت أن يغتالي يزيد	١٥٥
ياأخي، والله لو لم يكن في الدنيا ملجأ ولا مأوى لما بايعت	٣٥٨، ٣٦٧، ٣٨٩، ٣٩٢
ياأعرابي، نحن قوم لا نعطي المعروف إلا على قدر المعرفة	٢٨٢
ياأمّاه، قد شاء الله عزّوجلّ أن يراني مقتولاً	١٥٣
ياأمّاه، لقد شاء الله عزّوجلّ أن يراني مذبوحاً	٣٨٤
ياأمّاه، وأنا والله أعلم ذلك، وإنّي مقتول	٣٨٤، ٣٩٠
ياجدّاه، لا حاجة لي في الرجوع إلى الدنيا	٣٨٠
ياجون، أنت في أُذن منّي فإنّما تبعتنا	٤٠٩
ياحبّابة، إنه ليس أحد على ملّة إبراهيم في هذه الأمة غيرنا وغير شيعتنا	٢٨٦
يا ظالماً لنفسه، عاصياً لربّه، علام تحول	٢٢٩، ٣٦٢
ياعبدالله، ليس يخفى عليّ الرأي، ولكن	١٥٣، ١٦٩
ياعمّة، كلّ الذي مقدّر فهو كائن	١٥٤
ياعمّة، لاتقولي من قريش ولكن قولي	٣٨٣
ياغلام، أذكرني بهذه اللقمة إذا خرجتُ	٢٨٠
ياقيس، إنه إمامي	٢١٩
يفعل الله ذلك إذا نحن فرغنا عن	٣٥٠
يقضي الله ما أحبَّ	٤٢٠، ٤٢١



فهرس الأبيات الشعرية



فهرس الأعلام

الإسم	الصفحة

الإسم	الصفحة

الإسم **الصفحة**

الإسم الصفحة

-ز-

-س-

الإسم	الصفحة

الإسم	الصفحة

-ض-

-ط-

-ع-

الإسم	الصفحة
العبّاس بن عبدالمطّلب	٦٣، ١٠٦، ٤٢٦
العبّاس (بن علي بن أبي طالب)عليهما السلام	٤٠٤
(الشيخ) عبّاس القمّي	٤١٠
عباية الأسدى	٢٨٦
عبدالرحمن بن أبي بكر	٢٩٢، ٢٩٥، ٢٩٨، ٣٠٠، ٣٠١، ٣١١، ٣١٢ ٣١٤، ٣٢٦، ٣٤٥، ٣٤٩، ٣٥٠
عبد الرحمن بن خالد بن الوليد	٢٣٩
عبدالرحمن بن سليط	٢٥٤
عبدالرحمن بن عثمان الثقفي	٢٦٧
عبدالرحمن بن عوف	١٠٥، ١٠٦، ١١١
عبد الرحمن العنزي	١٢٩
عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث	١٨٢
عبد الرحمن بن ملجم	٦٨
عبد السلام بن صالح الهروي	١٩٠
عبدالعزيز بن زرارة الكعبي	٣٠٣
عبدالعزيز بن كثير	٢٥٧
عبد الله بن أبي بن سلول العوفي	٦٨، ٦٩، ٧٠، ٧١، ٨٣
عبد الله بن جعفر	١١٤، ١٤٩، ٢٥٨، ٢٧٥، ٢٩١، ٢٩٣، ٤٠٥
عبد الله بن خليفة الطائي	١٢٩
عبد الله بن ربيعة المخزومي	١٠٨
عبد الله بن الزبير	١٥١، ٢٧٥، ٢٨٢، ٢٩١، ٢٩٣، ٢٩٥، ٢٩٨، ٣٠٩ ٣١٢، ٣١٤، ٣٣٩، ٣٤١، ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٤٧، ٣٤٨

الإسم | الصفحة

الإسم	الصفحة

الإسم	الصفحة

الإسم	الصفحة

الإسم	الصفحة

الإسم | الصفحة

الإسم	الصفحة
(الشيخ) المفيد	٢٣، ٢٢٢، ٣٥٣، ٣٥٦، ٤١١، ٤٢٠
المقداد	٩٢، ١٠٠، ١٠٨
المقرّم (عبدالرزّاق)	١٤٩، ١٧١
المقريزي	٩٤
منجح بن سهم (مولىٰ الإمام الحسينعليه السلام)	٤٠٨
المنذ بن الجارود	٢٥٢، ٤٠٧
المنذر بن المشمعل	١٥٧
مؤمن آل فرعون	١٩
موسىٰ (نبيّ الله)عليه السلام	٤١، ٨٧، ١٤٤، ٢٥٩، ٤١٥، ٤١٧
موسىٰ بن عيسىٰ الهاشمي	١٨٥
موسىٰ بن المغيرة	٢٩٠، ٢٩١

-ن-

نافع بن الأزرق	٢٥٥، ٢٥٦
نافع بن سرجس	٦٦، ٨٣
النجّاشي	٤٠٨، ٤٠٩
نجيب باشا	١٨٥
نصر بن أبي نيزر	٤٠٨
النضر بن مالك	٢٥١
النعمان بن بشير	٣٣٦، ٣٤٤
نوفل بن الحارث بن عبدالمطّلب	٤٠٨



فهرس الأماكن والبقاع

الأسم	الصفحة



فهرس الفرق والجماعات

الأسم **الصفحة**

الأسم	الصفحة

الأسم	الصفحة

الأسم	الصفحة



فهرس

مواضيع الجزء الأوّل

المدخل

الجزء الأوّل

«الإمام الحسينعليه السلام في المدينة المنوّرة، ومنها إلى مكّة المكرّمة»

تمّ بحمد الله

فهرس
المصادر التي أخذنا عنها مباشرة

١ـ *الإحتجاج*: أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسی / من أعلام القرنين السادس والسابع / مطبعة النعمان ـ النجف الأشرف.

٢ـ *الأخبار الطوال*: أبو حنيفة أحمد بن داود الدينوري / توفي في سنة ٢٨٢ هـ/ منشورات الشريف الرضي ـ قم.

٣ـ *الإختصاص*: الشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان العكبري / توفي في سنة ٤١٣ هـ/ منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية ـ قم.

٤ـ *الإرشاد*: الشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان العكبرى / توفي في سنة ٤١٣ هـ/ المطبعة الحيدرية ـ النجف الأشرف.

٥ـ *الإستيعاب في معرفة الأصحاب*: أبو عمر يوسف بن عبداللّه بن محمد بن عبدالبر / توفي في سنة ٤٦٣ هـ/ دار الجيل ـ بيروت؛ ودار الكتاب العربي ـ بيروت.

٦ـ *الإصابة في تمييز الصحابة*: أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي العسقلاني / توفي في سنة ٨٥٢ هـ/ دار الكتاب العربي ـ بيروت.

٧ـ *الأغاني*: أبو الفرج علي بن الحسين الأصبهاني / توفي في سنة ٣٦٥ هـ/ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

٨ـ *الإلهيات*: محاضرات الشيخ جعفر السبحاني / بقلم حسن محمد مكي العاملي / منشورات المركز ألعالمى للدراسات الإسلامية ـ قم.

٩ـ *الأمالي*: الشيخ الصدوق أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين ابن بابويه/ توفي في سنة ٣٨١ هـ/ منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ـ بيروت.

١٠ـ *الأمالي*: الشيخ الطوسي ابوجعفر محمد بن الحسن/ توفي في سنة ٤٦٠ هـ/ تحقيق قسم الدراسات الإسلامية ـ مؤسسة البعثة ـ ايران.

١١ـ *الأمالي (كتاب النوادر منه)*: أبوعلي القالي/ دار الكتب العلمية ـ بيروت.

١٢ـ *الإمام الحسين*عليه السلام: عبدالله العلايلي/ دار مكتبة التربية ـ بيروت.

١٣ـ *الإمامة والسياسة*: أبوعبدالله محمد بن مسلم بن قتيبة/ توفي في سنة ٢٧٠ هـ/ المكتبة المصرية ـ القاهرة/ الطبعة الثانية ١٣٢٥ هـ.

١٤ـ *إبصار العين في أنصار الحسين*عليه السلام: الشيخ محمد بن طاهر السماوي/ توفي في سنة ١٣٧٠ هـ/ تحقيق الشيخ محمد جعفر الطبسي/ مركز الدراسات الإسلامية لحرس الثورة ـ قم.

١٥ـ *إثبات الهداة*: محمد بن الحسن الحرّ العاملي/ توفي في سنة ١١٠٤ هـ/ دار الكتب الإسلامية ـ طهران

١٦ـ *إحقاق الحق وإزهاق الباطل*: القاضي السيد الشهيد نور اللّة الحسيني المرعشي التستري/ توفي في سنة ١٠١٩ هـ/ منشورات مكتبة آية اللّه العظمى المرعشي النجفي ـ قم.

١٧ـ *إختيار معرفه الرجال (رجال الكشّي)*: تحقيق السيد مهدي الرجائي/ مؤسسة آل البيتعليهم السلام لإحياء التراث ـ قم.

١٨ـ *أسد الغابة في معرفة الصحابة*: عزّالدين بن الأثير، أبوالحسن علي بن محمد الجزري/ توفي في سنة ٦٣٠ هـ/ دار الشعب ـ القاهرة.

١٩ـ *اضواء على السنّة المحمّدية*: محمود أبوريَّه/ منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ـ بيروت.

٢٠ـ *أعيان الشيعة*: السيد محسن الأمين/ توفي في سنة ١٣٧٠ هـ/ دار التعارف للمطبوعات ـ بيروت.

٢١ـ *أنساب الأشراف*: أحمد بن يحيىٰ بن جابر البلاذري/ تحقيق الشيخ محمد باقر المحمودي/ دار التعارف للمطبوعات ـ بيروت؛ وأيضاً نسخة نشر مكتبة المثنّىٰ ـ بغداد.

٢٢ـ *بحار الأنوار*: العلاّمة الشيخ محمد باقر المجلسي/ توفي في سنة ١١١١ هـ/ مؤسسة الوفاء ـ بيروت.

٢٣ـ *البدء والتاريخ*: المنسوب إلى أبي زيد بن سهل البلخي/ وهو للمطهر بن طاهر المقدسي/ توفي بعد ٣٥٥ هـ/ طبعة باريس ـ ١٨٩٩م.

٢٤ـ *البداية والنهاية في التاريخ*: ابوالفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي/ توفي في سنة ٧٧٤ هـ/ مؤسسة التأريخ العربي ـ بيروت.

٢٥ـ *بصائر الدرجات في فضائل آل محمد*ﷺ: أبوجعفر محمد بن الحسن الصفّار القمّي/ توفي في سنة ٢٩٠ هـ/ منشورات مكتبة آية الله العظمىٰ المرعشي النجفي ـ قم.

٢٦ـ *تاريخ الأمم والملوك (تاريخ الطبري)*: أبوجعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري/ توفي في سنة ٣١٠ هـ/ منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ـ بيروت.

٢٧ـ *تاريخ ابن عساكر (ترجمة الإمام الحسين*عليه السلام*)*: أبوالقاسم علي بن الحسن بن هبة اللّه الشافعي/ توفي في سنة ٥٧١ هـ/ تحقيق محمد باقر المحمودي/ مؤسسة المحمودي ـ بيروت؛ ومجمع إحياء الثقافة الإسلامية ـ قم.

٢٨ـ *تاريخ مدينة دمشق*: أبوالقاسم علي بن الحسن ابن هبة اللّه الشافعي المعروف بابن عساكر/ توفي في سنة ٥٧١ هـ/ دراسة وتحقيق علي شيري/ دار

الفكر ـ بيروت.

٢٩ـ *تاريخ اليعقوبي*: أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب ابن واضح الكاتب العبّاسي المعروف باليعقوبي / توفي بعد ٢٩٢ هـ/ دار صادر ـ بيروت.

٣٠ـ *تذكرة الحفّاظ*: أبوعبدالله شمس الدين الذهبي / توفي في سنة ٧٨ هـ/ الطبعة الثالثة ١٩٥٥م.

٣١ـ *تذكرة الخواص*: سبط ابن الجوزي / توفي في سنه ٦٥٤ هـ/ مؤسسة أهل البيت عليهم السلام ـ بيروت.

٣٢ـ *تحرير الوسيلة*: آية الله العظمىٰ السيد روح الله الموسوي الخميني قدس سره / الطبعة الثالثة ١٣٩٧ هـ ق.

٣٣ـ *تحف العقول*: أبومحمد الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة الحرّاني / من أعلام القرن الرابع / مؤسسة الأعلمي ـ بيروت؛ ومؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين ـ قم.

٣٤ـ *تطهير الجنان واللسان*: ابن حجر الهيثمي المكي / نشر مكتبة القاهرة ـ مصر.

٣٥ـ *تفسير فرات الكوفي*: أبوالقاسم فرات بن ابراهيم بن فرات الكوفي / من أعلام الغيبة الصغرىٰ / تحقيق محمد كاظم / مؤسسة الطبع والنشر التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي ـ طهران.

٣٦ـ *تفسير القرآن العظيم*: أبوالفداء اسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي / توفي في سنة ٧٧٤ هـ/ دار المعرفة ـ بيروت.

٣٧ـ *تفسير القمّي*: أبوالحسن علي بن إبراهيم القمي / منشورات مكتبة الهدىٰ / مطبعة النجف ١٣٨٧ هـ ق.

٣٨ـ *تفسير العيّاشي*: أبوالنصر محمد بن مسعود بن عيّاش / السلمي السمرقندي / المكتبة العلمية الإسلامية ـ طهران.

٣٩ـ *التفسير المنسوب للإمام العسكري*عليه السلام: تحقيق ونشر مدرسة الإمام المهدي (عج) ـ قم

٤٠ـ *تنزيه الأنبياء*: الشريف المرتضىٰ علي بن الحسين الموسوي/ توفي في سنة ٤٣٦ هـ/ منشورات الشريف الرضي ـ قم.

٤١ـ *تنقيح المقال في علم الرجال*: الشيخ عبداللّٰه محمد حسن بن المولىٰ عبداللّٰه المامقاني/ توفي في سنة ١٣٥١ هـ/ (الطبعة الحجرية) المكتبة الرضوية ـ النجف.

٤٢ـ *ثورة الحسين*عليه السلام *ظروفها الإجتماعية وآثارها الإنسانية*: محمد مهدي شمس الدين/ دار التعارف للمطبوعات ـ بيروت.

٤٣ـ *جامع المقاصد في شرح القواعد*: الشيخ علي بن الحسين الكركي/ توفي في سنة ٩٤٠ هـ/ تحقيق مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ـ قم.

٤٤ـ *الجرح والتعديل*: أبو محمد عبدالرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس بن المنذر التيمي الحنظلي الرازي/ توفي في سنة ٣٢٧ هـ/ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

٤٥ـ *جنة المأوىٰ*: الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء/ نشر مكتبة «حقيقت» ـ تبريز.

٤٦ـ *جواهر الكلام*: الشيخ محمد حسن النجفي/ دار الكتب الإسلامية ـ طهران.

٤٧ـ *الحسين*عليه السلام *سماته وسيرته*: السيد محمد رضا الحسيني الجلالي/ دار المعروف للطباعة والنشر ـ قم.

٤٨ـ *حياة الإمام الحسين بن علي*عليه السلام: باقر شريف القرشي/ منشورات مكتبة الداوري ـ قم.

٤٩ـ *الخرائج والجرائح*: قطب الدين الراوندي أبوالحسين سعيد بن هبة اللّٰه/ توفي في سنة ٥٧٣ هـ/ مؤسسة الإمام المهدي ـ قم.

٥٠ـ *الخصال*: الشيخ الصدوق، أبوجعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي / توفي في سنة ٣٨١ هـ/ مؤسسة النشر الإسلامي لجماعة المدرسين ـ قم.

٥١ـ *الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة*: صدر الدين السيد علي خان المدني الشيرازي الحسيني / توفي في سنة ١١٣٠ هـ/ منشورات مكتبة بصيرتي ـ قم.

٥٢ـ *دعائم الإسلام*: القاضي أبوحنيفة النعمان بن محمد التميمي المغربي / دار المعارف ـ مصر.

٥٣ـ *دلائل الإمامة*: أبوجعفر محمد بن جرير بن رستم الطبري / من أعلام القرن الخامس الهجري / مؤسسة البعثة ـ قم.

٥٤ـ *دلائل النبّوة*: أبونعيم أحمد بن عبدالله الإصبهاني / توفي في سنة ٤٣٠ هـ/ الطبعة الثانية، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ـ حيدر آباد الركن ـ الهند ـ ١٩٥٠م.

٥٥ـ *زهر الآداب*: أبوإسحاق إبراهيم بن علي الحصري القيرواني / دار الجيل للنشر والتوزيع ـ بيروت.

٥٦ـ *زينب الكبرىٰ*: الشيخ جعفر النقدي / منشورات مكتبة المفيد ـ قم.

٥٧ـ *سفينة البحار*: الشيخ عباس القمي / (الطبعة الحجرية) انتشارات مكتبة سنائي.

٥٨ـ *السقيفة*: سليم بن قيس الهلالي العامري / توفي في سنة ٩٠ هـ/ دار الفنون للطباعة والنشر.

٥٩ـ *سنن أبي داود*: سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي / توفي في سنة ٢٧٥ هـ/ دار إحياء السنة النبوية.

٦٠ـ *سير أعلام النبلاء*: شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي / توفي في سنة ٧٤٨ هـ/ الطبعة التاسعة، مؤسسة الرسالة ـ بيروت.

٦١ـ *السيرة الحلبية*: علي بن برهان الدين الحلبي الشافعي / الطبعة الثانية، المطبعة الأزهرية المصرية ـ ١٣٢٩ هـ ق.

٦٢ـ *السيرة النبوية*: لإبن هشام / مطبعة مصطفىٰ الباني الحلبي وأولاده ـ مصر / انتشارات ايران ـ قم.

٦٣ـ شرح *نهج البلاغة*: عبدالحميد بن هبة اللّه المدائني (بن أبي الحديد) / دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

٦٤ـ *شهداء الفضيلة*: العلامة الأميني عبدالحسين أحمد النجفي / الطبعة الثانية ١٣٩٣ هـ / مكتبة الطباطبائي ـ قم.

٦٥ـ *الصحيح من سيرة النبيّ الأعظم*ﷺ: السيد جعفر مرتضىٰ العاملي / قم المقدّسة ـ ١٤٠٠ هـ

٦٦ـ صحيح *البخاري*: إسماعيل بن إبراهيم الجعفي / نشر دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

٦٧ـ صحيح مسلم: مسلم بن الحجّاج القشيري النيسابوري / نشر دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

٦٨ـ صحيح مسلم (*شرح النووي*): الطبعة الثانية ١٣٩٢ هـ / دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

٦٩ـ صحيفة *الإمام الرضا*ؑ: تحقيق ونشر مؤسسة الإمام المهديؑ ـ قم ـ ١٤٠٨ هـ.

٧٠ـ صحيفة *النور*: الإمام الخميني باللغة الفارسية / طبع وزارة الإرشاد الإسلامي ـ طهران.

٧١ـ *الصراط* المستقيم: زين‌الدين أبومحمد علي بن يونس العاملي توفي في سنة ٨٧٧ هـ / المكتبة المرتضوية لإحياء الآثار الجعفرية.

٧٢ـ *صلح الحسن*عليه السلام: الشيخ راضي آل ياسين / انتشارات ناصر خسرو ـ طهران.
٧٣ـ *الطبقات الكبرى*: أبوعبدالله محمد بن سعد بن منيع المشهور بابن سعد / دار صادر ـ دار بيروت ـ بيروت ١٩٥٧م.
٧٤ـ *العقد الفريد*: أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي توفي في سنة ٣٢٨هـ / دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.
٧٥ـ *علل الشرائع*: الشيخ الصدوق أبوجعفر محمد بن على بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي توفي في سنة ٣٨١هـ / دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.
٧٦ـ *عيون الأخبار*: أبومحمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري توفي في سنة ٢٧٦هـ/ المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر.
٧٧ـ *عيون أخبار الرضا*عليه السلام: الشيخ الصدوق أبوجعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي توفي في سنة ٣٨١هـ / انتشارات جهان ـ طهران.
٧٨ـ *الغدير في الكتاب والسنّة والأدب*: عبدالحسين أحمد الأميني النجفي / دار الكتاب العربي ـ بيروت.
٧٩ـ *الغيبة*: الشيخ الطوسي أبوجعفر محمد بن الحسن الطوسي توفي في سنة ٤٦٠هـ / مؤسسة المعارف الإسلامية ـ قم.
٨٠ـ *الفتح الربّاني لترتيب مسند أحمد بن حنبل الشيباني*: أحمد بن عبدالرحمن البنّا / دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.
٨١ـ *الفتنة الكبرى*: طه حسين ـ الطبعة الثامنة ـ دار المعارف ، مصر.
٨٢ـ *الفتوح*: أبومحمد أحمد بن أعثم الكوفي توفي في سنة ٣١٤هـ / تحقيق علي شيري / دار الأضواء ـ بيروت.
٨٣ـ *فتوح البلدان*: أبوالحسن أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري / المكتبة التجارية الكبرى بمصر.

٨٤ـ *الفصل بين الملل والأهواء والنحل*: أبومحمد علي بن أحمد بن حزم الظاهري / الطبعة الأولى ـ المطبعة الأدبية ـ مصر ١٣٢٠هـق.

٨٥ـ *الكافي*: ثقة الإسلام أبوجعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني توفي في سنة ٣٢٩هـ / دار الكتب الإسلامية ـ طهران.

٨٦ـ *الكامل في التأريخ*: عزالدين أبوالحسن علي بن أبي الكرم الشيباني المعروف بابن الأثير / دار صادر ـ دار بيروت ـ بيروت.

٨٧ـ *كامل الزيارات*: أبوالقاسم جعفر بن محمد بن قولويه توفي في سنة ٣٦٧هـ / المكتبة المرتضوية ـ النجف.

٨٨ـ *كفاية الأثر*: أبوالقاسم علي بن محمد بن علي الخزاز القمّي الرازي ـ من أعلام القرن الرابع الهجري / انتشارات بيدار ـ قم.

٨٩ـ *كمال الدين وتمام النعمة*: الشيخ الصدوق أبوجعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمّي توفي في سنة ٣٨١هـ / مؤسسة النشر الإسلامي لجماعة المدرسين ـ قم.

٩٠ـ *كشف الغمة*: أبوالحسن علي بن عيسى بن أبي الفتح الأربلي توفي في سنة ٦٩٢هـ/ دار الكتاب الإسلامي ـ بيروت.

٩١ـ *كنز العمّال*: علاء الدين علي المتّقي بن حسام الدين الهندي توفي في سنة ٩٧٥هـ / منشورات مكتبة التراث الإسلامي ـ حلب.

٩٢ـ *لباب التأويل في معاني التنزيل (تفسير الخازن)*: علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي توفي في سنة ٧٢٥هـ / دار الفكر.

٩٣ـ *لسان العرب*: أبوالفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور / نشر أدب الحوزة ـ قم ـ ١٤٠٥هـ

٩٤ـ *لسان الميزان*: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني توفي في سنة ٨٥٢ / مؤسسة

الأعلمي ـ بيروت.

٩٥ـ *اللهوف في قتلى الطفوف*: علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن طاووس الحسيني توفي في سنة ٦٦٤هـ / منشورات المطبعة الحيدرية في النجف ١٣٦٩هـ.

٩٦ـ مثير *الأحزان*: ابن نما الحلّي توفي في سنة ٦٤٥هـ / منشورات مدرسة الإمام المهدي عليه السلام ـ قم ـ رقم ١٩.

٩٧ـ *المجتنى*: أبوبكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي البصري توفي في سنة ٣٢١هـ/ الطبعة الرابعة / مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ـ حيدرآباد الدكن ـ الهند.

٩٨ـ مجمع *الزوائد* ومنبع *الفوائد*: نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي توفي في سنة ٨٠٧هـ / دار الكتاب العربي ـ بيروت.

٩٩ـ *محاسن الوسائل في معرفة الأوائل*: محمد بن عبدالله الشبلي الدمشقي توفي في سنة ٧٩٦هـ / تحقيق الدكتور محمد التونجي / دار النفائس ـ بيروت.

١٠٠ـ *المحلّى*: أبومحمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم توفي في سنة ٤٥٦هـ دار الآفاق الجديدة ـ بيروت.

١٠١ـ *المراجعات*: السيد عبدالحسين شرف الدين الموسوى / دار المرتضى.

١٠٢ـ مروج *الذهب* ومعادن *الجوهر*: أبوالحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي توفي في سنة ٣٤٦هـ / دار المعرفة ـ بيروت.

١٠٣ـ *المسائل العكبرية*: الشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان العكبري / مطبوع ضمن موسوعة «مصنفات الشيخ المفيد»: الجزء الرابع.

١٠٤ـ مستدركات *علم رجال الحديث*: الشيخ علي النمازي الشاهرودي توفي في سنة ١٤٠٥هـ / مطبعة الشفق ـ طهران.

١٠٥ـ *المستدرك على الصحيحين في الحديث*: الحاكم أبوعبدالله النيسابوري / دار الفكر ـ بيروت.

١٠٦ـ مستدرك *الوسائل*: الحاج ميرزا حسين النوري الطبرسي توفي في سنة ١٣٢٠هـ / مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ـ قم.

١٠٧ـ مسند *أحمد بن حنبل*: أحمد بن حنبل / دار الفكر ـ بيروت.

١٠٨ـ *المصنّف*: أبوبكر عبدالرزاق بن همام الصنعاني / تحقيق وتخريج وتعليق الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي / منشورات المجلس العلمي ـ الطبعة الأولى.

١٠٩ـ *المصنّف*: عبدالله بن محمد بن أبي شيبة توفي في سنة ٢٣٥هـ / الدار السلفية ـ بومباي ـ الهند.

١١٠ـ *معالم التنزيل (تفسير البغوي)*: أبومحمد الحسين بن مسعود الفرّاء البغوي توفي في سنة ٥١٦هـ / دار المعرفة ـ بيروت.

١١١ـ *معالم الفتن*: سعيد أيوب / انتشارات سعيد بن جبير ـ قم.

١١٢ـ *معالم المدرستين*: السيد مرتضى العسكري / مؤسسة البعثة ـ طهران.

١١٣ـ *معالي السبطين*: الشيخ محمد مهدي الحائري / منشورات الشريف الرضي.

١١٤ـ *معاني الأخبار*: الشيخ الصدوق أبوجعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي توفي في سنة ٣٨١هـ / منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية ـ قم.

١١٥ـ معجم *رجال الحديث*: آية الله العظمى السيد أبوالقاسم الخوئي / منشورات مدينة العلم ـ قم.

١١٦ـ *معجم ماكتب عن الرسول وأهل البيت صلوات الله عليهم*: عبدالجبار الرفاعي / الطبعة الأولى ـ مؤسسة الطباعة والنشر لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي ـ طهران.

١١٧ـ *المغازي*: محمد بن عمر بن واقد (الواقدي) توفي في سنة ٢٠٧هـ / تحقيق الدكتور مارسدن جونس / مطبعة جامعة أكسفورد ومطابع دار المعارف ـ القاهرة ١٩٦٤ ـ ١٩٦٦م.

١١٨ـ *المفردات في غريب القرآن*: أبوالقاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني توفي في سنة ٥٠٢هـ / دار المعرفة ـ بيروت.

١١٩ـ *مقاتل الطالبيين*: أبوالفرج الأصفهاني توفي في سنة ٣٥٦هـ / منشورات المكتبة الحيدرية ـ النجف.

١٢٠ـ *مقتل الحسين*عليه السلام: السيد عبدالرزاق الموسوي المقرّم / دار الكتاب الإسلامي ـ بيروت.

١٢١ـ *مقتل الحسين*عليه السلام: أبوالمؤيد الموفّق بن أحمد المكّي أخطب خوارزم، توفي في سنة ٥٦٨هـ / مطبعة الزهراء ـ النجف.

١٢٢ـ *مقتل الحسين*عليه السلام: لوط بن يحيى بن سعيد بن مخنف بن سليم الأزدي الغامدي / مؤسسة الوفاء ـ بيروت.

١٢٣ـ *الملحمة الحسينية (ترجمة عربية لكتاب حماسه حسيني)*: الشهيد الشيخ مرتضى مطهري / المركز العالمي للدراسات الإسلامية ـ قم.

١٢٤ـ *مناقب آل أبي طالب*: أبوجعفر رشيد الدين محمد بن علي بن شهرآشوب السروي المازندراني، توفي في سنة ٥٨٨هـ / المطبعة العلمية ـ قم.

١٢٥ـ *مناقب علي بن أبي طالب*عليه السلام: أبوالحسن علي بن محمد بن محمد الواسطي الجلالي الشافعي الشهير (بابن المغازلي)، توفي في سنة ٤٨٣هـ / المكتبة الإسلامية ـ طهران.

١٢٦ـ *منهاج الصالحين*: آية الله العظمى السيد محسن الحكيم / دار التعارف ـ بيروت.

١٢٧ـ *منهاج الصالحين*: آية العظمى السيد أبوالقاسم الخوئي / مطبعة مهر ـ قم.

١٢٨ـ*ميزان الإعتدال في نقد الرجال*: عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، توفي في سنة ٧٤٨هـ / دار المعرفة ـ بيروت.

١٢٩ـ*الميزان في تفسير القرآن*: العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي / مؤسسة الأعلمي ـ بيروت.

١٣٠ـ*النزاع والتخاصم*: تقي الدين أبوالعبّاس أحمد بن علي المقريزي، توفي في سنة ٨٤٥هـ / مؤسسة أهل البيت ـ بيروت.

١٣١ـ*نزهة الناظر وتنبيه الخاطر*: الشيخ الجليل الحسين بن محمد بن الحسن بن نصر الحلواني، من أعلام القرن الخامس / تحقيق ونشر مدرسة الإمام المهدي عليه السلام ـ قم.

١٣٢ـ*نفحات الأزهار في خلاصة عبقات الأنوار*: السيد علي الحسيني الميلاني / مطبعة مهر ـ قم.

١٣٣ـ*نفثة المصدور (المطبوع مع نفس المهموم)*: الشيخ عباس القمي / منشورات مكتبة بصيرتي ـ قم.

١٣٤ـ*نفس المهموم*: الشيخ عباس القمي / مكتبة بصيرتي ـ قم.

١٣٥ـ*نهج البلاغة*: وهو مجموعة ما اختاره الشريف الرضي (ره) من كلام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام / ضبط صبحي الصالح / نشر بإشراف مركز البحوث الإسلامية ـ قم.

١٣٦ـ*نهج الحقّ وكشف الصدق*: العلامة الحسن بن يوسف المطهّر الحلّي، توفي في سنة ٧٣٦هـ / مؤسسة دار الهجرة ـ قم.

١٣٧ـ*وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى صلى الله عليه وآله*: عليّ بن عبدالله بن شهاب الدين بن العبّاس الحسيني الشافعي السمهودي، توفي في سنة ٩١١هـ / مطبعة الآداب والمؤيد ـ مصر ١٣٢٦هـ